مجلة الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام

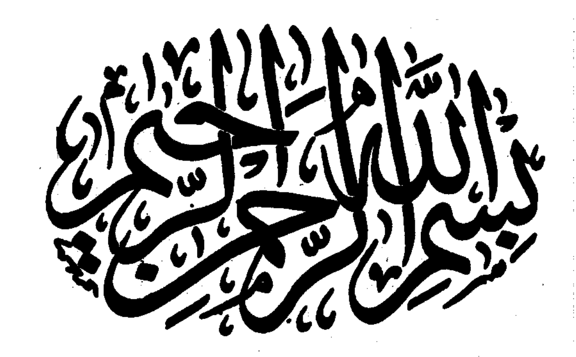
السنة ١٤

العدد

٥٣

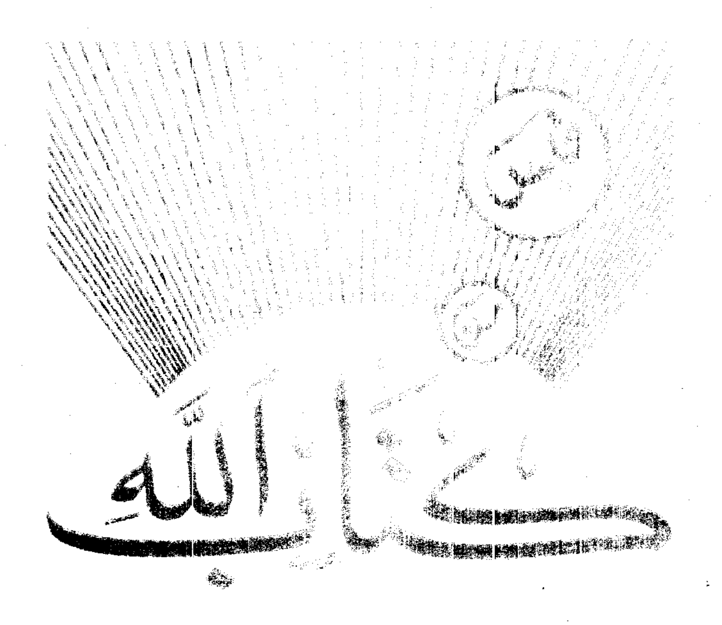
المحرم - صفر - ربيع الأول

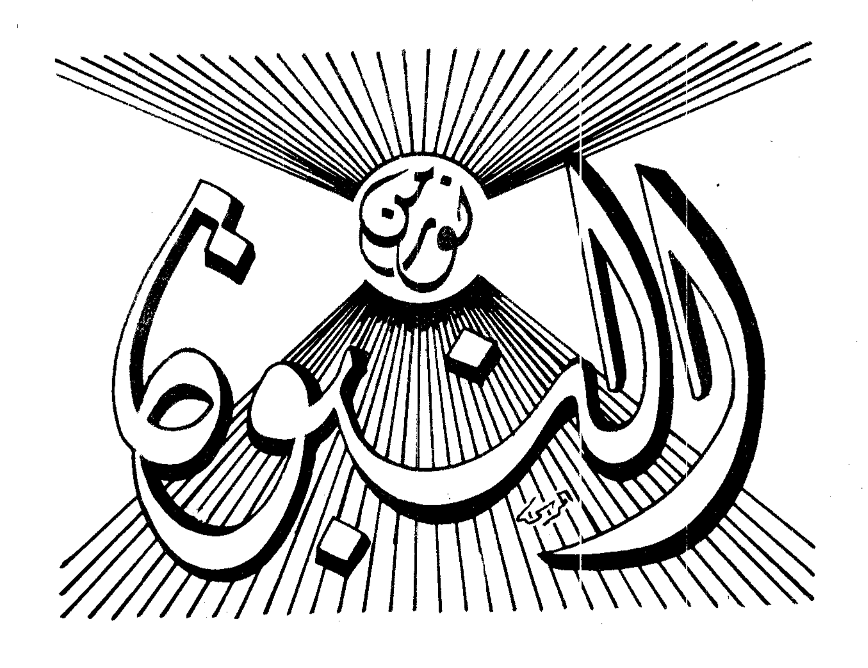
١٤٠٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المراسلات:

ترسل باسم مدير التحرير. الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة


كتاب الله



عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى،

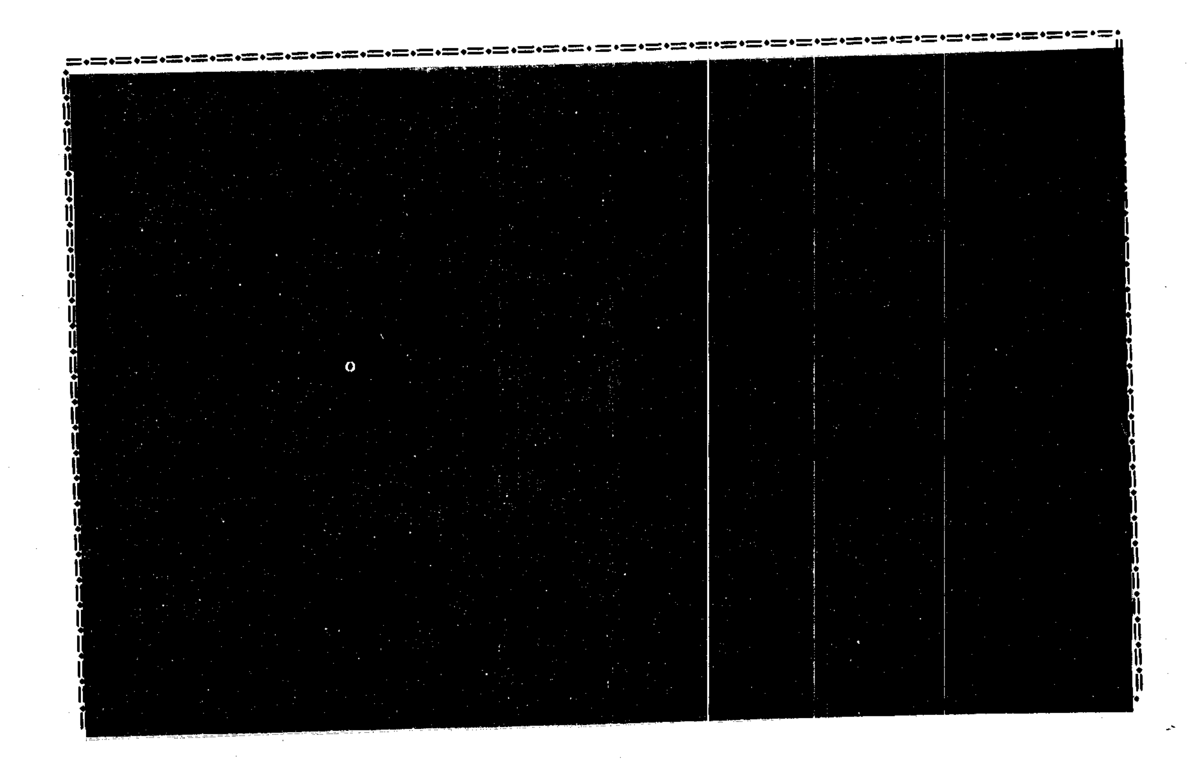
قِيلَ: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي

فَقَدْ أَبَى » .

رواه البخارى


حكمة العدد



كلمة التحرير

التطور العلمي والفكري في مفهوم الإسلام

لفضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد
نائب رئيس الجامعة الإسلامية

التطور حقيقة واقعة في الكون منذ خلق الله الأرض وما عليها ، والانسان - وهو الذى استخلفه الله في الأرض - هو سر الإبداع في هذا التطور ، فحاجاته لاتنتهى ، وتطلعاته لا تقف عند حد ، وطموحه دونه أقصى ما يتصوره العقل البشرى .

ويصور هذا المعنى الدقيق قول الشاعر :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مرتقى

لقد بلغ الشاعر شأواً من المجد وصل به عنان السماء ، ولكنه لم يقنع به ، بل ظل يبتغى مرتقى يصعد إليه ، وإنى لا أشك في أن الشاعر لو علم شيئا أرفع من السماء ما وقف عندها .

تلك فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ولولا ذلك لما عمرت الأرض ، ولتوقفت عجلة الحياة في مكانها لا تريم ، ولكنا لا نزال نركب الجمال والبغال والحمير ، ونعيش في العراء نفترش الأرض ونلتحف السماء ، ونستتر بأوراق الأشجار ، ونلتهم ما نقدر عليه من الوحوش حيا أو ميتا .

إن الحياة التى يحياها الناس الآن دليل واضح على مدى التطور الذى أحرزته الإنسانية في عمرها الطويل المديد منذ خلق الله الكون ، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها ، ذلك لأن الانسان بخصائصه الذاتية امتداد لآبائه وأجداده ، فهو وريثهم يتلقف ما تركوه له ، ولا يقف عنده ، بل يحاول دائما أن يشارك في تلك المسيرة ، ويدفعها بكل إمكانياته حتى لا تتوقف ·

إنني موقن بأن الذين ابتكروا كل ما تتمتع به الإنسانية اليوم من المخترعات لو رأوا ما بلغته مخترعاتهم من التطور لم يندهشوا ، لأنهم عندما اخترعوا ذلك كانوا يؤمنون بأن اختراعهم إن هو إلا خطوة أولى في مشوار طويل لا بد أن يبلغ مداه ، بل إننى أعتقد أنهم سيكونون مسرورين عندما يرون المسيرة التى بدأوها لا زالت مستمرة على الدرب ·

وأستطيع بالتالى أن أؤكد هذا المعنى في كل إبداع إنسانى وصلت إليه عبقرية ذلك المخلوق الفذ العجيب ، ومن هنا أستطيع أن أقول : إن أى تطور في الحياة خاضع لتطور الإنسان نفسه ، فلولا حاجاته الملحة في الاستطلاع والضرب في الأرض لما اخترع المراكب ولما حاول تطويرها ، ولولا ميله الشديد الى الظهور في المجتمعات بمظهر حسن لما تفنن في ابتكار الأزياء وتحسينها ، ولولا ولعه القوي بالسكن الهادىء المريح لما أبدع هذا الإبداع في الفن المعمارى ، ولولا شعوره بالحاجة الماسة إلى العافية لما عرف الدواء ، ولما طوره هذا التطوير العجيب ، وهكـذا ·

ولكن لا يزال هناك سؤال ملح لا يفارق عقل الباحث المحقق وهو : ما السر في اختصاص الإنسان بهذا التطور المطرد ؟ ولماذا لم يشاركه غيره من المخلوقات ؟

إننا نلاحظ أن حياة الحيوان والطير حياة رتيبة لم تفارقها منذ خلقت ، ولن تفارقها حتى تقوم الساعة ، إنها لم تحاول أن تطور عشها الساذج أو حظيرتها المتواضعة ، ولم تتطلع الى تغيير طريقة أكلها أو نمط سلوكها سوى ما كان خاضعا لتطوير الإنسان له كتعليمها وتدريبها على أنواع معينة وفي نطاق ضيق من السلوك وأداء بعض التصرفات ، ومع أن هناك أنواعا من الحيوانات والطيور تميزت بنوع خاص من الذكاء إلا أنها لم تستطع استغلال هذا الذكاء إلا في محاولات يسيرة من تقليد الإنسان ذاته في بعض تصرفاته ·

أما الإنسان فإنه كل يوم في جديد يبدع ويبتكر ، ويطور ويحسن ، وكلما وصل إلى غاية تطلع إلى ما فوقها دون أن يحده حد ·

التطور من خلال المفهوم الإســلامى :

والتطور من خلال المفهوم الإسلامى هو كل تقدم سليم يحرزه الإنسان ، ويحقق مصلحة للجنس البشرى ، سواء كان ذلك تقدما فكريا كالثقافات المختلفة التى تنير للناس طريقهم نحو مجتمع زاخر بالفضائل والمكرمات ، أم كان تقدما ماديا كالمخترعات بأنواعها المختلفة .

أما تلك الفوضى التى عمت المجتمعات باسم التقدم والحرية ، وهذه الابتكارات التى زودت الناس بوسائل القطيعة والتكبر ، ومكنتهم من التنابز المقيت ، ووضعت بين أيديهم أسباب الدمار والفناء فالإسلام لا يعتبر شيئا منها تطورا حقيقيا ولو أتى بالعجب العجاب .

إن الإسلام لا ينظر الى التقدم العلمى في مصعد التفوق الحضارى من حيث هو تقدم علمي أو تفوق حضارى ، ولكنه ينظر إليه من خلال عوائده على الإنسانية في بيئاتها المختلفة ، وظروفها المتباينة ، وأوضاعها المتفاوتة ، فبقدر ما يحقق العلم للبشرية من الفوائد يحظى من الإســلام بالتأييد والمؤازرة .

والإســلام ينبذ الأنانية والعنصرية لأنه دين البشرية كلها شاء الناس أم أبوا ، لأن الله سبحانه قد أمر الناس جميعا بالدخول فيه ، فالرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ـ قد أرسل إلى الناس كافة .

ولهذا فإنه ينشد السعادة والفائدة لكل الناس في الحقوق العامة لا فرق فيها بين عربى وعجمى ولا أبيض وأسود ، ولا فقير ولا غني ، ولا مسلم وغير مسلم ، ولكن الذين يرفضون الإسلام ويتأبون عليه قد حرموا أنفسهم من نصيبهم من تلك السعادة ، وليس الذنب في ذلك إلا ذنب الذين يرفضون الإســلام ، ولا يتخذونه منهج حياة .

إن الإســلام قد أقام حضارته على مبادىء سامية وأواصر وثيقة ، وجعل من أهم هذه المبادىء : المساواة ، فالناس جميعا ولد آدم ، وجميعهم أبناء حواء ، فهو إذاً أخوة ، لا يتفاخرون بنسب ولا عرق ، وكيف وأبوهم واحد وأمهم واحدة ؟ ولا يتفاضلون بقومية ولا وطنية لأنهم يعيشون على أرض واحدة .

وبهذا قطع الإسلام كل أسباب التفاخر بين الناس ، وأغلق باب التفاضل بما لا دخل لهم فيه ، وفتح بابا واحداً يمكن للناس كل الناس التنافس فيه بالجهد الشخصى ، والتفوق الذاتى وهو باب العمل الصالح ، وإفراغ الطاقة في البر والتقوى بكل ما تتسع له الكلمة من المعانى ، وعلى هذا فالعمل الذى يعم نفعه المجتمع أو أكبر قدر منه هو أعظم من الأعمال

القاصرة على الشخص نفسه ؟ وأضخمها في ميزان المجتمع المسلم ، ومن هنا كان حث الإسلام على التعاون ، ودعوته إلى الاجتماع ، وعلى هذا المعنى الرائع يدل قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (١) ٠

ويوضح هذا المعنى كذلك قول أمير المؤمنين ـ عثمان بن عفان الذى يروى عنه : (المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احداهما الأخرى) ٠

الـدافع والتطـــور :

والتطور نتيجة حتمية للدوافع التى تحفز الإنسان الى التطلع للأكمل والأرفع وهذه الدوافع سواء كانت ذاتية منبعثة من داخل النفس الإنسانية أم كانت خارجية كالحوافز المادية والمعنوية كلها ذات أثر بالغ في التطوير سواء كان في المخترعات أم في الفكر والسلوك أم في أساليب الحياة وأنماطها ٠

والإيمان بالله من أعظم الدوافع التى تدعو إلى التطور ، ذلك لأن المؤمن يعتقد بأن وعد الله حق ، وأن أجله محدود ، ورزقه مضمون ، وهو مطالب بالعمل حتى يفارق هذه الحياة ٠

لهذا فهو مقدام لا يهاب المغامرات متى كان ذلك مطلوبا شرعا ، كريم لا يخشى الفقر ، مُجِدٌ لا يعرف الملل ، وتلك هى المواصفات التى تدعو إلى الإبتكار والتطوير والإبداع ٠

فالشجاع المقدام لا يرهب الفشل ، والكريم المعطاء يبذل في سبيل تحقيق آماله ، والمجد الدؤوب لا يمل من الدأب حتى يصل إلى مرامه أو يهلك دونه وقديما قيـل :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

إن المؤمن إذا سمع قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها قبل أن تقوم القيامة فليغرسها ، لا يسعه إلا أن يواصل العمل ليل نهار ، ويبذل جهده صباح مساء ، وكيف لا ونتيجة هذا السعى ستعرض على الله ، وثمار هذا البذل ستكون في كفة حسناته يوم يلقى الله ، وكيف لا والأمر الرباني الكريم يلاحقه في كل حين ٠ (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**) (التوبة / ١٠٥) ٠

---

(١) مسلم وأحمد في المسند عن النعمان بن بشير ٠

والرسول صلى الله عليه وسلم - يحرص على الاحتراف واتخاذ المهنة ، « ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » (١) .

ولما سمع الخليفة الثالث عثمان بن عفان - قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » (٢) فهم من ذلك تحسين البناء وتطويره حتى يكون بيته في الجنة بقدر تحسينه للمسجد وإتقانه ، ومن هنا بنى المسجد بالحجارة المنقوشة ، وجعل أعمدته من الحجارة بدلا من جذوع النخل ، وسقفه بالساج بعد الجريد ، وجصصه ، وأحكمه .

إن الدوافع التى حدت بعثمان أن يفعل ذلك على غير سابقة دوافع ذاتية ؛ ألم تر أنه أراد أن يكون بيته في الجنة على غرار بناء المسجد وإتقانه ، إن رغبته فيما عند الله ، وإيثاره الآخرة على الدنيا هما الدافعان الحقيقيان لهذا التطوير والتجديد .

وعثمان - رضى الله عنه - وإن تعرض بسبب ذلك للنقد والقيل والقال ، إلا أن هدفه كان أسمى من أن يحجزه عنه نقد أو اعتراض ، فالدافع هنا هو سبب ذلك الإبداع في البناء ، وتطلع عثمان - رضى الله عنه - إلى ما عند الله كان القوة الدافعة التى جعلته يستهين بعقبات الدنيا مهما كان حجمها ، ومهما كانت عواقبها .

والغرائز التى أودعها الله في الإنسان تأتى في الدرجة الثانية من دوافع التطوير والإنتاج ، فحب التملك ، والرغبة في الاستطلاع ، وغريزة المنافسة ، كل أولئك دوافع حقيقية ينبعث عنها أروع آيات التجديد والابتكار .

فغريزة التملك تدعو إلى الاقتناء والحرص ، وحب الاستطلاع يكشف الجوانب الخفية للإنسان ، وغريزة المنافسة تؤدى إلى التطوير والإبداع ، وتطلع النفس إلى الأحسن والأكمل يجعله لا يقف عند حد ، بل يظل يطور ويجدد ، ويبدع ويبتكر ما دام حيا .

ويدخل في هذه الغرائز الخبرات التى يستفيدها الإنسان من ممارسته لعمل ما فاكتساب الخبرات يجعل المرء يعيد النظر في كل ما حوله ، ويعالجه في ضوء الخبرات المستجدة في حياته ، ليتجنب المضار ، ويكتسب المنافع وليصل إلى أرقى ما وصل إليه العقل البشرى .

---

(١) رواه أحمد في المسند .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

وللمسلمين في ذلك قصب السبق ، فانهم لما أنشأوا المدن كالبصرة والكوفة والفسطاط وواسط والقيروان وغيرها ، بدأوا بناءها بالقصب ، ورأوا أن ذلك أخف حملا ، وأقل مؤونة ولكن النار داهمتهم فأكلت بيوتهم ، فلم تبق ولم تذر ، فبنوا باللبن والقصب ، حتى عرفوا الحجارة فبنوا بهـا ٠

وأسسوا بيوتهم على نظام الطابق الواحد ، ثم دعت الحاجة الى تعدد الطبقات ، فرفعوا إلى ثـلاث ٠

وكان البناء ساذجا بغير تخطيط ، فرأوا في النقوش والزخرفة زينة يجمل أن تتحلى بها البيوت فتفننوا في ذلك وأبدعوا ، وأزالوا الأزقة الضيقة ، وخططوا الشوارع والميادين وحددوا أماكن الأسواق والحمامات والمرافق العامة ، وظل التطوير شأن المسلمين حتى وصلوا الى إنشاء المجاري لتصريف المياه الزائدة وغير المستفاد منهـا ، وبنوا الجسور ومهدوا الطرق ٠

وهناك أمر هام ينبغى ألا يغفله الباحث ، وهو دور الأخلاق والقيم في التطور والبناء ، وهذا ولاشك أمر حيوى يجب أن يحظى بالعناية والتقدير من الباحثين والمفكرين ، فالناس إنما يخططون ويبتكرون حسبما ينطبعون عليه من الأخلاق أو التفسخ ، وما يعتنقونه من الفضائل أو الرذائل ٠

وإنه مما لاشك فيه أن الفضائل والأخلاق الكريمة تتجه بصاحبها إلى ما يتعارض كلية مع اتجاه التفسخ والرذائل ، فلكل من الفريقين اتجاه يعمل جاهدا من أجل الوصول إليه ، فالوقار واحترام مشاعر الآخرين ، وغض البصر والاهتمام براحة الجيران ، والتعاون القائم على أساس المحبة والعدالة ، كل ذلك يستدعى نمطاً معيناً يؤدى إلى تحقيق المراد ، وبالعكس من يتصف بضد تلك الأخـلاق ٠

ومن هنا كان للاستقامة أثر إيجابي في مضمار التطور إلى الأفضل من الأعمال ، ذلك لأن الاستقامة في مفهوم الإسلام هي الاعتدال في كل الأمور أو هى التوسط بين طرفي النقيض بحيث لا يميل صاحبها إلى الإفراط أو التفريط ، ولا إلى الإسراف أو التقتير ، ولا إلى التهور أو الجبن ولا إلى التفسخ أو الرهبنة ، ولهذا كانت الاستقامة دافعا إلى البحث عن الأفضل من الأقوال والأعمال ، فهى إذاً دافع إلى التطوير والتشييد ٠

وبقدر ما تكون تلك الدوافع الذاتية المنبعثة من النفس البشرية عواملَ مهمةً ومؤثرةً على التطور الإنساني ، وبقدر ما يكون الإبداع في التطور والرقي ناجماً عن تلك الدوافع يكون الإنسان سعيدا متمتعاً بكل مباهج الحياة ، آخذاً من متاعها الحلال الطيب بقدر ما

يحتاج . **(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** (الأعراف /٣٢) .

وليست الدوافع الخارجية بنوعيها المادي والأدبي بأقل تأثيراً في عملية التطوير في حياة الناس من الدوافع الذاتية ، بل لها من الأثر في التطوير والإنتاج ما يضعها مع الدوافع الذاتية في صف واحد ، فمنح الجوائز للمبتكرين ، وتقدير الأمة لأبنائها المبرزين من الدوافع الحقيقية التى لا ينبغي إغفالها أو السكوت عنها ، بل يجب إبرازها كعوامل لها خصائصها في تطوير الحياة وتقدمها .

ومن أجل هذا ، وتقديرا لأثر تلك الدوافع الخارجية رصدت الأمم الجوائز المادية والأدبية فجائزة نوبل وجائزة الملك فيصل - رحمه الله - وغيرهما من الجوائز قد أثمرت وآتت أكلها ، ولها من الفوائد والنفع على العالم ما نلمس فوائده في المجالات التى رصدت لها .

وكلمة أخيرة في الموضوع يجب ألا تنسى ؛ تلك هى : أن التطور لا يختص بمجال الاختراع والإبداع ، في الجانب العملى من حياة الإنسان ، ولكنه ينساق إلى مجالات شتى وغير محصورة في إطار مهما اتسع ذلك الاطار .

فهناك التطور الفكرى الذى يلمسه الإنسان في نفسه وفي غيره عندما ينتقل من بيئة قروية أو بدوية إلى بيئة حضارية ، وما قصة على بن الجهم مع الخليفة العباسي مما يغيب عن الذهن ، فالشاعر - على بن الجهم - قد جاء من البادية ، ووقف أمام الخليفة ليمدحه فقال :

أنت كالكلب في الحفاظ على الود   وكالتيس في قراع الخطوب

وكان الخليفة فطنا أريبا حين سمع ذلك : فأدرك أن ذلك القول لا يزيد عن انعكاسات خلفتها البيئة في نفس الشاعر ، فأمر بإقامته في قصر منيف تحيط به الحدائق الغناء والزهور الباسمة وترك الشاعر فترة في ذلك العيش الرغد ، والحياة البهجة ، ثم جيء به لينشد الخليفة بعض شعره فأنشده :

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

فأين هذا من ذاك ، وأين الثرى من الثريا ؟

وهناك تطور آخر في السلوك ، فكثيراً ما ينشأ الإنسان في بيئة زراعية أو صناعية فيتأثر بسلوك معين تمليه عليه طبيعة البيئة التى نشأ فيها ، فإذا انتقل من هذه البيئة إلى

بيئة علمية مثلا ، وترك معاملة الشجر والزرع ، ومرافقة الطيور والضرع ، وودع حياة المصنع والمعمل أخذ يتهذب سلوكه ويتشكل بحسب الحياة الجديدة التى يحياها ، فهو يتخير الألفاظ اللينة ، ويتكلم بصوت معتدل ، ويفكر طويلا قبل أن يقدم على ما يريد ، وذلك نوع من التطور ملحظ في مثل تلك الظروف ·

وهناك التطور في أسلوب الحياة التى يتعامل به الإنسان من غيره سواء كان ذلك في المأكل والمشرب ، أم كان في الأخذ والعطاء إلى غير ذلك من متطلبات الحياة ·

وهكذا يجد الباحث نفسه أمام تطور مطرد يسير في رحاب الإسلام في نواحى الحياة المختلفة في الصناعة والفن ، في السلوك والفكر ، في الأكل والشرب ، في العطاء والأخذ وفي كل ما يمت إلى الإنسان بصلة ، ويجد أن هذا التطور نتيجة حتمية لدوافع ذاتية أو خارجية بحيث لو توقفت تلك الدوافع لركد الكون وأسن ، وتوقفت عقارب الساعة تبعا لتوقف العقل البشرى من الإنتاج والتطور ·

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا وإمامنا محمد وآله وصحبه ·


الإسلامية


التفسير
و
أصوله



بين يدى تفسير الآية :

أخرج ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره عن ابن أبى حاتم بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال يا عبد الله اعهد إلىّ . فقال : إذا سمعت الله تعالى يقول : **(يا أيها الذين آمنوا)** فارعها سمعَك ؛ فإنه خير يأمر به ، أو شرٌّ ينهى عنه .

فهذا القول من عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يعتبر غاية الفقه ، وغاية النصح . أمّا كونه غاية الفقه فقد دلَّ عليه ما فهمه من أن الله تعالى إذا نادى عباده المؤمنين لم يُنادهم إلا لخير يريدهم أن يَنالوهُ ، أو لشّرٍ يريدهم أن يحذروه . أمّا أولا : فلأن الله تعالى منزه عن اللعب والعبث فلا يمكن أن يناديهم لغير أمرٍ يهمُّهم في حياتهم . وأمّا ثانياً فلأنّ ولايته تعالى لهم تستلزم هدايتهم وإرشادهم لما يُنْجِيهم ، ويكّملهم ويُسعدُهم .

وأما كونه غاية النصح ؛ فلِأن العبد إذا أخذ نفسه على أن يصغيَ دائما لنداء الله تعالى فيعى عنه ما يقول له ويدعوه إليه من فعل خير أو ترك شرّ فيفعل الخير ويترك الشر . فإنه ينجو حتماً ويكمل ويَسْعد . وهذا ما يرجوه كل عاقل ويعمل له طِوال حياته .

مباحث ألفـــاظ الآيـــة :

آمنـــوا : الإيمـان التصديق الجازم · فآمنوا معناه صدقوا بوجـود الله ربًا وإلهـاً وبلقـائه وعـداً حقاً ، وبوحيـه ورسـله حقـا وصـدقا ·

تقـوى الله تعـالى المأمور بهـا في الآيـة هى الإسـلام لله تعـالى بطاعته فيمـا يأمر به ويدعـو إليـه من الإيمـان وصالح الأعمال ، وفيما ينهى عنه ويزجر من الشرك والمعـاصى ·

وابتغوا إليه الوسيلة : الابتغـاء : يقال ابتغى الشىء يبتغيه إذا طلبه ، والوسيـلة : ما يُتوصَّل بـه إلى تحقيق غرضٍ مًا صالحـا كان أو فاسـداً وهى هنـا - الوسيلة - طلب ما يتوصل به إلى رضـوان الله تعالى ومحبّته ، والحظوة لديه من القرب والكرامة ·

وجـاهـدوا : الجهاد بذل الجهـد واستفراغ الوسع · والجهـاد المأمور بـه هنـا : بذل الجهـد في إصلاح النفس والنـاس ·

في سبيله : سبيله تعـالى هى ما يوصل العبـد إلى إصلاح نفسـه وإصلاح غيره ؛ فينجـو ويكمـل ويسعـد في الدنيـا والآخرة ·

لعلكم تفلحـون : لعل هنـا تعليليـة أى اتقـوا وتوسلـوا وجـاهدوا لتفلحـوا · والفلاح : الفـوز وهو النجـاة من النـار ، ودخـول الجنـة دار الأبرار ، مع ما يسبق ذلك من كمال ، وطهـارة ، وعزة ، وكرامـة في دار الدنيـا قبل يـوم القيـامة ·

بيـــان معنى الآيـــة :

اعلم أخى القارىء فتح الله علينـا وعليك أن هذه الآيـة الكريمة المباركة قـد اشتملت على ثلاثـة أوامر إلهيّة موجهة كلّهـا إلى المؤمنين به تعـالى وبلقـائه ، وبوحيـه ورسـوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه الأوامر الثلاثة هى **الأمر بتقـواه** عز وجـل ، **وبطلب الوسيلة إليـه ، والجهـاد في سبيله** · كما اشتملت على عِلّة هذه الأوامر الثلاثة وهى الفلاح المترتب على فِعلها ، والفـلاح هو الفوز بالنجـاة من المرهـوب ، والظفر بالمرغـوب ، وبعبارة أوضح : الفـلاح هو الكمال ، والسعـادة في الدنيـا والآخرة · وإليك شرح هذه الأوامر علّك تقـوم بها فتفـوز كما فـاز بهـا أهلهـا ·

١ ـ الأمر بالتقوى ، ومعناه : اتقاء عذاب الله تعالى المترتب على مخالفة أوامره وسننه في خلقه ، ويتم للعبد هذا الاتقاء إذا هو أطاع الله تعالى ، وأطاع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمرا به من العقائد والعبادات ، وفيما نهيا عنه من الشرك والمعصيّات .

٢ ـ ابتغاء الوسيلة إليه تعالى وهو طلب التقرب إليه عز وجل بأداء الفرائض مصحوبة بنوافلها ؛ إذ لكل فريضة نافلة ؛ للحديث الصحيح : « ما تقرب الىّ عبدى بشيء أحب إلىّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبه الحديث ...... » .

وأما التعليق على التوسل فإنا نقول للقارىء الكريم : إن التوسل الصحيح النافع هو ما بيناه في شرح جملة « وابتغوا إليه الوسيلة » . وليس ما عليه أكثر العوام من الذبح على أضرحة الأولياء والنذر لهم ، والاستغاثة بهم ، ودعائهم ، والعكوف على قبورهم وشد الرحال إليها ، وسؤال الله تعالى بحقهم وجاههم . ليس هذا من التوسل في شيء وإنما هو من الشرك بعبادة الله تعالى . والله يقول فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ..

كما أن قول العوام اللهم إنى أسألك بجاه نبيّك أو فلان ، واللهم إنى أسألك بحق فلان أو فلان ليس من التوسل في شيء ؛ لأن التوسل أن تقوم بعمل صالح شرعه الله ليكون قربة لعباده يتقربون به إليه فتفعله ثم تسأل الله تعالى بعده فيعطيك سؤالك أما قول المرء أسألك بجاه فلان أو بحق فلان فإنه لا معنى له ، إذ لم يشرعه الله دعاءً ولاذكراً ولا عبادة فكيف إذاً يعطى عليه ويستجيب لصاحبه ؟؟

وأغلب الظن أن التوسل بجاه فلان وحق فلان . كان من وضع غلاة الباطنية والزنادقة من أجل صرف العبد المسلم عن الوسائل المشروعة النافعة إلى وسيلة لاتشفع ولا تنفع ، ولكن تضر وتغر ، والعياذ بالله تعالى .

٣ ـ الجهاد في سبيله تعالى وهو بذل الجهد ، وما في الطاقة والوُسْع في مدافعة النفس عن اتباع هواها المفضى بالعبد إلى ترك العبادة التى خُلق لأجلها ، ولا يكمل ولا يَسْعَد إلا بها . وفي حملها على أن تتعلم أمور الدين ، وتعمل بها ، وتعلِّمها غيرها من الناس.

وهذا جهاد ، يستلزم جهاد أهل الفسق والخروج عن طاعة الرّب ، وذلك بحملهم على التزام حدود الشرع بواسطة الأمر والنهى ، المصحوبين بالترغيب والترهيب ، وهى

. الموعظـة الحسنة المأمور بهـا في قولـه تعالى : « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنـة** » .

وجهـاد الشيطـان عليه لعائن الله ، وذلك بالتنبّه لكيده ، ومعرفة تزيينه وإلغـاء شبهه ، وعدم الإصغـاء إلى وساوسه ، والاستعانة على ذلك بذكر الله تعالى ، والاستعاذة بجنابه عز وجـل من كل فتنه وشروره .

وجهـاد الكفـار وهو أكبر من جهـاد الشيطـان . ويكون بالنفس والمال ، وذلك بقتالهم مع إمام المسلمين أو نائبه حتى يُسلموا لله ربّ العالمين ، أو يستسلموا لحكم المسلمين ، وبذلك يتمكن المؤمنون من عبادة ربّهم حيث لم يُخلقوا إلاّ لهـا ، ولن يكملوا ولن يسعدوا في كلا حياتيهم إلا بهـا وعليهـا .

وأخيراً أيهـا القارىء الكريم إن العبد المؤمن إذا امتثل هذه الأوامر الثلاثة **فاتقى الله عز وجـل ، وتوسـل إليه** بالإيمان وصالح الأعمال . **وجـاهد أعداءه** ليأمن من شرهم ، فيتمكن من العبادة التى هى سبب كماله وسعادته في الدنيـا والآخرة ، ربح أعظم ربح وفاز أكبر فوز ، وذلك هو النجاة من ذلّ الدنيـا وشقائهـا ، وعذاب الآخرة وخزيهـا ، ودخـول الجنـة والتمتع بنعيمهـا . قال تعـالى « **فمن زُحزح عن النـار وأدخل الجنة فقد فاز** » .

هـدايـة الآيـة :

إن هذه الآيـة كغيرها من الآيـات القرآنية الكريمـة تحمل الهدى للمؤمنين ، والموعظة للمتقين ، والرحمة والبشرى للمسلمين . وهذه بعض مظاهر ذلك :

١) : في نداء الله تعالى للمؤمنين بعنوان الإيمان - يا أيهـا الذين آمنوا - إشعار بتكريمهم وتقدير لشرفهم ، وعلوّ منزلتهم ، وضمن ذلك تذكيرهم بما يتطلبه إيمانهم من الاستعداد للعمل والجهاد ، وما يستلزمه من الطاعة بالاستجابة لله والرسول صلى الله عليه وسلم والامتثال :

٢) : في الأمر بالتقوى القائمة على أساس فعل المأمور ، وترك المنهى إعداد للمؤمن لأن يكمل في معارفه ، ويَسْمُو بأخلاقه ، ويطهرَ في نفسه ، فيتأهَّل للقيادة والسيادة في الدنيا ، والسعادة بالنعيم المقيم في الدار الآخرة . بعد أن يكون قد شرف بولاية الله تعالى ، وفاز بمحبّته ، إذ بإيمانه وتقواه يحصل على ولاية الله . قال تعالى : « **ألا ان أولياء الله**

لا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » . فجعل تعالى شرط الحصول على الولاية : الإيمان والتقوى .

٣) في الأمر بالتوسل فتح الباب للعبد ليقرب ويُحَبَّ ويرضى ، وهو نعيم روحى ما فوقه نعيم ، وكمال نفسيٌّ دونه كل كمال ، وما كان هذا ليحصل للعبد لولا أنّ الله تعالى فتح له ، وفتح عليه . قال تعالى في حديث صحيح (من آذى لى ولياً فقد آذنتُه بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يَتقرّب إلىّ بالنوافل حتى احبه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمْعَه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التي يَبْطِشُ بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينّه ، ولئن استعاذنى لأعيذنّه . وما تردّدت عن شىء أنا فاعله تردّدى عن قبض روح عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بُدَّ له منه » . فتح على العبد باب الإيمان والتقوى فآمن واتقى . وفتح له باب التوسل والتقرب فتوسّل وتقرب فأُحِبّ وأُدْنِي وقُرِّبَ ، وفاز بالخلد والرِّضوان .

٤) في الأمر بالتقوى ، والتوسل ، والجهاد دعوةٌ المؤمن إلى العلم ، والمعرفة ، والمفروض أن تكون حاصلة له قبل القول والعمل ، إذ لا يتأتّى للعبد أن يَتَّقِي وهو لا يعرف ماذا يتّقى ، ولا أن يتوسّل وهو لا يعرف بماذا يتوسل ، ولا أن يجاهد وهو لا يعرف من يجاهد ، ولا بماذا يجاهد ؟ ولا ما هى الغاية من جهاده ؟ ، ومن هنا كان المؤمن مُلْزما بطلب العلم ، والحصول عليه ، ومهما كان الثمن ، وكانت المشقّة ، إذ لا يخطو خُطْوةً واحدة في مضمار طلب النّجاة ، والكمال ، والإسعاد في الدّارين إلا بعد العلم والمعرفة . ولذا لا يوجد ولِيٌّ لله تعالى من عباده جاهل به تعالى ، وبالطريق إليه المتمثّلة في معرفة محابّه ، ومساخطه من الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال .

٥) في الأمر بالجهاد في ميادينه الأربعة التى مرت آنفاً وهى جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الفسّاق ، وجهاد الكفار . في الأمر به دفع للمؤمن إلى القوة والكمال الذاتى ، والخلقى ، والروحى . تلك القوة التى بدونها لا يكمل ، ولا يسود ، ولا يقود . إنه بجهاده في هذه الجبهات الأربعة وبانتصاره فيها يكون قد آمَنَ لنفسه المُناخ الصالح ، والسّاحة النقيّة للعبادة الحرّة ، والترقّى في مدارج الكمال فيها ، بأداء الفرائض ، والنوافل مع التخلى عن النقائص ، والرّذائل حتى يصل إلى مستوى الحبّ ، فيُعلن في السماء عن حبّه ، ويلقى له القبولُ في الأرض فلا يراه عبد صالح مثله إلا أحبَّه .

هذا بعض ما في آيتنا هذه من هداية ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

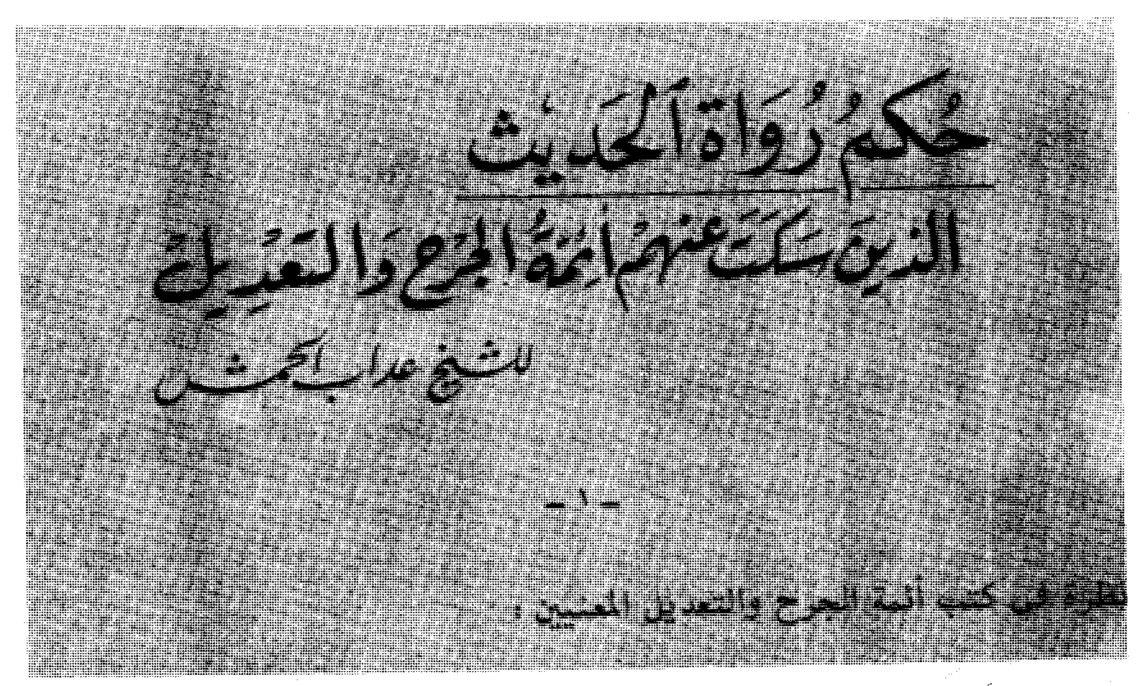
قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ
وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ
عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم
مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٗا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي
ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ
عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ
وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

" سورة النساء "



الحديث
في
أصوله



لن أذهب في هذا المبحث بعيدا ، ولن أستعرض كل كتب الجرح والتعديل ، وانما أقتصر على الكتب التى اعتبر الشيخ سكوت أصحابها توثيقا للراوى · فأبين منهج صاحبها ـ ان كان قد حدد لنفسه منهجا ، والا تلمست ذلك بنفسى مستمدا العون من الله تبارك وتعالى ·

١ ـ كتاب التاريخ الكبير للإمام البخارى (١) :

ان الناظر في كتاب التاريخ الكبير للبخارى ـ اليوم ـ يجده قليل الجدوى بالنسبة للحكم على الرجال ، اذا ما قورن بميزان الاعتدال ، أو تهذيب التهذيب ، أو التقريب وغيرها · وما ذلك إلا لأن طلبة العلم اليوم يستقون معلوماتهم عن الرجال والرواة من خلال ما دون وكتب ، بينما كان طلبة العلم في عصر البخارى يعتمدون فى معرفة أحوال الرجال على المشافهة والسماع · وما حفظوه فى الحل والترحال ، ولم يكن الكتاب إلا لإثارة الذاكرة واستيقاظها اذا غفت ·

يؤيد ما ذكرت قول الخطيب البغدادى فى تاريخه · فكتاب التاريخ الكبير لأمير المؤمنين في الحديث الإمام محمد بن اسماعيل البخارى من هذه الكتب التى عنيت بتراجم

---

(١) هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ محمد بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى ـ مولاهم ـ البخارى صاحب الصحيح والتواريخ الثلاثة ، والأدب المفرد ، وخلق أفعال العباد وغير ذلك ، وشهرته بكتابه « الجامع الصحيح » · وهو أصح كتب السنة على الاطلاق · ولد البخارى عام أربعة وتسعين ومائة وتوفى سنة ست وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى · انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ٢ / ٥٥٦ · وطبقات الحفاظ للسيوطى ٢٤٨ ·

الرجال . وقد اتبع فيه البخارى طريقة الإيجاز · وروى عن البخارى باسناده أنه قال : « قل اسم في التاريخ الا وله عندى قصة إلا أنى كرهت تطويل الكتاب » (١) ·

ولا يخفى أن هذا الإيجاز غرضه تسهيل الحفظ على طلاب العلم . وحين العرض على الشيخ المؤلف يحدثهم بحال كل راو من جرح أو تعديل فيحفظون ذلك أو يكتبونه على حواشى دفاترهم ·

فالواجب إذن أن ننظر إلى كتاب « التاريخ » على أنه من أوائل المصنفات التى وصلتنا فى الرجال وكل من جاء بعد البخارى فقد اعتمد على كتابه . وتتبع أحوال رجاله ، ونسق بعض تراجمه ونحو ذلك . ولقد كان للتاريخ الكبير قيمة علمية كبرى فى عصره · فقد أسند الخطيب إليه أنه قال « لو نشر بعض اسنادى ! هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت كتاب التاريخ ولا عرفوه » ·

وأسند اليه أيضا قوله « أخذ اسحاق بن راهويه كتاب التاريخ الذى صنفت ، فأدخله على عبد الله بن طاهر . فقال : أيها الأمير . ألا أريك سحراً ؟ ! قال : فنظر فيه عبد الله بن طاهر فتعجب منه وقال : لست أفهم تصنيفه » (٢) وهذا ليس كبيراً على كتاب التاريخ إذا استحضرنا ما فيه من علوم وأسانيد وتذكرنا العصر الذى كتب فيه · وليس بكثير على مثل الإمام البخارى الذى يقول فيه تلميذه الإمام الترمذى :

« لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل البخارى » (٣) ·

ومن تتبعى لكثير من رجال « التاريخ » يمكننى أن أعطى صورة موجزة عن منهج البخارى في تاريخه تتلخص في النقاط التالية :

١ ـ لقد رتب الإمام البخارى تاريخه على حروف المعجم « ا ، ب ، ت ، ث » كما رتب هؤلاء على أسماء آبائهم مرتبين على الترتيب الأبجدى ـ كما قال فى مقدمة كتابه . الا أنه قدم من اسمه « محمد » على سائر الأسماء لشرف هذا الاسم الكريم ·

٢ ـ ابتدأ بذكر ترجمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه إلى آدم عليه الصلاة والسلام بعد أن قدم لذلك بمقدمة بين فيها فضل قريش على الناس · وذكر شيئاً من صفاته

---

(١) تاريخ بغداد ٢ / ٧ ·
(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٧ ·
(٣) ما سبق ٢ / ٢٧ ·

صلى الله عليه وسلم . ومدة بعثته وذكر كيف بدأ التاريخ الهجرى فى عهد عمر بن الخطاب ثم ذكر تاريخ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ وخطته : أنه يذكر أسماء الصحابة ثم التابعين ثم من بعدهم فى كل حرف من الحروف .

٤ ـ وتراجم البخارى لرجاله تتراوح بين الطول والقصر فبينا نجده يترجم لأحد الرجال بسطر واحد كما فى ترجمته لمحمد بن عبد الله بن أسيد (١) ، ومحمد بن عبد الرحمن بن فروة ، ومحمد بن عمرو اليافعى وغيرهم . إذا به يترجم لعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى (٢) بأكثر من عشر صفحات .

٥ ـ غالب تراجم البخارى يذكر فيها (اسم الراوى واسم أبيه وجده وكنيته ونسبته إلى القبيلة أو البلدة أو كليهما ، وقلما يطيل فى الأنساب ، ويذكر بعض شيوخ وتلاميذ صاحب الترجمة ، وقد يذكر جميع الشيوخ والتلاميذ إذا كان الراوى من المقلين وغير المعروفين بطلب العلم ليتميز حاله . كما يذكر نموذجاً من رواياته أو أكثر (٣) « .. ولا يقدم البخارى معلومات وافية عن أحوال الراوى ، وإن ذكر أحياناً الصفات الجسمية والخلقية والعقلية للرواة ... » (٤) .

٦ ـ ويستعمل البخارى ألفاظ الجرح والتعديل ، ويلاحظ تورعه عن استعمال ألفاظ حادة في الجرح ، فغالباً ما يقول : فيه نظر ، يخالف في بعض حديثه ، وأشد ما يقول : منكر الحديث . وكذلك لا يبالغ فى ألفاظ التوثيق ، بل يكتفى بقول : ثقة ، أو حسن الحديث ، أو يسكت عن الرجل (٥) .

٧ ـ وقد يسكت البخارى عن الراوى وما أكثر ما يسكت :

---

(١) انظر التاريخ الكبير ١ / ١٣٦ ، ١٦٠ ، ١٩٤ .

(٢) انظر ترجمته فى التاريخ الكبير ٥ / ٣٠٣ ـ ٣١٤ وقد دلنا على هذه الترجمة الدكتور العمرى فجزاه الله خيرا .

(٣) هذا اذا ذكر للراوى روايات ولكنه كثيرا ما يهمل هذه الناحية .

(٤) بحوث فى تاريخ السنة المشرفة للدكتور العمرى ص ١٠ .

(٥) ما سبق : ١١٠ .

١ ـ فقد يسكت عن أئمة الثقات حيث ترجم للإمام الشافعى (١) بسطرين وسكت عليه ، كما سكت على الإمام (٢) أحمد بن حنبل ، وأحمد بن أشكاب وأحمد بن منيع وغيرهم ٠

٢ ـ وقد يسكت عن أناس مشهورين بالضعف أو النكارة كسكوته عن محمد بن أشعث بن قيس الكندى (٣) ، ومحمد بن ابراهيم اليشكرى وغيرهما ٠

٣ ـ وقد يسكت عن أناس مجاهيل كسكوته عن : محمد بن إبراهيم الباهلى (٤) ومحمد بن إبراهيم بن عبد الله الهاشمى (٥) ٠ وابراهيم بن اسحق (٦) عن الوليد بن أبى الوليد ، وابراهيم بن اسحاق عن طلحة بن كيسان وغيرهم ٠

٤ ـ وقد يسكت البخارى عن أناس لم يعرفهم ، حتى إنه لم يفرق بين أسمائهم ، واليك بعض الأمثلة على ذلك :

١ ـ ترجم البخارى (٧) لمحمد بن قيس الأسدى الكوفى ، وذكر عنه عدة طرق ثم قال : وقال يحيى بن آدم : حدثنا أبو بكر النهشلى عن محمد بن قيس عن حبيب عن أبى ثابت عن طاووس فى العتق ٠ ثم قال : فلا أدرى هو الأسدى أو لا ؟ ٠

٢ ـ وترجم لمحمد (٨) بن قيس عن أبى الحكم البجلى ثم ترجم لمحمد بن قيس المكى وختم ترجمته بقوله : « فلا أدرى أهو الأول أم لا » ٠

٣ ـ وترجم لمحمد (٩) بن كليب بن جابر المدينى يروى عن محمود ومحمد ابنى جابر ٠ ثم قال : « وعن موسى بن شيبة عن محمود بن كليب عن محمد بن جابر عن جابر ..... ثم قال : فلا أدرى : هذا أخوه أم لا ؟ » ٠

---

(١) التاريخ الكبير ١ / ٤٢ ٠
(٢) التاريخ ٢ / ٤ ـ ٧ ٠
(٣) التاريخ ١ / ٢٢ ـ ٢٦ ٠
(٤) التاريخ ١ / ٢٣ ٠
(٥) التاريخ ١ / ٢٦ ـ ٢٧ ٠
(٦) ما سبق ٢ / ٢٧٣ ٠
(٧) التاريخ الكبير ١ / ٢١٠ ٠
(٨) ما سبق ١ / ٢١٣ ـ ٢١٤ ٠
(٩) ما سبق ١ / ٢١٩ ٠

٤ ـ وترجم لإبراهيم (١) بن حنظلة عن أبيه روى عنه ابن المبارك . ثم قال في نهاية ترجمته ان لم يكن يعنى إبراهيم بن حنظلة ـ ابن أبى سفيان فلا أدرى من هو ؟ » .

٥ ـ وترجم لإسماعيل (٢) بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة المخزومى ثم ترجم لإسماعيل بن إبراهيم بن أبى ربيعة . وختم ترجمته بقوله : « إن لم يكن هذا الأول فلا أدرى ؟ » .

فيتضح من هذه الأمثلة وأمثالها أن في التاريخ الكبير رجالاً لم يتيقن البخارى حالهم ، بل هو ـ أحيانا ـ غير متأكد من أعيانهم . وهذا يفسر قوله الذى أوردناه في صدر هذا البحث « قل اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة » .

فهناك أسماء ليس لها قصص عند البخارى . فلا يمنع أن تكون القصة عنده دلالة على المعرفة .

٢ ـ كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣) :

إن كتاب « الجرح والتعديل » من أجود المصنفات في علم الرجال فى العصر القديم ولا أريد أن أفصل منهج ابن أبى حاتم فيه ، وإن كان لزاماً أن أعرف به بكلمة وجيزة .

لقد استفاد ابن أبى حاتم من كتاب « التاريخ الكبير » للإمام البخارى ، فاستوعب في كتابه رجاله ثم ذهب يسأل أباه وأبا زرعة الرازيين عن رأيهما في كل راو من هؤلاء الرواة ، وكان الرجل ذا خبرة واسعة في هذا الشأن إلا أنه كان يتلمس آراء مشاهير النقاد ليتخلص من التبعة . ويؤيد ما قلته هذا شيئان :

١ ـ الأول ما ذكره هو في المقدمة (٤) فقال : « وقصدنا بحكايتنا الجرح والتعديل ـ في

---

(١) التاريخ الكبير ١ / ٢٨٣ .

(٢) ما سبق ١ / ٣٣٩ .

(٣) هو الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبى حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى ولد سنة ٢٤٠ وارتحل به أبوه فأدرك الأسانيد العالية له الجرح والتعديل وعلل الحديث . وصنف فى الفقه واختلاف الصحابة وكان بحراً فى العلوم . توفى سنة ٣٢٧ انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ٢ / ٢٢٩ ـ ٢٣٢ .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ٢ / ٣٨ .

كتابنا هذا ـ إلى العارفين به العالمين له متأخراً بعد متقدم إلى أن انتهت بنا الحكاية إلى أبى وأبى زرعة · رحمهما الله ، ولم نحك عن قوم قد تكلموا في ذلك لقلة معرفتهم به » ·

٢ ـ ما ذكره الذهبى (١) عن محمد بن مهرويه قال : سمعت ابن الجنيد قال : سمعت يحيى بن معين يقول : إنا لنطعن على أقوام قد حطوا رحالهم في الجنة من مائتى سنة ! !

قال محمد بن مهرويه : « فدخلت على ابن أبى حاتم ، وهو يحدث بكتاب الجرح والتعديل فحدثته بهذا فبكى وارتعدت يداه وسقط الكتاب وجعل يبكى ويستعيدنى الحكاية » ·

إلا أن ابن أبى حاتم الذى عرف أقوال النقاد المتمرسين وغيرهم ، قد كون لنفسه منهجاً في الرجال ، وعرف موضع كل رجل فى سلم الجرح والتعديل ، وكان يختار للراوى من هذه الأقوال الكثيرة فيه ما هو الأليق بحاله ، حتى وإن نسب هذا القول لأبيه أو أبى زرعة أو غيرهما · فانظر إليه وهو يقول :

« ونظرنا فى اختلاف أقوال الأئمة فى المسؤولين عنهم ، فحذفنا تناقض قول كل واحد منهم ، وألحقنا بكل مسؤول منهم ما لاق به ، وأشبهه من جوابهم » ·

ولقد اتبع ابن أبى حاتم الاختصار في التراجم ، فهو يذكر اسم الراوى واسم أبيه وينسبه ويكنيه غالباً ، ويعرف ببلده ، يذكر بعض من روى عنهم ، وبعض من رووا عنه ثم يعقب ذلك بالجرح أو التعديل إلا إذا كان الراوى غير مشهور فيذكر جميع من روى عنهم أو رووا عنه ليتحدد موقع الراوى فإذا لم يعرف حال الرجل سكت عليه ولم يبين حاله · وقد قال ذلك عن نفسه بصريح العبارة فاستمع إليه فى قوله (٢) « على أنا قد ذكرنا أسامى كثيرة مهملة من الجرح والتعديل كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روى عنه العلم ، رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم ، فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى » ·

فهذه الفقرة من قول ابن أبى حاتم تشتمل على النقاط التالية :

١ ـ أن فى الكتاب أسماء رواة لم يتكلم عليهم بجرح أو تعديل ·

٢ ـ أنه كتب هذه الأسماء ليستوعب كل رواة الحديث ·

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢ / ٢٣١ ·

(٢) المقدمة ٢ / ٣٨ ·

٣ ـ أنه يأمل أن يتعرف إلى الجرح أو التعديل في كل راو ممن سكت عنه ·

٤ ـ أنه إن عرف ذلك فسوف يلحقه بصاحبه · وهذا بين من قوله « فنحن ملحقوها ـ أى ألفاظ الجرح أو التعديل ـ بهم ـ أى الرواة المسكوت عنهم ـ من بعد ··· » ·

وهذا يدلنا أيضا على أن ابن أبى حاتم قد ذكر أناسا فى كتابه لا يعرف حالهم فسكت عنهم آملا أن يتعرف عليهم فيما بعد · ولكن لبى نداء ربه قبل أن يصل فيهم الى شىء ·

وللشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ـ حفظه الله ـ كلمة طيبة فى هذا المقام يحسن الرجوع (١) اليها ، وسأذكرها فى مكانها من هذا البحث ان شاء الله تعالى ·

٣ ـ كتاب الثقات لابن حبان (٢) :

لقد حدد ابن حبان فى مقدمة (٣) كتابه منهجه فى الرجال فقال :

« فكل من أذكره في هذا الكتاب الأول فهو صدوق ، يجوز الاحتجاج بخبره إذا تعرى خبره عن خصال خمس ··· » إلى أن قال « وإنما أذكر الشيخ بعد الشيخ وقد ضعفه بعض أئمتنا ووثقه بعضهم ، فمن صح عندى أنه ثقة بالدلائل النيرة التى بينتها في كتاب « الفصل بين النقلة » أدخلته فى هذا الكتاب لأنه يجوز الاحتجاج بخبره · فكل من ذكرته فى كتابى هذا إذا تعرى خبره عن الخصال الخمس التى ذكرتها فهو عدل ، لأن العدل من لم يعرف منه الجرح ضد التعديل ، فمن لم يعرف بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده ، إذ لم يكلف الناس من الناس معرفة ما غاب عنهم ، وإنما كلفوا الحكم بالظاهر من الأشياء غير المغيب عنهم » ·

ولا يخفى أن قول ابن حبان « العدل من لم يعرف منه الجرح ضد التعديل ، فمن لم يعرف بجرح فهو عدل » يبين أن كل رجل غير معلوم بجرح فهو عدل !! مقبول الرواية ·

قال ابن (٤) حجر « وهذا الذى ذهب إليه ابن حبان من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يتبين جرحه ، مذهب عجيب والجمهور على خلافه · وهذا هو مسلك ابن حبان في كتاب الثقات » ·

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٣١١ ـ ٣١٣ وانظر ص ٣٢ من هذا البحث ·

(٢) هو الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان الحنظلى التميمى البستى صاحب التصانيف صنف « الانواع والتقاسيم » الشهير « بصحيح ابن حبان » و « الثقات » ومشاهير علماء الأمصار و « المجروحين » وغير ذلك · توفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة · رحمه الله تعالى · تذكرة الحفاظ ٢ / ٩٢٢ ·

(٣) الثقات لابن حبان ١١ ـ ١٣ مقتطفات ·

(٤) لسان الميزان ١ / ١٤ ·

وإليك أقوال بعض الأئمة في رواية مجهول الحال أو « المستور » بتعبير البعض قال الإمام جلال الدين المحلى فى شرح جمع (١) الجوامع « وتفرع على شرط العدالة ما ذكره بقوله : « فلا يقبل المجهول باطناً ، وهو المستور لانتفاء تحقق الشرط خلافاً لأبى حنيفة وابن فورك وسليم الرازى فى قولهم بقبوله اكتفاء بظن حصول الشرط ، فإنه يظن من عدالته فى الظاهر عدالته فى الباطن . وقال إمام الحرمين : يوقف عن القبول والرد إلى أن يظهر حاله بالبحث عنه » .

وقال أبو اسحاق الشيرازى : « لا يقبل الخبر إلا ممن تعرف عدالته . وقال أبو حنيفة : إذا عرف إسلامه جاز قبول روايته .

قلنا : هو أن كل خبر لا يقبل من الفاسق ، لم يقبل من مجهول الحال كالشهادة ، ولأنا لو جوزنا قبول الأخبار ممن جهلت عدالته - ويوجد ضمن هؤلاء المجهولين كثير من أهل البدع والأهواء - لم يبق أحد من أهل البدع اذا روى ما يوافق بدعته ، فتتسع البدع ويكثر الفساد وهذا لا يجوز .

واحتجوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال للأعرابى الذى شهد عنده الهلال : أتشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال : نعم ، وأمر بالصوم ، ولم يسأل عن العدالة .

والجواب : هو أنه يحتمل أن يكون قد عرف عدالته فلم يسأل عنها (٢) .

قالوا : ولأن الأصل فى المسلم العدالة ، فوجب أن يحمل الأمر عليه .

قلنا : لا نسلم بل الأصل في الصبيان عدم العدالة لعلة التحصيل والعقل ، وبعد البلوغ يحتمل أن يكون عدلاً ويحتمل أن يكون فاسقاً ، فوجب التوقف فيه حتى نعلم باطن الحال .

---

(١) شرح المحلى على جمع الجوامع ٢ / ١٥٠ ط مصطفى الحلبى الثانية .

(٢) والذى يبدو لى أن الجواب قاصر . وربما كان الجواب الصحيح أن يقال : لقد حدث أنس بن مالك والبراء وعلى بن أبى طالب وغيرهم أنهم كانوا لا يكذبون ولا يعرفون الكذب . فالصحابة كلهم غير متهمين فى حديثهم . ومن ثم فان الصحابة كلهم عدول باتفاق أهل السنة بخلاف التابعين فمن بعدهم فليس لهم هذا الوصف على العموم . ومن ثم فان العرب الجاهليين كانوا يحاربون رسول الله ولم يطلب منهم إلا شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله بادىء الأمر . ولكنهم كانوا يعلمون ماذا تعنيه كلمة التوحيد فمن آمن منهم انما آمن على ما يعلم بمقتضاها ومضمونها . وانه التجرد الكامل والتلقى الصحيح عن رسول الله . وهذا أمر غير متحقق فى العصور التى عاصرت الفتن والأهواء وان كان موجوداً لدى البعض .

ولأن هذا يبطل بالشهادة ، فإنها لا تقبل من المجهول ـ وإن كان الأصل فى الناس العدالة ـ فسقط ما قالوه (١) ·

وقال القرافى المالكى « وقال أبو حنيفة يقبل قول المجهول ، وخالفه الجمهور فى ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » · فلولا أن العدالة شرط ، لبطلت حكمة هذا الأمر فإن العدل وغيره سواء حينئذ · إلى أن قال ؛ ولو نقل عن بعض قضاة الزمان أنه حكم بقول رجل ولم يذكر صفته حمل على أنه ثبتت عدالته ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لاسيما وهو يقول « إذا شهد ذوا عدل فصوموا وأفطروا وانسكوا » فتصريحه عليه الصلاة والسلام بالعدالة يأبى قبول المجهول » (٢) ·

وقال ابن النجار الحنبلى « لا تقبل رواية مجهول العدالة عند الأكثر منهم الإمام أحمد رضى الله عنه وأصحابه والمالكية والشافعية » ·

وعن أحمد رواية ثانية ؛ تقبل وفاقاً لأبى حنيفة رضى الله عنه وأكثر أصحابه وابن فورك وسليم الرازى والمحب الطبرى · ومن أصحابنا الطوفى ··· واطلاق القبول عن أبى حنيفة وأصحابه نقله كثير من العلماء (٣) ·

وقال ابن مفلح فى أصوله « وقالت الحنفية إن رده جميعهم لم يقبل ، وإن اختلفوا فيه قبل ، وإن لم يرد ولم يقبل جاز قبوله لظاهر عدالة المسلم ولم يجب · وجوز القضاء بظاهر العدالة أما اليوم فتعتبر التزكية لغلبة الفسق » ·

ونقل البرماوى عن صاحب (البديع) (٤) وغيره من الحنفية أن أبا حنيفة إنما قبل ذلك فى صدر الإسلام حيث الغالب على الناس العدالة ، فأما اليوم فلابد من التزكية لغلبة الفسق » (٥) ·

---

(١) التبصرة فى أصول الفقه ٣٣٧ تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو ط دار الفكر سنة ١٤٠٠ ·

(٢) شرح تنقيح الفصول ٣٦٤ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد طبعة الكليات الازهرية ·

(٣) انظر على سبيل المثال شرح المحلى على جمع الجوامع ٢ / ١٥٠ والتبصرة ص ٣٣٧ المدخل لابن بدران ص ٩٣ وتيسير التحرير ٣ / ٤٨ وغيرها ·

(٤) البديع كتاب فى أصول الفقه الحنفى واسمه « بديع النظام الجامع بين أصول البزدوى والأحكام لأحمد الساعاتى الحنفى المتوفى سنة ٦٩٤ · انظر حاشية شرح الكوكب المنير ٢ / ٤١٣ ·

(٥) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلى · تحقيق الأستاذين د · محمد الزحيلى و د · نزيه حماد ط · مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى ـ مكة المكرمة ·

هذه أقوال علماء المذاهب من غير الحنفية فلننظر ماذا يقول الحنفية أنفسهم في هذا الصدد ؟

وقال ابن الهمام « ومثله أى الفاسق - المستور وهو من لم تعرف عدالته ولا فسقه فى الصحيح فخبره ليس بحجة حتى تظهر عدالته وروى الحسن عن أبى حنيفة كالعدل فى الأخبار بنجاسة الماء وطهارته ورواية الأخبار » .

ثم قال « مجهول الحال وهو المستور غير مقبول ، وعن أبى حنيفة في غير الظاهر من الرواية عنه قبوله ما لم يرده السلف - وجهها - أى هذه الرواية - ظهور العدالة بالتزامه الإسلام ... ودفع وجهها بأن الغالب أظهر وهو الفسق فى هذه الأزمنة فيرد خبره به - أى بهذا الغالب ما لم تثبت العدالة بغير التزامه بالإسلام .

وقد ينفصل القائل بهذه الرواية بأن الغلبة للفسق فى غير رواة الحديث ولا سيما فى الماضين ويدفع هذا بأن كون الغلبة فى غير رواة الحديث إنما هو فى المعروفين منهم لا فى المجهولين منهم ؟

والاستدلال لظاهر الرواية بأن الفسق سبب التثبت قال تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فإذا انتفى الفسق انتفى وجوب التثبت وانتفاؤه أى الفسق لا يتحقق إلا بالتزكية ، ما لم ينتف الفسق تبقى شبهته وهى ملحقة بأصلها . وجعل الشارع الاستدلال لغير ظاهر الرواية ولا معنى له كما لا يخفى (١) اهـ .

فالإمام أبو حنيفة فى ظاهر الرواية يذهب مذهب الجمهور ، والرواية الأخرى مرجوحة ومعلوم أنه إذا جاءت عن أبى حنيفة روايتان احداهما فى ظاهر الرواية والأخرى من طريق أخرى كانت طريق ظاهر الرواية هى المعتبرة عند الحنفية . ولذلك عاب أمير بادشاه الاستدلال لغير ظاهر الرواية ؟ ! فقال « لا معنى له ؟ ! » على أن كثيراً من الحنفية يقتصر على ذكر الرواية المرجوحة ؟ (٢) .

---

(١) انظر تيسير التحرير لأمير بادشاه ٣ / ٤٨ ط الحلبى .

(٢) انظر على سبيل المثال كشف الاسرار على البزدوى ٢ / ٣٨٦ فما بعدها .

هذه آراء بعض الأصوليين من أتباع الأئمة الأربعة . وقد ذكر نحواً من ذلك كله أئمة علوم الحديث ورجح ابن حجر التوقف فى أمر مستور الحال فقال « والتحقيق أن رواية المستور ونحوه مما فيه الاحتمال لا يطلق القول بردها ولا بقبولها ، بل هى موقوفة فى استبانة حاله ، كما جزم به إمام الحرمين ، ونحوه قال ابن الصلاح فيمن جرح بجرح غير مفسر (١) » وقد ذكر المذاهب كلها الملا على القارىء فى شرح النخبة ثم قال « ولو فرض فارض التباس حال الراوى واليأس عن البحث عنها بأن يروى مجهولاً ، ثم يدخل فى غمار الناس ويعز العثور عليه فهى مسألة اجتهادية عندى .

والظاهر أن الأمر إذا انتهى إلى اليأس لم يجب الانكفاف ، وانقلبت الاباحة كراهية . كذا ذكره السخاوى » (٢) .

ولقد لخص لنا الأمير الصنعانى حكم رواية المجهول فقال : « قال المحدثون : فى قبول رواية المجهول خلاف وهو أى المجهول على ثلاثة أقسام :

١ ـ مجهول العين .
٢ ـ ومجهول الحال ظاهراً وباطناً .
٣ ـ ومجهول الحال باطناً .

(١) الأول مجهول العين : وهو من لم يرو عنه إلا راو واحد .

(٢) والثانى مجهول الحال ظاهراً وباطناً مع كونه معروف العين . وفى قبول روايته ثلاثة أقوال :

أ ـ أنه لا يقبل ، حكاه ابن الصلاح وزين الدين العراقى عن الجماهير وذلك لأن تحقيق العدالة فى الراوى شرط ، ومن جهلت عدالته لا تقبل روايته .

ب ـ يقبل مجهول العدالة ظاهراً وباطناً مطلقا لأن معرفة عينه ـ برواية اثنين عنه ـ أغنت عن معرفة عدالته .

جـ ـ التفصيل وهو أنه ان كان الراويان عنه لا يرويان إلا عن عدل قبل وإلا فلا .

---

(١) نزهة النظر لابن حجر ص ٥٠ .

(٢) شرح نزهة النظر لملا على القارى ص ١٥٥ . وانظر التقييد والايضاح ص ١٤٥ فما بعد . وانظر الكفاية للخطيب البغدادى ص ١٤٩ ط مطبعة السعادة مصر .

(٣) الثالث : مجهول العدالة الباطنة ، والعدالة الباطنة هى ما يرجع إلى تزكية المزكين فهذا يحتج به من رد القسمين الأولين ، وبه قطع الإمام سليم بن أيوب الرازى لأن الأخبار مبينة على حسن الظن بالراوى . قال ابن الصلاح : يشبه أن يكون العمل على هذا الرأى الأخير فى كثير من كتب الحديث المشهورة عن غير واحد من الرواة الذين تقادم عهدهم ، وتعذرت الخبرة الباطنة بهم » اهـ .

ومما سبق يتضح لنا أن المستور هو من علمت عدالته ظاهراً دون علم عدالة الباطن بالتزكية من المعدلين ، أما مجهول العدالة ظاهراً وباطناً فهو مجهول الحال وهو غير المستور على الصحيح أو قل إن مجهول الحال أعم من المستور . إذ كل مستور مجهول الحال ، وليس كل مجهول الحال مستوراً . فبينهما خصوص وعموم .

هذه الكتب الثلاثة هى أهم ما يخصنا فى هذا المبحث لأن كل من جاء بعد أصحابها اعتمد عليها . وسوف أشير باختصار الى منهج كل من ابن حجر والذهبى فى الجزئية التى تخص بحثنا فقط عند مناقشة دعوى الشيخ عليهم ! !

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ

(سورة الحجرات الآية ٦)

حول حديث الذباب

للشيخ أمين محمد سلام
المعهد العالي للدعوة الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلى الله عليه وسلم .

أمـــا بعـــد فإن أصدق الحديث كلام الله عز وجل ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل ضلالة في النـــار .

أمـــا بعـــد :

فهذا بحث أقدمه في شرح حديث الذباب ، راجياً من الله تعالى أن يكون معيني فيه مشكوراً ، وعملى فيه مقبولاً ، والله أسأل أن ينفع به من اطلع عليه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

النص النبوي الشريف :

حدثنا قتيبةُ حدثنا اسماعيلُ بن جعفر عن عُتبةَ بن مُسلم مولى بنى تميم عن عُبيد ابن حُنين مولى بنى زريق عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كلّه ثم ليطرحَهُ فإنَّ في إحدى جناحيه داءً وفي الآخر شفـاءً » (١) وفي الروايـة الثانيـة :

« إذا وقع الذبابُ في شراب أحدكم ، فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داءً والأخرى شفاءً (٢) (٣) .

سنـــد الحـديث :

الراوى الأول : قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفى مولاهم أبو رجـاء البغلاني ، وبغلان من قرى بلخ . قال ابن عدي : اسمه يحي وقتيبة لقب . وقال ابن مندة : اسمه على . قال ابن معين وأبو حاتم والنسائي : ثقة . ولد سنة ثمانٍ وأربعين أو خمسين ومائة ، وفي الزهرة روى عنه البخاري ثلاثمائة وثمانية أحاديث ومسلم ستمائة وثمانية وستين حديثاً ، ومات لليلتين خلتا من شعبان سنة أربعين ومائتين ، وقيل سنة واحد وأربعين والله أعلم (٤) .

الراوي الثانى : اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري الزرقي مولاهم أبو اسحاق القاري ، روى له الجماعة ، قال أحمد وأبو زرعة والنسائي : ثقة .

وقال ابن معين : ثقة وهو أثبت من ابن أبي حازم والدراوردي وأبي ضمرة ، وهو صاحب الخمسمائة حديث التي سمعها منه الناس ، قال الخليلي في الإرشاد كان ثقة شارك مالكاً في أكثر شيوخه ، مات ببغداد سنة مائة وثمانين للهجرة (٥) .

الراوي الثالث : عتبة بن مسلم التيمي مولاهم المدني ، وهو ابن أبى عتبة ، ذكره ابن حبَّان في الثقات (٦) .

الراوي الرابع : عبيد بن حنين المدني أبو عبد الله مولى آل زيد بن الخطاب ويقال مولى بني زريق . قال ابن سعد : كان ثقة وليس كثير الحديث ، قال الواقدي وغيره مات سنة خمس ومائة وهو ابن سبعين سنة ، وذكر في التقريب وله خمس وسبعون سنة والصواب أنه عاش أكثر من ذلك كما قال المزي : وكان في الكمال وهو ابن تسعين سنة وأورد في ذلك قصة حفظه لسورة الأعراف (٧) .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الطب : باب إذا وقع الذباب في الإنـاء .

(٢) كتـاب بدء الخلق : باب إذا وقع الذباب في إنـاء أحـدكم ....

(٣) وكتـاب الأطعمة .

(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) تهذيب التهـذيب لابن حجر .

الراوى الخامس : الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه الدوسي اليماني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحافظ الصحابة ، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً ، والمشهور أنه عبد الرحمن بن صخر ، ولقب بأبي هريرة لأجل هرة كان يحمل أولادها قال عمرو بن علي : كان مقدمهُ وإسلامهُ عام خيبر ، وكانت خيبر في المحرم سنة سبع ، وقال الأعرج عن أبي هريرة إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه كان يقول : إني كنت امرءاً مسكيناً أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ، فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً فقال من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني ، فبسطت بردة على حتى قضى حديثه ثم قبضتها الى ، فوالذى نفسي بيده ما نسيت منه شيئا بعد ، رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الزهرى عن الأعرج ... ، وهو من علامات النبوة ، فإن أبا هريرة كان أحفظ من كل من يروي الحديث في عصرهُ لم يأتِ عن أحد من الصحابة كلهم ما جاء عنه .

قال هشام بن عروة : مات أبو هريرة وعائشة سنة سبع وخمسين ومن فضائله : ما رواه النسائي في العالم من السنن أن رجلًا جاء الى زيد بن ثابت فسأله عن شيء فقال له زيد : عليك أبا هريرة فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى ونذكره إذ خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم حتى جلس إلينا فسكتنا فقال : عودوا للذي كنتم فيه ، قال زيد : فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إني أسألك ما سألك صاحبي وأسألك علماً لا ينسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آمين ، فقلنا يارسول الله ونحن نسأل الله تعالى علماً لا ينسى ، فقال : سبقكم بها الغلام الدوسي .

استعمله عمر رضي الله تعالى عنه على البحرين ثم عزله ، ثم أراده على العمل فأبى ، وتأمر على المدينة غير مرة في أيام معاوية رضى الله عنه (١) .

من روي هـذا الحـديث : من الصحابة أربعة هم : أبو هريرة ، وأبو سعيد ، وأنس بن مالك وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

من أخرج هذا الحديث : أخرجه البخاري في موضعين من صحيحه ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه وأحمد والدارمي وابن حبان والبزار والطبراني ، والبيهقي .

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر .

شرح الحـــــديث

قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا وقع الذباب » في بعض الروايات « إذا سقط الذباب » والذبابُ : بضم المعجمة وموحدتين وتخفيف . قال أبو هلال العسكرى ، الذباب واحد ، وجمعه ذُبَّان كغربان ، والعامة تقول : ذباب للجمع وللواحد ذبابة بوزن قرادة ، وهو خطأ ، وكذا قال أبو حاتم السجستاني أنه خطأ ، وقال الجوهري : الذباب واحده ذبابة ولا تقل : ذبانه ، ونقل في المحكم عن أبى عبيدة عن خلف الأحمر تجويز ما زعم العسكري أنه خطأ ، وحكى سيبويه الجمع « ذُبّ » وقرأته بخط البحتري مضبوطاً بضم أوله والتشديد ، وسمي الذباب ذباباً لكثرة حركته واضطرابه وقيل لأنه كلما ذُبَّ آب ، وهو يتوالد من المستقذرات والمزابل ويتوالد بكثرة وقال المختصون بعلم الأحياء إن الذبابة تبيض خمسمائة بيضة .

وأخرج أبو يعلى مرفوعاً عن ابن عمر : عُمرُ الذباب أربعون ليلة والذباب كلهُ في النار إلا النحل ، وسنده لا بأس به .

قال الحافظ : كونه في النار ليس تعذيباً له ، بل ليعذب أهل النار به .

قال الجوهري : يقال إنه ليس شيء من الطيور يلغ إلا الذباب .

وقال أفلاطون : الذباب أحرص الأشياء حتى إنه يلقى نفسه في كل شيء ولو كان فيه هلاكه ، ويتولد من العفونة ، ولا جفن للذبابة لصغر حدقتها والجفن يصقل الحدقة ، فالذبابة تصقل بيديها ، فلا تزال تمسح عينيها ، ومن عجيب أمره أن رجيعه إذا وقع على الثوب الأسود ابيض وبالعكس ، وهو من أكثر الطيور سفاداً (١) ربما بقى عامة اليوم على الأنثى .

ويحكى أن بعض الخلفاء سأل الشافعي : لأي شيء خلق الذباب ؟ قال مذلة للملوك . وكانت ألحت عليه ذبابة ، فقال الشافعي : سألني ولم يكن عندى جواب فاستنبطته من الهيئة الحاصلة (٢) .

وقال أبو محمد المالقى : ذباب الناس يتولد من الزبل ، وإن أخذ الذباب الكبير فقطعت رأسها وحك بجسدها الشعرة التى في الجفن حكاً شديداً أبرأته وكذا داء الثعلب ، وإن مسح لسعة الزنبور بالذباب سكن الوجع .

قوله صلى الله عليه وسلم في شراب أحدكم » رواه البخاري في كتاب بدء الخلق بهذا اللفظ وذكره في كتاب الطب .. في إناء أحدكم » ووقع في حديث أبي سعيد عند النسائي

---

(١) من سفد الذكر على الأنثى .

(٢) فتح البارى توزيع دار الإفتـاء الجزء العاشر صفحة ٢٥٠ .

وابن ماجه وصححه ابن حبان .. إذا وقع في الطعام .. والتعبير بالإناء أشمل كذا وقع في حديث أنس عند البزار (١) .

قال صاحب العمدة في ذكر رواية « في شراب أحدكم » : هو شامل لكل مائع وعند ابن ماجة من حديث أبي سعيد « فإذا وقع في الطعام » وعند أبي داود من حديث أبي هريرة « فإذا وقع في إناء أحدكم » والإناء يكون فيه كل شيء من مأكول ومشروب (٢) . قال ابن حجر :

قوله صلى الله عليه وسلم : « فليغمسه » في رواية « فامقلوه » قال ابن حجر : هذا أمر إرشـاد لمقابلة الداء بالدواء وفي قوله صلى الله عليه وسلم : « كله » رفع توهم المجاز في الاكتفاء بغمس بعضه وكذا ذكره صاحب عمدة القاري .

قوله صلى الله عليه وسلم : « ثم ليطرحه » في رواية سليمان بن بلال « ثم لينزعه » وقد وقع في رواية عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة أنه حدثه قال :

(كنـا عند أنس فوقع ذباب في إناء فقام أنس باصبعه فغمسه في ذلك الإناء ثلاثاً ثم قال : بسم الله ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يفعلوا ذلك) أخرجه البزار ورجاله ثقات ، ورواه حماد بن سلمة عن ثمامة فقال عن أبي هريرة ورجحها أبو حاتم ، وأما الدارقطنى فقال : الطريقان محتملان .

قوله صلى الله عليه وسلم « فإن في إحدى جناحيه » في رواية أبي داود « فإن في أحد » والجناح يذكر ويؤنث ، وجزم الصنعاني بأنه لايؤنث وصوب رواية « أحد » وهو حقيقة في الطائر ، ويقال لغيره على سبيل المجاز كما في قول الله الكريم : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ووقع في رواية أبي داود وصححه ابن حبان من طريق سعيد المقبرى عن أبي هريرة ، وأنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء ، قال ابن حجر : ولم يقع لى في شيء من الطرق بتعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره ، لكن ذكر بعض العلماء أنه تأمله فوجده يتقى بجناحه الأيسر فعرف أن الأيمن هو الذي فيه الشفاء والمناسبة في ذلك ظاهرة ، وفي حديث أبي سعيد المذكور أنه يقدم السم ويؤخر الشفاء ، ويستفاد من هذه الرواية تفسير الداء الواقع في حديث الذباب وأن المراد به السم فيستغنى عن التخريج الذي تكلفه بعض الشراح فقال : إن في اللفظ مجازاً وهو كون الداء في أحد الجناحين ، فهو إما من مجاز الحذف والتقدير فإن في أحد جناحيه سبب داء ، وإما مبالغة بأن يجعل كل الداء في أحد جناحيه لما

---

(١) فتح البارى ج ١٠ ص ٢٥١ .

(٢) عمدة القاري للقسطلاني ج ٥ ص ٣١٥ كتـاب باب الخلق .

كان سبباً له ، قال آخر يحتمل أن يكون الداء ما يعرض في نفس المرء من التكبر عن أكله حتى كان سبباً لترك ذلك الطعام وإتلافه ، والدواء ما يحصل من قمع النفس وحملها على التواضع .

وخير تفسير للداء هو ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - عند ابن ماجه مرفوعاً « فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء » فالداء هو السم ، وهو الجراثيم التى يحملها الذباب في أطراف أرجله وخرطومه وهي جراثيم الأمراض كالتيفوئيد والكوليرا والديزنتاريا كما هو معروف لدى الأطباء اليـــوم (١) .

قوله صلى الله عليه وسلم : « وفي الآخر شفاء » في رواية « والأخرى شفاء » وفي رواية « فإن في أحد جناحيه داءً ، والآخر دواء » والدواء هو سبب الشفاء بإذن الله تعالى .

قال ابن حجر : في رواية أبى ذر (وفي الأخرى) وفي نسخة (والأخرى) بحذف حرف الجر وكذا وقع في رواية سليمان بن بلال « في احدى جناحيه داءً والآخر شفاءً » . واستدل به لمن يجيز العطف على معمولى عاملين كالأخفش ، وعلى هذا فيقرأ بخفض الآخر وبنصب شفاء وعطف الآخر على الأحد وعطف شفاء على داء وسيبويه لا يجيز ذلك ويقول : إن حرف الجر حذف وبقى العمل وقد وقع صريحاً في الرواية الأخرى « وفي الأخرى شفاءً » ويجوز رفع شفاء على الاستئناف

وفي هذا الحديث مسألتان : المسألة الأولى فقهية ، والمسألة الثانية طبية ولعل في بحثنا هذا ما فيه الرد على بعض المستغربين من أبناء المسلمين حيال هذا الحديث الذي هو من أعلام النبوة (٢) .

المســألة الأولى :

استدل بهذا الحديث على أن الماء لا ينجس بوقوع مالا نفس له سائلة فيــه ، ووجه الاستدلال - كما قال البيهقى عن الشافعى : إنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بغمس ما ينجس الماء إذا مات فيه لأن ذلك إفساد .

وقال بعض من خالف في ذلك : لا يلزم من غمس الذباب موته ، فقد يغمس برفق فلا يموت ، والحي لا ينجس ما يقع فيه كما صرح البغوي باستنباطه من هذا الحديث . وقال أبو الطيب الطبرى : لم يقصد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث بيان النجاسة

---

(١) فتح البــــارى .

(٢) من مذكرة للشيخ الدكتور خليل ملا خاطر ص٤٧ .

والطهارة وإنما قصد بيان التداوى من ضرر الذباب ، وكذا لم يقصد بالنهى عن الصلاة في معاطن الإبل والإذن في مراح الغنم طهارة ولا نجاسة ، وإنما أشار إلى أن الخشوع لا يوجد مع الإبل دون الغنم ٠

قلت : وهو كلام صحيح ، إلا أنه لا يمنع أن يستنبط منه حكم آخر ، بأن الأمر بغمسه يتناول صوراً منها أن يغمر محترزا عن موته كما هو المدعى هنا ، وأن لا يحترز بل يغمسه سواء مات أو لم يمت ٠ ويتناول ما لو كان الطعام حاراً ، فإن الغالب أنه في هذه الصورة يموت بخلاف الطعام البارد ، فلما لم يقع التقييد حمل على العموم لكنه فيه نظر لأنه مطلق يصدق بصورة فإذا قام الدليل على صورة معينة حمل عليها ٠

واستشكل ابن دقيق العيد إلحاق غير الذباب به في الحكم المذكور بطريق أخرى فقال : ورد النص في الذباب فعدوه إلى كل مالا نفس له سائلة ، وفيه نظر ، لجواز أن تكون العلة في الذباب قاصرة وهى عموم البلوى به ، وهذه مستنبطة ، أو التعليل بأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ، وهي منصوصة وهذان المعنيان لا يوجدان في غيره ، فيبعد كون العلة مجرد كونه لا دم له سائل بل الذى يظهر أنه جزء علة لا علة كاملة ٠ انتهى ٠

وقال ابن القيم عن هذا الحديث : هو دليل ظاهر الدلالة جداً على أن الذباب اذا مات في ماء أو مائع فإنه لا ينجسه ـ وهذا قول جمهور العلماء ـ ولا يعرف في السلف مخالف في ذلك ، ووجه الاستدلال : أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بمقله ـ وهو غمسه ـ في الطعام ، وهو يموت من ذلك لا سيما إذا كان الطعام حاراً فلو كان ينجسه لكان أمر بإفساد الطعام ، وهو صلى الله عليه وسلم أمر باصلاحه ٠

ثم عدى هذا الحكم الى كل مالا نفس له سائلة كالنحلة والزنبور والعنكبوت وأشباه ذلك ، إذ الحكم يعم بعموم علته ، وينتفي لانتفاء سببه ، فلما كان سبب التنجس هو الدم المحتقن في الحيوان بموته ، وكان ذلك مفقوداً فيما لادم له سائل ، انتفى الحكم بالتنجيس لانتفاء علته ٠٠٠٠ (١) ٠

فمما سبق يتضح أن الذباب وأمثاله مما لا دم له سائل إذا وقع في الماء فإنه لا ينجسه على مذهب جمهور العلماء ٠

---

(١) مذكرة السنة الثانية لمعهد الدعوة العالى في مادة الحديث لعام ١٤٠٠ هـ للشيخ ملا خاطر ص٤٧ ٠

المسـألة الثـانية :

هي الأمر الطبي في هذا الحديث :

قلت : في هذا الحديث أمران من أعلام النبوة لم يكتشفهما المتقدمون من المسلمين ، وإنما اكتشفتا في العصر الحاضر ·

الأولى : أن في الذباب داء لأمراض معينة ينقلها إلى الناس ممن كان عنده الاستعداد وبتقدير الله تعالى وقضائه انتقل إليه ومن لا فلا ·

الثانية : أن في الذباب دواء لتلك الأمراض التى يحمل أصولها ، فإذا أتى الدواء الذي يحمله الذباب على الداء الذي يحمله قضى عليه بإذن الله ولم يصب الإنسان بأذى ما يحمل من الداء ·

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بهاتين المعجزتين قبل أن يكشف المجهر الذي يكبر ملايين المرات ، ولا يعرف هذا إلا من مشكاة النبوة ·

وإذا كان الطب الحديث قد أجمع على المسألة الأولى ، وهي حمل الذباب الجراثيم - فإنه بدأ يسلم في المسألة الثانية أيضاً ، وإن كان لا يزال بعض المغرورين بالمادة لم يصدقوا ويسلموا بهذا الحديث ، والحامل لهم - والعلم عند الله - الحقد والضغينة أن يسبق الاسلام العلم الحديث بأخبار علمية ، باكتشافات حديثة ، وكل هذا جهل والعياذ بالله ·

قال الإمام الخطابى : تكلم على هذا الحديث من لا خلاق له فقال وكيف يجتمع الشفاء والداء في جناحي الذباب ؟ وكيف يعلم ذلك من نفسه ؟ حتى يقدم جناح الداء ويؤخر جناح الشفاء وما ألجأه إلى ذلك ؟ ·

قال الخطابي : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، فإن كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة وقد ألف الله بينها ، وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان ، وأن الذي ألهم النحلة اتخاذ البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه ، وألهم النملة أن تدخر قوتها لأوان حاجتها ، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت · لقادر على إلهام الذبابة أن تقدم جناحاً وتؤخر آخر ·

وقال ابن الجوزي : ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب ، فإن النحلة تعسل من أعلاها ، وتلقى السم من أسفلها ، والحية القاتل سمها تدخل لحومها في الترياق الذى يعالج به السم ، والذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء البصر ·

وقبل ذكر ما قاله الطب قديماً وحديثاً عن الذباب لا بد من ذكر بعض الأمور الهامة ٠

إن قدماء الصين كانوا يجعلون براغيث البقر سفوفاً فتقوم مقام التطعيم ضد الجدري ، إن لسع العقرب يداوى بجزء منها ، وذلك بأن يوضع على موضع القرص جزء من العقرب مع قليل من الزيت ـ بطريقة خاصة ـ فيخف الألم ثم يزول ٠

ما اعتاده الهنود قديماً حتى أيام قليلة من تعرضهم للأفاعي عنوة ، اتقاء من قرص الأفعى وآلام سمه ، فيكون بمثابة مناعة لهم ؛

إن النحلة تخرج من بطنها شراباً نافعاً ـ وهو العسل ـ ويكمن في إبرتها السم الناقع ، فكيف جمعت بين النقيضين ٠

يحضر لقاح من الأفاعي والحشرات السامة ، يحقن به لديغ العقرب ، أو الأفعى بل وينفع في تخفيف آلام السرطان أيضاً ٠

إن عالم الجراثيم والاكتشافات الحديثة فيه قلبت موازين الطب وغيرت كثيراً من الفرضيات والنظريات القديمة فيه ، فقد استخرج من مواد مستقذرة أدوية حيوية قلبت فن المعالجة رأساً على عقب « فالبنسلين » مثلاً استخرج من طفيليات العفن ، « والستربتومايسين » من جراثيم تراب المقابر ٠

إن بكتيريا : « دودرلين باسلص » توجد في مهبل المرأة ، وظيفته إفراز مادة حمضية تحفظ المنطقة من مهاجمة البكتيريا الضارة ، وتموت هذه البكتيريا عند نزول دم الحيض ، لذا يصبح الضرر بالغاً ، وتكون المنطقة معرضة لخطر البكتيريا الضارة ، وهذا مصداق قوله تعالى **« يسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن »** ٠

ومثله بكتيريا التخمر الموجودة في الأمعاء عند الإنسان وظيفتها الثانوية إفراز مادة فيتامين (ب) المركب ، وفي حالة موت هذه البكتيريا بسبب أحد العقاقير لا بد من إعطاء فيتامين (ب) المركب ليحل محل المنتج داخل الأمعاء ٠

أقوال الأطبـــاء المسلمون :

قال ابن القيم : قال أبو عبيد : معنى « امقلوه » اغمسوه ليخرج الشفاء منه كما خرج الداء ، يقال للرجلين ٠ هما يتماقلان إذا تغاطسـا في الماء ٠

واعلم أن في الذباب قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعه وهي بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية ، بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء ٠ فيغمس كله في الطعام والشراب ، فيقابل المادة السمية ، المادة النافعة ، فيزول ضررها ، وهذا طب لا يهتدى إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ٠

ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ٠ وأنه مؤيد بوحى إلهي خارج عن قوى البشرية ٠

وقد ذكر غير واحد من الأطباء أن لسع الزنبور والعقرب إذا دلك موضعه بالذباب نفع منه نفعاً بيناً وسكنه ، وماذاك إلا للمادة التي هي فيه من الشفاء وإذا دلك به الورم الذي يخرج في شعر العين المسمى « شعرة » بعد قطع رؤوس الذباب أبرأه (١) ٠

وقال أبو محمد الماقلى : إن أخذ الذباب الكبير فقطعت رأسها وحك بجسدها الشعرة التى في الجفن حكاً شديداً أبرأته وكذا داء الثعلب ، وإن مسح لسعة الزنبور بالذباب سكن الوجع (٢) ٠ هذا بعض ما قاله علماء المسلمين القدامى ، علماً بأنه لا يوجد عندهم أجهزة حديثة للاكتشاف ، وإنما هو التصديق والتجربة والمشاهدة ٠

وأما الاكتشافات الحديثة : فقد ذكر مجدي كيرلس جرجي في مقاله « الحشرات المظلومة » ٠ وهناك حشرات ذات منافع طبية ففي الحرب العالمية الأولى ، لاحظ الأطباء أن الجنود ذوي الجروح العميقة ، الذين تركوا بالميدان لمدة ما ، حتى ينقلوا إلى المستشفى ، قد شفيت جروحهم والتأمت بسرعة عجيبة ، وفي مدة أقل من تلك التي استلزمتها جروح من نقلوا إلى المستشفى مباشرة ، وقد وجد الأطباء أن جروح الجنود الذين تركوا بالميدان تحتوى على يرقات بعض أنواع الذباب الأزرق ، وقد وجد أن هذه اليرقات تأكل النسيج المتقيح في الجرح ، وتقتل البكتيريا المتسببة في القيح والصديد ، وقد استخرجت مادة « الألانتوين » من اليرقات السالفة الذكر ، واستخدمت كمرهم رخيص ملطف للخراريج ، والقروح ، والحروق ، والأورام أخيراً عرف التركيب الكيميائي لمادة « الألانتوين » وحضرت صناعياً وهي الآن بمخازن الأدوية ، والكاتب كما هو ظاهر من اسمه ليس مسلماً (٣) ٠

---

(١) الطب النبوى ٨٨ـ٨٩ وزاد المعاد ٣ : ٩٩ـ١٠٠ ٠

(٢) فتح الباري ١٠ : ٢٥١ ٠

(٣) جريدة الأهرام الصادر في ١٩٥٢/٧/٢٠ م ٠

وأما الاكتشافات العلمية الجديدة ، فنجد أن الدكتورين : محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين (١) يقولان :

- تمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث ، وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ ـ عدم التعرض لصحة الحديث ٠ فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء ، الذين درسوا العلم والحديث ، وكيف يستبعدون الأحاديث الموضوعة والمكذوبة ٠

٢ ـ محاولة البحث العلمى ، بافتراض صحة الحديث ٠ للوصول الى حقائق أنبأنا عنها النبى صلى الله عليه وسلم « **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** » ٠

٣ - عدم الخوض في موضوع مادة الحديث قبل الرجوع إلى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات ، ثم قالا ٠

جـــاء في المراجع العلمية :

١ - في عام ١٨٧١ م اكتشف البروفسور « بريفلد » من جامعة « هالة » بألمانيا الشرقية أن ذبابة المنزل مصابة بطفيلى من جنس « الطفيليات ـ الفطريات الأشنيه » يعيش معها ، وعليها في الجزء الدهني الأبيض من بطن الذبابة وهو من نوع « الفطريات الطفيلية » وقد تعمق البروفسور في دراسة دورة حياته ، فعرف أنه يعيش داخل بطن الذبابة في الجزء الدهني بشكل خلايا مستديرة تنمو ، فتصبح مستطيلة الشكل ، وتخرج من فتحات أو مفاصل حلقات بطن الذبابة للخارج ، وبهذا فإنها تعيد دورة حياتها التناسلية ٠

بيد أن بذور الفطر عند تجمعها داخل الخلية يزداد الضغط الداخلى فيها إلى حد معين ينفجر معه جدار الخلية ، فتنطلق بذور الفطر بقوة شديدة ولمسافة تصل الى ٢٠٠ سم؟ خارجها على هيئة رذاذ ، مصحوباً بسائل الخلية وهذا ما نشاهده إذا أمعنا النظر في ذبابة ميتة على لوح زجاج أو شباك فنرى بذور الفطر حول الذبابة ، ونرى أماكن انفجار الخلايا من بطن الذبابة ولو فحصناها تحت الميكريسكوب لرأينا شكلها المستطيل ٠

٢ ـ في عام ١٩٤٥ م أعلن أستاذ الفطريات المشهور « لانجيرون » أن هذا الفطر الذي يعيش دائما في بطن الذبابة على شكل خلايا مستديرة فيه « أنزيم » خاص ، يحلل جزءاً من جراثيم المرض المحمول بواسطة الذبابة ٠

---

(١) مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٣٧٨ هـ ومجلة « المكروبيولوجيا » بسويسرا عام ١٩٥٠ م ٠

٣ ـ في عام ١٩٤٧ م تمكن العالم « موفيتش » من عزل مواد حيويه مضادة ، من مزرعة للفطريات الموجودة على نفس جسم الذبابة ، ووجدها ذات مفعول قوي ضد جراثيم « غرام السالبة » مثل « التيفوئيد » و « الديسانتريا » وما يشبهها وإن غراماً واحداً من هذه المادة المعزولة يمكن أن يحفظ ألف « ١٠٠٠ » لتر من الحليب المتلوث بهذه الجراثيم ٠

ـ في عام ١٩٤٨ م تمكن فريق من العلماء الانكليز « بريان ، وكوتسى ، وهمينغ ، وجيغرس ، ومالحجوان » من عزل مادة مضادة حيوية ، من فطريات تنتمى لنفس عائلة فطريات الذبابة أسموها « كولتيزين » وتؤثر في جراثيم « غرام السالبة » كالديسانتريا والتيفوئيد » ٠

ـ أكد ذلك مجموعتا « آرنشتين ، وكوك » الانجليزية و « روليوس » السويسرية بعزلهما لنفس المضاد الحيوى من فطريات الذباب في الأعوام (٤٧ ـ ١٩٥٠ م) وهذه المادة أسموها « جافاسين » وتقتل جراثيم « غرام السالبة والموجبة » كالتيفوئيد والدسنتاريا ٠

ـ وقد أكدت مجموعتان : إنكليزية « كوتش وفارمر » وسويسرية « جرمان وروث ماتلنجر وبلاتز » عام ١٩٤٩ م ، ذلك بعزل مادة مضادة حيوية ، من فطر الذباب ، اسمها « إنياثين » من نفس القوة والتأثير على جراثيم « غرام الموجبة والسالبة » كالكوليرا والزهار والتيفوئيد ٠

ويستطرد الدكتوران محمود كمال ومحمد عبد المنعم حسين فيقولان :

لم تدخل هذه المواد المضادة للحيوية بعد الاستعمال الطبى (١٣٧٨ هـ) ولكنها فقط من العجائب العلمية لسبب واحد ، وهو أنها بدخولها بكميات كبيرة في الجسم قد تؤدى الى حدوث بعض المضاعفات ، بينما قوتها شديدة جداً وتفوق جميع المضادات الحيوية المستعملة في علاج الأمراض المختلفة ٠

قلت : ومن الطبيعى في فن العلاج ، أن ما يكتشف من أدوية جديدة ، تجرى عليها تجارب كثيرة لسنوات عدة ، ومراحل مختلفة ، ليعرف مدى قابليتها ، وكمية الجرعة منها ، إلا أن المهم في الموضـوع هو فاعليته وشدة تأثيره وقوته بحيث فاق جميع المضادات الحيوية الموجودة والمستعملة حتى عام (١٣٧٨ هـ) ٠

وأما بالنسبة للحديث وصحته فهو مروي بنحو ثمان وعشرين طريقاً ، ولا يوجد في طريق من هذه الطرق رجل ضعيف ، إنما كلهم ثقات أئمة (١) ٠

---

(١) انظر مجموع الحديث باب حديث الذباب ٠

هذا الحديث فيه معجزتان الأولى تم اكتشافها والتأكد من صحتها ووجودها وهي حمل الذباب الجراثيم ـ وعبر عنه صلى الله عليه وسلم بالداء ـ والثانية وهي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم بالشفاء ، بالدواء » وقد بينت ما اكتشفه الطب الحديث حتى عام ١٣٧٨ هـ مما يبرهن على صحة ووجود هذه المعجزة الخارقة التي تبرهن على صدق قائلها وأنها خارجة من مشكاة النبوة وليست من قبيل التخرص والهوى ٠

إن الخبر إذا جاء يحمل في طياته عنصرين غريبين غيبيين ، ثم جاء تصديق أحدهما تصديقاً جازماً ، فالعاقل المنصف ينتظر تصديق الآخر وتحققه ، ولا يسرع إلى تكذيب الخبر أو استنكاره ، وكيف يكذب أو يستنكر وقد جاء ما يؤيد بعضه فضلًا عما جاء ما يؤيد الاثنين ، وما ذكرته من مخترعات واكتشافات كافٍ لذى العقل السليم أن يصدق الحديث ويصدق من جاء به وأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ٠

إن الذباب ملوث بالجراثيم المرضية كالكوليرا والتيفوئيد والديسانتريا التى يحملها من المجاري والفضلات وبراز المرضى وتكون هذه الجراثيم على أطراف أرجله وخرطومه ـ كما يقول الأطباء ، فإذا وقع الذباب على الطعام أو في الشراب ، فإنه يقف على أرجله ويمد خرطومه ، وإذا تبرز لوث الغذاء كذلك ، فلو تركت أو ذبت ، بقيت الميكروبات المرضية التي أصابت الغذاء أو الشراب فيهما ٠ وهذا أمر طبيعى مسلم لا يختلف فيه الناس ٠

فدلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على القضاء على هذه المكروبات المرضية ، واستئصالها قبل أن تستفحل ، وذلك بأن تضغط على الذباب حتى يقع كله في الطعام أو الشراب ـ وهذا معنى قوله « فامقلوه » وسبب ذلك أن هذه الفطريات التى تفرز المواد المضادة للحيوية ، والتي تقضي على الجراثيم « غرام السالبة والموجبة » التى يحملها هو على أرجله وخرطومه ـ توجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة إلا بعد أن يزيد الضغط عليها فتنفجر وتندفع البذور والسائل الذي يقضى على المكروبات المرضية ـ كما مر في الاكتشافات العلمية الحديثة ٠

وإذا كانت الذبابة لا ينفجر الجزء الدهنى منها إنما يخرج من ثنايا الطبقات المكونة للجزء الدهنى هذا السائل الذي يحمل هذه المواد المضادة للحيوية ٠

إن إخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن الذباب ، إنما كان من الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا بوحى ، وقد اكتشفت فى هذا العصر ٠

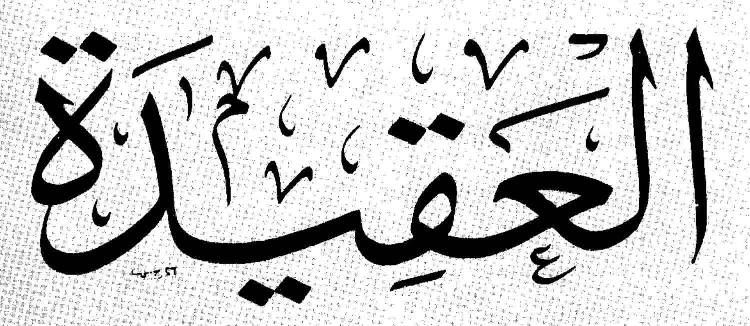
والخبر إذا نقل بطريق يغلب على الظن صدقه ، فانه لا يكون من الأمور المحسوسه بالمشاهدة ، فعلى العاقل التريث وعدم التسرع فى الإنكار حتى لا يقع في التناقض عند بيان صدقه ومطابقته للواقع ·

ولكن الذين غلب عليهم التقليد الأعمى من أصحاب النفوس المريضة لا يهمهم أن يقعوا في التناقض بقدر ما يهمهم الطعن فى السنة ، ولكن الله الذى تكفل بحفظ دينه يحبط ألاعيب هؤلاء ويحفظ السنة كما يحفظ القرآن ·

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ·

عَنْ عَبدِ ٱللَّهِ بن عَمْرو بن العَاص رَضِىَ ٱللَّهُ عَنهما أَنّ رَسُولَ الله صَلى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم قَالَ: "قَدْ أَفلَحَ مَنْ أَسلَم وَكَانَ رِزْقُهُ كَفافًا وَقَنَّعَهُ ٱللَّهُ بِمَا آتَاهُ"

(رواه مسلم)


العقيدة

مسلك القرآن الكريم
في الاستدلال على وجود الله

للدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
عميد شئون المكتبات بالجامعة

- ١ -

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

أ ـ التمهيـــد .

ب ـ المبـــاحث .

المبحث الأول : دليل الخلق ويشمل :
أ ـ خلق السماء .
ب ـ خلق الأرض .
جـ ـ خلق الإنسان ، وظاهرة الحياة .

المبحث الثاني : دليل العناية .

المبحث الثالث : دليل النظام .

المبحث الرابع مسلك المتكلمين والفلاسفة في اثبات وجود الله .

تمهيـــــد :

معرفة الله والإقرار بوجوده غريزة فطرية فى الإنسان ، إذ كل واحد من بنى آدم يقر بوجود الخالق ويعترف به ، أما ما يظهر على بعض الملحدين من الكفر بالله والاستهزاء بمن دعاهم إلى عبادته ، فإن ذلك لا يعنى الكفر المطلق المبنى على اليقين الكامل ، وإنما هو انحراف فى الطبيعة الإنسانية ، وتحويل للغريزة الفطرية المتجهة إلى الخالق الحق إلى عبادة المخلوقات الأخرى ، ولذا فإننا نجد ذلك الملحد يستعمل سبل المغالطات والتفسيرات الخاطئة للأشياء تضليلا وتمويها على السذج من أتباعه ، وقد صوّر لنا القرآن الكريم قصة أكبر مغالط ملحد بلسانه غير جازم بقلبه ، ذلك المغالط هو فرعون الذى استخف قومه فأطاعوه ، فحينما جاءه موسى عليه السلام بالبينات والهدى ودعاه إلى عبادة رب الأرض والسماء ، ورب العالمين جميعا ، كما أمره الله تبارك وتعالى بقوله : (فأتيا فرعون فقولا إنّا رسولُ رب العالمين) (الشعراء / ١٦) .

استكبر فرعون ، وجحد رب العالمين ، بل ادعى أنه لا يعلم لقومه إلهاً غيره قال تعالى على لسانه : **(قال فرعون وما رب العالمين)** (الشعراء / ٢٣) ، وقد أخبر المولى عز وجل عنه أن ذلك الإنكار الصادر منه مغالطة بلسانه ، وأنه غير مطابق للحقيقة المستقرة فى نفسه ، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطبا فرعون : **(قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رَبُّ السموات والأرض بصائرَ وإنى لأظُنك يا فرعون مثبورا)** (الإسراء / ١٠٢) . فالانحراف والميل عن الخط السوى أمر طارىء على البشرية ، وذلك حين فساد الفطرة (١) . لأن البرهان على وجود الخالق حقيقة محسوسة وأمر واضح غاية الوضوح إذ الإنسان يعيش ، ويحيا فى هذا الكون ، فيشاهد فى نفسه ، وفى الأشياء من حوله تغيراً مستمراً ، إذ تنعدم أشياء وتوجد أخرى كما يشاهد دقة وتنظيما (٢) فى كل ما يرى ويلمس

---

(١) وما قررناه من أن الإقرار بوجود الخالق أمر فطرى ، وهو الأصل الذى نشأ عليه الإنسان ، وأن الانحراف أمر طارىء على الإنسانية ، وذلك حين فساد الفطرة ، هو ما قرره الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين جـ ١ ص ٩٣ و ٩٤ مطبعة شركة دار الكتب العربية الكبرى بمصر) وشيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه (منهاج السنة وحكاه عن الجمهور جـ ٢ ص ٢٠٢ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم . مطبعة المدنى القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٢ م) وابن القيم فى كتابه (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق محمد سيد كيلانى الطبعة الأخيرة سنة ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م) . جـ ٢ ص ١٥٢ .

(٢) يقول كلودم ، هاشاوى ، مستشار هندسى ، ومصمم العقل الألكترونى للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجلى فيلد ، اخصائى الآلات الكهربية والطبيعية للقياس تحت عنوان ـ المبدع الأعظم ـ قال : أما من حيث الأسباب الفكرية التى تدعونى إلى الإيمان بالله ، فإننى أحب أن أبدأ بذكر الحقائق التى لا سبيل إلى إنكارها .. وهى أن التصميم يحتاج إلى مصمم . =

فيصل من هذا عن طريق الإدراك الحسي إلى أن لهذه الأشياء موجداً أوجدها ومنسقاً لسيرها وحركاتها أراد ذلك منها ، وهذا أمر طبيعى جدا غير بعيد عن فهم أى إنسان مهما كان إدراكه ، فإذا شاهد الإنسان بيتا منظماً ومنسقا ، أو سمع صوتاً ، أو أحس بضربة سوط ، ولم ير الضاربَ أو البانى أو صاحب الصوت فإنه يوقن أن لهذا البيت بانيا ، وأن هذا الصوت صادر عن شيء سواء أكان رجلا أو حيوانا ، أم آلة ، وأن تلك الضربة حدثت من ضارب ، فكان وجود الشيء الذى نتج عنه بناء البيت ، أو ظهور الصوت ، أو حدوث الضرب أمرا قطعيا عند من شاهد البيت أو سمع الصوت أو أحس بالضرب ، إذ قام البرهان الحسي على وجوده ، فالاعتقاد بوجود سبب أوجد هذه الظواهر أمر مسلم به عند العقلاء .

فكذلك الإنسان يشاهد تغير الأشياء الموجودة فتنعدم أشياء ويحدث غيرها كما انه يرى النظام البديع فى العالم ، والدقة المتناهية فى سير بعض المخلوقات وترتيب حركاتها وضبط مواعيدها ، فيدرك أن هذا الإبداع وذلك النظام وذاك التغير لا يمكن أن يحدث من نفس تلك الأشياء ، لأنها عاجزة عن إيجاده ، كما أنها عاجزة عن دفعه كل ذلك يدعوه إلى الإيمان بوجود خالق لهذه الموجودات ، قائم بتدبيرها ، منظم لها .

ومن هنا نرى أن وجود هذا الخالق الذى دل عليه وجود هذه الأشياء من الأمور القطعية ، الذى يدل عليه الدليل الحسى ، يشهد لذلك قول ذلك الأعرابى القائل (البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، أفلا تدل على الصانع الخبير [1] فقد أدرك هذا الأعرابى بفطرته السليمة التى فطره الله عليها أن هذه المخلوقات العظيمة التى تسير بانتظام وإحكام ، ليل يعقبه نهار ، ونهار يعقبه ليل ، لا يمكن أن تحدث إلا بمُحدِث ، وأن لا تسير بهذا النظام المتقن إلا بمقدر مختار ، ولذلك جاءت براهين القرآن الكريم لافتة النظر إلى ما يقع عليه حس الإنسان للإستدلال بذلك على وجود الخالق ثم عبادته وحده كقوله تعالى : **(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)** (الغاشية / ١٧) .

= وقد دعم هذا السبب القوي من أسباب إيمانى بالله ما أقوم به من الأعمال الهندسية فبعد اشتغالى سنوات عديدة فى عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربية ، ازداد تقديرى لكل تصميم أو إبداع أينما وجدته ، وعلى ذلك فإنه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا إلا من إبداع إله أعظم لا نهاية لتدبيره وإبداعه .. حقيقة أن هذه طريقة قديمة من طرق الاستدلال على وجود الله ولكن العلوم الحديثة قد جعلتها أشد بيانا وأقوى حجة منها فى أى وقت مضى ا هـ . من كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم) ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ص ٨٩ الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨ م .

(١) أحمد الهاشمى ، جواهر الأدب من خطبة قس بن ساعدة جـ ٢ ص ١٩ الطبعة التاسعة عشر سنة ١٣٧٩ هـ والجاحظ ، البيان والتبيين جـ ١ ص ١٦٣ طبعة سنة ١٩٦٨ م .

وقوله تعالى : (**فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب**) (الطارق / ٥ - ٧) ، وقوله تعالى : (**أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون**) (الطور / ٣٥ ، ٣٦) ٠

وهكذا نرى أن قضية الخلق والإيجاد وإن كانت قضية جافة على الصعيد الفلسفى ، فهى بدهية على الصعيد الحسي لا تحتاج إلى برهان ، لأنها من ضرورات الفطرة ولذا فإن القرآن الكريم يطرحها على المخاطبين كقضية مسلمة لا تحتاج إلى استدلال ، ولا تحتمل الجدل والمماراة ، انظر إلى قوله تعالى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم : (**اقرأ باسم ربك الذى خلق**) (العلق / ١) ، والخطاب وإن كان موجها إليه فهو لأمته جميعا ، والمخاطبون حين نزول القرآن يعرفون ربهم الذى خلقهم كما قال تعالى : (**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنىَّ يؤفكون**) (العنكبوت / ٦١) ، (**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون**) (الزخرف / ٨٧) ٠ وإنما كان انحرافهم فى العبادة فيجعلون مع الله آلهة أخرى يعتقدون فيها النفع والضر ، كما قال تعالى حكاية عنهم فى إنكارهم على محمد صلى الله عليه وسلم دعوته الى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وترك عبادة الآلهة المزعومة : (**أجعل الآلهة إلهاً واحدا إنَّ هذا لشىء عجاب**) (ص / ٥) ، وإن وجد فى ذلك الوقت قلة ممن فسدت فطرتهم الى أن اعتقدوا أن التأثير فى الحياة والممات إنما هو من الدهر ، قال تعالى حكاية عنهم : (**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**) (الجاثية / ٢٤) ، ولكن الله تبارك وتعالى بيَّن أن قولهم هذا قول بلا علم ، وإنما هو مبني على الظن ، والظن لا يغنى من الحق شيئا ، قال تعالى : (**وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**) (الجاثية / ٢٤) ، كما طالبهم بالدليل على اعتقادهم الفاسد ودعواهم الباطلة ، وهى قولهم : انهم خلقوا من غير شيء ، فقال : (**أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون**) (الطور - ٣٥) ٠

ولما كان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية ، والرسول الذى أنزل عليه هذا الكتاب خاتم الرسل ، والدين الإسلامى خاتم الأديان ، ولن يقبل من أحد التدين بسواه كما قال تعالى : (**ان الدين عند الله الإسلام**) (آل عمران / ١٩) ، وقوله تعالى : (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**) (آل عمران / ٨٥) ، كان لا بد أن يشتمل هذا الكتاب على الحجج والبراهين القاطعة التى تقمع شبهة كل منحرف أو معاند فى كل زمان ومكان ٠ وكذلك كان ٠ قال تعالى : (**ما فرطنا فى الكتاب من شىء**) (الأنعام / ٣٨) ٠ فإذا قامت للإلحاد دولة فى أى عصر من العصور وأنشأت له مناهج وأعدت له مدارس لتعليم الناس الإلحاد ، وأنه لا إله والحياة مادة ، وجد فى القرآن الكريم الأدلة القاطعة التى تبين للعقلاء أن

للمادة إلهاً ، وأن الحياة من صنع هذا الإله (**أفى الله الشك فاطر السموات والأرض**) (ابراهيم / ١٠) .

وإليك أدلة القرآن القاطعة التى تدحض شبه المنحرفين عن صراط الله المستقيم .

أدلـــة القـــرآن

أولا : دليل الخلـــق :

ودليل الخلق والإبداع الذى يعرضه القرآن بالأساليب المختلفة والطرق المتعددة شامل لجميع مخلوقات الله كلها ، العظيم منها والحقير ، وقد بين القرآن الكريم فى تلك المخلوقات مظاهر قدرة الله وعظيم حكمته وواسع رحمته ، كما أوضح فيها أن القادر على الخلق هو الرب ، وهو المعبود ، فقال تعالى : (**يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**) (البقرة / ٢٢) ، بل إنه بقضية الخلق تحدى المشركين ، الذين اتخذوا آلهة معبودة من دون الله أن يدعوا هذه الآلهة لتخلق أقل موجود وأحقره فقال تعالى : (**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**) (الحج / ٧٣) ، بل بين أنه لو سلبهم الذباب شيئا مما بأيديهم لما استطاعوا انقاذه منه ، ولو اجتمعوا له ، وكفى بذلك عجزا ، فقال تعالى : (**وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز**) (الحج / ٧٣) .

وقد تجلت آية الخلق والإبداع فى أضخم مجالى الوجود ، **وهما خلق السموات والأرض ، وفى أعظم الظواهر الناشئة** عن ذلك الخلق ، **كالظلمة ، والنور** يقول تعالى مادحا نفسه الكريمة على خلقه السموات والأرض قرارا لعباده وعلى أن جعل الظلمات والنور منفعة لهم فى ليلهم ونهارهم . (**الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون**) (الأنعام / ١) ، أى ومع هذه العناية واللطف بهم كفر به بعض عباده فجعلوا له شريكا وعدلا (١) .

---

(١) ابن كثير (التفسير ٢ / ١٣٣) .

١ ـ خلـــق الســــــماء :

وقد تحدث القرآن الكريم عن خلق السماء فبين أنها جرم خلقه الله تعالى وبناه ورفعه ، وأنها محكمة فى صنعها ليس فيها خلل ولا تصدع مرفوعة بأمر خالقها محفوظة بقدرته ، وأنها آية من آيات الله الكبرى المعروضة على الأنظار المصاحبة للواقع المشهود للنظر فيها بعين البصيرة لا بالبصر المجرد ، حتى يأخذ المخاطب منها الدليل على وجود خالقها ومتقن صنعها · يقول تعالى : **(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج)** (ق / ٦) ، ويقول تعالى : **(أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها)** (النازعات / ٢٧ ، ٢٨) ، ولكونها آية دالة على وجود مبدعها وإتقان صانعها ، فقد أثنى على المتفكرين فيها فقال تعالى : **(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)** (آل عمران / ١٩٠ ، ١٩١) ، فتأملهم فى خلق السموات والأرض وما اشتملتا عليه من آيات دالة على قدرة موجدها ، أدى ثمرته المطلوبة كما رسمته الآية الكريمة إذ رتبت النتائج على مقدمات التفكر دون فاصل بينهما ، فتفكرهم دعاهم الى ذكره تعالى فى كل حالة من حالاتهم ، قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ثم علموا أن هذه المخلوقات لا يمكن أن توجد عبثا ، **(ربنا ما خلقت هذا باطلا)** فنقلهم ذلك التفكر الواعي فى هذا الكون وفى بديع صنعه إلى الإيمان بالله وبما وراء هذا العالم المشاهد وهذه الحياة الحاضرة ولذلك طلبوا من ربهم وخالقهم وقايتهم من عذاب النار ، خوفا من الخزى والعار **(سبحانك فقنا عذاب النار)** يقول سيد قطب فى تفسير هذه الآية (هذه هى طريقة المنهج الربانى فى التوجيه للانتقال من مرحلة التأثر الوجدانى بالتفكر والتدبُّر فى خلق الله ، إلى مرحلة العمل الإيجابى وفق هذا التأثر تحقيقا للمنهج الذى أراده الله (١) ·

كما ذم المعرضين عنها ، فقال تعالى : **(وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)** (الأنبياء / ٣٢) ، وقال تعالى : **(وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)** (يوسف / ١٠٥) ·

أى لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم ، والارتفاع الكبير ، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات ، فى ليلها ونهارها ، من هذه الشمس التى تقطع

---

(١) سيد قطب ، فى ظلال القرآن جـ ٤ ص ١٩٤ ·

الفلك بكماله فى يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الله الذى سخرها وسيرها (١) .

كما أوضح القرآن أن الله هو الممسك لهذه السموات ، والحافظ لها من الزوال مع عظمها وعظم ما فيها بغير عمد تعتمد عليها ، بل بقدرته تعالى العظيمة التى يفعل بها ما يشاء لطفا بعباده ورحمة بهم وليس لغيره من الكائنات قدرة على ذلك يقول تعالى : (**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا**) (فاطر / ٤١) .

ويقول تعالى : (**الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها**) (الرعد / ٢) .

ويقول تعالى : (**خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**) (لقمان / ١٠) .

هذا ما أشار إليه القرآن الكريم عن حفظ الله تعالى لهذه الأحجام الهائلة بهذا التوازن العجيب ، الذى يدركه الحس ويؤيده العقل والواقع .

أما العلم فيقول : ان هذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية التى شاهد العلماء آثارها وعرفوا قوانينها التى لم يعرفوا بعد أسرارها .

يقول الشيخ نديم الجسر : والحق ما قالوا فالجاذبية حق وقوانينها المحسوبة المتزنة المتناسبة المحكمة الدقيقة حق ، ولكن هل يكون القانون الدقيق المحكم أثرا من آثار المصادفة العمياء ؟ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (٢) .

هذا وقد تحدث ابن القيم فى كتابه (مفتاح دار السعادة) عن آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وحكمته ، فى خلقه السموات وإبداع صنعها ، وما هي عليه من سعة وعظم خلق وحسن بناء ، كما بين أنها أجمع للعجائب الدالة على وجود خالقها من كل المخلوقات الأخرى بل إنه لا نسبة لجميع ما فى الأرض إلى عجائب السموات ، فقال : فالأرض والبحار

---

(١) ابن كثير (التفسير جـ ٣ ص ١٧٨) .

(٢) نديم الجسر ، قصة الإيمان ٣١١ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م .

والهواء وكل ما تحت السموات بالإضافة الى السموات كقطرة فى بحر ولهذا قلَّ أن تجيء سورة فى القرآن إلا وفيها ذكرها ·

إما إخباراً عن عظمتها وسعتها (١) **· وإما إقساما بها · وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها · وإما دُعاءً إلى النظر فيها ·**

وإما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة ·

وإما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته وأنه الله الذى لا إله إلا هو ·

وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها والتئام بنائها وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته ·

وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر والعجائب التى تتقاصر عقول البشر عن قليلها ، فكم من قسم فى القرآن بها كقوله والسماء والطارق ، والسماء ذات البروج والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنجم اذا هوى ، فلا أقسم بالخنس والنجم الثاقب ، فلم يقسم بشىء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر ، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته **لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه** ، وكل ما كان أعظم آية وأبلغ فى الدلالة كان إقسامه به أكثر من غيره ولهذا يعظم هذا القسم كقوله (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) (٢) ·

ويقول سيد قطب فى ظلال القرآن :

(ولم يكن المخاطبون يومذاك يعرفون عن مواقع النجوم إلا القليل الذى يدركونه بعيونهم المجردة ، ومن ثم قال لهم (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) · فأما نحن اليوم فندرك من عظمة هذا القسم المتعلقة بالمقسم به · نصيباً أكبر بكثير مما كانوا يعلمون ، وإن كنا نحن أيضا لا نعلم إلا القليل من عظمة مواقع النجوم · وهذا القليل الذى وصلنا إليه بمراصدنا الصغيرة المحدودة المناظر ، يقول لنا إن مجموعة واحدة من مجموعات النجوم التى لا تحصى ... هى مجموعة المجرة التى تنتسب إليها اسرتنا الشمسية تبلغ ألف مليون نجم) (٣) ·

---

(١) يقول تعالى (**والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون**) الذاريات آية ٤٧ · فقد تحدثت هذه الآية الكريمة عن سعة السماء وما اكتشفه العلم اليوم عن السماء وأبعادها لم يكن يخطر على قلب بشر ، وقد أثبت العلم تلك السعة بما يعرف عند العلماء بالسنين الضوئية والتى اتفق العلماء فيها على أن الضوء يقطع فى الثانية ١٨٦ ألف ميل أى إنه يقطع فى الدقيقة ١١ مليون و١٦٠ألف ميل وفى السنة الواحدة من سنينا يقطع ستة ملايين مليون ميل أو ستة آلاف مليار تقريبا وعلى هذا التقدير نفهم معنى قولهم إن نجما ما يبعد عنا كذا سنة ضوئية ا هـ ، قصة الإيمان ، لنديم الجسر ص ٣٠٤ ·

(٢) ابن القيم (مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ١٩٦ و ١٩٧ بتصرف الناشر مكتب الرياض مكتبة الرياض الحديثة ·

(٣) سيد قطب فى ظلال القرآن جـ ٧ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ·

ويقول الفلكيون إن من هذه النجوم والكواكب التى تزيد على عدة بلايين نجم ، ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة ، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه ، هذه كلها تسبح فى الفلك الغامض ، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسى لنجم من مجال نجم آخر أو يصطدم بكوكب آخر ، إلا كما يحتمل تصادم مركب فى البحر الأبيض المتوسط بآخر فى المحيط الهادى يسيران فى اتجاه واحد وبسرعة واحدة ، وهو احتمال بعيد ، وبعيد جدا ، إن لم يكن مستحيلا (١) .

وكل نجم فى موقعه المتباعد عن موقع إخوته قد وضع هناك بحكمة وتقدير .

٢ ـ خلق الأرض :

ولما كانت طريقة القرآن التى سلكها لبناء العقيدة أن يأخذ الشاهد على وجود الخالق ووحدانيته من مألوفات البشر وحوادثهم المشاهدة المتكررة ليؤكد العقيدة ويثبت قواعدها ، بذلك التصور الكامل للوجود كله فلذلك نجده يلفت نظر الإنسان المقصود بتلك الهداية إلى آيات الله العظيمة فى خلقه الأرض وما أودع فيها من آيات ، والتى إذا تأمل فيها الناظر بفكره وعقله ، علم أنها من أعظم آيات فاطرها كما قال تعالى **(وفى الأرض آيات للموقنين)** (الذاريات / ٢٠) فقد خلقها الله فراشا ومهادا وذللها لعباده فيسر لهم فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم وجعل لهم فيها السبل ليتمكنوا من التنقل فيها لقضاء حوائجهم وتصرفاتهم . كما أرساها بالجبال لئلا تميد بهم (٢) فتضطرب حياتهم ، ودحاها فمدها وبسطها ووسع أكنافها فجعلها كفاتا للعالم ، أحياء وأمواتا (٣) .

وقد أكثر الله تعالى من ذكرها فى كتابه ودعا الناس إلى النظر إليها والتفكر فى خلقها وفيما أودعه فيها من آيات وما بث فيها من خيرات ، وذكرهم بما فى هذا الخلق من دلائل القصد والحكمة ، وبيَّن أنه هو الخالق لذلك كله ، وليس لمن اتخذوهم آلهة من دونه قدرة على ذلك يقول تعالى **(خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ، هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين)** (لقمان / ١٠ ، ١١) .

---

(١) سيد قطب فى ظلال القرآن جـ ٧ ص ١٤٤ نقلا عن كتاب الله والعلم الحديث ص ٣٣ .

(٢) يقول ابن كثير وقوله (وجعلنا فى الأرض رواسى) أى جبالا أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أى تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة فى الماء إلا بمقدار الربع فإنه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات والدلالات ولهذا قال : (أن تميد بهم) أى لئلا تميد بهم ا . هـ . تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٧٧ .

(٣) ابن القيم (مفتاح دار السعادة) جـ ١ ص ١٩٩ .

فقد بيَّن سبحانه فى هذه الآية قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيهما ، كما بين أنه هو الرازق لجميع مخلوقاته ، وإذا كان الخلق كله إليه ، ولا رازق لأحد سواه ، فعبادة المشركين لهذه الأصنام التى ليس لها من الأمر شيء ظلم واعتداء على حق خالقهم ، إذ يخلق ويعبد غيره ، ويرزق ويشكر سواه وأي جهل وعمى أوضح من ذلك (١) . كما حثهم على النظر فيها فقال تعالى : **(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت)** (الغاشية / ١٧ - ٢٠) .

(أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ، إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) (الشعراء / ٧ ، ٨) .

(الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) (طه / ٥٣ ، ٥٤) .

(أ مَّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإلهٌ مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) (النمل / ٦١) .

إن مَنْ يتأمل فى هذه الآيات يلمس منها أن طريقة القرآن لتكوين العقيدة وتثبيتها هى مخاطبة الفطرة البشرية بما هو فى متناول كل فرد من المواد الأولية ، إذ من هذه المشاهدات التى يراها الإنسان يبنى القرآن العقيدة وسنكتفى مما تضمنته الأرض من آيات دالة على وجود خالقها ومبدع صنعها ووحدانيته بنماذج من الآيات التى تدعو الإنسان إلى النظر فيها وهى مكررة أمامه ، فى كل لحظة من لحظات حياته ، وهو غافل لا يلقى لذلك بالا ، ولو تأمل فيها كما دعاه خالقه لكفاه آية على وجود خالقه ووحدانيته جل شأنه ، فمن تلك النماذج :

أولا : قوله تعالى : (فلينظر الإنسان إلى طعامه أنّا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً ، وعنباً وقضبا ، وزيتوناً ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأباً ، متاعاً لكم ولأنعامكم) (عبس / ٢٣ - ٣٢) .

فطعام الإنسان ألصق شيء بحياته اليومية ، هل نظر فيه ؟ وهل نظر فى مراحله التى مر بها حتى أصبح فى متناول يده ؟ وما دوره هو فى إنشائه ؟

---

(١) ابن كثير (التفسير جـ ٣ ص ٤٤٣) .

هذه الآيات **تدعو الإنسان الى النظر فى طعامه** ، هذا الأمر الضرورى المكرر الذى أصبح ليسره وإلفه غير منظور إلى دلالته على القدرة التى ابدعته ويسرته ، **ثم ترسم له خطوات سير طعامه مرحلة بعد أخرى** ليرى هل له فيها من يد ؟ ثم تصل به إلى القدرة الإلهية التى تجعل من الشيء الواحد أنواعاً مختلفة ، اذ أن التربة الواحدة قد سُقِيتَ بماء واحد ومع ذلك أنبتت تلك الأنواع المختلفة من الحبوب والفواكه والثمار .

فالخطوة الأولى :

صب الماء على الأرض وكل إنسان يعرف نزول المطر من السماء لا فرق بين إنسان وآخر فساكن القرية والمدينة كل منهما يعرف ذلك كما يعرفه ساكن الكوخ فى الصحراء فهى حقيقة يخاطب بها كل إنسان .

أمـا الخطوة الثانية :

فهى شق الأرض بالنبات الطالع منها ، فكما يشاهد الإنسان المطر النازل من السماء على الأرض ، فكذلك يشاهد الأرض وهي تنشق عن النبات الصاعد منها فتأتى بخيراتها المختلفة الأنواع ، والألوان والطعوم ، من الحبوب والكروم والنخيل والفواكه الدالة على القدرة الإلهية التى جعلت من هذه التربة الواحدة والماء الواحد تلك الأنواع المتباينة فى الشكل والحجم واللون والطعم والخواص .

يوضح ذلك ويبينه ما فى النموذج التالى من الآيات :

ثانياً : وهو قوله تعالى : (**وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**) (الرعد / ٢ ، ٣) .

يخبر سبحانه وتعالى ، عن قدرته فى خلق الأرض وأنه هو الذى مدها وبسطها لعباده فجعلها متسعة ممتدة ، كما بين أن من دلائل وجوده ورحمته بعباده أن جعل فى الأرض رواسي ، جبالا ترسيها ، وتحفظها لئلا تميد بأهلها فلا تستقر حياتهم كما جعل فى هذه الأرض أنهاراً وجداول وعيونا جارية فى وديانها لتسقى الناس والحيوان والزروع وكل ما تنْبِتُ الأرض من الثمرات ، ومن آياته أن جعلَ فيها من كل الثمرات صنفين اثنين ، أى من كل

شكل صنفان كما يقول ابن كثير (١) أو (من كل زوجين اثنين) أى أن النبات يتألف من ذكر وانثى (٢) كما ينقل سيد قطب ونديم الجسر ، ثم يخبر تعالى بأن من آياته الدالة على قدرته تقلب الليل والنهار يغشى أحدهما الآخر ، إذ يغطي الليل النهار بظلمته ، ليستريح الناس ويهدؤوا ثم يخلفه النهار بنوره ليبتغى الناس من فضله **(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** (القصص / ٧٣) ٠ وقد ختم الآية بقوله **(إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** فى آلاء الله وحكمه ودلائله لأنه لا يدرك تلك الآيات إلا من أعمل فكره فيها ٠

أما الآية التالية فقد شملت أنواعا من الآيات الدالة على الوجود الإلهى وهى آيات تحرك الحس والشعور بما تضمنته من دلائل حسية وعقلية ووجدانية ، يقول تعالى : **(وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب)** ٠

فالأمر المحسوس المشهود للناس أن هذه الأرض التى يعيشون عليها فيها أماكن يتصل بعضها ببعض ، ومع هذا الاتصال فهي مختلفة الطبيعة فمنها السوداء الجيدة التربة ومنها السبخة ، ومنها الرملية ، ومنها الصخرية ، مع أن الاتصالات والتأثيرات الخارجية فى تلك القطع على السوية فدل هذا على أن اختلافها فى صفاتها بتقدير العليم القدير (٣) ٠

ولذلك توجد فى هذه القطع المتجاورات من الأرض بساتين وحدائق فيها العنب والزرع والنخيل الصنوان (٤) ـ المتماثل وغير المتماثل ـ وتلك الأصناف المختلفة تكون فى القطعة الواحدة من تلك الأرض وهي تسقى بماء واحد ، فالأم واحدة والغذاء واحد ، ومع ذلك يأتى الخلاف الكبير فى ثمارها ، فمنها الحلو ومنها المر ، كما أنها تأتى مختلفة الألوان والأحجام فمنها الأحمر ومنها الأصفر ، ومنها الأبيض ، ومنها الكبير ومنها الصغير ، فمن الذى أعطى كل

---

(١) ابن كثير : (التفسير جـ ٢ ص ٥٠٠) ٠

(٢) يقول سيد قطب : « قوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » يتضمن هذا المشهد من مشاهد الأرض حقيقة لم تعرف للبشرية من طريق علمهم وبحثهم إلا قريبا ٠ وهى أن كل الأحياء وأولها النبات تتألف من ذكر وأنثى حتى النباتات التى كان مظنونا أن ليس لها من جنسها ذكور ، تبين أنها تحمل فى ذاتها الزوج الآخر ، فتضم أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث مجتمعة فى زهرة أو متفرقة فى العود ٠ وهى حقيقة تتضامن مع المشهد فى إثارة الفكر إلى أسرار الخلق ٠ بعد تملى ظواهره ا هـ ٠ ظلال القرآن جـ ٥ ص ٧١ ـ ٧٢ ، قلت : ولعل الذى يعنيه من اكتشاف التذكير والتأنيث فى عموم النبات ، وإلا فالأصل معروف قديما كما فى قصة تأبير النخل ، وفى قصة الإيمان لنديم الجسر ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ينقل تقرير هنرى برغون ، نفى المصادفة فى ذلك التماثل والاطراد الشامل فى نظام الزوجية لجميع الأحياء من الحيوانات والنبات إذ كيف اتفق ان اخترع الحيوان الذكورة والأنوثة ووفق النبات الى الطريقة نفسها وبالمصادفة نفسها ٠

(٣) الفخر الرازى « التفسير الكبير جـ ١٩ ص ٧ » ٠

(٤) الصنوان : هى الأصول المجتمعة فى نبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار (تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٥٠٠ قال : وقال سفيان الثورى وشعبة عن أبى إسحاق عن البراء رضى الله عنه الصنوان : أى النخلات فى أصل واحد ، وغير الصنوان : المتفرقات ٠ قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد ، وهو قول الزمخشرى فى الكشاف جـ ٢ ص ٣٤٩ ، وفى المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى ٠

مخلوق فى هذه القطعة شكله ولونه وطعمه غير القدرة الإلهية التى منحت الحلو حلاوته وأعطت الحامض طعمه ، إذ لو كان الأمرُ أمْرَ طبيعة وأنه ينشأ عن طبيعة الأشياء لما وجد هذا الاختلاف الواسع ، إن فى ذلك آيات لمن كان واعيا ، بل إن هذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذى بقدرته وإرادته فاوت بين الأشياء ونوّع بينها ولذلك ختمت الآية بالإشارة الى أن تلك الأمور المختلفة الناتجة عن شيء واحد آيات لقوم يعقلون حجج الله وآياته فى مخلوقاته .

ثالثاً ـ النموذج الثالث :

يقول الله تعالى (**أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ، إنا لمغرمون ، بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ، فسبح باسم ربك العظيم**) (الواقعة / ٦٣ ـ ٧٤) .

فى الأنموذجين السابقين أوضحت الآيات قدرة الله وعظيم حكمته وواسع رحمته إذ جعل هذا الكون مهيئا لعباده سهلا لسيرهم فيه وتقلباتهم فى أرجائه فالأرض ممهدة مفروشة مثبتة بالرواسي ، قد فتح لهم فيها السبل وشق لهم فيها الأنهار والعيون وأجرى عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، فأنبت لهم فى هذه الأرض كل الثمرات ، وبين لهم فى ذلك عموم قدرته المبدعة التى تغاير بين الأشياء الناتجة عن المصدر الواحد والطبيعة الواحدة ، ودعاهم الى النظر والتفكر فى ذلك إذ أن تلك الآيات الغريبة العجيبة داعية لإعمال الفكر والعقل كما قال تعالى : (**إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**) فانه لا يستفيد منها إلا من أعمل فكره وعقله .

وهذا النموذج من الآيات هو أيضا يقرر الحقيقة السابقة ولكن بأسلوب وطريقة أخرى ، فإن القرآن الكريم وهو يدعو لإثبات قضية واحدة ، هى قضية العقيدة التى استغرقت من القرآن أكْثَره ، لم تأت دعوته مكررة ، وإنما قد غاير فى التعبير والأسلوب ، وكان ذلك من دلائل إعجازه .

وقد تضمنت هذه الآيات أمورا محسوسة مشاهدة ، بل هى ألصق الأشياء بحياة المخاطبين ، الزرع والماء ، والنار ، فأيّ إنسان فى أية بيئة لم تدخل هذه الأمور فى مشاهدته (أفرأيتم ما تحرثون) احتجاج بما يباشرونه بأنفسهم من حرث الأرض وإلقاء البذور التى

خلقها الله فيها ، إذ يوجه لهم هذا الخطاب بصورة الاستفهام التقريرى عن دورهم فى إثبات تلك البذور وحفظها إلى أن تؤتى ثمارها (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه (أم نحن الزارعون الذين فعلنا ذلك بقدرتنا وإرادتنا ، أما أنتم فلم يكن لكم من عمل فى ذلك إلا الحرث وهو شق الأرض وإلقاء البذور فيها ، فذلك هو دوركم فى هذا الزرع الذى فيه طعامكم والذى به قوام حياتكم ثم بعد ذلك تتركونه ليد القدرة المبدعة ، فهى التى تنشئه ، إذ تأخذ الحبة والبذرة طريقها فتسير سير الخبير العارف بمسالك الطريق ، إلى الهدف المرسوم الذى قدر لها خالقها (أم نحن الزارعون) إن ذلك من صنعنا وبإرادتنا إذ لو شئنا (لجعلناه حطاماً) قبل أن يؤتى ثماره ولو وقع ذلك لظلتم تفكهون فى المقالة أي تُلونون الحديث فتارة تقولون (انا لمغرمون) وتارة تقولون (بل نحن محرومون) (١) ٠

(أفرأيتم الماء الذى تشربون ٠ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) ٠

ذلك أن الماء أصل من أصول الحياة ويحتاج إليه كل حي كما قال تعالى : **(والله خلق كل دابة من ماء)** (النور / ٤٥) ٠ وقال تعالى : **(وجعلنا من الماء كل شيء حي)** (الأنبياء / ٣٠) ٠ من الذى أنشأ هذا الماء فكون عناصره ، من الذى أنزله من السحاب عذبا تشربونه وتسقون منه أنعامكم وزروعكم ؟ وقد خصه الله تعالى بوصف من أهم منافعه المتعلقة به وهو الشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) أم نحن الذين أنزلناه من تلك المزن وهو السحاب المسخر بين السماء والأرض بقدرتنا وجعلناه عذبا زلالا مستساغ الطعم بمشيئتنا فلو شئنا لجعلناه أجاجا ، مالحا لا يستساغ طعمه غير صالح لشرب ولا لإنبات زرع ، فهلا تشكرون الله الذى أنعم عليكم بإنزاله المطر عذبا زلالا ٠

يقول سيد قطب « والمخاطبون ابتداء بهذا القرآن كان الماء النازل من السحاب فى صورته المباشرة مادة حياتهم وموضع احتفالاتهم ... ولم تنقص قيمة الماء بتقدم الإنسان الحضارى ، بل لعلها تضاعفت ٠

والذين يشتغلون بالعلم ويحاولون تفسير نشأة الماء الأولى أشد شعورا بقيمة هذا الحدث من سواهم ، فهو مادة اهتمام للبدائى فى الصحراء وللعالم المشتغل بالإبحاث سواء (٢) ٠

والنار أمس الأشياء بحياة الإنسان اليومية ، فلا تقوم أمور الناس إلا بها وهى التى يوريها الإنسان ويقدحها فيستخرجها من أصلها ، أهو الذى أنشأ شجرتها المودعة فيها ؟

أفرأيتم النار التى تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها ، أم نحن الذين أنشأناها لطفا بكم إذ

---

(١) ابن كثير (التفسير جـ ٤ ص ٢٩٦) ٠

(٢) سيد قطب (فى ظلال القرآن) جـ ٧ ص ١٤٢ ٠

لا تقوم حياتكم إلا بها ، كما جعلناها تذكرة لكم بنار الآخرة ، ليحاسب كل إنسان نفسه ، إذ لا طاقة له بهذه النار التى هى جزء من سبعين جزءا من نار جهنم كما جاء ذلك عن المصطفى (١) صلى الله عليه وسلم ، وكما جعلنا النار تذكرة لكم بنار الآخرة ، جعلناها أيضا متاعا للمقوين ـ أى ـ المسافرين لأنهم فى أمس الحاجة إليها من المقيمين .

وبعد هذا العرض لهذه الدلائل الإيمانية الدالة على وجود الخالق جل وعلا الميسر فهمها وإدراكها للمخاطبين بها فى كل بيئة وعلى أى مستوى ، إذ أنه خطاب للفطرة البشرية ، مِمَّنْ يعلم خصائصها يلتفت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القدوة لأمته فيأمره بتسبيح ربه العظيم الذي أنشأ الوجود كله بقدرته وحفظه بمشيئته (فسبح باسم ربك العظيم) .

(٣) خـــلق الإنســـان :

(وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون) (الذاريات ٢٠ ، ٢١) .

وكما بين القرآن للإنسان دوره فى إنبات الزرع الذى به قوام حياته وأنه لا يتجاوز إلقاء البذر فى الأرض ، ثم يتخلى عنه ، ليتولى إنْباته وحفظه العليم القدير ، كما قال تعالى : **(أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)** (الواقعة ٦٣ ، ٦٤) .

كذلك بين له دوره فى سبب وجود الجنين ، وأنه لا يتجاوز أن يودع الرجل ما يمنى رحم امرأة ثم ينقطع عملهما ، ثم تتولى بعد ذلك القدرة المبدعة العمل وحدها ، فى تخليق هذا الماء المهين الذى لو ترك لحظة لتقلبات الجو لفسد وأنتن ، يقول تعالى : **(نحن خلقناكم فلولا تصدقون . أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون)** (الواقعة ٥٨ ، ٥٩) .

فهذه حقيقة يعلمها المخاطب من نفسه ، ومن مشاهداته لأبناء جنسه فلا يستطيع ردها ، وخَلْقُ الإنسان من أعظم الآيات الدالة على وجود البارى سبحانه وتعالى وعلى عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ورحمته وإحسانه ، ولما كان خلق الإنسان من أوضح الآيات والأدلة على وجود الخالق القادر ، وكان خلقه وإيجاده من أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، فقد دعا الله تعالى عبَادَهُ إلى التفكر والنظر بعين البصيرة فى مبدأ خلقهم ، فى أطوار هذا الخلق ومراحله التى مروا بها إلى أن أصبحوا بشرا ينتشرون ، يقول تعالى ذكره : **(فلينظر**

---

(١) عن أبى هريرة ، رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ناركم هذه التى يوقد ابن آدم ، جزء من سبعين جزءا من نار جهنم) قالوا ، والله إن كانت لكافية يا رسول الله ، قال : (فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها) . رواه مسلم . باب فى شدة حر جهنم جـ ٤ ص ٢١٨٤ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقى .

الإنسان مم خلق) (الطارق / ٥) · ويقول تعالى : **(يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)** (الحج / ٥) ·

ويقول تعالى : **(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)** (المؤمنون / ١٢ ـ ١٤) ·

إن المتأمل فى هذه الآيات التى جاء فيها تكرار لفظ النطفة التى تَكَوَّنَ منها هذا الإنسان ونشأ عنها ، يتبين له أن قصد الشارع جل وعلا من هذا التعبير هو لفت نظر المخاطب إلى القدرة المبدعة ، قدرة الله تعالى التى جعلت من هذه النطفة ، أو جُزَيْءٍ منها بشرا سويا ، مخالفا ومباينا كل المباينة لتلك النطفة المهينة ، ولولا هذا البيان الرائع الذي ساقه الله فى القرآن الكريم ، موضحا هذه النشأة لما صدق إنسان أن وجوده بهذه الهيئة ، وهذا الشكل والقدّ ، مُزَوَّداً بالسمع والبصر ، والعقل والأعضاء والجوارح التى تتفق مع مصالحه ، من الحركة والقيام ، والمشى والقعود ، وغير ذلك فإن كل ذلك وجد من هذه النطفة ، كما أنه كان من المستبعد أن يتصور إنسان أن هذه النخلة قد وجدت من هذه النواة لولا وجودها المشاهد فعلا ·

ونعود إلى الآية الكريمة التى شرحت أطوار هذه النطفة ، إلى أن صارت بشراً ناطقاً ، لنرى فيها صنعة الخالق العليم القادر الحكيم ، الذي أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ·

يقول تعالى : **(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين · ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر تبارك الله أحسن الخالقين)** (المؤمنون / ١٢ ـ ١٤) ·

فقد أشارت الآية إلى أصل الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام ، إذ كان خلقه من طين ، كما تحدث عن ذلك الكتاب العزيز ، أما نسله فقد جعله البارى جل وعلا من تلك النطفة التى خلقها ، وهيأ لها الأسباب الموصلة لها إلى مستقرها ، ذلك القرار المكين ·

يقول ابن القيم : (فانظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة ، وهى قطرة من ماء مهين ، ضعيف لو مرت بها ساعة ـ أي لحظة ـ من الزمان فسدت وأنتنت ، كيف استخرجها رب الارباب العليم القدير من بين الصلب والترائب ، منقادة لقدرته مطيعة لمشيئته مذلّلة الانقياد

على ضيق طرقها ، واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها ...

وكيف قدر اجتماع ذينك المائين مع بعد كل منهما عن صاحبه ، وساقهما من أعماق العروق والأعضاء ، وجمعهما فى موضع واحد جعل لهما قراراً مكينا ، لا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده ، ولا عارض يصل إليه ، ولا آفة تتسلط عليه ، ثم قلّب تلك النطفة البيضاء إلى علقة حمراء مباينة للنطفة ، ثم جعلها مضغة لحم ، مباينة للعلقة فى شكلها ولونها وحقيقتها ، ثم تحويل تلك المضغة عظاما مجردة لا كسوة عليها مباينة للمضغة كل المباينة فى الشكل والهيئة ، والقدر والملمس ، ثم كيف قسمت تلك النطفة الحمراء الى تلك الأجزاء المتشابهة ، وبالمقدار المناسب لكل عضو ، ثم اتجاه كل جزء أو خلية إلى مكانها المناسب فى وقتها وأوانها وعلى حسب الحاجة إليها ، فمنها ما يتجه لإنشاء العظام كل فى محله ، وعلى قدره الذى قدر أن يكون عليه ، فمنها الصغير ، والكبير ، والطويل ، والقصير ، والمنحني ، والمستدير ، والعريض ، والمصمت والمجوف ، فهي مختلفة الأشكال والأحجام ، وذلك حسب اختلاف المنافع المنوطة بها ، ثم شد تلك العظام وربط بعضها ببعض برباط قوي محكم بحيث لا يسقط عضو من آخر) (١) (**نحن خلقناهم وشددنا أسرهم**) الإنسان / ٢٨) .

ومنها ما يتجه لتكوين الأسنان ، فلا يتجه إلا القدر المناسب لتكوين سن أو ضرس ، لأن شكل الأسنان غير شكل الأضراس ، نظراً لاختلاف منافعها ، من طحن ، وقطع ، وزينة ، ومنها ما يتجه إلى عمل العين ، فلا يتجه إلا القدر الكافى لإنشائها ، ثم إلى المكان المعد لتركيبها ، ووجودها فلم تتجه خلية العين ، إلى الظهر ، أو البطن ، أو القدم ، وهكذا كل جزء أو خلية من تلك النطفة يتجه إلى إنشاء العضو الذي قدر له تكوينه ، من أذن ، أو لسان ، أو حاسة شم ، أو غير ذلك من أعضاء الجسم ، وأعقد ذلك وأصعبه فى نظر الإنسان التخصصات المتصلة بالجهاز الداخلى ، كالقلب ، والمعدة ، والكبد ، والطحال ، والرئة ، والمثانة ، والأمعاء ... والمدهش حقاً اتجاه المقدار المناسب للعضو المراد تكوينه ، فلا زيادة ولا نقصان ، ثم اتجاه ذلك الجزء أو الخلية إلى المكان الذى قدر أن يكون فيه ذلك العضو ، فلا يخطئه ولا يتعداه ، والسؤال هو : من الذى هدى هذه النطفة إلى القيام بهذه الأعمال التى تعجز المتخصصين فى علم الحياة ؟؟

هل لديها القدرة الكافية على تخليق هذا الإنسان ؟ وإذا كان كذلك ، فكيف بعد أن تكون إنسانا سميعا بصيراً عاقلاً ، يعجز هذا الإنسان عن خلق بعوضة أو ذبابة ؟؟

وصدق الله العظيم اذ يقول : (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين**) (لقمان / ١١) .

---

(١) ابن القيم (مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ١٨٧ ـ ١٨٩) بتصرف .

فى ظلمات ثلاث : والأعجب من ذلك أن هذا الخلق المعقد ، والتركيب المشتبكة فيه الأعضاء بعضها ببعض يتم فى ظلمات ثلاث كما تحدث عنه القرآن الكريم ، وبين أن القادر على ذلك هو الرب الذى ينبغى أن يعبد وحده ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه إذ الإنسان لا يملك من أمر هذا الوجود شيئا .

يقول تعالى : (**خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ، ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون**) (الزمر / ٦) .

فقد بين سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة ، قدرته المطلقة ، على خلق هذا العالم كله من نفس واحدة ، وهي نفس آدم عليه السلام ، ثم خلق منها زوجها وهى حواء ، واستمرار الخلق المتواصل بعد ذلك كان من ذكر وأنثى إلا عيسى عليه السلام ، فقد كان من أم بلا أب ، فالآية تشير إلى القدرة التى إذا أرادت الشىء قالت له كن فيكون بسبب وبغير سبب ، فالله خالق الأسباب ، ومسبباتها ، ولذا فإن الآيات السابقة من سورة الواقعة بينت دور البشر فى ذلك الخلق ، وأنه لا يتجاوز ذلك الالتقاء بين الرجل والمرأة ، فيختلط الماءان أمشاجا ، ثم يتركانه فى تلك اللحظة ، للقدرة التى تخط الخطة لتكوين الجنين من تلك النطفة فى الظلمات الثلاث ، التى هى ظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، وظلمة البطن ، وفى تلك الظلمات الثلاث يتم ذلك الخلق العجيب ، كما قال تعالى : (**هو الذي يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم**) (آل عمران / ٦) .

والخلق بعد الخلق الذي تشير إليه الآية الكريمة ، هو خلقه نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاما ... كما بينته الآيتان من سورة الحج والمؤمنون ، ثم إنشاؤه بعد تلك الأطوار خلقا آخر مباينا للخلق الأول ، مباينة تامة فما أبعد النقلة الهائلة بين النطفة والإنسان الذي صوره ربه فأبدعه وجعله فى أحسن تقويم .

يقول مؤلف كتاب (إيثار الحق على الخلق) : وقد جمع الله تعالى ذكره دلالتي الأنفس والآفاق فى قوله تعالى : (**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) (فصلت / ٥٣) . وذلك أنا نعلم بالضرورة وجودنا أحياء قادرين ، عالمين ، ناطقين ، سامعين ، مبصرين ، مدركين ، بعد أن لم نكن شيئا ، وأن أول وجودنا كان نطفة مهينة مستوية الأجزاء والطبيعة ، غاية الاستواء ، بحيث يمتنع فى عقل كل عاقل أن يكون منها **بغير صانع حكيم ، ما يختلف أجناسا ، وأنواعا ، وأشخاصا ، أما الأجناس** فكما نبه عليه قوله تعالى (**والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه**

ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع) (النور / ٤٥) .

وأما الأنواع : فنبه عليها بقوله **(ألم يك نطفة من مني يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى)** (القيامة / ٣٧ - ٣٩) .

وأما الأشخاص : فبقوله تعالى : **(قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره)** (عبس / ١٧ - ٢٠) .

وبيانه أنه خلق من نطفة مستوية الطبيعة ، فكيف يكون منها ما يبصر ، ومنها ما يسمع ، ومنها ما يطعم ومنها ما يشم ، ومنها الصلب ومنها الرخو .

ونعلم أنها قد تغيرت بنا الأحوال ، وتنقلت بنا الأطوار ، تنقلا عجيبا ، فكنا نطفا ، ثم علقا ، ثم مضغا ، ثم لحْماً ودماً ، ثم عظاما صلبة ، متفرقة فى ذلك اللحم والدم تُقَوّيْهما ، وعصبا رابطة بين تلك العظام صالحة لذلك الربط ، مما فيها من القوة والمتانة ، ثم تركب من ذلك آلات وحواس حية موافقة للمصالح ، مع ضيق ذلك المكان وشدة ظلمته ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : **(يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون)** (الزمر / ٦) (١) .

وبعد فهذا هو حديث القرآن عن خلق الإنسان من تلك النطفة ، فى تلك الظلمات الثلاث ، فماذا يقول العلم عن ذلك ؟

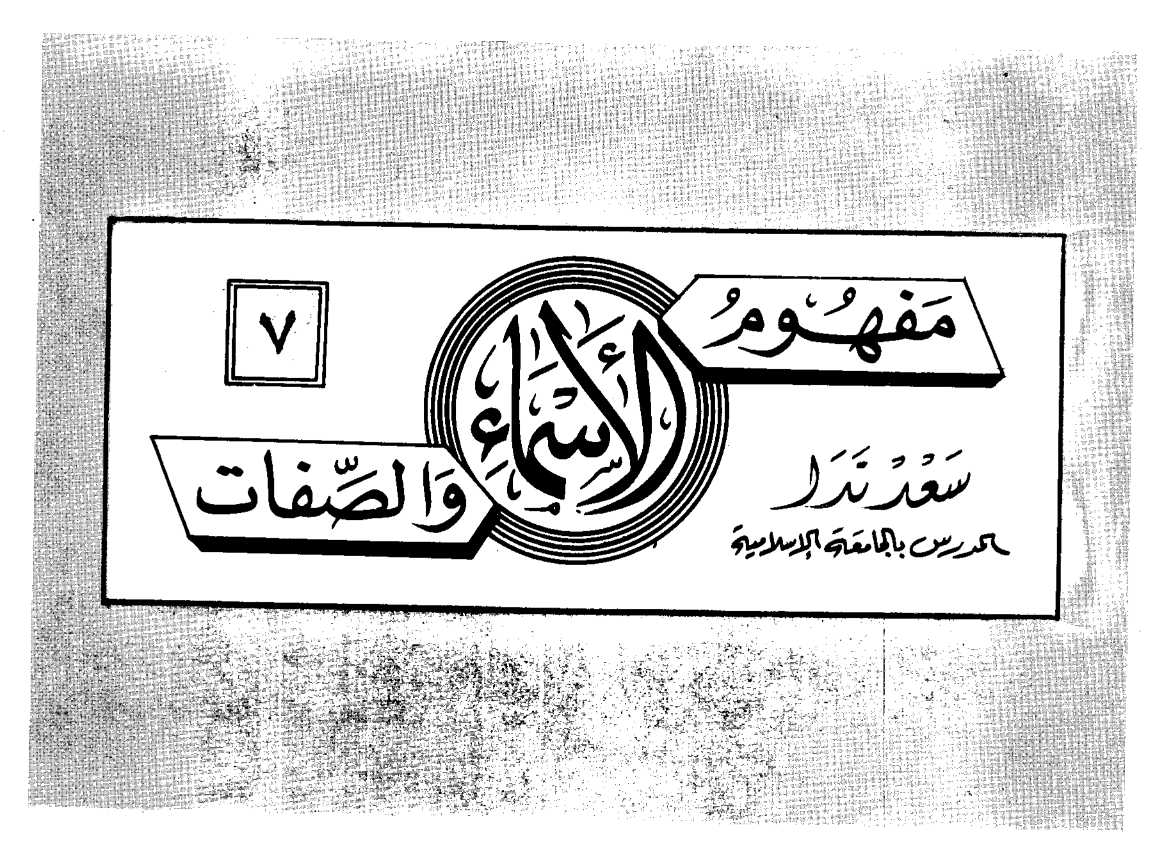
الحقيقة إننا فى هذا البحث لا نريد إيراد نظريات نفسر بها القرآن الكريم ، ذلك لأن النظريات ، أمور بنيت على التقدير والتخمين ، فلم يكن لها أصل ثابت تعتمد عليه ، ولذا فهى تنقض اليوم ما قررته بالأمس وقد تنقض غدا ما قررته اليوم ، والقرآن كلام الله الحق الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى هو حق بإنزال الله إياه ، كما قال تعالى : **(وبالحق أنزلناه وبالحق نزل)** (الإسراء / ١٠٥) .

ولذا فإننا سنقتصر على ما ورد ذكره فى كتاب الله تعالى ففيه الكفاية ، لهداية البشرية .

وكل قول يقال ، ويحمل به كتاب الله ، فالخطأ الناتج عن ذلك ، هو من عقم فهم ذلك القائل وتفسيره ، أما القرآن فحق ثابت ، وسيتسع لكل حقيقة علمية ثابتة لا تتغير ، إذ أنه الكتاب الذى لا تُبلى جدته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) ابن الوزير ، إيثار الحق على الخلق جـ ١ ص ٤٤ ، ٤٥ ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر القاهرة سنة ١٣١٨ هـ .



فى الحلقات الست الماضية يسرَّ الله تعالى لى الكتابة فى بعض ما وفقنى إليه من معانى مجموعة من الأسماء الحسنى بلغتْ إحدى وأربعين اسما . وفى هذه الحلقة أبدأ فى بيان ما أرجو الله سبحانه أن يلهمنى فيه رشدى من توضيح مفهوم اسم (الحميد) جل ذكره .

الحميـــــــد :

هو اسم من أسماء الله تعالى على وزن (فعيل) وهو صيغة مبالغة تدل على المبالغة فى الحمد والكثرة فيه .

و (**الحميد**) بمعنى (**المحمود**) . فهو سبحانه المستحق للحمد بكل أنواعه ، لا مستحق له سواه .

والحمد : هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى على وجه التعظيم والتبجيل ، وهو يقترن بتعظيم المنعم لإنعامه على الحامد وعلى غيره - والألف واللام للاستغراق ، ومعناه أن جميع أنواع المحامد لله تعالى . ومن أسمائه تعالى (**الحميد**) أى المحمود .

ومن قول الإمام ابن القيم فى نونيته :

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضا مدى الأزمان
ملأ الوجود جميعه ونظيره من غير ما عد ولا حسبان
هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذى الإحسان

وإثبات الحمد الكامل له يقتضى ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، إذ من عُدم صفات الكمال فليس بمحمود على الإطلاق ·

وغايته أنه محمود من كل وجه ، ولا يكون محموداً من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد إلا من استولى على صفات الكمال جميعها ، فلو عدم منها صفة واحدة لنقص من حمده بحسبه ·

والحمد نوعان : حمد على إحسانه إلى عباده ، وهو من الشكر ، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله · وهو لا يكون إلا على ما هو فى نفسه مستحق للحمد ، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال · وهى أمور وجودية ، فإن الأمور العدمية المحضة لا مدح فيها ولا خير ولا كمال · ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صفات الكمال ، فكل ما يحَمد به الخلقُ فهو من الخالق ، والذى منه ما يُحمد عليه هو أحق بالحمد · فثبت أنه المستحق للمحامد الكاملة ، وهو أحق من كل محمود ·

وأهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصين له الدين ، ما فى قلوبهم من محبة الله لا يماثلها فيها غيرها ، ولهذا فإن الرب محمودٌ أولاً حمداً مطلقاً على كل أفعاله ، وحمده تعالى على أفعاله أشير إليه فى مثل قوله تعالى : « **الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور** » (الأنعام آية ١) ، وقوله : « **الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع** » (فاطر آية ١) ، وهو سبحانه محمودٌ ثانيا على إحسانه إلى الحامد ، وهذا حمد الشكر ، وقد أشير إليه في مثل قوله تعالى : « **الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** » (الأعراف آية ٤٣) ، وقوله : « **الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين** » (المؤمنون آية ٢٨) ·

والحمد ضد الذم ، والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته ، ولا يكون حمد المحمود إلا مع محبته ، ولا ذم المذموم إلا مع بغضه · والله سبحانه له الحمد فى الأولى والآخرة · ولا تكون عبادة إلا إذا اقترنت بحب المعبود ، ولا يكون حمد إلا إذا اقترن بحب المحمود · والله عز وجل هو المعبود ، وهو المحمود ـ ولهذا كانت الخطب فى الجمع والأعياد

وغير ذلك مشتملة على هذين الأصلين ؛ تحميده ، وتوحيده ، وكان أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله (١) ٠

وقد ورد اسم (**الحميد**) سبحانه فى القرآن الكريم سبع عشر مرة ؛

منها عشر مرات اقترن فيها باسم (**الغنيّ**) سبحانه (٢) ٠

وذلك فى مثل قوله تعالى ؛ « **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنىّ حميد** » (البقرة آية ٢٦٧) ٠

ومعنى الآية على ما ذكره الحافظ ابن كثير عن ابن عباس ؛ أن الله أمر المؤمنين بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ونهاهم أن يقصدوا الإنفاق من الخبيث الذى لو أعطوه ما أخذوه إلا أن يتغاضوا فيه ، فالله غنى عن إنفاقهم ، وغنى عن جميع خلقه ، واسع العطاء ، وهو الحميد أى المحمود فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، لا إله إلا هو ولا رب سواه (٣) ٠

والمعنى على ما ذكره الإمام الشوكانى ؛ أن الله أمر المؤمنين أن ينفقوا من جيد كسبهم ومختاره ، وهو الحلال ، وكذلك من طيبات ما أخرج سبحانه لهم من الأرض من نباتات ومعادن وركاز ، ولا يقصدوا المال الردىء الخبيث لينفقوا منه ، فهم أنفسهم يرفضون قبوله فى تعاملهم ، إلا تساهلا ورضى ببعض الحق (٤) ، فالله غنى عن جميع المخلوقين ، وهو الغنى عن نفقات المنفقين وعن طاعات الطائعين ، وإنما أمرهم بها وحثهم عليها لنفعهم ومحض فضله وكرمه عليهم ، ومع كمال غناه وسعة عطاياه ، فهو (**الحميد**) فيما يشرعه لعباده من الأحكام الموصلة لهم إلى دار السلام ، **والحميد** فى أفعاله التى لا تخرج عن الفضل والعدل والحكمة ، **والحميد** فى صفاته لأن صفاته كلها محاسن وكمالات لا يبلغ العباد كنهها ولا يدركون وصفها (٥) ٠ والمعنى على قول صاحب صفوة التفاسير أن الله سبحانه غنى عن نفقاتهم حميد يجازى المحسن أفضل الجزاء (٦) ٠

---

(١) الكواشف الجلية ؛ ص ١١ ، ١٢ ببعض تصرف ٠

(٢) المعجم المفهرس ٠

(٣) تفسير القرآن العظيم الجزء الأول ص ٣٢٠ ، ٣٢١ ٠

(٤) فتح القدير الجزء الأول ص ٢٨٩ ٠

(٥) تيسير الكريم الرحمن الجزء الأول ص ١٥٩ ٠

(٦) صفوة التفاسير الجزء الأول ص ١٧٠ ٠

واقترن اسم (**الحميد**) باسم (**الغنى**) سبحانه كذلك فى مثل قوله تعالى : « **ولله ما فى السماوات وما فى الأرض ، ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ، وإن تكفروا فإن لله ما فى السماوات وما فى الأرض ، وكان الله غنياً حميداً** » (النساء آية ١٣١) .

ومعنى هذه الآية : على ما ذكره الحافظ ابن كثير أن الله تعالى مالك السماوات والأرض ، وأنه الحاكم فيهما ، وأنه وصى المؤمنين ، بما وصى به الذين أتوا الكتاب من قبلهم من تقوى الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك له ، وأنهم لو كفروا فإنه سبحانه غنى عن عباده ، حميد أى محمود فى جميع ما يقدره ويشرعه (١) .

والمعنى عند الإمام الشوكانى تقرير كمال سعته سبحانه وشمول قدرته ، وقد أمر الذين أوتوا الكتاب والمؤمنين فيما أنزل عليهم من الكتب بأن يتقوا الله ، فإنهم إن يكفروا فإن الله غنى عنهم إن يشأ يذهبهم ويأت بقوم آخرين لا يكونون أمثالهم ، والله سبحانه غنى عن خلقه ، حميد أى مستحمد إليهم (٢) .

وقد ساق الشيخ السعدى (رحمه الله) للآية معانى نفيسة ، فذكر أن الله تعالى يخبر عن عموم ملكه العظيم الواسع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير ، وتصرفه بأنواع التصريف قدرا وشرعا . فتصرفه الشرعى أن وصى الأولين والآخرين أهل الكتب السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهى ، وتشريع الأحكام والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب .

ولهذا قال (وإن تكفروا) بأن تتركوا تقوى الله وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم ، ولا تضرون الله شيئا ، ولا تنقصون ملكه ، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر ، مطيعون له ، خاضعون لأمره ، ولهذا رتب على ذلك قوله **(وإن تكفروا فإن لله ما فى السماوات وما فى الأرض ، وكان الله غنيا حميدا)** له الجود الكامل ، والإحسان الشامل ، الصادر من خزائن رحمته التى لا ينقصها الإنفاق ، ولا يغيضها نفقة ، سَحَّاء الليل والنهار ، لو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض أولهم وآخرهم فسأل كل واحد منهم ما بلغت أمانيه ، ما نقص من ملكه شيئا ، ذلك بأنه جواد واجد ماجد ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم الجزء الأول ص ٥٦٤ .

(٢) فتح القدير الجزء الأول ص ٥٢٣ .

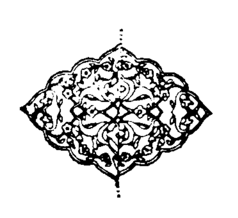
عطاؤه كلام ، وعذا به كلام ، إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون · ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف ، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك الكمال ، بل له كل صفة كمال ، ومن تلك الصفة كمالها · ومن تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة ، ولا ولدا ، ولا شريكا فى ملكه ، ولا ظهيرا ، ولا معاونا له على شيء من تدابير ملكه · ومن كمال غناه افتقار العالم العلوى والسفلى فى جميع أحوالهم وشئونهم إليه ، وسؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة ، فقام تعالى بتلك المطالب والأسئلة ، وأغناهم ، وأقناهم ، ومَنَّ عليهم بلطفه وهداهم ·

وأما (**الحميد**) فهو من أسماء الله تعالى الجليلة ، الدال على أنه المستحق لكل حمد ، ومحبة ، وثناء ، وإكرام ، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد التى هى صفة الجمال والجلال ، ولما أنعم به على خلقه من النعم الجزال ، فهو المحمود على كل حال ·

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين (**الغنى الحميد**) ، فإنه غنى محمود ، فله كمالٌ من غناه ، وله كمال من حمده ، وله كمال من اقتران أحدهما بالآخر (١) ·

وذكر صاحب صفوة التفاسير أن المعنى هو أن (لله ما فى السماوات وما فى الأرض) أى ملكاً وخلقاً وعبيداً ، وأنه سبحانه وصى الأولين والآخرين وأمرهم أجمعين بامتثال الأمر والطاعة ، ووصاهم جميعا بتقوى الله وطاعته ، وإن يكفروا فلا يضره تعالى كفرهم ، لأنه مستغنٍ عن العباد ، وهو المالك لما فى السماوات والأرض ، فهو غنى عن خلقه ، محمود فى ذاته ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين (٢) ·

فالحمد لله أولاً وآخراً ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ·



---

(١) تيسير الكريم الرحمن ـ الجزء الثانى ص ٨٩ ·

(٢) صفوة التفاسير المجلد الأول ص ٣٠٩ ·

الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِي وَمَوْقِفُهُ مِنَ الفِرَقِ الإِسْلَامِيَّةِ

للدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي
أستاذ بكلية اللغة العربية بالجامعة

مقدمـــــــة

إن من يبحث في حياة أبي القاسم ، الحسين بن مفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (١) ، وفي جهوده المختلفة في اللغة والأدب وفي موقفه من الفرق وعلماء الكلام يجد عنتاً شديداً . فبينا هو يرى أن معجمه في مفردات ألفاظ القرآن لم يستغن عنه مفسر أو معجمى جاء بعده ، ويلحظ أن كتابه في « محاضرات الأدباء » لا يجهله أديب ، وبينا هو يطالع قول بعضهم من أن أبا حامد الغزالى (٥٠٥ هـ) كان يعجب بكتابه « الذريعة الى مكارم الشريعة » ويستحسنه لنفاسته ؛ (٢) إذا هو لا يكاد يجد له ترجمة في كتب الطبقات والتراجم (٣) !!!

وربما نتج عن هذا أن الرجل لم ينل حظه من الدراسة والكشف في الأبحاث المعاصرة ، فلم تقرر له دراسة مستقلة بل لم تعن به الدراسات التى تناولت آداب العصر العباسي وأدباءه (٤) .

---

(١) راجع بروكلمان ٢٦٩/٨ والاعلام ٢٧٩/٢ ومعجم المؤلفين ٥٩/٤ .   (٢) بغية الوعاة ٣٩٦ وكشف الظنون ٥٣٠/٨ .
(٣) فلم يترجم له معجم الادباء ووفيات الاعيان وسير أعلام النبلاء وتاريخ بغداد مثلاً .
(٤) مثل أبحاث أحمد أمين وزكى مبارك وآدم ميتز وكتب تاريخ الأدب العربى .

أما المشكلة الثانية التى تجابه المتصدى للكشف عن آثار هذا الرجل وأثره فهى تحديد عصره وذكر تاريخ وفاته وشيء عن نشأته · فكل ما قيل عنه لا يعدو ذكر ميلاده في أصفهان واختلافه إلى بغداد ، وأنه امام في اللغة والأدب والتفسير وأنه مات عام ٥٠٢ هـ ·

وقد رجح لى أنه قد توفى قبل هذا التاريخ بقرن كامل من الزمان !!! وهو فرق ليس باليسير في معرفة رجال التراث ·

وقد وقفت على جهود ومخطوطات للراغب في اللغة والأدب والتفسير والتربية والسلوك والموقف من الفرق الإسلامية وعلماء الكلام تستحق أن أفرد لكل منها بحثاً مستقلاً · وها أنا أحاول هنا أن أرصد جهوده في الفرق والله الموفق ·

موقفه من الفرق الإسلامية

إن انتماء الراغب الاصفهانى إلى إحدى الفرق الإسلامية لم يكن واضحاً ، لذا نحاول أن نوضح هذا الانتماء عن طريق محاولة بسط موقفه من كل هذه الفرق · ولعل مما يسهل الوصول إلى هذا الهدف وصف آثار الراغب ذات العلاقة بالعقيدة والفرق الفكرية والسياسية ·

آثاره

لقد اطلعت على ثلاث مخطوطات له في هذا الصدد ، هى رسالة في الواحد الأحد (١) ورسالة في تحقيق البيان (٢) ورسالة في الاعتقاد (٣) · وقد يجد الباحث أنه كان ينفذ بين الحين والحين أحياناً لموضوع العقيدة والفرق في كتابيه المنشورين والمشهورين في موضوع الأخلاق والسلوك ـ وأعنى الذريعة الى مكارم الشريعة ، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ·

ففى **الرسالة الأولى** ، وتقع في ست ورقات ، أراد الراغب أن يميز بين معنى كل من لفظتى واحد وأحد ، لما كان يدور على ألسنة الناس من جدل وكلام في موضوع التوحيد · وكان يحجم في بعض الأحيان عن إتمام ما يخطر بباله لئلا يظل غامضاً فيصبح سبب فتنة بين العوام ، ولعل الراغب في هذه الرسالة يثبت قدماً راسخة في اللغة وفي الدين ·

---

(١) رقم ٣٦٥٤ بمكتبة اسعد افندى بالسليمانية / استانبول ·

(٢) رقم ٥٦٧٩ بمكتبة العتبات المقدسة الرضوية ، بمشهد (كتاب خانة استانه قدسى رضوى) ·

(٣) رقم ٢/٣٨٢ مكتبة سعيد على باشا / بالسليمانية / استانبول ·

وأما رسالة « **تحقيق البيان في تأويل القرآن** » فقد ذكرها الراغب في مقدمة أحد كتبه ، وذكر بروكلمان (١) أنها موجودة في إحدى مكتبات مشهد بايران · فطلبتها من هناك فأرسلها لى صديق · وهى تقع في ١٦٩ ورقة وقد فقد منها سبع عشرة ورقة من بدايتها ، فلم نجد المقدمة ولم نجد الفصول الثلاثة الأولى وجزءاً من الرابع الذى يبدو أنه قصره على الحديث عن الملائكة وفيه معها أحاديث عن الجن والشياطين والعفاريت والمردة وعن السحر ، وقد قصر الفصل الخامس على كتاب الله الكريم وعلى علومه وعلى ما نشأ حوله من كلام الفرق وبسط في قول المعتزلة في مخلوقيته وبين أنه لا يراها مناسبة · أما الفصل السادس فقد أداره حول موضوع القدر والقضاء وحكمة الله منهما وما نشأ فيهما لدى الفرق من أقاويل · وفي الفصل الأخير تناول موضوعات في الايمان والإسلام والوعد والوعيد · وإنه ليبدو أن الرسالة تهدف إلى التعرض لموضوعات الإيمان في العقيدة الإسلامية وإثباتها من وجوه العقل والنقل واللغة · وكثيراً ما كان يرد فيها على الفرق ويأتى بآراء أهل السنة والجماعة ·

أما **الرسالة الثالثة** فقد عقد لها عنوان **رسالة في الاعتقاد** ، وهى تقع في ٣٥ ورقة ، ذكر في مقدمتها أنه قد صنفها للتفصيل في الاعتقادات التى تحكم للمرء بالإيمان أو بالكفر ، وقد تعرض للكفر والإيمان قبل الإسلام بذكر الديانات السماوية وذكر غيرها من الديانات التى أتى بها بشر وابتعدوا عن التوحيد ، ثم تعرض بتفصيل أكثر لجميع الفرق الإسلامية ، من داخل الشرع ، وبيَّن أخطاء كل فرقة من هذه الفرق ، بأدلة مستنبطة من كتاب الله ، ثم انتصر بوضوح لآراء أهل السنة والجماعة ·

نحاول بعد هذا الوصف الموجز لآثار الراغب في العقيدة أن نقف على موقفه من الفرق وعلماء الكلام · فقد ذكر البيهقى ، الذى كان أول من ذكره ، « أنه من حكماء الإسلام (٢) » أى أنه من رجال الفكر الإسلامى الذين رسخت لديهم أصول هذا الفكر الدينى ، وأضاف البيهقى « وكان حظه من المعقولات أكثر (٣) » أى أن الرجل كان يصغى لصوت العقل في تثبيت أركان الإيمان إضافة إلى ما يستخدم من أدلة نقلية فيه ، وفيها إشارة إلى غلبة الجانب العقلى في الدراسات الدينية ·

ثم إننا نجد النص التالى لدى جلال الدين السيوطى « وقد كان في ظنى أن الراغب معتزلى حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي (٧٩٤) ····· ذكر الامام فخر الدين

---

(١) المجلد الثالث ، في تاريخ الأدب العربى ، المبسط ، ص٥٥ ·

(٢) ، (٣) تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق محمد كرد على ، دمشق ١٩٤٦ ص١١٢ ، ١١٣ ·

الرازى (٦٠٦) .... أن أبا القاسم من أئمة السنـة .... » وهو قول لا نستطيع إلا أن نحترمه ، ثم يضيف السيوطى : « وهى فائدة حسنة ، فأن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلى (١) · أفهل يكون هذا التعليق رداً على ما ورد في حديث البيهقى من تغليب الجانب العقلى لدى الراغب ؟ ربما كان كذلك ولكنه لا يكفى في إصدار حكم ·

وترد اشارة ثالثة في هذا الصدد ، فيقول الخوانسارى في « روضات الجنات » ، وهو من مصنفي الشيعة « إن الراغب كان من الشافعية » وهذا حكم واضح أما سببه فـ « كما استفيد لنا من فقه محاضراته » (٢) ويعنى مناقشة الأمور الفقهية في كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء المعروف للراغب · غير أن هذا المصنف لا يلبث أن يورد حكماً آخر غير مطمئن إليه فيقول عن الراغب « وفي بعض الكتب أنه اختلف في تشيعه » ولعل هذا المصنف قد كان يتوخى الموضوعية فلم يفد من هذا الاختلاف فيحاول أن ينسب للراغب اتجاه التشيع ·

ومع ذلك كله فإن هذه الأقوال تظل بحاجة إلى براهين أقوى لتوضيح هوية الراغب الفكرية بين الفرق · وهذه قد لا تتأتى إلا من آثار الراغب نفسه ·

الفرق غير الناجية

إن الأمر سيطول لو أشرنا إلى كل رأي رآه الراغب في أشهر الفرق التى عاصرها من مرجئة وقدرية ومعتزلة وخوارج وشيعة ، فكثيراً ما كان يعلق على مفردات آرائهم ومواقفهم بآراء ومواقف تلتقى ، إذا ما قورنت ، بآراء أهل السنة والجماعة (٣) ولكننا نكتفى ، لضيق المجال ، بنصوص محددة يرد فيها على هذه الفرق بوضوح لا يدع مجالاً للنقاش · إنه يقول : « الفرق المبتدعة الذين هم كالأصول للفرق الاثنتين والسبعين سبعة (٤) المشبهة ونفاة الصفات والقدرية والمرجئة والخوارج والمخلوقية والمتشيعة .... » ولا يخفى ما في كلمة « المبتدعة » من

---

(١) بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة . الخانجي . ١٣٢٦ هـ . ص٣٩٦ ·

(٢) روضات الجنات . طبع ايران . ١٩٧/٣ ·

(٣) فقد رد على المرجئة في مخطوطة تحقيق البيان ص٨٠ ورسالة في الإعتقاد ورقة ٥ . وعلى المعتزلة في الأولى ص١١١ وفي الثانية ص٥ · وفي تحقيق البيان يرد على قول المعتزلة بخلق القرآن ويورد سبب هذه الفتنة وما كان لليهود من أثر في تأسيسها « وقد حكى أن أول ما حدثت هذه المسألة حدثت بالكوفة من جهة بنان بن سمعان الرافضي . وكان قاصاً حسن لأقاصيص أخبار اليهود ولتخصصه بهم وقيل هو الذى أوقع الشبهة بين الناس » · الصفحة ١٦ ·

(٤) يريد الحديث الشريف القائل « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين (وقيل اثنتين وسبعين) فرقه . الناجية منها واحدة والباقون هلكى · قيل ومن الناجية ؟ قال : أهل السنة والجماعة · قيل ومن أهل السنة والجماعة ؟ قال ما أنا عليه اليوم وصحابتى » ـ الشهرستاني . الملل والنحل ٨/١ ·

إدانة واتهام بالا بتداع وهو الاختلاق والاتيان بالبدع ، كما لا يخفى إشارته للفرق الاثنتين والسبعين من حديث الرسول الكريم المشهور بتعدد الفرق وأن واحدة منها فقط هى التى على صواب الجادّة · أما لفظ المتشيعة فهي أيضا واضحة الاتهام بالتكلف والتصنع · وبعد ماعد هذه الفرق وسلكها في تهمة الا بتداع بين السبب الذى وقعت كل من هذه الفرق في الخطأ وفي البدعة ...... فالمشبهة ضلت في ذات الله ونفاة الصفات ضلت في صفات الله والقدرية في أفعاله والخوارج في الوعيد والمرجئة في الإيمان والمخلوقية في القرآن والمتشيعة في الإمامه » (١) ·

الفرقــة الناجيــة

ولكى نختصر الطريق أيضاً ، طريق الوصول إلى ما استقر عليه الراغب ، بعد تخطيئنه لهذه الفرق جميعاً نعرض النص التالى من المخطوطة نفسها : « والفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة الذين اقتدوا بالصحابة ، فمعلوم أن الله عز وجل رضى عنهم حيث قال « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » ومعلوم أنه لم يرض عنهم إلا بعد صحة اعتقادهم وصدق مقالهم وصلاح أفعالهم » (٢) ·

يتبين لنا من هذا النص أن صاحب المفردات لا يرى في غير أهل السنة والجماعة صلاحاً والتزاماً بما عليه صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم · وهنا يصح أن نتساءل ، إذن ، عن أسباب ما قيل من أن فريقاً من الناس كانوا يعتقدون بأنه معتزلى ، وما قيل مرة أخرى من أنه قد اختلف في تشيعه ·

هــل هــو معتزلى ؟

أما عن الأولى فربما كان سببها ما تردد من أن الراغب من الحكماء في الاسلام ، والحكمة قد تقترن في نظر بعض الناس بالفلسفة ، وليست مواقف الناس منها في عصور الإسلام جميعها تنبىء بالرضا (٣) ، أما قول القائل « إن حظ الراغب من المعقولات أكثر » (٤) فربما وجدنا تفسيراً له في أنه يعتبر الوحى هو السبيل الأول للإيمان بالله ثم يعتبر العقل السبيل الثانى ، وهكذا حتى يأتلف منهما الإيمان الكامل » · إنه يقول : « العقل قائد والدين مُسَدِّد ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقياً ، ولو لم يكن الدين لأصبح العقل حائراً واجتماعهما كما قال تعالى « نور على نور » (٥) · وفي مكان آخر يقول « العقل كالسراج

---

(١) مخطوطة رسالة في الاعتقاد رقم ٣٨٢ مكتبة سعيد على باشا ، السليمانية ، استانبول ·

(٢) المصدر السابق ·

(٣) الشيخ مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لدراسة الفلسفة الاسلامية ص٨٦ ·

(٤) البيهقى ، تاريخ حكماء الإسلام تحقيق محمد كرد على ، دمشق ١٩٤٦ ص١١٢ ·

(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للراغب ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٣ ، ص٩٩ ·

والشرع كالزيت الذي يمده » (١) · وفي ثالث يقول « إن العقل بنفسه قليل الغناء » (٢) أى إنه لا يكفى لهداية البشرية · وقد مر بنا رأيه الصريح في تخطىء المعتزلة حينما سماهم المخلوقية ·

هـل هو متشيع ؟

أما الثانية فلعل مردها إلى ما يبدى من تعاطف في ذكر القاب الخليفة الراشدى الرابع وذكر أسرته وأبنائه · لقد كثر دعاؤه له برضى الله عنه وكثر تسميته له بأمير المؤمنين وكذلك أبناؤه وأهل بيته · ولم يبد مثل هذا التعاطف عند ذكر سائر الخلفاء الراشدين · ولأول وهلة يخطر في بال القارىء اتهامه بالتشيع · ولكن هذا الاتهام لا يلبث أن يتزلزل إذا ما تذكرنا النص السابق الذي يضع الشيعة أو المتشيعة على حد قوله ، في الفرق غير الناجية ، ولزيادة التأكيد نضع للراغب ، في هذا الصدد ، نصاً آخر يقول « مما يجب أن يكون عليه كافة أهل السنة من الأصول الواجبة على كل مسلم ····· أن يعتقد في الإمامة أن الله وعد المؤمنين أن يجعل منهم خلقاً مخصوصين ، وعد الله عز وجل بها بعد خروج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الدنيا ، وذلك يقتضى أن كل من تولى أمر المسلمين بعد ، كان خليفة ····· فيجب أن يقطع بصحة من تولاها بعد النبى عليه السلام ، ويفوض أمورهم إلى الله تعالى ، ويصحح أحكامهم وعقولهم ويوجب إظهارها عنهم لقوله تعالى « أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم » ولم يخص (أي لم يخص أحداً دون غيره بالملك) وقوله عليه السلام « اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشى مجدع » (٣) · (يريد أنه علينا أن نمتثل لما قال الله تعالى في تلك الآيـة الكريمة والرسول عليه السلام ، في هذا الحديث) ·

وبإزاء نفي التشيع عن الراغب فإننا لا نستطيع أن ننفى من قلبه حب آل البيت ، وهو فيما يبدو مقيم على حبهم من جهة الوجدان ، ولكنه لا يلتقى مع ما يقول الشيعة في الإمامة والوصاية وغيرها · وهذا أمر لا يستحيل حدوثه ، فلقد كان الكميت بن زيد الشاعر شاعر الهاشميات في حب آل البيت لكنه لم يقل بما يقولون في الإمامة ، وها نحن أولاء نرى الناس في أقطار عربية وإسلامية يتعلقون بالحسن والحسين والسيدة زينب دون أن يدينوا بأقوال الشيعة في الإمامة ·

هذا كله فيما يتصل بموقف الراغب من الفرق السياسية كالشيعة والدينية الفكرية كالمرجئة والمعتزلة · اما فيما يتصل بأثر الراغب في الفكر الدينى فإننا لا نكاد نجد له ذكراً

---

(١) المصدر السابق ص٦٣ ·

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، للراغب · طبع حلب ، بلا تاريخ ، ص٦٤ ·

(٣) مخطوطة رسالة في الاعتقاد ، مكتبة سعيد على باشا رقم ٣٨٢ ، السليمانية ، استانبول ·

في فكر من نغلب انهما كانا معاصريه ، ونعنى بهما ابن مسكويه (٤٢١) وأبي حيان التوحيدى (٤٢٨) . وقد ذكر هو الأول أكثر من مرة . لكننا نكرر هنا ما كثر قوله من أن أبا حامد الغزالى كان يستحسن كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب ويستصحبه لنفاسته (١) . وهو أمر ربما استطعنا فيه الإشارة إلى بعض الأمثلة مما تأثره حجة الإسلام من هذا الكتاب .

بينه وبين الغزالى :

فبعد أن يقسم الغزالى العلوم العقلية إلى ضرورية لا يدرى من أين حصلت ، ومكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال (ويسميها الراغب غريزية ومستفادة) ، بعد هذا يورد الأبيات الشعرية التالية لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه :

العقل عقلان مطبوع ومسموع (٢)
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممْنوع

وكان الراغب قد أورد ، أيضا ، هذه الأبيات ونسبها إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب) ، ثم يقول أبو حامد : والأول (عن العقل المطبوع) هو المراد بقوله ، صلى الله عليه وسلم ، لعلى « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه « إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك » (٣) .

أما عبارة الراغب فهى « وإلى الأول أشار النبى عليه الصلاة والسلام ، بقوله لعلى رضى الله عنه « إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأبواب البر فتقرب أنت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة » (٤) . أليس بين هذين الخبرين قرابة ما ؟ .

ثم يقول أبو حامد « إن البصيرة الباطنة هى عين النفس التي هى اللطيفة المدركة . وهى كالفارس والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس » (٥) . أما

---

(١) حاجى خليفة في كشف الظنون ٥٣٠/٨ .

(٢) هكذا ورد البيت ولعل صوابه : فان العقل عقلان فمطبوع ومسموع .

(٣) إحياء علوم الدين . لجنة الثقافة الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٥٧ ، ٢٩/٨ .

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للراغب ، مكتبة الكليات الأزهريـة ، ١٩٧٣ ، ص٧٥ .

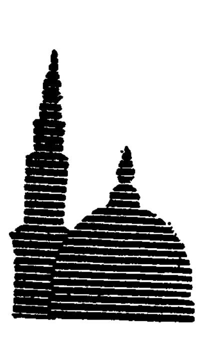
(٥) إحياء علوم الدين ٢٩/٨ .

عبارة الراغب فهى « وقد تقدم أن البدن بمنزلة فرس والنفس بمنزلة راكبه ، وضرر عمى الراكب نفسه أشد عليه من عمى فرسه » (١) · يبدو أنه من المرجح أن التأثر والتأثير واضح هنا ·

وقد وقعت على مثال ثالث صريح نقله أبو حامد ، على الأغلب ، من كتاب الذريعة للراغب (٢) إلى مصنفه الكبير إحياء علوم الدين » (٣) · وزاد أن نقل فقرات أربعاً في هذا الباب إلى ذلك المصنف من ذلك المرجع ·

وإن أبا حامد ليتصرف في نقله ، كما رأينا ، فيضيف أو يختصر ، ولكنه يظل مع هذا تأثراً واضحاً يسوغ ما قيل من استحسانه لهذا الكتاب واستصحابه له ·

وإننى ، مع شعورى أن العلاقة الفكرية بين الغزالى والراغب الاصفهانى لم تزل بحاجة إلى المزيد من البحث والاستقصاء (٤) · إلا أنني أشعر أن الراغب لا يقل ، إن لم يفق ، سائر المفكرين الذين أرخوا للفكر الإسلامى وللفرق الإسلامية من أمثال الشهرستانى وابن حزم وأبى الحسن الأشعرى والفخر الرازى (٥) · يبدو ذلك في مخطوطته « رسالة في الاعتقاد » أعان الله على تحقيقها ، ومخطوطة تحقيق البيان في تأويل القرآن » ·



(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص٧٦ ·

(٢) المصدر السابق والصفحة ·

(٣) إحياء علوم الدين ٣١/٨ ·

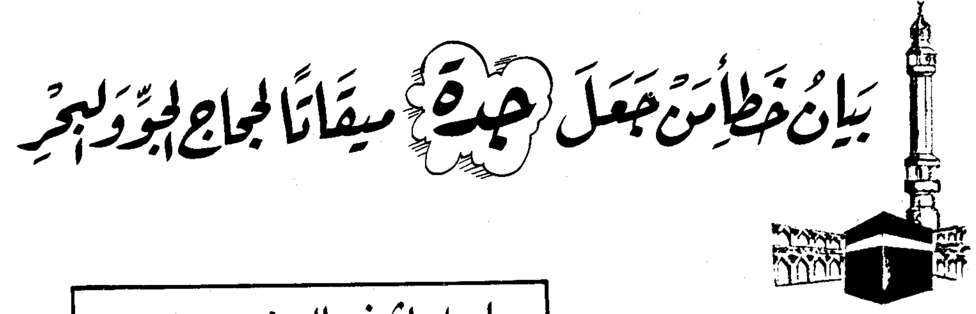
(٤) فقد لاحظ الدكتور محمد يوسف موسى ، في كتابه تاريخ الأخلاق ص١٩٤ وهامش ١٩٥ أن الغزالى قد أخذ في كتابه معارج القدس ، ط١ ، ١٣٤٦ هـ ص٥٣ ، ٥٩ ، ٦١ ، من تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب · طبعة حلب ص٦٤ ، ٦٥ ·

(٥) للأشعرى مقالات الإسلاميين وللرازي اعتقادات فرق المسلمين تحقيق د · على سامي النشـــــار ·

الفقه

و

أصوله



لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أما بعـد :

فقد اطلعت على ما كتب في التقويم القطرى بإملاء فضيلة الشيخ عبد الله ابن ابراهيم الأنصارى صفحة ٩٥ ـ ٩٦ حول المواقيت للوافدين إلى مكة بنية الحج أو العمرة فألفيته قد أصاب في مواضع وأخطأ في مواضع خطأ كبيراً ، فرأيت أن من النصح لله ولعباده التنبيه على المواضع التى أخطأ فيها راجيا بعد اطلاعه على ذلك توبته عما أخطأ فيه ورجوعه إلى الحق لأن الرجوع إلى الحق شرف وفضيلة وهو خير من التمادى في الباطل بل هو واجب لا يجوز تركه لأن الحق واجب الاتباع فأقول :

أولا : ذكر وفقه الله في الفقرة الثالثة من كلمته ما نصه (القاصدون عن طريق الجو لأداء الحج والعمرة إذا كانت النية منهم الإقامة بجدة ولو يوماً واحداً ينطبق عليهم حكم المقيمين بجدة والنازلين بها فلهم أن يحرموا من جـدة) انتهى . وهذا كلام باطل وخطأ ظاهر مخالف للأحاديث الصحيحة الواردة في المواقيت ومخالف لكلام أهل العلم في هذا الباب ومخالف لما ذكره هو نفسه في الفقرة الأولى من كلمته المشار اليها آنفا لأن النبى صلى الله عليه وسلم وقت المواقيت لمريدى الحج والعمرة من سائر الأمصار ولم يجعل جدة ميقاتا لمن توجه إلى مكة من سائر الأمصار والأقاليم وهذا يعم الوافدين إليها من طريق البر أو البحر أو الجو .

والقول بأن الوافد من طريق الجو لم يمر عليها قول باطل لا أساس له من الصحة

لأن الوافد من طريق الجو لا بد أن يمر قطعاً بالمواقيت التى وقتها النبى صلى الله عليه وسلم أو على ما يسامتها فيلزمه الإحرام منها واذا اشتبه عليه ذلك لزمه أن يحرم في الموضع الذى يتيقن أنه محاذيها أو قبلها حتى لا يجاوزهما بغير إحرام ومن المعلوم أن الإحرام قبل المواقيت صحيح وانما الخلاف في كراهته وعدمها ومن أحرم قبلها احتياطا خوفا من مجاوزتها بغير إحرام فلا كراهة في حقه أما تجاوزها بغير إحرام فهو محرم بالإجماع في حق كل مكلف أراد حجاً أو عمرة لقول النبى صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس المتفق عليه لما وقّت المواقيت (هُنّ لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن كان يريد الحج والعمرة) ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر المتفق عليه (يُهل أهل المدينة من ذي الحليفة ويهل أهل الشام من الجُحفة وأهل نجد من قرن) وهذا اللفظ عند أهل العلم خبر بمعنى الأمر فلا تجوز مخالفته وقد ورد فى بعض الروايات بلفظ الأمر وذلك بلفظ (ليهل) والقول بأن من أراد الإقامة بجدة يوماً أو ساعاتٍ من الوافدين إلى مكة من طريق جدة له حكم سكان جدة في جواز الإحرام منها ، قول لا أصل له ولا أعلم به قائلا من أهل العلم فالواجب على من يوقع عن الله ويفتى عباده في الأحكام الشرعية أن يتثبت فيما يقول وأن يتقى الله في ذلك لأن القول على الله بغير علم خطره عظيم وعواقبه وخيمة . وقد جعل الله سبحانه القول عليه بلا علم في أعلى مراتب التحريم لقوله عز وجل **(قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير حق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)** . وأخبر سبحانه في آية أخرى أن ذلك مما يأمر به الشيطان فقال سبحانه في سورة البقرة **(ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون)** وعلى مقتضى هذا القول الباطل لو أراد من توجه من المدينة الى مكة بنية الحج والعمرة أن يقيم بجدة ساعات جازله أن يؤخر إحرامه إليها ، وهكذا من توجه من نجد أو الطائف الى مكة بنية الحج أو العمرة وأراد الإقامة في لزيمة أو الشرائع يوماً أو ساعات جاز له أن يتجاوز قرنا غير محرم ويكون له حكم سكان لزيمة أو الشرائع . وهذا قول لا يخفى بطلانه على من تأمل النصوص وكلام أهل العلم والله المستعان .

ثانيـــا : ذكر الشيخ عبد الله الأنصارى في الفقرة الخامسة ما نصه (يجوز لمن يقصد أداء العمرة أن يتجه إلى التنعيم فيحرم منها حيث أنها الميقات الشرعى) انتهى . وهذه العبارة فيها إجمال واطلاق فإن كان أراد بها سكان مكة والمقيمين بها فصحيح ولكن يؤخذ عليه قوله أن التنعيم هو الميقات الشرعي فليس الأمر كذلك بل الحل كله ميقات لأهل مكة والمقيمين بها فلو أحرموا من الجعرانة أو غيرهما من الحل فلا حرج وكانوا بذلك محرمين من ميقات

شرعي وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبى بكر أن يخرج بعائشة إلى الحل لما أرادت العمرة ، وكونها أحرمت من التنعيم لا يوجب ذلك أن يكون هو الميقات الشرعى وإنما يدل على الاستحباب كما قاله بعض أهل العلم لأن في بعض الروايات من حديثها أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر عبد الرحمن يعمّرها من التنعيم وذلك والله أعلم لكونه أقرب الحل إلى مكة جمعاً بين الروايات ، أما إن أراد بهذه العبارة أن كل من أراد العمرة له أن يحرم من التنعيم ولو كان في جهة أخرى من الحل فليس بصحيح لأن كل من كان في جهة من الجهات خارج الحرم ودون المواقيت فإن ميقاته من أهله للحج والعمرة جميعا لقول النبى صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس المتفق عليه ، ومن كان دون ذلك يعنى دون المواقيت فمهله من أهله وفي لفظ فمهله من حيث أنشأ وقد أحرم النبى صلى الله عليه وسلم من الجعرانة عام الفتح لما فرغ من تقسيم غنائم حنين فلم يذهب إلى التنعيم والله ولى التوفيق .

ثالثـــا : ذكر الشيخ عبد الله في الفقرة السادسة والسابعة ما نصـه (لا حجة لمن يقول بأن القاصد الى جدة بالطائرة يمر بالميقات لأنه لا يمر بأي ميقات من المواقيت بل هو هائم أو طائر في الجو ولم ينزل إلا بجدة) ونص الحديث (ولمن مر بهن) ولا يعتبر من كان طائراً بالهواء بأنه مارّ بأي ميقات انتهى كلامه . وهذا القول غير صحيح وقد مضى الرد عليه آنفا وقد سبق الشيخ عبد الله الأنصاري الى هذا الخطأ الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في مقال وزعه زعم فيه أن الوافد من طريق الجو أو البحر الى مكة لا يمر على المواقيت وزعم أن ميقاته جدة وقد أخطأ في ذلك كما أخطأ الشيخ عبد الله الأنصارى فالله يغفر لهما جميعاً وقد كتب مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية رداً على الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في زعمه أن جدة ميقات للوافدين الى مكة من الحجاج ، والعمار من طريق الجو أو البحر ونشر الرد في وقته وقد أصاب المجلس في ذلك وأدى واجب النصح لله ولعباده ولا يزال الناس بخير ما بقى فيهم من ينكر الخطأ والمنكر ويبين الصواب والحق . وما أحسن ما قال الامام مالك رحمه الله (مامنا إلا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسأل الله أن يغفر لنا جميعا وأن يمنحنا وسائر إخواننا إصابة الحق في القول والعمل والرجوع الى الصواب إذا وضح دليله إنه خير مسؤول .

رابعـــا : ذكر الشيخ عبد الله الأنصارى هداه الله في الفقرة الثامنة والتاسعة مانصه (على من يريد مواصلة سيره الى مكه لأداء نسكه أن يجهز احرامه من آخر مطار يقوم منه وينوى قبل جدة بمقدار عشرين دقيقة اذا كان قصده مواصلة السير بدون توقف أو إقامة في

جدة أما الذى يقيم بجدة ولو لساعات يجوز له أن يحرم من جدة إن شاء الله وينطبق عليه حكم ساكن جدة) انتهى كلامه ٠

وقد سبق أن هذا التفصيل والتحديد لا أساس له من الصحة وان الواجب على من أراد الحج أو العمرة من الوافدين إلى مكة من طريق الجو أو البحر الإحرام بالنسك الذى أرادوا من حج أو عمرة إذا حاذوا الميقات الذى في طريقهم أو سامتوه ولا يجوز لهم تأخير الإحرام ولو نووا الإقامة بها يوماً أو ساعات فإن شكوا في المحاذاة لزمهم الإحرام من المكان الذى يتيقنون فيه احتياطاً للواجب وإنما الكراهة عند بعض أهل العلم في حق من أحرم قبل الميقات بدون عذر شرعى وأسأل الله أن يهدينا جميعا صراطه المستقيم وأن يوفقنا وجميع علماء المسلمين لإصابة الحق في القول والعمل وأن يعيذنا جميعاً من القول عليه بلا علم إنه سميع قريب ٠ ولواجب النصح للمسلمين جرى تحريره وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ٠

العظمة الحقيقية

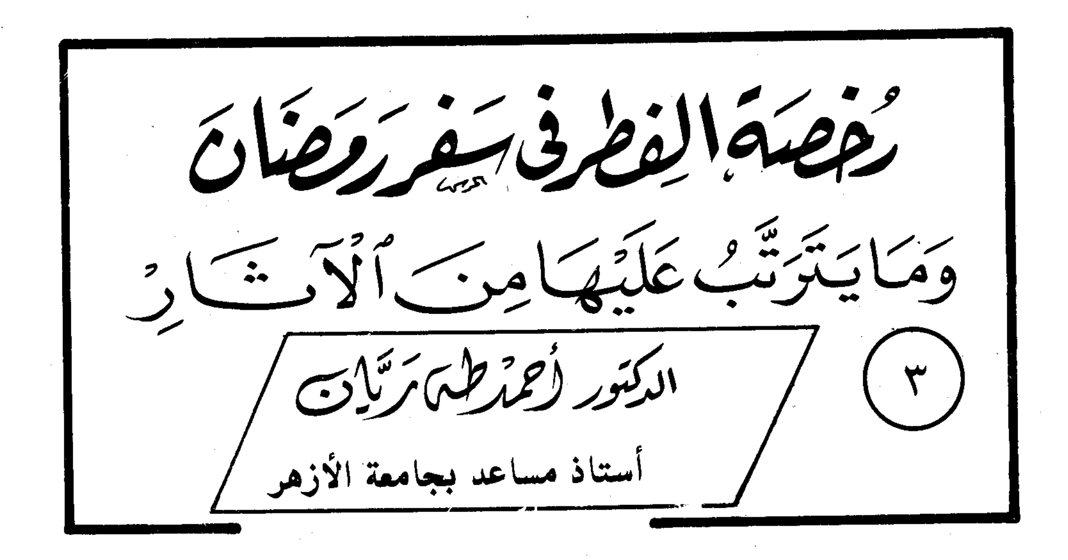
كم نمنح أنفسنا من الطمأنينة والراحة والسعادة ، حين نمنح الآخرين عطفنا وحبنا وثقتنا ، يوم تنمو في نفوسنا بذرة الحب والعطف والخير !

حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً ٠ أو أطيب منهم قلباً ، أو أرحب منهم نفساً أو أذكى منهم عقلاً لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً ... لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة !

إن العظمة الحقيقية : أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر ما نستطيع !

إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العليا ومثلنا السامية أو أن نتملق هؤلاء الناس ونثني على رذائلهم أو أن نشعرهم أننا أعلى منهم أفقاً .. أن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يتطلبه هذا التوفيق من جهد ٠ هو العظمة الحقيقية !

سيد قطب



وإتماما لما سبق نشره في حلقتين سابقتين في موضوع (رخصة الفطر في سفر رمضان وما يترتب عليه من آثار نسوق هذه الحلقة الثالثة فيما يلى :-

رأى جمهور الفقهاء :

يرى جمهور الفقهاء - وهو عدا من ذكرنا في الرأى السابق - أن الفطر في السفر خلال شهر رمضان رخصة يجوز الأخذ بها ويجوز تركها والصيام عملا بالعزيمة ..
وأهم الأدلة التى استند إليها هذا الفريق ما يلى : -

الأول : قوله تعالى (.. ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .. الآية) وقد تقدم أن تقدير الآية على رأى هذا الفريق : ومن كان مريضا أو على سفر - فأفطر فعليه - عدة من أيام آخر ..

كما سبقت الإشارة إلى أن الفريق الأول : يرى أن هذا التقدير من شأنه تخصيص الآية ، وليس هناك دليل على التخصيص ، بل يجب أن تبقى الآية عامة كما جاءت ، وقد سبق الرد عليه مفصلا ..

الثانى : حديث ابن عباس - المتقدم - في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح حتى بلغ الكديد ثم أفطر . ثم قول ابن عباس تعليقا عليه : لقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر ..

وجـه الدلالة فيه من وجهين :

الوجـه الأول : أن رسول الله ابتدأ السفر صائما واستمر كذلك حتى لم يبق على انتهاء الرحلة إلا مرحلتين ، فلو لم يكن الصوم في السفر جائزا لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول سفره حتى بلوغه عسفان أو ما حولها ..

الوجه الثـانى : أن السفر كان ديدنه صلى الله عليه وسلم قبل هذه الرحلة وبعدها ؛ ففى حديث أبى الدرداء المتقدم (.. وما منا من أحد صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة) (١) ..

وما قيل ، من أن فطره في هذه الغزوة ، كان ناسخا لجواز الصيام في السفر قبل ذلك .. استنادا إلى ما قيل ؛ من أن آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفطر في السفر ، فغير مسلم . وقد تقدم الرد عليه مفصلا ..

وما جاء من حديث أبى سعيد .. من قوله (.. ولقد رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في السفر) (٢) واضح في حدوث الصوم بعد هذه الواقعة منه صلى الله عليه وسلم أو من أصحابه مع اطلاعه عليهم وهم صائمون ، وهو ما يستفاد من ذكر لفظ « مع » في الحديث .

كما هو واضح في بيان أن الفطر الذى حدث منه صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة ؟ إنما هو من قبيل أخذه بالرخصة ، وليس من قبيل نسخ الجواز .

الدليل الثالث : بيانه صلى الله عليه وسلم أن الفطر في السفر رخصة ، وأن الرخصة يجوز الأخذ بها ويجوز تركها والأخذ بالعزيمة ، وذلك في حديث حمزة بن عمرو الأسلمى المتقدم .. حيث جاء فيه « .. هى رخصة من الله ، فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » (٣) .

ولقد جاء في رواية لهذا الحديث أخرجها الحاكم في المستدرك والبيهقى في السنن الكبرى وأبى داود وسكت عنها عن طريق حمزة بن محمد بن حمزه - حفيد السائل - تبين أن السؤال كان عن صيام شهر رمضان في السفر ، إذ جاء فيه « قلت يا رسول الله إنى صاحب ظهر أعالجه ، أسافر عليه وأكريه ، وانه ربما صادفنى هذا الشهر ، يعنى شهر رمضان ، وأنا

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص ١٤٥ .

(٢) صحيح مسلم جـ٣ ص ١٤٤ .

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٥ .

أجد القوة ، وأنا شاب ، وأجدنى أن أصوم يارسول الله أهون على من أن أؤخره فيكون دينا أفأصوم يارسول الله أعظم لأجرى - أو أفطر ، قال : أى ذلك شئت ياحمزة » (١) ..

فهذا الحديث يوضح أن السؤال كان عن صيام شهر رمضان - وهو وإن كان ابن حزم وابن حبان ، قد ضعفا رواية حمزة بن محمد بن حمزة (٢) . إلا أن له شاهدا من حديث حمزة بن عمرو المخرج في الصحيحين وغيرهما ..

وأما على رأى من يقول : إن سؤال حمزة كان عن صيام التطوع فإنه ليس في الحديث ما يشير إلى تخصيص السؤال بذلك ..

وعلى فرض أن السؤال كان في صيام التطوع ؟ فإن العبرة برد الرسول عليه الصلاة والسلام الذى جاء بصيغة عامة تشمل جميع أنواع الصيام سواء كان صيام فرض أو تطوع .

وحتى لو كانت الاجابة تخصص بنوع السؤال - وهذا على افتراض أن السؤال كان عن صيام التطوع ، فإن هذا الحكم يشمل صيام شهر رمضان من باب أولى ، لأنه إذا تكبد الإنسان صيام التطوع في السفر وليس عليه في تركه شيء - فإن تكبده الصيام الواجب من باب أولى ، لأنه إن تركه سيكون دينا عليه ..

وقد نوقش هذا الحديث ، بأن الرخصة المشار اليها فيه قد خرجت من باب التخيير للعبد ، إلى وجوب الالتزام بها ، إذ جاء في نهاية حديث : « ليس البر أن تصوموا في السفر » زيادة توجب قبولها ، وهى قوله صلى الله عليه وسلم « عليكم برخصة الله التى رخص لكم » (٣) ..

يجاب عن ذلك ، بأنه جاء في صحيح مسلم ما يفيد أن هذه الزيادة غير محفوظة ، إذ قال شعبة : وكان يبلغنى عن يحى بن أبى كثير أنه كان يزيد في هذا الحديث - ليس البر .. الخ - وفي هذا الاسناد : أنه قال : عليكم برخصة الله الذى رخص لكم . قال : فلما سألته لم يحفظه (٤) ..

وعلى فرض صحة هذه الزيادة ، فإنه يجاب عنها بأن الأمر هنا خاص بمثل هذا الرجل الذى ترك الرخصة وفضل عليها إهلاك نفسه أو بمن ترك الرخصة رغبة عنها . « والله أعلم » .

---

(١) أبو داود جـ٧ ص ٤٠ مطبوع مع شرحه عون المعبود والسنن الكبرى جـ٤ ص٢٤١ والمستدرك جـ١ ص٤٣٣ .

(٢) تهذيب التهذيب جـ٣ ص٣٢ دار صادر بيروت قال : ابن حجر : ضعفه ابن حزم وقال عنه ابن حبان مجهول ولم أجد فيه كلاما لأحد المتقدمين . تهذيب التهذيب .

(٣) النسائى جـ٤ ص١٧٦ المحلى جـ٦ ص٣٨٤ .

(٤) صحيح مسلم جـ٣ص١٤٢ .

الدليل الرابع : عدم انكاره صلى الله عليه وسلم على من كان يصوم في سفره معه ، فقد جاء في حديث أبى سعيد قوله : « كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فما يعاب على الصائم صومه ولا على المفطر افطاره » (١) ٠

ومعلوم أن القصد : من ذكر ما يفيد المعية هنا وايراد : يعاب ، بصيغة البناء للمجهول : تأكيد اطلاع الرسول عليه الصلاة والسلام على حالهم وأنه مع ذلك لم يعب على الصائم صومه ولا على المفطر إفطاره ٠٠

ثم أن ذكر أبي سعيد هذا الحديث بلفظ كنا نشعر ، بأن ذلك الحال كان دائما ، حتى وفاته صلى الله عليه وسلم لأنه صرح بهذا القول بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ٠٠

الدليل الخامس : فهم الصحابة رضى الله عنهم رخصة الفطر في السفر وأنها تعنى الإباحة لا الوجوب واستمرارهم على هذا الفهم ، سواء في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام أو بعد وفاته ، فمن ذلك :

حديث أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم قالا : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصوم الصائم ويفطر المفطر فلا يعيب بعضهم على بعض ٠٠ » (٢) ٠

وحديث أبى خالد الأحمر عن حميد قال خرجت فصمت فقالوا لى أعد ٠ قال : قلت : إن أنسا أخبرنى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم ، فلقيت ابن أبى مليكة ، فأخبرنى عن عائشة رضى الله عنها بمثله) (٣) ٠

الدليل السادس : حديث عائشة رضى الله عنها قالت : خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان فأفطر وصمت وقصر وأتممت ، فقال : أحسنت يا عائشة رواه الدارقطنى ، وقال : هذا إسناد حسن وأخرجه النسائى ولم يذكر فيه : خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان « وجاء في نهايته » لفظ وما عاب على (٤) ٠ ونقله النووى في المجموع واحتج به (٥) ٠

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٣ ٠

(٢) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٣ ٠

(٣) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٣ ٠

(٤)النسائى جـ٣ ص١٢٢ ومنتقى الأخبار المطبوع مع شرحه نيل الأوطار جـ٣ ص ٢٣٠ ٠

(٥) المجموع جـ٦ ص٢١٨ ٠

وقد ضعف العلماء هذا الحديث ، لأن في اسناده العلاء بن زهير ، عن عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعى عنها ، وقد قال ابن حبان في العلاء بن زهير ، أولا ، أنه ثقة ٠ ثم تناقض فيه بعد ذلك فقال ، كان يروى عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات فبطل الاحتجاج به فيما لم يوافق الأثبات ٠ وقال ابن حزم ، مجهول وقال ابن معين ، ثقة وقال عبد الحق ، إنه ثقة مشهور والحديث الذى رواه في القصر صحيح ، ورجح الذهبى توثيق ابن معين له وأما عبد الرحمن بن الأسود ، فقد اختلف في ساعة منها ، فقال الدارقطنى ، أدرك عائشة ودخل عليها وهو مراهق ٠ قال الحافظ ابن حجر ، وهو كما قال ، ففى تاريخ البخارى وغيره ما يشهد لذلك ٠ وقال أبو حاتم ، أدخل عليها وهو صغير ولم يسمع منها ٠ وادعى ابن أبى شيبة الطحاوى ثبوت سماعه منها ٠

فظهر من أقوال رجال الجرح والتعديل ، أن الحديث لا بأس به من جهة السند لأن العبرة ـ كما قال الذهبى ، بتوثيق ابن معين للعلاء بن زهير ٠

كما ثبت سماع عبد الرحمن بن الأسود عن عائشة ، إذ جاء في تاريخ البخارى أنه كان يدخل عليها وهو صغير دون استئذان فلما احتلم استأذن فعرفت صوته فقالت ياعدو نفسه ؟ أفعلتها ٠ قال ، نعم يا أمتاه قالت ادخل (١) ٠

وقال البعض ، إن حديث عائشة هذا فيه نكارة من جهة المتن ، إذ فيه أن عائشة خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم في عمرة رمضان مع أن الثابت أنه صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمَرٍ ليس منها في رمضان شيء ٠٠

وقد أجيب عن ذلك ، بأن هذه العمرة لعلها حدثت في شوال وكان الخروج إليها في رمضان في غزوة الفتح (٢) والله أعلم بالصواب ٠

ونكتفى بهذا القدر من الأدلة المأخوذة من السنة على رأى الجمهور في جواز الأمرين ، الصوم والفطر في السفر خلال شهر رمضان ٠

أما الآثار عن الصحابة رضى الله عنهم فكثيرة نكتفى بأمثلة عنها :

أ ـ ما رواه البيهقى بسنده الى أبى الفيض ، قال ، كنت في غزوة الشام فخطب مسلمة ابن عبد الملك ، فقال ، من صام رمضان في السفر فليقضه ، فسألت أبا قرصافة رجل من

---

(١) التاريخ الكبير للبخارى جـ٥ ص٦٣ ـ دار الكتب العلمية بيروت ، وتهذيب التهذيب جـ٨ ص ١٨٠ مطبعة دار المعارف الهندية ٠ والميزان للذهبى جـ٣ ص١٠١ طبعة دار المعرفة ببيروت ٠

(٢) نيـــل الأوطـــار جـ٣ ص٢٣١ ٠

أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : لو صمت ثم صمت حتى عد عشرا لم أقضــه (١) ..

ب ـ ما نقله صاحب الفتح عن الطبرى في تهذيبه ـ من طريق خيثمة : ـ سألت أنس ابن مالك عن الصوم في السفر فقال : لقد أمرت غلامى أن يصوم ، قال : قلت له فأين هذه الآية ـ فعدة من أيام أخر ـ فقال : إنها نزلت ونحن نرتحل جياعا وننزل على غير شبع وأما اليوم فنرتحل شباعا وننزل على شبع » ..

قال الحافظ ابن حجر تعقيبا على ذلك : أشار أنس إلى الصفة التى يكون فيها الفطر أفضل من الصوم (٢) .

وأقول : إن أمر أنس لغلامه بالصوم ، من أوضح الأدلة على جواز الصيام في السفر في شهر رمضان ، لأن أنس أكثر الصحابة التصاقا برسول الله صلى الله عليه سلم ومعرفة بشأنه ..

جـ ـ ما أخرجه البيهقى بسنده إلى ابن سيرين عن عثمان بن أبى العاص قال : الصوم في السفر أحب إلى . كما روى عن ابن مسعود بمعناه (٣) .

أما ما روى عن التابعين :

فقد روى النسائى عن حميد بن مسعدة عن سفيان عن العوام بن حوشب قال قلت لمجاهد : الصوم في السفر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ويفطر (٤) .

كما روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن قال إذا أهل الرجل رمضان في أهله وصام منه أيام ثم سافر فإن شاء صام وان شاء أفطر (٥) ..

الرأى المختـــــار :

بعد هذا العرض الموجز لأهم الأدلة التى استدل بها الفريقان ، وما أثير حولها من المناقشات ، نرى أن المختار هو رأى الفريق الثانى وأنه أقربها للسنة المحكمة وذلك لما يلى : ـ

---

(١) السنن الكبرى جـ٤ ص٢٤٤ .
(٢) فتح البارى جـ٥ ص٨٧ .
(٣) السنن الكبرى جـ٤ ص٢٤٥ .
(٤) سنن النسائى جـ٤ ص١٨٤ من المجتبى .
(٥) المصنف جـ٤ ص٢٦٩ .

أ ـ إن العمل بالرأى الأول : يقتضى طرح العمل بكثير من النصوص الصحيحة الثابتة التى تفيد أن الفطر في سفر رمضان رخصة يترك العمل بها لاختيار المسلم . بخلاف العمل بالرأى الثانى فإنه يقتضى العمل بكل النصوص وذلك بامكان الجمع بين أدلة الفريقين . والجمع بين الأدلة والعمل بها كلها واجب ما أمكن ..

ب ـ إن القول بوجوب الفطر في السفر قد يكون فيه مشقة لمن كان دائم السفر كالسائقين والمضيفين في الطائرات وكل العاملين في مجال المواصلات من سيارات وطائرات وسفن وغيرها إذ هؤلاء وأمثالهم لو ألزموا بالفطر في سفرهم خلال رمضان لصار صوم الشهر دينا ثابتا يتراكم عليهم عاما بعد عام بل ربما يموتون وعليهم صيام سنين ، وقد وضح ذلك من خلال قصة حمزة بن عمرو الأسلمى ..

جـ ـ في هذا العصر وبعد التقدم الكبير في وسائل المواصلات والذى جعل السفر الآن ـ لدى قطاعات كبيرة من المسلمين ـ أقرب للمتعة منه إلى المشقة التى شرع الفطر من أجلها . فإن المسلم قد يرى الصيام أيسر عنده من الفطر ، أولا : لعدم احساسه بالمشقة التى تضعفه عن تحمل الصيام .. ، وثانيا : لأن الفطر سيترتب عليه ، أن تظل هذه الأيـام دينا في رقبته ويطالب بقضائها بعد انتهاء السفر .. والله أعلم ..

أيهما أفضـل : الصيـام أم الفطر للمسافر القادر على الصيام دون مشقـة ؟

بعد أن بينا ـ بوضوح ـ حكم الصوم والفطر للمسافر خلال شهر رمضان وهو جواز الأمرين . نبين الآن ، مدى هذا الجواز بالنسبة للشخص القادر على الصيام بدون ضرر عليه ، وبمعنى أوضح ، هل هذا الجواز يقف عند حـده الأدنى ، أى أن الصوم والفطر يستويان في الفضل بدون زيادة لأحدهما على الآخر فيه ، أو أن أحدهما أكثر فضلا من الآخر ، فينبغى المصير إليه ، ندبا أو استحباباً ؟ لبيان ذلك نقول :

من يرى أفضلية الصوم عن الفطر :

نقلت أفضلية الصوم عن الفطر للمسافر القادر على الصوم بدون مشقة عن عدد كبير من الصحابة والتابعين وفقهاء الإسلام ، نذكر منهم على سبيل المثال : ـ

من الصحابة : حذيفة بن اليمان ، وأنس بن مالك ، وعثمان بن أبى العاص ، وابن مسعود ، وأبو قرصافة ·

ومن التابعين : عروة بن الزبير ، والأسود بن يزيد ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث ، وسعيد بن جبير ، والنخعى والفضيل بن عياض ·

ومن الفقهاء : مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعى ، والثورى ، وعبد الله بن المبارك ، وأبو ثور ، وآخرون (١)

من أهم أدلة هذا الفريق ما يلى :

١ ـ حديث أبى الدرداء المتقدم وفيه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حر شديد حتى ان كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة (٢) ·

فإدامة الرسول صلى الله عليه وسلم الصيام في السفر مع وجود الرخصة في الفطر ، والتى أخذ بها أصحابه رضى الله عنهم ، إرشاد إلى أفضلية الصيام لمن قدر عليه بدون ضرر ·

ويناقش هذا الاستدلال ، بأن السفر المشار إليه في هذا الحديث ، كان قبل غزوة الفتح التى ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفطر فيها واستمر على الفطر في السفر بعدها ، لحديث : أنه كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعبرة بما كان عليه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته ··

وإنما قلنا إن هذا السفر كان قبل غزوة الفتح ، لأن عبد الله بن رواحة ، قتل في مؤتة وكان ذلك قبل غزوة الفتح ، وإن كانتا في سنة واحدة كما يذكر ذلك كثير من أصحاب المغازى ·

ويجاب عن هذه المناقشة ، بأنه يكفى في ثبوت الاستدلال : وجود الرخصة في الفطر التى أخذ بها كل الأصحاب ما عدا عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ·

كما ثبت من خلال دراستنا للمسألة السابقة ، أن فطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ، إنما كان عملا بالرخصة تشجيعا لأصحابه على الفطر بعد أن تردد أكثرهم فيه لما يرون من صيامه صلى الله عليه وسلم وقد جاء ذلك واضحا في رواية لحديث جابر بن

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى جـ٤ ص٢٤٤ ، ٢٤٥ . وفتح القدير جـ٢ ص٣٥١ مصطفى الحلبى ، والمجموع جـ٢ ص٢١٩ ، نيل الأوطار جـ٤ ص٢٥٢ . شرح عبد الباقى الزرقانى على مختصر خليل جـ٢ ص١٩٧ ·

(٢) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٥ ·

عبد الله - عن طريق قتيبة بن سعيد عن الدراوردى عن جعفر - « فقيل له : إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينظرون فيما فعلت ، فدعا بقدح من ماء بعد العصر » (١) .

٢ – حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه – المتقدم – وقد جاء فيه : « .. لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك في السفر » (٢) .

يشير تصريح أبى سعيد باستئناف الصيام بعد غزوة الفتح ، إلى أن الفطر في هذه الغزوة كان لظروف معينة ، وهى شدة الحر وشعور الناس بمشقة الصيام ، ثم للتقوى استعدادا لملاقاة الأعداء وأخيرا لازالة الإحجام والتردد عن بعض النفوس التى توقفت عن الأخذ بالرخصة لعدم أخذه صلى الله عليه سلم بها واستمرار صيامه . أما بعد أن زالت هذه الظروف أو تغير أكثرها فإنهم رجعوا إلى الصيام في السفر ، وما ذلك إلا لأفضليته على الفطر فيه ..

٣ – حديث عائشة رضى الله عنها « قصرت وأتممت وأفطرت وصمت ، فقال لها صلى الله عليه وسلم أحسنت ياعائشة » وقد تقدم الحديث وما قيل فيه ..

٤ – وقد أشار بعض العلماء هنا إلى دليل عقلى ، مؤداه : إذا كان ولا بد من الصيام ، أداء في رمضان أو قضاء في غيره - فأداؤه في رمضان أفضل من قضائه في غيره وذلك لأفضلية الآداء على القضاء بصفة عامة ولأن رمضان أفضل الوقتين ، وحتى لا تشغل ذمته به فترة من الوقت ولا يدرى ما يطرأ عليه فيها (٣) .

من يرى أفضلية الفطر على الصيام :

من الصحابة : ابن عباس ، وابن عمر . ومن التابعين : ابن المسيب والشعبى ومن الفقهاء : الأوزاعى وأحمد واسحاق وعبد الملك بن الماجشون المالكى ..

من أهم أدلة هذا الفريق ما يلى :

١ – حديث جابر – المتقدم – وفيه : « .. ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس اليه ثم شرب فقيل له : بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام فقال : أولئك العصاة أولئك العصاة » ..

فإن فطره صلى الله عليه وسلم بمرأى من الناس ثم وصفه بعد ذلك للصائمين ، بالعصاة ، يشعر بأفضلية الفطر عن الصوم في السفر .

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٢ .

(٢) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٤ .

(٣) أشار إلى هذا الدليل باختصار شديد صاحب فتح القدير جـ٢ ص٣٥١ وقد قمنا بتوضيحه وشرحه ..

ويناقش هذا الاستدلال بأن فطره صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة بالذات وبمرأى من الناس كان لظروف خاصة بها - وقد أشرنا إليها قريبا أما وصف الصائمين بالعصاة فإنما كان للمخالفة في تنفيذ أمر الفطر الذى أصدره صلى الله عليه وسلم والذى أوضحه حديث أبى سعيد رضى الله عنه « انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فكانت رخصة فمنا من صام ومنا من أفطر ثم نزلنا منزلا آخر فقال ؟ انكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة فأفطرنا » (١) ٠

٢ ـ حديث جابر بن عبد الله ـ أيضا « ليس البر أن تصوموا في السفر » فنفى الرسول عليه الصلاة والسلام البر عن الصيام في السفر يريد أن الفطر أفضل منه ٠

ويناقش هذا الاستدلال بأن الصوم المنفى عنه البر : هو الذى يقوم به شخص لا يقدر عليه ، وبالتالى يؤدى إلى اتلافه ، فمثل هذا يكون الفطر في حقه أفضل ٠ وليس المراد نفى البر عن عموم الصوم في السفر ٠٠

٣ ـ حديث ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر قال : وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره » (٢) ٠٠

فالفطر كان هو أحدث الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتباعه فيه أفضل من الصيام ٠٠

ويناقش ، بأن فطره في هذه الغزوة كان لأسباب خاصة أوضحناها قريبا كما سلفت الاشارة إلى أن عبارة « وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ الخ مدرجة في الحديث من كلام ابن شهاب ٠٠

٤ ـ حديث حمزة بن عمرو الأسلمى وقد جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « هى رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » ٠٠

فتحسينه صلى الله عليه وسلم لجانب الفطر ، واكتفاؤه بنفى الجناح عن الصوم ، اشارة واضحة إلى أفضلية الفطر على الصوم ٠٠

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٤ ٠

(٢) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤١ ٠

وقد نوقش هذا الاستدلال ، بأن التحسين هو بالنسبة لمن كان لا يتيسر له الصيام بحيث يشعر معه بمشقة أو ضرر ، فمثل هذا الفطر في حقه حسن · أما من كان يحتمله مع شيء من المشقة ، ومع ذلك ترك الرخصة وصام فإنه لا جناح عليه ..

٥ ـ ما جاء في حديث جابر « ليس البر أن تصوموا في السفر » من زيادة عن طريق يحى بن أبى كثير بلفظ : « عليكم برخصة الله الذى رخص لكم » ·

فهذا الأمر وإن لم يكن مقتضيا للوجوب ، لكنه يعتبر ارشادا واضحا من الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلى أفضلية الأخذ بالرخصة التى تقتضى الفطر · وعليه فيكون الفطر أفضل من الصيام ·

ويناقش هذا الاستدلال ، بما قلنا سابقا نقلا عن الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه ، من أن هذه الزيادة غير محفوظة ·

ويمكن أن يجاب عن هذه المناقشة ، بأن هذه الزيادة قد رواها النسائى - عن طريق الأوزاعى عن يحى بن كثير أيضا - بلفظ « وعليكم برخصة الله الذى رخص لكم فاقبلوها » (١) وقد قال ابن القطان : اسنادها حسن متصل ، كما رواها ابن حزم واحتج بها (٢) فالله أعلم بالصـــواب ·

من يرى أن أيسر الأمرين أفضلهما :

نسب إلى مجاهد وعمر بن عبد العزيز وقتادة القول ، بأن الأفضل من الصيام أو الفطر هو الأيسر والأسهل ، أى أن من وجد لديه قوة على الصيام ولم يتضرر منه ، فإن الصيام في حقه أفضـــل ·

ومن كان يشق عليه أو يترتب عليه ضرر منه ، فإن الفطر في حقه أفضل · وقد اختار هذا القول ابن المنذر (٣) ·

ومن أهم أدلة هذا الفريق ما يلى :

١ ـ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ، فمنا الصائم ، ومنا المفطر ، فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على

---

(١) النسائى جـ٤ ص١٧٦ من المجتبى ·
(٢) المحلى جـ٦ ص٣٨٤ ، نيل الأوطار جـ٤ ص٢٥٢ ·
(٣) نيل الأوطار جـ٤ ص٢٥٢ والمجموع جـ٦ ص٢١٩ ·

الصائم ، يرون أن من وجد قوة فصام ، فإن ذلك حسن ، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فذلك حسن » (١) ·

واضح من الحديث : أن كلا الأمرين وصف بالحسن لكونه يتناسب مع حال فاعله ·

٢ ـ عن أبى سعيد رضى الله عنه قال « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهر من ماء السماء والناس صيام في يوم صائف مشاة ، ونبى الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له ، فقال اشربوا أيها الناس ، قال : فأبوا ، قال : إنى لست مثلكم إنى أيسركم ، إنى راكب ، فأبوا فثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذه فنزل فشرب وشرب الناس ، وما كان يريد أن يشرب ، رواه أحمد في مسنده (٢) ·

فقد علل صلى الله عليه وسلم امتناعه عن الفطر أولا بكون الصيام كان ميسرا له كما علل أمره لهم بالفطر بوجود المشقة لديهم ·

وإنما خالف ما يناسب حاله وأفطر مثلهم لازالة ترددهم عن الفطر الذى كان يناسب حالتهم وذلك من قبيل رأفته ورحمته بأمته صلى الله عليه وسلم ·

٣ ـ قال تعالى : « **ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » (٣) ·

فقد علل الله سبحانه وتعالى رخصة الفطر بالتيسير على المسلمين · وعليه : فمن كان الفطر أيسر له ؟ فإن الأفضل له الفطر عملا بالرخصة ، ومن كان الصوم أيسر له ، فإن الأفضل له الصيام ·

من يرى أفضلية الصوم إذا خلا من الآفات المحبطة لفضله :

ذهب بعض العلماء إلى أن الصوم أولى في السفر إذا لم تصحبه آفة من الآفات المحبطة لفضله كالرياء والعجب والسمعة وقيام الناس على خدمته وإلا فإن خشى دخول شيء عليه من هذه الآفات : فإن الفطر في حقه أولى (٤) ·

وقد استدل لهذا الرأى ـ الذى لم يعرف من قال به من الفقهاء القدامى وإن كان قد حظى باختيار الشوكانى صاحب نيل الأوطار وقد استدل له بما يلى : ـ

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٣ ·

(٢) نيل الأوطار جـ٤ ص٢٥٤ ·

(٣) سورة البقرة الآية رقم ١٨٥ وانما أخرنا الاستدلال بهذه الآية الكريمة لأن الاستدلال بها غير مباشر بخلاف الحديثين قبلها فانهما نص في الموضوع ·

(٤) فتح البارى جـ٥ ص٨٦ ونيل الأوطار جـ٤ ص٢٥٣ ·

أ ـ عن أنس رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في السفر فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال فنزلنا منزلا في يوم حار أكثرنا ظلا صاحب الكساء ومنا من يتقى الشمس بيده قال : فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالأجر » (١) .

ب ـ نقل صاحب الفتح ما رواه الطبرى عن طريق مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إذا سافرت فلا تصم ، فإنك إن تصم ، قال أصحابك : أكفوا الصائم ارفعوا للصائم وقاموا بأمرك ، وقالوا فلان صائم فلا تزال كذلك ، حتى يذهب أجرك (٢) .

فحديث أنس وأثر ابن عمر واضحان في دلالتهما على تأثير هذه الآفات على الصيام لكن من الممكن السلامة من ذلك : إذا خدم الإنسان نفسه وقام بما يجب عليه من المشاركة في الخدمات العامة للرفقة المسافرين معه وأخلص نيته في صيامه .

المختـــار من هذه الأقــوال :

أرى أن الرأى الذي يذهب إلى أن أيسر الأمرين هو أفضلهما : هو الأولى بالاختيار لما يلى : -

أ ـ أنه يترتب على الأخذ بهذا الرأى تحقق الحكمة التى جاء الترخيص في الفطر من أجلها ، وهى اليسارة والسهولة . قال تعالى : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » .

ب ـ يتجلى تحقق هذه الحكمة من مطابقة هذا الرأى لطبائع الناس واختلاف قدراتهم ، فمنهم من يتيسر له الصوم ولا يرى فيه كلفة أو مشقة ، بل ربما كان يرى فيه راحته وصحته فطلب الفطر من مثل هذا فيه مشقة له ، ومنهم من لا يتيسر له الصوم إلا اذا كان مقيما مستريحا لا يقوم بأى عمل أو يقوم بأعمال يسيرة غير مجهدة وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم البر عن صوم مثل هذا في السفر .

جـ ـ المعيار في هذا الرأى ، فيه مرونة حيث وكل أمر الفطر أو الصوم إلى شعور الشخص نفسه ، إذ هو المكلف وهو أمين نفسه ، والتكليف أمانة ، فإن وجد من نفسه القوة والقدرة على تحمل الصيام دون مشقة أو مشقة معتادة صام وإلا فلا .

د ـ وأخيرا فإن هذا الرأى يتناسب مع ظروف المواصلات في هذا العصر وتنوعها فمن

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٤ .

(٢) فتح البـارى جـ٥ ص٨٦ .

الناس من تتيسر له سبل مواصلات مريحة تخفف عنه كثيرا من معاناة السفر ، فمثل هذا يكون الصوم أيسر له ·

ومنهم من لم تتيسر له سبل مواصلات أصلا أو تتيسر له مواصلات مرهقة ومجهدة فمثل هذا يكون الفطر أيسر له ·

ويجاب على استدلال الجمهور القائلين بأفضلية الصوم مطلقا لمن أطاقه بأن استمرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصوم ، ربما كان هو الأيسر بالنسبة له ، وكان يأمر أصحابه بالأخذ بالرخصة لأنه كان يرى أن الفطر هو الأيسر بالنسبة لهم ، وحديث أحمد المتقدم من أوضح الأمثلة على ذلك حيث جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم - مبينا الحكمة من رغبته في استمرار صومه وأمره لهم بالفطر ·· « انى لست مثلكم ؟ انى أيسركم ؟ انى راكب ، فأبوا فثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذه ، فنزل فشرب وشرب الناس ، وما كان يريد أن يشرب » ·

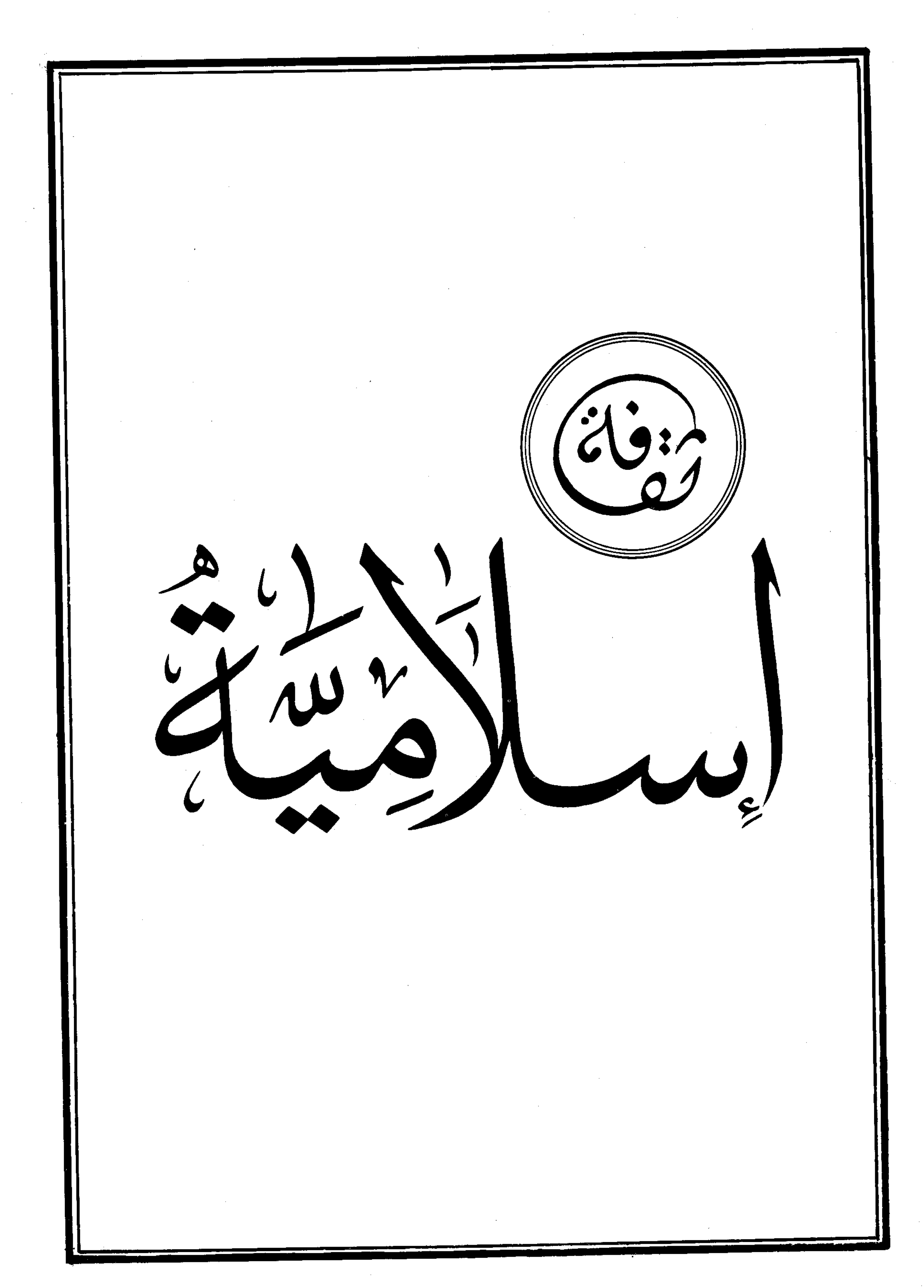
أما أدلة الفريق الذى يرى أفضلية الفطر مطلقا فقد أجيب عنها في مواضعها فلا حاجة الى إعادتها مرة أخرى ·

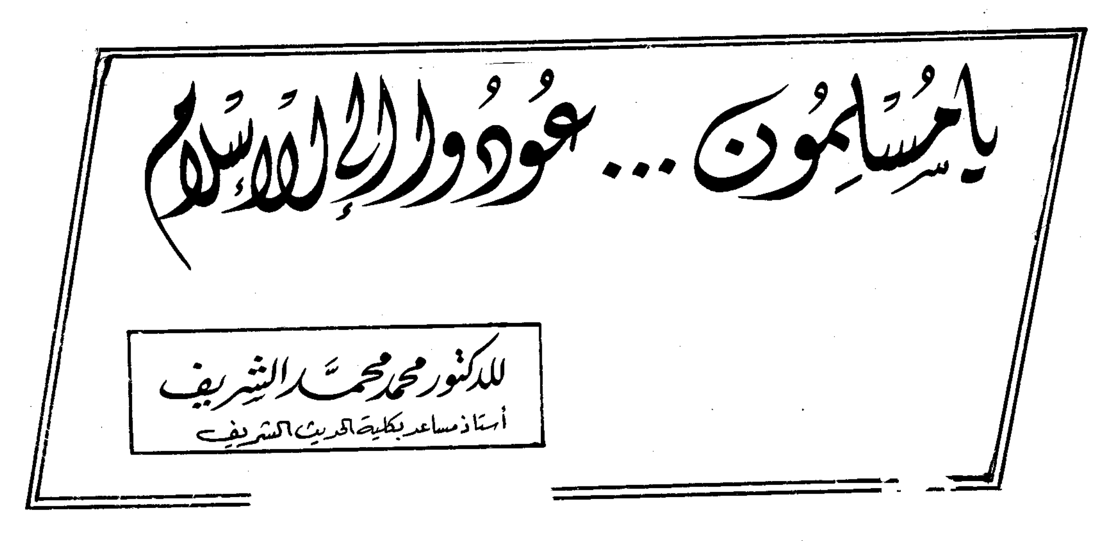
أما القول الذى يرى أفضلية الصوم اذا لم تصحبه آفة تحبطه ؟ فيمكن أن نضيف إلى ما قلناه سابقا ، ان هذه الآفات من الرياء والسمعة ونحوهما ، أمور قلبية أى أن مدارها على نية الانسان وقصده فاذا جرد الانسان نيته ، وكان صومه خالصا لله ، فلا يضره ما قيل فيه ·

وأما قيام الغير بخدمته ، فلا يخلو حال الصائم من أحد أمرين : إما أن يكون قادرا على خدمة نفسه والمشاركة بجهد فعال مع بقية رفاقه في الرحلة مع صومه ، فينبغى له ألا يسمح للغير بالقيام بهذه الأعمال نيابة عنه · واما ألا يكون قادرا على ذلك مع الصوم فينبغى له الفطر أخذا بالرخصة ·

وعلى ذلك : فيمكن القول : بأن الفريق الذى كان مصاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صائما وعجز عن القيام بالأعمال التى قام بها المفطرون ، فإنه قد خالف مقتضى الرخصة ، حيث ترك الأخذ بها مع أنه كان من أهلها .. لذلك استحق المفطرون الأجر دونهم ··

والله أعلم


ثقافة
إسلامية



للدكتور محمد محمد الشريف
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

الإسلام هو دين الله عز وجل الذى ارتضاه للعالمين وبه تمام النعمة وكمالها ودوامها قال تعالى : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**) **ولئن قلنا إن أعظم نعمة أنعم الله بها على الناس ، وأعظم نعمة تستوجب منا الشكر والتقدير والعرفان والمحافظة عليها : هى الإسلام ، لكنا قد أصبنا عين الحقيقة .**

قال تعالى : (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم) ومن أجل ذلك أمرنا بالمحافظة على هذه النعمة وصيانتها قال تعالى : **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .**

ومن حافظ على هذه النعمة تولى الله جزاءه ومكافأته وأعظم له العطاء (وسيجزى الله الشاكرين) ومن جاء بغير هذا الدين ضَل سعيه وحبط عمله وخسر الخسارة الكبرى مهما بدا لنا منه من الخير والبر وحسن المعاملة وكريم الخلق قال تعالى : (**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**) وقد يكافئه الله على هذا فى الدنيا بكثرة المال ، والولد ، أو بالصحة ، أو بالرفعة فى الدنيا ، وأما الآخرة فليس له فيها من نصيب .

وقد شرع لنا هذا الدين رب العالمين العليم بخلقه الذى يعلم ما يسعدهم وما يشقيهم وما يصلح لهم وما لا يصلح ، العليم بكل ما تحتاجون إليه وما لا يحتاجون إليه ، وهو الحكيم الذى يحكم بالحق ويشرع لهم كل خير ، ويمنعهم من كل شر ، وهو الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شيء ، وبعث رسله رحمة للناس وكان خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

قال تعالى : **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** وقال تعالى : **(والله يعلم المفسد من المصلح)** وقال تعالى : **(وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** .

ولقد كان هذا الدين التام الكامل الشامل مستوعباً لجميع نواحي الحياة : فقد نظم حياة الفرد من ساعة أن يخرج من بطن أمه إلى أن ينتقل إلى ربه : وبَيَّن ما ينبغى للطفل إذا خرج من بطن أمه من عناية الوالدين به وتعهدهما له وبين أهم نواحي هذا التعهد وهو تربية الطفل على معانى الخير والحق والفضيلة ، فأمر بإحسان الاختيار لأمه ، وإحسان الاختيار لاسمه ، وأمر بأن يُعَلَّم حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وحب القرآن الكريم . ثم إذا صار مميزا أمر بأن يُعلَّم الصلاة ويُعوَّد عليها ، ولا ريب أن الصلاة تعود النظافة والطهارة والاجتماع على الخير والحق ، والمودة والمحبة والتعارف والطاعة ، وتغرس قوة الإيمان ، وحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وحب دين الله وحب المؤمنين . فإذا بلغ سن العاشرة وقارب البلوغ كانت العناية به أتم وأكمل ، فيتأكد أمره بالصلاة وتعويده عليها ، فإذا رُؤى منه الترك والتهاون ، ضرب ضربا غير مبرح ، إلزاماً له بالخير حتى يستقيم عليه . فإذا بلغ مبلغ الرجال سهل عليه تعود الصلاة والمحافظة عليها .. كذلك إذا بلغ العاشرة وقارب البلوغ وجب أن يُعوَّد على الفضيلة ، وأن يُمنع من الرذيلة ، وأن يحال بينه وبين أسبابها ، حتى إذا بلغ كان بعيداً عن الرذيلة ومتأبياً عليها . ولذلك أمرنا بالتفريق بين الأولاد فى المضاجع عند بلوغ سن العاشرة .

وقد أمر الإنسان البالغ بأنواع من العبادات كفيلة بأن تحفظ إيمانه وتزيده رسوخاً وثباتاً ، وتملأ قلبه صلة بالله وحباً له وإقبالاً عليه ، وتملأ قلبه حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعاً له واقتداءً بسنته ، وتملأ القلب كذلك حبًّا لعباد الله الصالحين ، وتنشىء الصلة الطيبة والرابطة القوية بينه وبينهم : وأهم ما أمر به إقامة الصلاة وإخلاصها لله عز وجل كل يوم خمس مرات موزعة على أول النهار وأوسطه وقبل غروب الشمس ومن أول الليل عند

غروب الشمس وعند حلول الظلام وانتشار الليل حيث ينتهى الإنسان من يومه ويذهب إلى فراشه . ونُدب الإنسان إلى أنواع أخرى من الصلاة المسنونة ، كالسنن التابعة للفريضة المسماة بالرواتب ، وصلاة الضحى ، وصلاة الوتر ، وصلاة الليل ، والصلوات التى تقتضيها الحاجة كصلاة الاستسقاء ، والكسوف ، والحاجة ، والاستخارة ، وصلاة العيدين التى تجمع كل أبناء البلد فى صعيد واحد حيث يكون التواد والتعاون على البر والتقوى وإكرام الفقراء والمساكين .

ولا يخفى علينا الآثار الكريمة والنتائج الطيبة التى تترتب على إحسان صوم رمضان ، وعلى إيتاء الزكاة وعلى حج بيت الله الحرام وغير ذلك من العبادات المتنوعة .

وقد اهتم الإسلام كذلك بالنواحي الأخلاقية والنواحي الاجتماعية والمعاملات التجارية والشئون الاقتصادية والسياسية . ولم يترك الإسلام أمراً يحتاجه الناس إلا بينه لهم وحثهم عليه وعرفهم به ، ولم يترك شراً يضر الفرد والمجتمع إلا نبههم عليه وحذرهم منه ، وذلك ليعيش الإنسان سعيداً فى نفسه وفى أسرته ومجتمعه وأمته ، وحتى يكون آمنا على نفسه ودينه وعرضه وماله وأهله وولده ، قال تعالى : (**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجز ينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) ، وقال تعالى : (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**) .

وقال تعالى : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) ، وقال تعالى : (**ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**) وقال تعالى : (**وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين**) ، وقال تعالى : (**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهاراً**) .

إنه بحق دين الإصلاح الشامل ، ودين التربية الكاملة ، وهو مع ذلك دين الرحمة والرفق واليسر (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) ، (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

وإذا تحقق للمسلمين حقيقة التمسك بدينهم ساد بينهم الحب والإخاء والسلام ، وصاروا على قلب رجل واحد ، وحسنت صلتهم بالله عز وجل فكان الله وليهم يوفقهم ويسدد خطاهم ، وصاروا قوةً يحسب العالم لها حسابها ، يقدرها الأصدقاء ، ويهابها الأعداء . قال الله تعالى : (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**) ، وقال تعالى :

(**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) ، وقال تعالى : (**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) . وما نَصْرُ الله إلا نَصْرُ دينه والتمسك بكتابه ، والحفاظ على شريعته ، وإحياء سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والدعوة إلى الله على بصيرة ، والجهاد فى سبيله لإعلاء كلمته ، والدفاع عن المستضعفين من المسلمين . ولا يتحقق نصر الله عز وجل لمجرد الانتساب إلى الإسلام ، بل لابد من حقيقة إقامة الدين والعمل به وتحكيمه وهيمنته على كل شىء لتكون كلمة الله هى العليا .

وهذه هى أسباب تحقق النصر من عند الله عز وجل ، قال الله تعالى : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) .

ولو قلبنا صفحات التاريخ لتبينت لنا هذه الحقائق كاملة غير منقوصة . ولا يخفى على أحد حال الناس عموماً والعرب خصوصاً قبل الإسلام . وكيف كان الفساد والظلم والظلمات وكيف كان الضعف والتفرق والضياع وكيف تمكن منهم غيرهم . إلى أن جاء الإسلام ودخلوا فى دين الله وتمسكوا بهذا الدين وحرصوا عليه وأحبوه حباً يفوق حبهم لأنفسهم وأولادهم وأهليهم وأموالهم . فغير الله حالهم إلى أحسن حال ، وساد بينهم الحب والإخاء والعدل والأمن والسلام ، وبسط الله لهم الرزق ، وصاروا قوة يرهبها عدو الله وعدوهم ، ومكن الله لهم فى الأرض ، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله ، فانهزمت أمامهم قوة الفرس والروم رغم قلة المسلمين وقلة أسلحتهم . لكنهم رغم قلتهم وقلة أسلحتهم كان معهم السلاح الحاسم الذى لا ينكسر أبداً هو سلاح الإيمان بالله ، والاعتماد عليه ، والانتصار لدينه وإعلاء كلمته . فلم يقف أمام ذلك السلاح قوة سلاح عدوهم المادى وكثرة أعدادهم ... ولم يقف الأمر بالمسلمين عند هذا الحد بل نشروا فى هذه الأمم دين الله عز وجل وأقبل الناس على دين الله ونشروا بين الناس العدل والإنصاف والمساواة والرحمة والإحسان .. ولقد مكن الله للمسلمين فى الأرض ، وعلمّوا الدنيا الحضارة الإسلامية المجيدة التى أنقذت الإنسانية من ظلمات الجهل والأباطيل وعبادة غير الله ، وهدتهم إلى نور العلم والحقائق والتوحيد ، وكشفوا للناس عن حقائق العلوم الحديثة ، وسخروا هذه العلوم ومكتشفاتهم فى سبيل الحق والخير ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه أوربا تخبط فى ظلمات بعضها فوق بعض ، ظلمات العصور الوسطى . ولم تنج أوربا من هذه الظلمات إلا عندما اتجهت إلى المسلمين تستنير بما عندهم من معارف وتهتدى بما لديهم من علوم واكتشافات . ولذلك يعترف المنصفون منهم أن أوربا مدينة فى تقدمها العلمى للمسلمين .

هذا قليل من معطيات هذا الدين الحنيف ، وقليل من نتائجه البارزة التى ظهرت على أيدى المسلمين الصادقين . ثم خلف من بعد هؤلاء خلف أضاعوا هذا الدين واتبعوا الأهواء والشهوات ، وأقبلوا على الدنيا وتركوا أمر الآخرة وراءهم ظهرياً . وغلب هذا على الكثير إلا الذين داموا على حبهم للدين وتمسكهم به ، وقليل ما هم . فتغير حال المسلمين وانتشر بينهم التنافس على الدنيا والحرص على شهواتها فكان التنازع والاختلاف والشقاق والخصام والعداء ، وتقطعت ذات البين ، وظهر الخوف ، وضاع الأمن ، وضرب الله قلوب الناس بعضهم ببعض ، وتفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون . وكان الضعف الشديد الذى تمكن منهم ، واستطاع الكافرون أن يستغلوا هذا الضعف لمصلحتهم ، وتمكنوا من أرض المسلمين وثرواتهم وتحكموا فى رقابهم . وصار حال المسلمين على ما نرى الآن . فهم مستضعفون ومضطهدون ومعذبون فى كثير من البلاد حتى فى البلاد ذات الكثرة المسلمة ، وما حال المسلمين فى لبنان ، وفلسطين ، وأفغانستان ، والفلبين ، والاتحاد السوفيتى والدول التى تدور فى فلكه ، ما حال هؤلاء ، وغيرهم عنا ببعيد . والسبب الحقيقى وراء ذلك كله هو ضعف المسلمين عموماً لإضاعتهم للدين وإقبالهم على الدنيا وشهواتها .

ولا يصلح حال المسلمين اليوم إلا بما صلح به حالهم بالأمس . إنهم لم تصلحهم الدنيا ولا شهواتها ، ولكن أصلحهم هذا الدين . فإذا أراد المسلمون أن يتغير حالهم إلى أحسن حال وإذا أرادوا أن يعودوا إلى سابق عزهم ومجدهم وقوتهم وسعادتهم فالطريق واضح أمامهم **(وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) .**

فالعودة إلى دين الله الحكيم وشرعه القويم وصراطه المستقيم ، كفيلة بأن تصلح الحال والمآل . ولا يصلح حال أحد ولن يصلح إلا بمراعاة شرع الله وتحكيم كتابه الكريم واتباع السنة الرشيدة المطهرة . وعلى كل فرد مسلم أن يبدأ بنفسه ، وما الأمة المسلمة إلا مجموع أفراد إذا صلحوا صلحت . وعلى حكام المسلمين وولاة أمورهم من ملوك ورؤساء وأمراء على هؤلاء يقع العبء الأكبر والمسئولية الأولى لأن الله سبحانه قد ملكهم زمام الأمر ووضع بين أيديهم مقاليد البلاد ، يسمع لهم ويطاع ، وتنفذ رغباتهم بمجرد الإشارة .

وفى الحديث الصحيح « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وأول الرعاة وأعظمهم أثراً هم الحكام ، ولذلك كان الحاكم الصالح العادل له مكانته وشرفه عند الله عز وجل لأن الخير الكثير يترتب على صلاحه وعدله فينتفع به العباد والبلاد . ولقد كان من أول السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله « الإمام العادل » ، ولا يتحقق عدل الإمام إلا

إذا أقام الدين وحكم شرع الله فى أمور الدولة كلها . ومن أبرز مظاهر تحكيم الشرع المحافظة على أركان الدين وشعائره وحدوده . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الخير والفلاح والصلاح . والحكم بغير شرع الله جور وظلم وفساد وضلال . وكم من شعوب مسلمة متدينة ترغب فى إقامة حكم الله وشرعه وحدوده ويقف بعض الحكام حجر عثرة أمام هذه الرغبة الصادقة لأن ذلك يخالف أهواءهم وشهواتهم ومقاصدهم ، ومن اعتقد أن شرع الله لا يصلح للحكم بين الناس فقد خرج من دين الله **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** ومن اعتقد أن شرع الله يصلح للحكم وما سواه لا يصلح لكنه ترك الحكم به من باب التقصير اتباعاً لهواه أو خوفاً من أفراد أو مراعاة لمصالحه مع دول كافرة فهذا من الكبائر وهو بهذا ظالم لنفسه ولشعبه عاص لأمر الله عز وجل قال تعالى : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** .

هذا وقد بدت تباشير صحوة المسلمين وتيقظهم بالعودة إلى دينهم ، وفى ذلك الخير الكثير . وقد تعالى النداء من كل مكان بضرورة العودة إلى هذا الدين الحنيف وتطبيق شرائعه ، ورائد ذلك فى العصر الحديث هو المملكة العربية السعودية على يد مؤسسها الأول الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وعلى أيدى أبنائه من بعده . ويكفينا أن نعلم أن الملك عبد العزيز رحمه الله وجد من العرب أشتاتاً متفرقين متناحرين فجمعهم على كلمة الحق ورفع لواء التوحيد واستطاع بعون الله أن ينشىء دولة المملكة العربية السعودية ، وأعلن أنها قائمة على دين الله وشرعه ، متمسكة بكتاب الله وسنة نبيه الكريم وصدق قوله فصدقه الله . وبعد أن كانت قليلة الموارد والثروات ، قليلة المال ، ضيقة ذات اليد ، إذا بالخير يتوالى عليها ، ويكثر حتى تصبح أغنى دولة فى العالم ، وهى بحمد الله تستغل ذلك الخير لخدمة الدين ونشره والدعوة إليه وخدمة المسلمين فى كل مكان .. وبعد أن كانت تعانى من الخوف وضياع الأمن ، إذا بالأمن يرفرف على ربوعها ويشمل كل أنحائها ، وصار الإنسان لا يخاف من أحد إلا الله ، والذئب على غنمه فأطعم الله أهل هذه البلاد من جوع وآمنهم من خوف . وما ذلك إلا بفضل الله أولا ثم بإقامة شرع الله وتطبيق أحكامه وحدوده ثانياً . وقد ضربنا المثل بالمملكة العربية السعودية لأنها والحمد لله مازالت تنادى بأن شرفها وفخرها وعزها فى تطبيق شرع الله ، ومازالت ترعى هذا الدين وتبذل فى سبيله الجهد والمال وتقرن هذا القول بالعمل ، ومن ثم كانت أول دولة تحكم بالإسلام ، وأول دولة يشعر فيها الجميع بالأمن التام ، والطمأنينة الكاملة ، وإن الجنود والسلاح والقوانين الأجنبية لا تحقق من ذلك شيئا مذكوراً ، وفى ذلك القدوة الحسنة لمن أراد أن يقتدى ، وأسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين ، ويوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

مَشْرُوعُ «أَقْرَأْ»

لتعليم اللغة العربيّة عن طريق القرآن

للشيخ أحمد فؤاد البشبيشي
خبير التعليم بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم محمد بن عبد الله النبى الأمى العربى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد :

فإن أول ما نزل من القرآن الكريم قول الله تعالى : **(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم) .**

وفى الأيام الأولى لنزول الكتاب الكريم كان نزول آيات **(ن والقلم وما يسطرون)** فالأمر القرآنى الأول أمر بالقراءة .

والأداة الأولى التى ورد ذكرها فى الكتاب الكريم هي أداة الكتابة .

والكتابة كما يقول العلماء ـ بدأت أولاً ثم جاءت القراءة (١) .

ذلك لأن الكتابة وليدة الحس والرسم ، والقراءة وليدة الإدراك والفهم .

والقراءة أشرف من الكتابة لأن سيد البشر كان قارئاً ولم يكن كاتباً ولأن القراءة عملية حسية عقلية يشترك فيها اللسان والعقل والعين فهى إدراك بصرى ـ فى الغالب ـ ثم نطق لسانى ثم فهم عقلى وربط بعد ذلك .

---

(١) الموجز في الطرق التربوية للأستاذ محمد عطية الأبراشي .

والكتابة - وخصوصاً فى اللغات القديمة ومنها العربية - يرتبط رسمها إلى حد كبير بنطق الحرف ·

والقرآن الكريم من بين الكتب السماوية ومن بين كتب الدنيا كلها هو الذى جمع بين الاثنين ، فهو قراءة محفوظة في الصدور ، وكتابة مسجلة على السطور ·

والقرآن مصدر على وزن فُعلان بالضم كالغفران ·

وقد جاء استعمال كلمة القرآن بهذا المعنى المصدرى قال تعالى : **(إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه · ثم إن علينا بيانه)** ·

ثم صارت الكلمة علماً شخصياً لذلك الكتاب ، وهذا هو الاستعمال الأغلب ومنه قوله تعالى : **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** ·

وروعي في كونه قرآناً كونه متلواً بالألسن (١) ·

كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام ·

فكلتا التسميتين من تسمية الشىء بالمعنى الواقع عليه ·

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حق القرآن على المسلمين العناية بحفظه فى موضعين السطور والصدور ·

فلا ثقة بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه ·

ولا ثقة بكتابة كاتب حتى يوافق ما عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر · والقراءة ضم الألفاظ بعضها إلى بعض فى النطق ·

والكتابة ضم الألفاظ بعضها إلى بعض فى الخط ، فمادة **(ك ت ب)** ومادة **(ق ر أ)** تدوران على معنى الجمع والضم ·

ولقد خلد القرآن الكريم اللغة العربية وخدمها وهو سبب بقائها وانتشارها :

فمن ناحية التطوير :

كان الخط أو الكتابة المعروفة وقت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم هى كتابة أهل الحيرة ، ولقد تعلمت قريش هذه الكتابة ، وأول من نقلها سفيان بن أمية أو أخوه حرب بن

---

(١) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز

أمية ، وقد تطور الخط فى صدر الإسلام إلى خط الجزم ، ثم تطور مرة ثانية إلى الخط الإسلامى وهو ما يسمى بالخط الكوفى .

والخط الكوفى تأثر بالكتابة السريانية ، فحروف الكتابتين متشابهة ، والحروف المفصولة فى العربية هى نفسها الحروف المفصولة فى السريانية ، وهى حروف الراء والواو والألف والدال ، وكذلك يتشابهان فى حذف الألف فى لفظتى هذا وهؤلاء .

والكتابة فى المدينة المنورة لم تتأخر فى الظهور فيها عنها فى مكة ، فقد قيل إن يهودياً كان يعلم الصبيان الكتابة ، وكان هؤلاء الصبيان هم كتبة الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن مالك ، وأسيد بن خطير ، ومعن بن عدى ، وأبو عيد بن كثير ، وبشير بن سعيد وغيرهم .

وقد دخل الإسلام ـ كما يقول البلاذرى ـ **وفى قريش سبعة عشر رجلا يكتبون هم :** عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وطلحة بن عبيد الله ، ويزيد بن أبى سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو ، وأبو سلمة عبد الأسد المخزومى ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد ، وعبد الله سعد بن أبى سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان ومعاوية ، وجهيم بن الصلت رضى الله عنهم أجمعين .

أما النساء اللائى كن يكتبن فهن :

شفاء بنت عبد العدوية ، وهى من رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد تعلمت منها أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، وأم كلثوم بنت عتبة ، وفروة ، وعائشة بنت سعد ، وكريمة بنت المقداد ، أما عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فكانت تقرأ المصحف ولا تكتب وكذا أم سلمة .

ولقد كان كتاب الوحى على عهد النبى صلى الله عليه وسلم اثنين وأربعين كاتباً .

وكان أكثرهم فى سن الشباب وكانوا يختارون من بين أجود الكتبة خطاً وكتابة وكان لهم دور عظيم فى النقل والرواية عن الرسول الكريم قرآناً وحديثاً وتشريعاً ، كما كان لهم الدور الأول فى جمع المصحف وكتابة المصحف الإمام أيام عثمان رضى الله عنه كما كان لهم دور فى نقل العلم وتأسيس مدارسه فى مكة والمدينة ثم في غيرهما من الأمصار ومن هؤلاء أبىّ بن كعب كاتب الوحى الجليل رضى الله عنه .

وكلنا يعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبل فداء بعض أسارى بدر لأنفسهم بأن يعلم كل واحد عشرة من المسلمين ·

ولقد تطور المصحف الشريف بالكتابة العربية مما يجعلنا نقول إن الكتابة إسلامية أولاً وهذا التطور قد أخذ الخطوات الآتية :

١ ـ **المصحف الإمام** : وهو مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ولازال الرسم المعمول به هو رسم هذا المصحف الإمام إلى الآن ·

٢ ـ **الشـــكل** : وهو ضبط الحروف وقد تم على يد أبى الأسود الدؤلى (ت ٦٩ هـ) ·

٣ ـ **الإعجـــام** : وهو إعجام الحروف أو نقطها أيام خلافة عبد الملك بن مروان بأمر من الحجاج لنصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) ثم جاء يحيى بن يعمر سنة ١٢٩ فوضع الإعجام بنفس المداد (١) ·

٤ ـ قام الخليل بن أحمد الفراهيدى **بإبدال نقط الشكل** التى وضعها أبو الأسود بجرات علوية وسفلية دلالة على الفتح والكسر ·

والمصحف فى كل هذه المراحل هو مركز الدائرة فى كل مراحل تطور الكتابة العربية ·

ومن ناحية الحفظ والانتشار :

كان القرآن الكريم هو الدرع الواقى للغة العربية ويكفى فى هذاقول الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) كما كان انتشار المسلمين فى كل مكان بالقرآن الكريم مكتوباً بأيديهم ومقروءاً بألسنتهم ومحفوظاً فى صدورهم هو الذى ترك الساحة خالية للغة العربية فسقطت أمامه اليونانية واللاتينية والفارسية فى مناطق كثيرة ·

ومن ناحية الإثراء والقيمة :

فلا شك أن القرآن الكريم قد أثرى اللغة العربية ثراءً عظيماً بلغته وبيانه وتصويره وقصصه مما جعلها لغة تشريع وحضارة خالدة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ·

ولقد تعددت في هذه الأيام أساليب التعلم ووجد ما يسمى بالتعليم الوظيفى وأخذت

---

(١) الخط العربى وتاريخه ·

به كثير من الدول العربية والإسلامية والذى نعرضه هنا إنما هو البديل للتعليم الوظيفى .. ليس هذا فقط وإنما الأساس لتعلم اللغة العربية .

تعليم اللغة العربية عن طريق القرآن الكريم :

والدراسة التى نعرضها بدأناها باستعراض ما فى القرآن الكريم من محصول لغوي . فالمصحف يجمع بين دفتيه ١١٤ سورة ، ٦٢٣٦ آية ، ٧٧٤٦٠ كلمة ، ٣٢١٢٥٠ حرفاً ، ١٥٦٠٥١ نقطة .

وقد قمنا بحصر الحروف التى فى نصف الجزء الأخير من القرآن من أول سورة الأعلى إلى نهاية سورة الفاتحة وذلك لتداول هذه الآيات وكثرة الحافظين لها وقصر فقراتها وقد تبين أن هذه السور عددها ٢٩ سورة وأنها تشتمل على « ١٠٠ » سطر .

وبعض الحروف كثر تكراره وهى الحروف التى تتكرر فى الكتابة والقراءة العادية .

وبعض الحروف قل تكراره وهى الحروف التى يقل تكرارها فى الكتابة والقراءة العادية .

والنوع الأول يحتاج من المعلم بهذه الطريقة والمتعلم بها أن يكثر المران عليها أكثر من الحروف الأخرى .

وقد وضعنا ذلك كله فى جدول يمكن أن نأخذ منه الآتى :

أولا : الحروف المكررة :

أ ـ **الهمزة والألف** : وقد اعتبرا حرفاً واحداً وقد تكررتا ٥٠٣ مرة والهمزة من الحروف الحلقية وهى تخرج من أقصى الحلق مما يلى الصدر .

ب ـ **اللام** : وقد تكررت ٤٩٩ مرة وهى من الحروف اللسانية السهلة لأنها تخرج من أدنى حافتى اللسان مما يلى طرفه من أصول الثنايا العليا .

جـ ـ **النون** : وقد تكررت ٢٩٨ مرة ومخرجها من تحت مخرج اللام .

د ـ **الميم** : وقد تكررت ٢٧٢ مرة وهى أسهل الحروف الشفوية نطقاً .

هـ ـ **الياء** : وقد تكررت ٢١٨ مرة وتخرج من وسط اللسان .

و ـ **الواو** : وقد تكررت ٢٠١ مرة وهى حرف شفوى تفتح الشفتان قليلاً عند خروج الهواء .

ز ـ التـــاء : وقد تكررت ٢٠٠ مرة وتخرج من طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا ·

أمـا الحروف قليلـة التكرار فهى :

أ ـ الظـــاء : وقد تكررت مرتين فقط وهى حرف لثوى وتخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ·

ب ـ الـــزاى : وقد تكررت ٢٣ مرة وتخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ·

جـ ـ الغـــين : وقد تكررت ٢٢ مرة وتخرج من أدنى الحلق مما يلى الفم ·

د ـ الضـــاد : وقد تكررت ٢٥ مرة وتخرج من حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس العليا من الجهتين اليمنى واليسرى ·

هـ ـ الطـــاء : وقد تكررت ٢٧ مرة وتخرج من طرف اللسان مع ما يليه من أصول الثنايا العليا ·

و ـ الثـــاء : وقد تكررت ٣٢ مرة وتخرج من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ·

ز ـ الشـــين : وقد تكررت ٣٦ مرة وتخرج من وسط اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى ·

ثانيـــا : لو ألقينا نظرة على التحليل السابق لتبين أن أكثر الحروف استعمالا هى الهمزة والألف وذلك لسهولة النطق ويسر الكتابة فهى خط رأسى يمثل خط الهواء وهو يخرج من أقصى الحلق ... واللام وهى أكثر الحروف اللسانية استعمالاً لأنها أسهل نطقاً وهى حرف ا يزاد عليها قوس فى أسفلها واستعمالاتها فى لفظ الجلالة ولفظ التعريف وبداية الأسماء كثيرة ·

والنون مخرجها من نفس مخرج اللام ·

ويمكن تعليل كثرة استعمالات النون والميم والياء والواو والتاء على أن كثرة هذه الحروف وتعدد مخارجها يتيح للسان والحلق وحركة الهواء والشفتين أن يؤدوا جميعا حركات منسجمة منظمة تتم بها أصوات الكلمات ومن ثم تعبر الكتابة بقدر الامكان عن صورة هذه الأصوات ·

وهناك حروف قليلة الاستعمال وقد تكون من نفس المخارج السابقة ولكنها من المواضع الأصعب كالضاد التى تخرج من موضع اللام والزاى التى تخرج من موضع السين .

والحروف المكررة كثيرة هى الأسهل فى الكتابة وعكسها هو الأصعب .

والقاموس القرآنى هو أحسن وأعظم وأصح قاموس لغوى يمكن أن يعتمد عليه من يتعلم القراءة والكتابة بل من يرتقى بأسلوب كتابته الى الذروة .

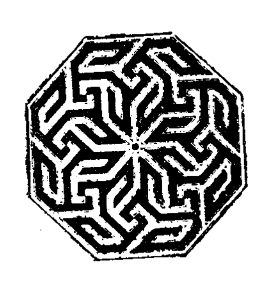
لـــذا فإن المشروع - وإن لم يكن جديدا - يعتمد على حفظ المسلم لمعظم سور نصف الجزء الأخير وكله قصار سور ، وإذا كانت عملية الحفظ متوافرة لدى المتعلم فإنه يستطيع بتكرار القراءة والكتابة لسورة من السور أن يتعلم كتابة وقراءة أكثر من حرف ... والبسملة وحدها تتكون من ١٩ حرفا .

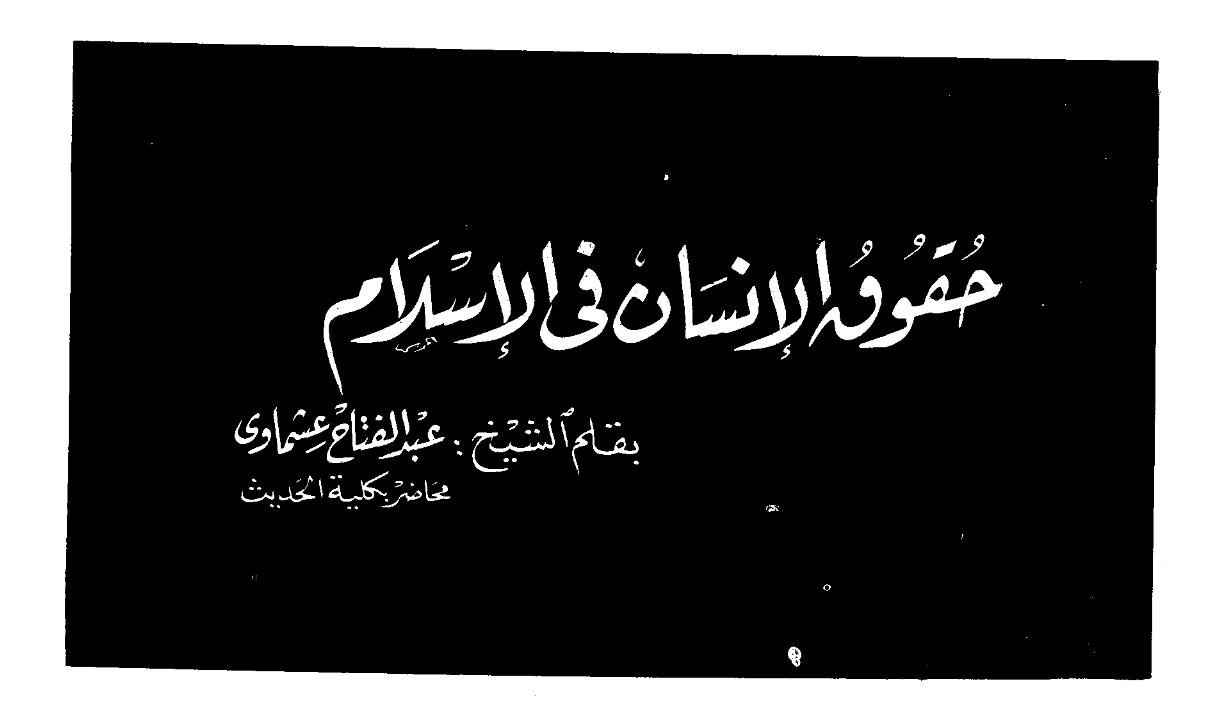
٤ ل ٣ ا ٣ م ٢ ح ٢ ر ا ب ا س ا هـ ا ي ١ ن .

وكل حرف من هذه الحروف يتكرر فى مواضعه المختلفة من الكلمة مرة أولها ومرة وسطها ومرة آخرها .

وقد قلنا إن مجموع هذه السور « ١٠٠ » سطر فلنعد كراسة يتم تدوين سطرين فى كل صفحة منها حتى يمكن للمتعلم أن يكتب على منوالها وأن تبدأ العملية بالحفظ ثم بالتكرار جملة جملة ثم كلمة كلمة إلى أن نصل إلى كتابة الحرف وحده ثم عودة إلى الكلمة ثم الجملة .

وإذا كانت فكرة التعليم الوظيفى من ربط التعليم بالعمل الوظيفى اليومى فإن ربط التعلم بالقرآن الكريم هو ربط بالحياة اليومية وربط بالإيمان والقيم ، وفرق بلا شك بين كلام تلزم الإنسانَ به حياتُه العملية وبين كلام يعين عقله ويحفظه صدره ويشرح به صدره ويتعبد به لسانه . أن أول الطريق خطوة وعلى الله قصد السبيل ...





(البـــاب الســـادس)

وقد جمعنا في هذا الباب المواد الآتية من إعلان حقوق الإنسان .

المـــادة الثالثـــة عشرة :ـ

(أ) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة .

(ب) يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليـــه .

المـــادة الرابعـــة عشرة :ـ

(أ) لكل فرد الحق أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهـــاد .

(ب) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية ، أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها .

المـــادة الخامســـة عشرة :ـ

(أ) لكل فرد حق التمتع بجنسيةٍ مـــا .

(ب) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكاراً لحقه في تغييرها .

ونبدأ فنقول : ـ إن كلمة الهجرة التى تشير إليها كلمات ، (اللجوء ، والتنقل ، واختيار محل الإقـامة ، والهرب من الاضطهاد) أقول كل كلمات هذه المواد والتى تجمعها جميعا كلمة الهجرة من بلد إلى بلد للأسباب التى ذكرتْ ولغيرها من كل قصد عظيم ، نحن المسلمين شيوخ هذا الأمر وأساطينه ومعلموه للدنيا كلها ، فقرآننا مملوء زاخر بالأوامر القاطعة بالهجرة تارة ، وبالترغيب فيها تارة ، وبالثناء على الذين يفعلون ذلك تارة ثالثة ، وبالحساب العسير في الآخرة للذين تركوها تارة رابعة .

فمن نوع آيات الأمر بالهجرة قوله تعالى (**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها**) (**قل سيروا في الأرض**) (**أو لم يسيروا في الأرض**) (**قل ياعباديَ الذين آمنوا إن أرضي واسعة**) أى هاجروا إليها . (**قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة**) أى هاجروا إليها .

ومن آيات الترغيب قوله تعالى : (**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة**) (**والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا**) .

ومن آيـات الثناء على أهل الهجرة قوله تعالى : (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله**) (**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون**) .

ومن آيات الحساب والعقاب على المتقاعس إن اضطر إلى الهجرة ولم يهاجر ، قوله تعالى (**إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**) وعكس ذلك نِعْمَ المثوبة (**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون**)

والرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم أعظم من قاموا بأخطر وأجل الهجرات في التاريخ ، فهجرتا الحبشة قبل الهجرة الكبرى كانتا من رجال ونساء من أكرم الصحابة

والصحابيات على السواء ، تمسكا بالحق الأعظم والتزاما بالدين الأقوم ، وتحملوا في ذلك من وعثاء الأسفار وعناء الاغتراب ما تحملوا ، حتى آتاهم النصر العظيم والفرج العميم بالهجرة الكبرى المحمدية ، التى سادت كل هجرات الدنيا ولم يحك التاريخ لها نظيراً ، فقد تحولت إلى إعصار عاتٍ لكل شرك وكفر تذروه من على سطح الأرض ، وحولت الدياجير المظلمة إلى نور وضاء حمله الرسول أكبر مهاجر يحمل معه أكبر حق مصور أصدق تصوير في آية الهجرة هذه (**وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا**) الاسراء ٨٠ ، والمدخل الصدق هو البلد الذى هاجر إليه وهى المدينة التى أنيرت بالحق الذى حمله معه إليها ، وسميت بالمدينة المنورة من يومها إلى الآن وإلى يوم القيامة ، والمخرج الصدق في الآية هو البلد الأمين الذى هاجر منه مكة بلد الله الحرام ، فهو صلى الله عليه وسلم خرج من مكة بصدق التوحيد ودخل المدينة بالصدق نفسه ، وبنفس هذا الصدق وخيره وعزته جعل الله له كما حكت الآية سلطاناً نصيراً ، قوة ومنعة أذل بها الجبابرة وقهر بها الأكاسرة والقياصرة ، هو وأصحابه الذين تتبعوا الخطى وساروا على الأثر ، ... ثم نحن أيضا خير من هُوجِرَ إلينا ، يقول كتابنا المعظم : (**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه**) ، حتى النساء (**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن**) وقصة الأنصار من أهل المدينة في لقائهم للمهاجرين علم الله أنها تستحق أن تخلد في أخلد كتاب بقوله تعالى : (**والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**) .

وفي (زاد المعاد) : لما قدم رهط من أهل الحبشة إلى النبى صلى الله عليه وسلم أكرم قدومهم وقام يخدمهم بنفسه ، فقال له أصحابه : نحن نكفيك يارسول الله ، فقال : (لا ، إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين) ، ومن أجَلِّ سنين عصر النبوة ، العام التاسع للهجرة ، الذى جاء فيه من أنحاء الأرض إلى النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من ستين وفدا ، ولهذا سمى بعام الوفود ، وقد أحسن صلوات الله عليه معاملتهم جميعاً حتى الكفار منهم ، وكان في هذه الوفود وفد بني حنيفة يرأسه مسيلمة الكذاب نفسه ، ولم يصبه أذى من الرسول ولا من أصحابه حتى عاد إلى بلاده وأبلغ مأمنه كما أمرتهم الآية السالفة الذكر ، بل ومن هذه الوفود من جاء خصيصا لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم متظاهرين بالإسلام ، ولم يقابل الرسول ذلك بالمثل حيث جاؤوا إليه في بلده ، فتولى الله تعالى الدفاع عنه بما حكى ابن اسحاق في المواهب للإمام القسطلاني شارح البخاري بقوله : وَفِد عليه الصلاة والسلام بنو عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن أسلم ، وكان هذا النفر رؤساء القوم

وشياطينهم ، فقدم عدو الله عامر بن الطفيْل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد أن يغدِرَ به ، فقال لأربد بن قيس : إذ أقدمنا على الرجل فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : والله لأملأنها عليك خيلًا ورِجالا ، فلما ولّى ، قال عليه الصلاة والسلام : (اللهم اكفني عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا قال عامر لأربد : ويحك ، أين ما كنت أمرتك به ؟ فقال : والله ما هممت بالذى أمرتني به إلا دخلتَ بيني وبينه ، أفأضربك بالسيف ؟ ، ولما كانوا ببعض الطريق ، بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله ، وزاد في صحيح البخارى أن عامراً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخيِّرك بين ثلاث خصال ، أن يكون لك أهل السهل ولى أهل المدر ، أو أكون خليفتك من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء ، فطُعِنَ - أصيب بالطاعون - في بيت امرأة ، فقال : أغُدَّةٌ كغدة البكر في بيت امرأة من بنى فلان ؟ إيتوني بفرسي ، فركب فمات على ظهر فرسه .

وسرنا على مدى الأحقاب نكرم اللاجئين إلينا ومن أرادوا الإقامة ولو كانوا غير مسلمين ماداموا لم يتحولوا إلى مقاتلين أو ضارين بالإسلام وأهله بصورة أو بأخرى ، فقد نص الفقهاء على أنه يجب على الإمام أن ينصر المستأمنين - (والمعبر عنهم اليوم باللاجئين السياسيين) ما داموا في دار الإسـلام ، وأن ينصفهم الإمام ممن يظلمهم ، وكذلك أهل الذمة لأنهم تحت ولا يته ما داموا في دار الإسلام أيضا .

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز أرسل إليه واليــه في مصر يطلب منه الموافقة على عدم دخول أهل الجزية الإســلام فقد يكون ذلك هروباً من الجزية ، لأن دخولهم أدى إلى نقص في إيراد بيت المال وقال لعمر بن عبد العزيز في رسالته : إن الإسلام أضر بالجزية ، حتى لقد نقص عشرون ألف دينار من عطاء أهل الديوان ، فكتب إليه هذا الخليفة الراشد بالرد الآتى : (أما بعد ، فقد بلغنى كتابك ، فضع الجزية عمن أسلم ، قبح الله رأيك ، فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا . (ذكر ذلك المقريزى في خططه) .

بل إن خالد بن الوليد رضى الله عنه قد أمَّن غير المسلمين ضد الشيخوخة والمرض والفقر حين كان يزحف منتصراً باسم الإســلام ، فقد كتب في معاهدة الصلح مع أهل الحيرة وكانوا نصارى ، ما يلى : -

(وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ما أقاموا بدار الإسلام . بل ولتسمع رأى غيرنا فينا .

ذكر الدكتور (فان ديك) ، إن المماثلة في المعاملة في أحقاب كثيرة من عصور الدولة الإسلامية لأهل الذمة غير المسلمين ، قد هيأت لهم إظهار مواهب وقدرات كثيرٍ منهم ، مثل (عبد الملك بن أبهر) ، الذى سكن الإسكندرية في عهد عبد العزيز بن مروان ، وقبله (يوحنا النحوى) الذى كان في عهد عمرو بن العاص ، والطبيب (ثيوذوكس) والطبيب (ثيودون) الروميان في عهد الحجاج بن يوسف الثقفى ، و (جيوجيوس) الطبيب الخاص للخليفة العباسى أبو جعفر المنصور ، و (بختشيوع) الطبيب الخاص للخليفة هرون الرشيد ، واستمرت عائلة (بختشيوع) تتوارث حرفة الطب عند الخلفاء والأمراء المسلمين إلى عام ٥٤٠ هـ الموافق لعام ١٠٥٨ م .

كما ذاع صيت (عبد السميع بن نعيمة) و (البطريق) و (صالح بن يسهلة) و (عبدوس بن يزيد) و (موسى بن إسرائيل الكونى) و (عائلة الطغيورى) في الترجمة من العربية إلى مختلف اللغات وبالعكس في مختلف أعمال الدولة الإسلامية ، كما اشتهر آخرون كثيرون في أعمال أخرى من الهنود والفرس واليهود والنصارى عند الخلفاء . انتهى ما ذكره (فان ديك) .

بل إن رأى جمهور الفقهاء أن حالة الحرب لا تمنع الاتجار بيننا وبين دول الأعداء عن طريق (المستأمَنين) ، **اللاجئون** الذين أعطوا الأمان ، وأنه لا حرج في أن تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب لتباع فيها غلات المسلمين ومنتجاتهم ، فيما عدا أسلحة القتال ، والشافعى رحمه الله هو الذى خالف في ذلك ، وحجة الفقهاء في ذلك ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم حينما أرسل إلى أبى سفيان قبل أن يسلم قدراً من تمر العجوة وخمسمائة دينار ليوزعها على أهل مكة حين أجهدهم القحط .

وأورد ابن قدامة صاحب المغني ما يلى : -

إذا دخل حربي دار الإسلام بأمان فأودع ماله لدى مسلم أوذمى ، أو أقرضهما إياه ، ثم عاد إلى دار الحرب ، نظرنا .

فإن كان قد خرج تاجراً أو رسولا أو متنزها أو لحاجة يقضيها ، ثم يعود إلى دار الإسلام فهو على أمانه ، آمن على نفسه وعلى مـاله .

وإن خرج بقصد أن يستوطن في دار الحرب بطل الأمان في نفسه فقط ، فلا أمان له في شخصه ، وبقى له الأمان في ماله ، لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان ، ثبت الأمان لماله .

وفي كتاب (السير الكبير) طبعة ٥٨ م للشيخ محمد أبو زهرة يقـول :
لو مات (المستَأمَن) في دار الإسلام أو في دار الحرب أو قتل في الميدان محارباً للمسلمين ، لا تذهب عنه ملكية ماله وتنتقل إلى ورثته عند جمهور الفقهاء ، وخالف الإمام الشافعى في ذلك أيضا .

وفي كتاب (الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام) للأستاذ على منصور ذكر ما يلى : -

لا يحل في الإسلام القبض على رعايا الدولة المحاربة المقيمين أو الموجودين في دار الإسلام ، رغم قيام حالة الحرب بيننا وبين دولهم ، وما دمنا قد سمحنا لهم بالإقامة من قبْل في دار الإسلام ، وأعطيناهم الأمان والذمة على أنفسهم ، فلا يحل لنا أن نغدرَ بهم أو نقيد حريتهم ، وأصل الأمان قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويجير عليهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) رواه البخارى .

وفي صبح الأعشى ذكر ما يلى : -

إن الحربى من الأعداء إذا دخل دار الإسلام للسفارة بين المسلمين كتبليغ رسالة ونحوها ، أو لسماع كلام الله فهو آمن دون حاجة لعقد أمان ، أما إذا دخل للتجارة وأذن له إمام المسلمين أو نائبه ، أو من يملك هذا الإذن - كإدارة الهجرة في عصرنا - فهو مستأمن لمدة ، أى مسموح له بالإقامة لفترة حددها الفقهاء بأقل من سنة ، وهو فيها آمن على نفسه لا يُرَوَّع ، فإن احتاجت أعماله التجارية لمدة سنة فأكثر ، فهو ذمى آمن في جوار المسلمين وبذمتهم . ، وبعد هذا نسأل ؟

أيهما أفضل ، حقوق الإنسان التى جعلها الله له ، أم حقوقه التى وضعها لنفسه ، فضيق بها على نفسه ، فكثرت مشاكله ومصائبه ، وكلنا نسمع كل يوم من هذه المشاكل والمصائب الكثير ، على مستوى الفرد والمجتمع والحكام ، الذين تركوا حقوق الله ، وجروا وراء حقوق الخيال والتزويق والأوهام ؟

(إن ربى على صراط مستقيم)

(البـــاب الســــابع)

والحديث في هذا الباب يشمل مادتين من مواد إعلان حقوق الإنسان ، وهما المادة السابعة عشرة ، والثالثة والعشرون . ونورد نصهما أولا على نظام ما سبق في هذا البحث .

المـــادة الســـابعة عشرة : -

(أ) لكل شخص حق التملك بمفرده ، أو بالاشتراك مع غيره .

(ب) لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً .

المـــادة الثالثة والعشرون : -

(أ) لكل شخص الحق في العمل ، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية ، كما أن له حق الحماية من البطالة .

(ب) لكل فرد دون أى تمييز الحق في أجر متساو للعمل .

(جـ) لكل فرد الحق في أجر عادل مُرْضٍ مقابل عمله ، يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان ، تضاف إليه عند اللزوم وسائل أخرى للحماية الإجتماعية .

(د) لكل فرد الحق في أن ينشىء وينضم إلى نقابات ، حماية لمصلحته .

ونبـــدأ فنقـــول : -

ما نظن دينا جعل العمل فرضا وكرم العاملين أكثر من الإسلام ، بل ولأنه دين الله ومنسوب إليه فإن من كرم الله تعالى أن يأبى للمؤمنين به أن يكونوا عالة إلا عليه ثم على ما يأمرهم وما يسبب لهم من عمل ، حتى لا يمدوا أيديهم إلى عدو له يستجدونه (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ، فالله لا يجعل أولياءه إلا كذلك حتى إن أكرم خلقه عنده وهم رسله جعلهم جميعا يعملون ، فمنهم من كان فلاحاً وزارعاً ماهراً ، ومنهم من كان تاجراً رابحاً ، ومنهم من كان صانعاً حاذقاً إلى غير ذلك مما زخر القرآن الكريم بقصصهم وكان يمكن أن يكفيهم الله ذلك بكلمة (كن) ولكنه سبحانه شاء أن يجعلهم الشارة المتبعة للعالمين **(لقد كان لكم فيهم أسـوة حسنة)** والقرآن عندنا قد أكْثَرَ من آيات العمل ، بعضها بظاهر اللفظ وبعضها بمضمون المعنى .

فمن النوع الأول **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل) (لمثل هذا فليعمل العاملون)** وغير هذا كثير . وثابت أن كلمة (العمل) عندنا في الإســلام - والقرآن كتاب الإسلام - يشمل عمل الدنيا أيضا ، فعمل المسلم

كله عبادة حيث لا رهبانية عندنا ولا مذلة ولا انطواء ، ومن أجَلّ عمل الدنيا المثاب عليه من الله الكدح في سبيل الرزق الطيب للنفس ومن تعول .

والآيات التى خلا منها لفظ العمل وحضت بالمعنى منها **(ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش) (الذى جعل الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً) (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً)** وغير هذا كثير .

ومن الآية الأخيرة نبسط القوة آخذين منها السبب والمصدر لحديثنا ، فهو سبحانه في الآية ينادى كل الناس من عباده ، أن يأكلوا مما في الأرض ، أى يحصلوا على طعامهم بالعمل في ثنايا أرزاقها المختلفة والمتعددة التى خلقها لهم ، وأن يتجهوا بالعمل إلى طرق الحلال الطيبة ، ليكون مطعمه حلالاً طيباً وفي بدن الطاعم هنيئاً مريئاً .

والآن أسأل الذين وضعوا حقوق الإنسان هذه الأسئلة الآتية : ـ

هل العمل بالربا وأكل نتاجه السحت الخبيث ، والذين تتعاملون به يامن أعلنتم حقوق الإنسان أفراداً ومجتمعاً وحكومات ، وكم خربت به بيوت وأفلست به شركات بل وحكومات ، من العمل الحلال الطيب ، إنه للسبب الموجز الذى أوضحته ليس عندنا حلالا ولا طيبا .

وهل العمل في مزارع كروم الخمر ومصانعه ومتاجره وحاناته وشربه مما أفرى أكبادكم وأهلك أجسادكم وأطار عقولكم من العمل المباح في حقوق الإنسان لديكم ؟ ، إنه عندنا فحش وقذر وعلى العامل والآكل لعنة منكبة ، وهل الإستيلاء على المزارع والمصانع ونزع الملكيات بغير رغبة المالك أو تعويضه باسم الشيوعية تارة وباسم الاشتراكية تارة وباسم الديمقراطية تارة وباسم المساواة تارة وباسم تذويب الفوارق بين الطبقات تارة إلى آخر قائمة لا تنتهى من التعليلات الظالمة الفاجرة لتظل أنيابكم تسيل من دماء الشعوب ، كل هذا حقوق مباحة عندكم ولا تمس حقوق الإنسان بشىء ، وقد أخذه منكم كثير من بلاد إسلامية ، أو كانت كذلك وباقتدائها بكم لم تعد إسلامية .

وهل السطو على المنازل والبنوك وقطارات السكك الحديدية وقطع الطرقات واحتراف السلب والنهب من حقوق الإنسان عندكم وهى تجتاح بلادكم ودياركم ؟ ، ديننا يقول لنا بقـــوة : لا .

وهل إضراب العُمال عن الأعمال في كل مرافق الدولة مما يؤدى إلى تصلب كل شرايينها وشل كل أعضائها فتضار النساء والأطفال والعجزة وهذا أمر تبيحه قوانينكم وحقوق

إنسانيتكم ، تعدونه حقاً نافعاً ومباحاً ؟ ولقد كنتم السبب لما بخستم حق العامل وأهدرتم آدميته بما لا يقيم أوده هو ومن جُعِل قواما عليهم ٠

وهل من العمل وسبل الارتزاق أن يستغل الحاكم منصبه فيغل ويختلس حتى يبنى لنفسه الدور والقصور ، منتهزا أيام حكمه قبل أن يترك المنصب ويغور ، وقد تعلم منكم كثير من حكام المسلمين بل بعضهم بَزَّكم وفاقكم فيه ؟

إننا نحن المسلمين نحرم العمل وسبل العيش السابقة ونزيد عليها منعاً أنواعاً شتى لا نقرها أبدا ٠

فنحرم الارتزاق من مال القُصَّر والأيتام ، إلا بأجر صونها لهم بالمعروف ، ونحرم الارتزاق بالاحتكار والغش والبخس في البيع والشراء والكيل والميزان والحاضر للباد ٠

وَنُحَتِّم رد الحقوق وأداء القروض واعادة الودائع والأمانات ، وأكلها ، أو الأكل منها عندنا مستحيل ٠

حتى الأكل عن طريق السؤال واحتراف الشحاذة ، يمنعها ديننا ويعتبرها معصية دنيئة ٠

ولو عددنا ما انتهينا ، لأن ديننا شامل لنعم الله ونعمه محال عدها ٠ ولا بأس من تقديم بعض النصوص والوقائع للفائدة في هذا الباب ٠

١ ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) رواه البخارى ٠

٢ ــ طلب الحلال واجب على كل مسلم) رواه الطبرانى ٠

٣ ــ أيما رجل كسب مالاً من حلال فأطعم نفسه أو كساها فَمَنْ دونه من خلق الله ، فإنه له به زكاة) رواه ابن حبان ٠

٤ ــ سئل صلى الله عليه وسلم : أي الكسب أفضل ؟ قال : (عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور) ٠ رواه الطبرانى ٠

٥ ــ وعنه صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب المؤمن المحترف) رواه البيهقى ٠

٦ ــ رُوِيَ عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مرَّ على النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، فرأى أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله ، لو

كان هذا في سبيل الله !! فقال صلى الله عليه وسلم : (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج على نفسه يُعِفّها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة ، فهو في سبيل الشيطان) رواه الطبرانى .

٧ ـ وعنه صلى الله عليه وسلم (لأن يأخذ أحدكم ترابا ـ يجعله في فيه ـ خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه) رواه أحمد .

٨ ـ وعنه صلى الله عليه وسلم : (أيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به) الطبرانى .

٩ ـ وعنه صلى الله عليه وسلم : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم) رواه البخارى .

١٠ ـ أبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى على ميت ترك مالا من التسول ، فعن مسعود ابن عمرو رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أُتِى له برجل ليصلى عليه فقال : (كم ترك ؟) قالوا : دينارين أو ثلاثة ، قال : (ترك كيّتين أو ثلاث كيّات) ، فلقيت عبد الله بن القاسم مولى أبى بكر رضى الله عنه فذكرت ذلك له ، فقال : ذاك رجل كان يسأل الناس تكثُّراً) رواه البيهقى .

١١ ـ عن أبى مسعود رضى الله عنه ، قلت يا رسول الله : (أى الظلم أظلم ؟ فقال : (ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه المسلم ، فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طُوّقها إلى قعر الأرض ، ولا يعلم قعرها إلا الله الذى خلقها) رواه أحمد .

١٢ ـ (لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا من أخيه إلا بطيب نفس منه) صدق الرسول الكريم ، رواه ابن حبان .

١٣ ـ عن أبى عثمان ، عن سلمان الفارسى وسعد بن أبى وقاص وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود قالوا : رضى الله عنهم : (قال صلى الله عليه وسلم : إن الرجل لترفع صحيفته يوم القيامة حتى يرى أنه ناج ، فما تزال مطامع بنى آدم تتبعه حتى ما يبقى له حسنة ، ويحمل عليه من سيئاتهم) رواه البيهقى باسناد جيد .

١٤ ـ محاورة رائعة بين الخليفة عمر رضى الله عنه وأبى هريرة ، ترى منها أن أبا هريرة هذا الصحابى الكريم رضى الله عنه مع رفعة منزلته في الإسلام لم يمنعه ذلك من أن يحاسبه الخليفة عن العمل الذى أداه حتى حصل منه على سعة من مال ، قال له عمر :

استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ، ثم بلغنى أنك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار .

قال أبو هريرة : كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت .

قال عمر : قد حسبت لك رزقك ومؤْنتك ، وهذا فضل فأده .

فقال أبو هريرة : ليس لك .

قال عمر : بلى ، والله أوجع ظهرك ، ثم قام إليه بالدرة حتى أدماه ، ثم قالَ له : إيت بها .

قال أبو هريرة : احتسبتها لله .

قال عمر : ذاك لو أخذتها من حلال ، وأديتها طائعا ، أجئت من أقصى البحرين ، تجبى الناس لك ، لا لله ولا للمسلمين ؟ ! ما رجعت بك أميمة يقصد - أم أبى هريرة - إلا لرعية الحمُر .

١٥ ـ وكتب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص واليه على مصر قائلا : (إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان ، لم تكن حين وليت مصر) ، فكتب إليه عمْرو : (إن أرضنا أرض مزدرع ومُتَّجر ، فنحن نصيب فضلا عما تحتاج إليه نفقتنا) . فرد عليه عمر بالرسالة الآتية : (إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلَىّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سئت بك ظنا ، ووجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه وأطعه ، وأخرِجْ إليه ما يطالبك به ، واعنه من الغلظة عليك ، فإنه برح الخفاء) فلما وصل إليه محمد بن مسلمة أذعن لأمر عمر ، رضى الله عنهم أجمعين .

هؤلاء هم الرجال الغُرّ العظام ، الذين عرفوا حقوق الإنسان لا تأخذهم فيها أقارب ولا مناصب ، تعلموها عن ربهم كما أمر بها في كتابه ، ومن سنة نبيهم وسيرته حسبما وُجِّه ، على أنه عبد ربانى لا أرب له في هذه الدنيا إلا أن يترك للعالمين تاريخا من قواعد سامقة لا تحيد ولا تميد ، هذا ؟ أم الذى وضعه لنفسه إنسان هذا الزمان ، فكان أن ملأ الجور كل مكان .

أهمية الدعوة وصفات الداعية

للدكتور محمد بيلو أحمد أبو بكر

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة

إن الدعوة إلى الله من أجل الأعمال التى يقوم بها المسلم ، لخدمة الإنسانية وطاعة رب العالمين ، ندرك ذلك إذا علمنا مَنْ هو الداعية الأول :

إن أول من دعا إلى الله هو حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى : **(يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)** الأحزاب الآية رقم ٤٥ ، ٤٦ ، وقال تعالى **(وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم)** (الحج الآية ٦٧) وقال تعالى : **(وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين)** (القصص الآيـة ٨٧) .

والدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الرسل جميعاً ومن أجلها بعثهم الله إلى الناس لبيان الطريق الصحيح للإيمان بالله وافراده بالعبادة ، وتوجيه الخطاب إلى سيد المرسلين لا يعنى أن الدعوة مقصورة عليه صلى الله عليه وسلم وحده ، فالأصل أن يشمل الخطاب الناس جميعا مالم يكن هناك استثناء ، ولم يوجد الاستثناء هنا ، وبهذا يكون التشريف بالدعوة إلى الله شاملًا لأمته صلى الله عليه وسلم ، والدليل القاطع على ذلك هو قوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... الآية)** (آل عمران ١١٠) .

بل إن الدعوة إلى الله تعالى من صفات المؤمنين التى تميزهم من المنافقين . اقرأ قوله تعالى : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** التوبة رقم ٧١ . وهذا على خلاف المنافقين الموصوفين بقوله تعالى : **(والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف)** التوبة الآية رقم ٦٧ . إذن الفاصل بين الطرفين هو الدعوة إلى الله تعالى ، والدعوة إلى غير الله .

من هنا نعرف من الداعية ، هو كل من اتبع طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم من مسلم ومسلمة ، فالدعوة لا يختص بها العلماء أو رجل الدين كما يقولون فإن هؤلاء يمتازون بمعرفة تفاصيل الدين وأحكامه ، اقرأ معى لبيان ذلك قوله تعالى : **(قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين)** الآية رقم ١٠٨ يوسف ٠

فاتباعنا له صلى الله عليه وسلم يجعلنا دعاة إلى الله جميعا ٠ وإليك مارواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم « فَلْيُبَلغ العِلْمَ الشاهدُ الغائبَ » ٠ والشاهد هو من علم من أمر الإسلام شيئا ٠ ،

إذن لا تترك الشيطان يوهمك بأنك لست داعيا إلى الله ؛ لأنك لست من رجال الدين أو العلماء ، أو بالقول إن هذا واجب كفائى علق فى رقاب العلماء ٠ فعليك أن تدقق النظر فى قوله تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس ... الآية)** فالآية شاملة لم تقل بعضكم يأمر بالمعروف ٠ فالطريق واسع شامل للجميع ٠ اقرأ قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا ... الحديث » ٠ و (مَنْ) يندرج تحتها كل من يعلم أن هذا الأمر منكر ، ومن ثم يلزمه تغييره بقدر طاقته وبقدر مالديه من العلم ٠

هنا يا أخى نتساءل لماذا لزمتنا الدعوة على مر الزمن ؟ : إن بقاء الكفر والشرك فى الأرض يؤثر عاجلا أو آجلا على معانى الإسلام ، وحقيقة العقيدة ، لهذا يلزمنا القيام بالدعوة لحماية ديننا وعقيدتنا ، ولعكس هذا يعمل عدونا بجميع السبل لمقاومة الإسلام فى كثير من بقاع الأرض اليوم ٠ والأحداث الجارية تشهد على ذلك ٠

لهذا فإن كل مسلم أو مسلمة يعلم أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الحساب يوم القيامة حق ، وأن القرآن الكريم كلام الله حق ، وأن الصلاة والصيام والحج والزكاة من فرائض الإسلام ، فعليه أن يبلغ ما علمه لمن لا يعلمه ، أما ما لا علم له به غير هذا فلا يكلف به ٠

ولا أظن أن هناك مسلماً إلا ويسعى ليكون قوله من أحسن الأقوال وأصدقها ، وقد قال الله تعالى : **(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)** الآية ٣٣ من فصلت ٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » ٠ وفى حديث آخر : « فوالله لأنْ يهدى الله بك رجلًا واحداً خير لك من حمر النعم » إذن ينبغى لك ياأخى أن تفكر معى فى هذا الأجر الجزيل المعد للداعية ٠

لكن كيف يمكنك أن تكون داعية ؟ أخى لا يمكن أن تكون داعية حقا ، إلا بعد أن تكون : مفسدا ومخربا وقاطعا للصلة بينك وبين الشيطان كما يأمرنا تعالى : (**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا**) فاطر آية ٦ . لتكون مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء به فى قوله : (**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**) سورة الأحزاب ٢١ . ولا يكون الإنسان داعية إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الصورة الكاملة للداعية ، فكن ملتزما طريقه ، فهو المثل الأعلى لما يجب ان يكون عليه الإنسان الكامل فى كل موقع من مواقع الحياة . فاجعل نفسك مثالاً وأنت زوج فى البيت ومع الأبناء وفى ميدان العمل وبين الأهل والأصدقاء . كن صديقاً وقريباً وصاحباً للناس جميعا لتملأ لهم أنفسهم ومشاعرهم بما تحمله إليهم من الخير الصادر من قلب طاهر . تعود مريضهم ، وتساعد ضعيفهم ، وتخفف همومهم ، وتمنحهم العطف والمودة كما كان صلى الله عليه وسلم .

عليك أن تجعلهم يرون فيك ذلك العابد الحق الملتزم بدينه من غير رياء ولا تظاهر ، فأنت الصادق فى قوله وفعله البعيد عن كل ما ينتقص قيمة الرجل المسلم . .

فالسلوك الشخصي أعظم شىء يدعو الناس إلى الخير ، فالإنسان بطبيعته يتأثر بما يراه ويحسُه أكثر من تأثره بما يدركه بسمعه .

فعلى الداعية أن يكون دعوة حقيقية تتحرك على وجه الأرض ، وتعيش بين البشر تُرى وتُلمس فى شخص الداعي وتصرفاته ومشاعره وأفكاره ومبادئه ومتجهه فى الحياة وصلته بالناس . بهذا يكون قدوة لغيره فيحبه الناس ، ويسعى كل واحد منهم أن يكون مثله . إذ هكذا كان صلى الله عليه وسلم دعوة وتأثيراً وتوجيهاً ونوراً وهدى وصراطاً مستقيماً .

فالدعوة إذن جهاد ، ولا بد للمجاهد من أسلحة فما هي أسلحة الداعية ؟

أول أسلحة الداعية هو العلم : فلابد من العلم بما يدعو إليه الناس ، فهو مقدم على العمل ، لا بد أن يعرف ما يقوم به وما يدعو إليه ، ونحن لا نقول بضرورة كون الداعية عالما محيطا بكل شىء ، أو عالما متَبَحِراً . وفوق كل ذى علم عليم . ولاستحالة بلوغ نهاية العلم أرشدنا الله الى طلب المزيد منه ، فقال تعالى : (**وقل رب زدنى علما**) (سورة طه ١١٤) .

إذن لا بد من العلم أولاً لأن الله تعالى قال : (**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ...**) (الآية ١٩ سورة محمد) . فقدم العلم على العمل .

وينبغى أن يكون دقيقا فى معرفة الحلال والحرام حتى لا يقع فى الخبط والخلط ·
والقول على الله ورسوله بغير علم فيكون ضرره أكثر من نفعه ·

ومنها الأخلاق الإسلامية التى بينها الله فى القرآن الكريم وفصلها الرسول صلى الله عليه وسلم وانصبغ بها الصحابة رضى الله عنهم ·

وأول هذه الأخلاق : الصدق ·· وقد قال ابن القيم حقيقة الصدق هو حصول الشىء وتمامه وكماله وقوته واجتماع أجزائه · أى كمال العزم وقوة الإرادة على السير إلى الله ·

ومن ذلك صدق القول والعمل والقصد حتى يظهر أثر صدقه فى وجهه وصوته ، فإن ذلك يؤثر فى المخاطب ويحمله على احترام كلامه ·

ومنها الصبر قال تعالى : **(واستعينوا بالصبر والصلاة)** (الآية ٤٥ البقرة) · وذكر الصبر قد ورد وتكرر فى الكتاب الكريم مما لا يحتاج إلى التنبيه عليه ·

والصبر له ثلاث شعب : صبر على طاعة الله ، وصبر عن معصية الله ، وصبر على المصائب والبلاء ... لا بد للداعي أن يتحمل ما يؤلمه ، ويصبر على المكروه ويبْتعد عن الشكوى إلا لله · ويدخل فى ذلك الصبر على عدم ظهور نتيجة دعوته ، فليتذكر نبى الله نوحاً عليه السلام ، الذي دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما · وأن يتذكر قول الله تعالى : **(ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين)** (٣٤ الأنعام) وأن يتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » ·

ومنها : البعد عن الكبر ، لأن الكبر حماقة وجهالة ، ومنازعة لرب العزة · وعليه أن يتذكر بأن الله تعالى لا يحب المتكبرين ، وأن المتكبر يستعظم نفسه ويغمط الناس ويحتقرهم ، فهو إذن ليس من صفات الداعية ، لأن المتكبر يتبع أباطيل الشياطين وإيحاءاتهم ، ومن يتبع الشيطان لا يصلح أن يكون قدوة ، فمن هنا لزم الداعية أن يتصف بالتواضع ، لأنه ثمرة معرفته قدر الله ، ومعرفته قدر نفسه ، فالذى عرف قدر ربه وعرف قدر نفسه لا يمكن أن يكون متكبراً ، وبالتالى لا يحتقر أى مسلم مهما كان ضعيفاً ، لأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره · كما أن التواضع يتيح للداعية مجالسة الصالحين والفقراء والضعفاء · فالمتواضع هو الذي يتبع قوله تعالى : **(وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم ...)** الآية ٢٨ الكهف · على الداعية أن يكون كذلك فى كل مواقفه حتى فى حالة انتصاره فى دعوته ،

وليتذكر رسول الله صلى عليه وسلم عندما دخل مكة فاتحاً ، فقد دخل منكساً رأسه تواضعاً لله عز وجل شاكراً لأنعمه .

ثم من المدعو هذا ؟

المدعو إلى الله هو (الإنسان) كائناً من كان ، لأن الإسلام جاء إلى البشر جميعا قال تعالى : **(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)** ، هذا العموم يشمل كل البشر من ذكر أو أنثى ، وأبيض وأسود ، وعربى وعجمى ، ورئيس ومرؤوس .

وهنا يجدر بنا أن ننظر إلى قدر الله عز وجل الذى شاء أن يكون من أوائل من دخل الإسلام ، وآمن برسالة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

١ ـ أبو بكر الصديق العربي القرشي .
٢ ـ بلال الذى هو من بلاد الحبش داخل قارة أفريقيا التى توصف بالسوداء .
٣ ـ صهيب الرومي من بلاد الروم ذوى البشرة البيضاء .
٤ ـ سلمان الفارسي من البلاد التى يوصف أهلها بذوى البشرة الصفراء .
٥ ـ ومن حيث الجنس آمن من النساء ـ إلى جانب الرجل ـ خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .
٦ ـ وآمن من الصبيان علي بن أبى طالب رضى الله عنه .
٧ ـ ومن حيث الغنى وكثرة المال آمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان ذا ثراء واسع .
٨ ـ ومن الفقراء آمن عمار (رضى الله عنه) .

اذن الدعوة الإسلامية منذ أن قامت ، وجدت شاملة عامة لا تفرق بين الناس . فالإسلام يجعل الناس سواسية كأسنان المشط لهذا يجب أن نتدبر قوله تعالى : **(يأيها الناس اعبدوا ربكم)** فالكل عباد لله عز وجل .

هذا ومن حق المدعو أن يتصل به الداعي فى موقعه ، فى مصنعه ومعمله ومزرعته وفى كل محفل ومجمع حتى فى الأسواق ، ولكن يجب أن تتم الدعوة بالطرق المناسبة الكاشفة لحقيقة الإسلام المقربة المحببة ، لا المنفرة المبغضة .

أخـيراً ما هي مصادر الدعـوة ؟

لاشك ان المصدر الأول فى الدعوة هو كتاب الله والمصدر الثانى هو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، ثم استنباطات العلماء والفقهاء التى استنبطت من الأحكام الشرعية من أدلتها الأصلية ، ثم

التجارب الجيدة السليمة التى مرت بالدعاة الصالحين الذين مارسوا الدعوة فى حياتهم العملية ، مستعملين الترغيب والترهيب والموعظة الحسنة ، وتخوّل الناس بها بصورة مناسبة بعيدة عن الملل وجلب الضجر ، والله أسأل أن يجعلنا دعاة صالحين صديقين عاملين لوجهه الكريم ·

من علامات سعادة العبد وفلاحه :

أنه كلما زِيدَ في علمه زِيدَ في تواضعه ورحمته ·
وكلما زِيدَ في عمله زِيدَ في خوفه وحَذَره ·
وكلما زِيدَ في عمره نَقَصَ من تكالبِه وحِرصِه ·
وكلما زِيدَ في ماله زِيدَ في سَخائِه وبَذْلِهِ ·
وكلما زِيدَ في قدره وجاهه زِيدَ في قربه من الناس والتواضع لهم وقضاء حاجاتهم ·

من علامات شقاء العبد وتعاسته :

أنه كلما زِيدَ في علمه زِيدَ في كبره وتيهه ·
وكلما زِيدَ في عمله زِيدَ في فخره وحسن ظنه بنفسه ·
وكلما زِيدَ في عمره زِيدَ في تكالبه وحرصه ·
وكلما زِيدَ في ماله زِيدَ في بخله وامساكه ·
وكلما زِيدَ في قدره وجاهه زِيدَ في بعده عن الناس والتعالى عليهم ، وتحقير شأنهم ·

الحركة السلفية في الهند ودورها في خدمة السنة المطهرة

(٢)

للشيخ عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي
قسم السنة بالدراسات العليا بالجامعة

تلاميذ المحدث السيد نذير حسين الدهلوي من الأسرة الغزنوية

تقدم ذكر الإمام المحدث المصلح الشيخ عبد الله الغزنوى أحد أعلام الهند وأحد تلاميذ المحدث السيد نذير حسين المبرزين ، وقد كان له ولأبنائه وأحفاده وأصحابه وتلاميذه دور كبير فى خدمة السنة والسلفية ، وقد تتلمذ هو ثم أبناؤه وبعض أحفاده على السيد نذير حسين المحدث الدهلوى كما تتلمذ البعض الآخر من أحفاده على تلاميذ المحدث الدهلوى ، ففى هذا المقام نوجز الكلام فى علماء هذه الأسرة الكريمة وذكر خدماتهم فى نشر السنة والسلفية ، فمنهم :

● الشيخ المحدث محمد بن عبد الله الغزنوى (ت ذى القعدة سنة ١٢٩٦ هـ) :

أحد أفاضل عصره ، قرأ على أبيه ، ورحل إلى دهلى ، وأخذ الحديث عن المحدث السيد نذير حسين الدهلوى ، وفاق الأقران فى العلم والفضل ، واشتغل بالدرس والإفادة والوعظ والإرشاد ، له دور هام فى نشر علوم الحديث ، والعقيدة السلفية فى أبناء الهند ، ومن مؤلفاته

١ ـ حاشية على تفسير جامع البيان (مطبوع) ، ركز فيها على شرح عقيدة السلف الصالح ونصرة مذهب المحدثين ، قال الأستاذ عبد الحى الحسنى : « وكان ـ رحمه الله ـ ممن

أوذى فى ذات الله من المخلصين ، وأخيف فى نصر السنة المحضة ، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى » (١) .

● والإمام المحدث الشيخ عبد الجبار بن عبد الله الغزنوى (١٢٦٨ هـ - ٢٥ رمضان سنة ١٣٣١ هـ) :

أحد العلماء المتبحرين فى علوم الحديث والمولعين بنشرها وترويجها وإحيائها ، وصفه العلامة المحدث شمس الحق العظيم آبادى بقوله : عالم كامل ، محدث ، مفسر ، عامل ، منكسر النفس ، لم تر مثله العيون ، وله تلاميذ كثيرة ، وصاحب مناقب جمة » .

قرأ على إخوانه ووالده ، وأوذى فى سبيل الله مع أبيه حتى أخرج من موطنه غزنى ، فهاجر مع الوالد إلى أمرتسر ، ثم سافر إلى دهلى ، وأخذ الحديث عن المحدث السيد نذير حسين ، وقضى حياته فى خدمة الدين الحنيف ، ومن أعماله الخيرية تأسيس « المدرسة الغزنوية تقوية الإسلام » ، تصدّر فيها للدرس والإفادة وخدمة السنة والعقيدة ، له دور قيادى فى نشر العقائد السلفية ، وبالتالى نشر معارف شيخى الإسلام ابن تيمية وابن القيم ، وهو الذى قام لأول مرة بنشر مجموعة التوحيد ، ومجموعة الحديث (النجدية) ، بأمرتسر (الهند) .

وبأمره ومشورته نشر كتاب رياض الصالحين لأول مرة من مدينة لاهور ، وكان يوصى أصحابه وتلاميذه بقراءته ، وبأمره قام تلميذه البار الشيخ أحمد الدين الكرموى اللدهيانوى بنقل رياض الصالحين إلى اللغة الأردية ، وطبعت الترجمة باسم « روض الرياحين » بأمرتسر (الهند) كما طبع بإيماء الشيخ عبد الجبار كتاب « إيقاظ همم أولى الأبصار » للعلامة الفلانى ، لكن وافاه أجله المحتوم قبل أن يتم طبع الكتاب .

وله أيضا بعض المؤلفات منها : ١ ـ الأربعين فى أنَّ ثناء الله ليس على مذهب المحدثين ، انتقد فيه بعض آراء العلامة الشيخ أبى الوفاء ثناء الله الأمرتسرى فى مسألة أسماء الله وصفاته التى أظهرها فى تفسيره « تفسير القرآن بكلام الرحمن » ، وقد وافقه كثير من كبار علماء أهل الحديث فى عصره على ملاحظاته وانتقاداته ، والشيخ الأمرتسرى نفسه رجع عن موقفه حينما دعاهما الملك عبد العزيز آل سعود رحمة الله عليه إلى الرياض ، واعترف أن مذهبه هو مذهب المحدثين فى مسألة الأسماء والصفات . (والحقيقة التى لا بد أن أشير إليها فى هذه المناسبة أن العلامة الأمرتسرى كان يرى ويعتقد اعتقاد السلف إلا أنه كان لا يرى

---

(١) نزهة الخواطر ٧ / ٤١٧ . وانظر أيضا لترجمته : غاية المقصود (المقدمة) . والحياة بعد المماة . وحضرت مولانا داود غزنوى (ص ٢٣٤) .

بأسا فى مجال المناقشات والمناظرات والردود التى كانت شغله الشاغل فى الدفاع عن الإسلام فى عصره أن يواجه أعداء الإسلام بسلاحهم على سبيل التنزل ، ومن هنا أظهر بعض الآراء فى تفسيره ، فهاجمه علماء أهل الحديث هجوماً جرّهم إلى مالا يحمد عقباه ، وجزى الله الملك عبد العزيز رحمة الله عليه حيث اهتم بقضية إخوانه فى الدين والعقيدة وأدى واجب النصح فجمعهم على كلمة الحق ..

ومسألة الاشتغال بعلم الكلام والفلسفة عند الحاجة وبقدر الضرورة ، قد نقحها شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه العظيم : درء تعارض العقل والنقل ، فليراجع إليه ، ويحسن الظن بعلم من أعلام الفكر الإسلامى الذى قضى حياته فى سبيل خدمة العلم والدين فى جميع ميادين الحياة) .

٢ - ولـــه : جزء فى سيرة أبيه الشيخ عبد الله الغزنوى .

٣ - وسبيل النجاة فى مباينة الرب عن المخلوقات (١) .

• والشيخ المحدث عبد الواحد والشيخ المحدث عبد الرحيم (ت ١٣٤٢ هـ) ابنى الإمام عبد الله الغزنوى :

تخرجا على والدهما واشتغلا بالتدريس والتأليف ، وأقاما فى مدينة الرياض (المملكة العربية السعودية) خمس سنوات على طلب الأمير عبد الرحمن آل سعود ، وتصدرا للتدريس فتتلمذ عليهما عدد كبير من آل سعود وأصحاب نجد .

وقد ذكرلهما بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى (٣ / ١٦٦) طبعة صحيح البخارى بأمرتسر سنة ١٣٢٩ هـ - سنة ١٣٣٢ هـ ، مع ترجمة أردية وشرح عليه (٢) .

• والشيخ المحدث عبد الأول بن محمد بن عبد الله الغزنوى (ت سنة ١٣١٣ هـ) :

أحد العلماء الكبار فى عصره ، أسند الحديث عن السيد نذير حسين ، وبرع فى علوم الكتاب والسنة ، ودرس وأفاد طوال حياته ، ومن آثاره :

١ - نصرة البارى فى ترجمة صحيح البخارى (إلى الأردية) مطبوع فى ستة مجلدات ، بمطبعة القرآن والسنة بأمرتسر .

---

(١) انظر لترجمته : غاية المقصود (المقدمة) . تذكرة علمانى حال ٣٦ . نزهة الخواطر ٨ / ٢١٨ - ٢١٩ . تاريخ أهل حديث للعلامة ابراهيم مير السيالكوتى حضرت مولانا داود غزنوى ٢٣٢ - ٢٣٥ . حياة شمس الحق وآثاره ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٢) انظر : تاريخ أهل حديث للسيالكوتى . وحضرت مولانا داود غزنوى .

٢ ـ إنعام المنعم بترجمة الصحيح لمسلم نقله إلى الأردية وعلق عليها تعليقات يسيرة ، والكتاب مطبوع بأمر تسر سنة ١٣٢٥ هـ ٠

٣ ـ الرحمة المهداة إلى من يريد ترجمة المشكاة : ترجمة أردية وشرح موجز لمشكاة المصابيح ، مطبوع فى أربعة مجلدات بمطبعة أنوار الإسلام بأمر تسر ٠

٤ ـ ترجمة وشرح رياض الصالحين (إلى الأردية) ونشر بأمرتسر ، وأعيد طبعه مرات (١) ٠

● والشيخ المحدث عبد الغِفور بن محمد بن عبد الله الغزنوى :

قرأ العلوم على علماء أسرته ، واشتغل بالدرس والإفادة والتأليف ، تخرج عليه خلق منهم : العلامة الحافظ محمد الغوندلوى حفظه الله ، ومن آثاره : مشكاة الأنوار لتسهيل مشارق الأنوار ، رتبه على الترتيب الفقهى ، أورد فيه أولا : الأحاديث التى اتفق عليها البخارى ومسلم ، ثم ما أخرجه البخارى ، ثم ما أخرجه مسلم ، وإذا وجد فصلا خاليا من الأحاديث صرح بأن هذا الفصل خال من الأحاديث كما فى مشكاة المصابيح ، وانتقد فيه الشيخ خُرّم على الذى نقل الكتاب إلى الأردية ، فى مسائل الصفات ، ورجح مسلك السلف فى العقيدة ، والكتاب مطبوع فى مجلد كبير (٢) ٠

● والشيخ العلامة محمد داود بن العلامة عبد الجبار بن الإمام عبد الله الغزنوى (ت ١٦ ديسمبر سنة ١٩٦٣ م) :

الذى اكتسب شهرة عظيمة فى الأوساط العلمية والسياسية فى شبه القارة الهندية ، بجهوده المتضافرة لنشر السنة والسلفية ، وتنظيم صفوف السلفيين ، والمساهمة فى حركة تحرير الهند من براثن الاستعمار البريطانى الغاشم ٠

قرأ على أبيه وعلى الشيخ عبد الأول الغزنوى ، ورحل إلى دهلى وتتلمذ على العلامة عبد الله الفازيفورى الذى كان من أخص تلاميذ السيد نذير حسين ، وعلى مسنده وفى مدرسته النذيرية آنذاك ، وبعد التخرج عكف على التدريس والإفادة ، وأصدر مجلة علمية دينية باسم : « التوحيد » وترأس جمعية أهل الحديث الباكستانية ، كما أسس الجامعة السلفية فى لائلفور بمشاركة العلماء السلفيين الآخرين كالعلامة محمد اسماعيل السلفى ، وله مواقف محمودة فى إقامة النظام الإسلامى ، وتطبيق الشريعة فى باكستان ، وله مقالات علمية فى

---

(١) نفس المصدر السابق ٠

(٢) تاريخ أهل حديث ، وحضرت مولانا داود الغزنوى ٠

الرد على منكرى السنة والقاديانية ، ونظراً لعلمه وفضله ومكانته اختارته المملكة العربية السعودية عضواً للمجلس الاستشارى الأول بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، واشترك مع العلماء الآخرين فى وضع المنهج الدراسى للجامعة سنة ١٩٦٢ م ، وله دور مهم فى نشر أفكار ابن تيمية وابن القيم ، ومن رسائله وبحوثه :

١ – تاريخ جمع وتدوين السنة النبويّة (نشر فى مجلة التوحيد فى عدة حلقات) .

٢ – وبحث قيم حول منصب الإمامة ، نشر بعنوان : « إمام هداية او إمام سياست » فى مجلة التوحيد (١) .

ومن تلامذة المحدث السيد نذير حسين الدهلوى :

● ابنه الشيخ المحدث البارع السيد شريف حسين (١٢٤٨ هـ ــ ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م) :

من كبار علماء عصره ، وأحد أعوان أبيه فى شئون التدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد والتوجيه ، تخرج على أبيه ، وأسند عنه الحديث كما أسند عن النواب صديق حسن القنوجى ثم البوفالى والمحدث حسين بن محسن اليمانى .

قال الأستاذ عبد الحى الحسنى : « اشتغل بالعلم من صباه ، وقرأ على أبيه ، ولازمه مدة عمره ، وتأهل للفتوى والتدريس ، فترك والده له الإفتاء ، وكان يدرس الفقه والحديث بحضرة والده » (٢) .

كان يدرس مواد التفسير والحديث ، ويفتى ، ويؤم الناس فى مسجد أبيه ، وله تلاميذ كثيرون منهم الشيخ عبد الغفار (من أسرة على جان بدهلى) وبعض فتاواه مطبوع فى ضمن الفتاوى النذيرية (المطبوعة فى ثلاث مجلدات فى باكستان فى الطبعة الثانية) ، توفى سنة ١٣٠٤ هـ وكان والده حيا (٣) .

● والشيخ الفاضل فضل حسين بن فرخ حسين المهدانوى (المولود سنة ١٢٧١ هـ ... ؟) :

أحد العلماء المشهورين ، ومن أخص تلاميذ السيد نذير حسين ، اشتغل بالتأليف والدرس والإفادة ، قال الأستاذ عبد الحى الحسنى : « له تأليفات فى الفقه والحديث منها :

---

(١) حضرة مولانا داود غزنوى لابنه البروفسور أبى بكر .
(٢) نزهة الخواطر (٨ / ١٧٨) .
(٣) انظر : الحياة بعد المماة ، ونزهة الخواطر (٨ / ١٧٨) ، وتراجم علماء حديث هند (١٥٧ ـ ١٥٨) .

١ ـ رسالة فى القنوت النازلة · ٢ ـ والحياة بعد المماة : كتاب فى سيرة شيخه وشيخنا السيد نذير حسين » (١) ·

قلت : وهذا الكتاب المذكور فى سيرة المحدث السيد نذير حسين كتاب قيم استوعب فيه سيرة الإمام المحدث وذكر مؤلفاته ورسائله ، وتلاميذه ، وهو مطبوع قديما ، والحاجة ماسة لإعادة طبعه محققاً ، فياليت يقوم بعض إخواننا من أهل الهند وباكستان على نشر الكتاب المذكور (٢) ·

● والشيخ المصلح عليم الدين حسين النگر نهسوى العظيم آبادى (١٢٦١ ـ ١٣٠٦ هـ) :

أخذ العلوم عن أفاضل عصره كالعلامة المفتى صدر الدين الدهلوى ، وأسند الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوى ، وقضى حياته فى خدمة العلم ونشر الدعوة السلفية ، دعا الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة ، ونبذ البدع والخرافات ، وكان لجهوده أثر بارز فى إصلاح عقائد الناس ، حج وزار وسافر إلى مصر ، ولقى الخديوى ، فرحبّ به ، وأكرم مثواه ، وزار الشيخ عليم الدين والمكتبة الملكية ، واستفاد منها ، وله مؤلفات منها :

١ ـ اهتداء الأحناف فى اقتداء أصحاب الخلاف · ·
٢ ـ فيصلة العليم فى دفع البهتان العظيم فى أحكام الطلاق ·
٣ ـ ياأيها الناس بتوفيق أحاديث اللباس ·
٤ ـ فيضان العليم على قلب سليم ·
٥ ـ تفسير عدة أجزاء من القرآن الكريم (٣) ·

● والشيخ رحيم بخش اللاهورى (ت ١٣١٢ هـ) :

أحد العلماء المشهورين فى عصره ، اشتهر بكتابه العظيم « سلسلة كتب إسلام » (سلسلة الكتب الإسلامية فى ١٦ جزءاً) فى فقه السنة النبوية وتعاليم الإسلام النيرة باللغة الأردية فى أسلوب رائع سهل ، أورد فيها المسائل الدينية الثابتة من الكتاب والسنة الصحيحة بدون ذكر أدلتها ، وخصص الجزء العاشر من الكتاب للتأريخ الإسلامى وأسماه « تأريخ لب اللباب » ، والجزء الحادى عشر منه فى العقائد ، ومن الجزء الثانى عشر إلى الجزء الرابع عشر

---

(١) نزهة الخواطر (٨ / ٣٦١) ·

(٢) انظر لترجمته : الحياة بعد المماة . ونزهة الخواطر (٨/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) ·

(٣) انظر لترجمته : جريدة أهل حديث أمرتسر ١٧ اكتوبر سنة ١٩١٩ م ، ونزهة الخواطر (٨ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤) ، وحياة شمس الحق وآثاره (٢٢٣ ـ ٢٢٤) ·

(ثلاثة أجزاء) فى المسائل الدينية مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة ، وهو كتاب قيم نافع ، ومنشور ومشهور ، ويدرس فى بعض المدارس السلفية الدينية فى باكستان (١) .

● **والشيخ محمد حسين بن عبد الستار الهزاروى (ت ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م) :**

من مشاهير تلامذة السيد نذير حسين ، وصاحب المؤلفات النافعة منها : ١ ـ تحفة الباقى على ألفية العراقى (فى مصطلح الحديث) .

٢ ـ شرح شرح نخبة الفكر لابن حجر .

٣ ـ تحفة أهل الحديث (بالعربية) (٢) .

● **والعلامة الشيخ سلامت الله بن رجب على الجيراجفورى (ت ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م) :**

من كبار تلاميذ السيد نذير حسين ، أسند عنه وعن المحدث حسين بن محسن الأنصارى ، كان من كبار دعاة السلفية ، قضى حياته فى الدرس والإفادة والوعظ والتذكير ونشر السنة ومحاربة البدع والمنكرات ، كان مرشداً عاما وخطيبا لعاصمة مملكة بوفال الإسلامية ، ثم ولى التدريس فى المدرسة السليمانية مدة ، ثم عين رئيساً للشئون الدينية فى بوفال ، وتولى منصب رئاسة المدارس فى المملكة ، وبجانب هذه الأعمال والأشغال كان يدرس التفسير والحديث ، وكان النواب العلامة صديق حسن البوفالى القنوجى يجلسه عنده ويكرمه غاية الإكرام وقد استفاد منه خلق منهم : شمس العلماء حفيظ الله الأعظمى أستاذ دار العلوم بندوة العلماء ، والمحدث عبد الرحمن المباركفوى ، والمحدث أحمد الله البرتابكرى (٣) .

● **والشيخ المحدث أبو عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير على العظيم آبادى (١٢٧٥ هـ ـ ١٣٢٦ هـ) :**

صنو الشيخ شمس الحق العظيم آبادى وساعده الأيمن ، كان من أخص تلاميذ السيد نذير حسين الدهلوى ، أسند عنه وعن الشيخ حسين بن محسن الأنصارى ، وكان أحد أعضاء لجنة المساعدين للشيخ شمس الحق فى تأليف عون المعبود ، وقد أصدر أخوه المؤلف الجزء الأول والثانى من الشرح المذكور باسم أخيه شرف الحق ، وقال الأستاذ عبد الحى الحسنى : « وقد عزاه إليه صنوه شمس الحق المجلد الأول من عون المعبود ، أخبرنى بذلك الشيخ شمس الحق » .

---

(١) علماء أهل حديث كى علمى خدمات (٦٠) .

(٢) غاية المقصود (المقدمة) إتحاف النبيه (المقدمة) للفوجيانى (٢٨) . وأهل حديث كى علمى خدمات .

(٣) انظر لترجمته : جريدة أهلحديث أمر تسر مجلد ١٦ عدد ١٣ (٣١ يناير سنة ١٩١٩ م) . وتذكرة علمائى حال (٢٩) ، ونزهة الخواطر (٨ / ١٥٩ ـ ١٦٠) ، وتراجم علمائى حديث هند .

ولـــه : خلاصة المرام فى تحقيق القراءة خلف الإمام (١) .

● والشيخ الفاضل عبد الحميد بن غلام بنى محمد عبد الله السوهدروى الفنجابى (١٣٠٠ هـ ـ ١٣٣٠ هـ) :

قرأ على أبيه وعلى المحدث عبد المنان الوزير آبادى ، وأسند الحديث عن السيد نذير حسّين والمحدث حسين بن محسن الأنصارى ، وأجاز له المحدث شمس الحق العظيم آبادى ، أسس « المدرسة الحميدية » فى قريته ، كما أنشأ جمعية الإصلاح ، واشتغل بالتدريس والإفادة والدعوة والإرشاد ، وكان لجهوده أثر طيب فى إصلاح حال قومه ، ومن مؤلفاته :

زبدة المرام شرح عمدة الأحكام بالأردية (٢) .

● والشيخ الفاضل تلطف حسين بن همّت على الصديقى العظيم آبادى ثم الدهلوى (ت ١٣٣٤ هـ) :

من أخص تلاميذ السيد نذير حسين ، لازمه ستا وعشرين سنة ، وحج معه سنة ١٣٠٠ هـ ، قرأ على أفاضل عصره كما أسند عن المحدث حسين بن محسن الأنصارى ، كان من كبار ناشرى كتب التفسير والحديث ، قد أنفق فى سبيل نشر كتب السنة مبالغ باهظة ، وقام بنشر مؤلفات المحدث شمس الحق كغاية المقصود (الجزء الأول) وعون المعبود ، والتعليق المغنى على سنن الدارقطنى ، وإعلام أهل العصر بأحكام ركعتى الفجر وغيرها ، كما نشر كتب المؤلفين القدامى ، وله تعليقات على بعض كتب الحديث التى نشرت فى مطبعة « المطبع الأنصارى » وكان لجهوده فى مجال النشر والتوزيع أثر كبير فى تنشيط حركة نشر السنة فى ذاك الوقت ، فجزاه الله خيراً ، ومن مآثره : تأسيس مدرسة رياض العلوم بدهلى ، باشتراك حكيم عبد المجيد الدهلوى ، ولا تزال تؤدى هذه المدرسة دورها الفعال فى عصر انقراض مدارس السلفيين فى دهلى (٣) .

---

(١) انظر لترجمته : جريدة أهل حديث أمر تسر ٣١ اكتوبر سنة ١٩١٩ م . وتذكره علمائى حال (٧٣) . ونزهة الخواطر ٨ / ٤٠٨ . وحياة شمس الحق وآثاره (٣٠١ ـ ٣٠٢) .

(٢) انظر لترجمته : جريدة أهل حديث أمر تسر مجلد ١٦ عدد ٢٣ (١١ ابريل سنة ١٩١٩ م) . وحياة شمس الحق وآثاره (٢٣٦ ـ ٢٦٧) .

(٣) عون المعبود (٤ / ٥٥٢) . والحياة بعد المماة (٣٤٤) . وجريدة أهل حديث ٦ ديسمبر سنة ١٩١٨ م . وتذكره علمائى حال (٢٠) ونزهة الخواطر (٨ / ٩٤) .

● **والشيخ المحدث عين الحق بن على حبيب الجعفرى الفلوارى (١٢٨٧ ـ ١٣٣٣ هـ) :**

أحد العلماء المصلحين فى عصره ، البارز فى علوم الحديث ، نشأ وتربى فى أسرة متصوفة خرافية ذات عز وشرف ومكانة مرموقة فى الشعب ، حتى تولى الشياخة الموروثة بعد وفاة أخيه الشاه محمد عبد الحق الفلوارى ، ثم وفقه الله عز وجل لإكمال الدراسة على العلماء السلفيين ، فاختار السلفية ، وترك الشياخة الموروثة ، وصار من كبار الدعاة إلى السلفية والسنة ، وحينما ذهب العلامة الحافظ عبد الله الغازيفورى إلى دهلى ، عين رئيس هيئة التدريس فى المدرسة الأحمدية بآره بولاية بهار . حج وزار الحرمين الشريفين ثلاث مرات ، وأسند الحديث عن مشايخ الحجاز ، كما حصل على الإجازة من المحدث السيد نذير حسين الدهلوى ، وكان له اطلاع واسع ونظر دقيق فى كتب الحديث ومعرفة الرجال ، وقد استفاد منه المحدث شمس الحق العظيم آبادى فى عدة مواضع من عون المعبود لحل بعض المعضلات الحديثية .

وله جهود طيبة فى مجال الدعوة والإرشاد ، وكان أحد أعضاء اللجنة الثلاثية المكونة لرفع الخلاف بين العلامة ثناء الله الأمرتسرى والعلماء الغزنويين فى مسألة الصفات ، ومن مؤلفاته : « المغراف فى تفسير سورة ق » بالأردية ، مطبوع (١) .

● **والشيخ عبد الجبار بن نور أحمد الديانوى العظيم آبادى (١٢٩٧ ـ ١٣١٩ هـ) :**

أحد علماء الحديث المشهورين بالفضل والكمال ، أخذ العلوم عن الشيخ عبد الله الغازيفورى ، أسند الحديث عن المحدث السيد نذير حسين والمحدث حسين بن محسن الأنصارى . وكان أحد أعضاء لجنة المساعدين فى تأليف عون المعبود وتصحيح سنن أبى داود ، توفى فى عنفوان شبابه فى سنة ١٣١٩ هـ (٢) .

---

(١) انظر لترجمته : الحياة بعد المماة ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، ونزهة الخواطر ٨ / ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ، وحياة شمس الحق وآثاره (٢٨٩ ـ ٢٩١) .
(٢) انظر لترجمته : عون المعبود (٤ / ٥٥٣) ، وحياة شمس الحق وآثاره (٣٠٢) .

● **والشيخ المحدث أبو اسماعيل يوسف حسين بن القاضى محمد حسن الهزاروى الخانفورى (١٢٨٥ هـ ـ ١٣٥٢ هـ) :**

أحد العلماء المبرزين فى العلوم العربية والإسلامية ، قرأ على أبيه وعلى عمه الشيخ القاضى عبد الأحد الخانفورى ، كما تتلمذ على المجاهد عبد الكريم بن ولاية على العظيم آبادى سنن النسائى وغيره فى أفغانستان ، وبعد رجوعه إلى الهند رحل إلى دهلى ، ولازم دروس المحدث السيد نذير حسين ، أخذ عنه الحديث ، كما أخذ عن كل من المحدث حسين ابن محسن الأنصارى والشيخ اسحاق بن عبد الرحمن النجدى ، والشيخ ابراهيم بن سليمان المهاجر المكى ، وله مؤلفات منها :

١ ـ إتمام الخشوع بوضع اليمين على الشمال بعد الركوع (بالعربية) .
٢ ـ ورسالة أخرى فى موضوع وضع اليمين على الشمال بعد الركوع (بالأردية) .
٣ ـ زبدة المقادير .
٤ ـ رسالة فى معرفة الأوقات .

وله قصائد فى العربية والأردية والفارسية ، وكان أحد أعضاء لجنة المساعدين للشيخ المحدث شمس الحق العظيم آبادى فى تأليف عون المعبود (١) .

● **والشيخ العالم رفيع الدين بن بهادر على الصديقى الشكرانوى البهارى (١٢٦١ ـ ١٣٣٨ هـ) :**

أحد العلماء المشهورين البارعين فى العلوم والفنون ، أخذ العلوم عن المحدث السيد نذير حسين مشاركا لابنه السيد شريف حسين الدهلوى وكانت له عناية بالغة فى جمع الكتب النادرة ونشرها ، ومكتبته مشهورة فى ولاية بهار .

قال الأستاذ عبد الحى الحسنى : « وله مكارم وفضائل وأخلاق حسنة ، بذل الأموال الطائلة فى تحقيق الكتب النفيسة ، واستنسخها وجلبها من العرب والعراق ، ولا يقلد أحداً من الأئمة ، ويفتى بما يقوم عنده دليله ، وله يد بيضاء فى التفسير : تفسير القرآن بالقرآن ، ويدرسه كل يوم بمحضر للناس ، ويدرس الحديث » (٢) .

وله كتاب قيم فى رجال الحديث أسماه : رحمة الودود على رجال سنن أبى داود (٣) .

---

(١) عون المعبود (٤ / ٥٥٣) ، وجريدة أهل حديث أمر تسر ٢ صفر سنة ١٣٥٢ هـ ، وتذكرة علمائى حال (٩٩) ، ونزهة الخواطر (٨ / ٥٢٦ ـ ٥٢٧) ، وحياة شمس الحق وآثاره (٣٠٢ ـ ٣٠٤) .

(٢) نزهة الخواطر (٨ / ١٥٣) .

(٣) جريدة أهل حديث أمر تسر مجلد ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢١ م ، ونزهة الخواطر (٨ / ١٥٣) ، وأهل حديث كى علمى خدمات .

● **والشيخ العلامة عبد الرزاق بن معظم على الحسينى المعروف بأمير على المليح آبادى ثم اللكنوى (١٢٤٤ ـ ١٣٣٧ هـ) :**

أحد كبار علماء الهند ، البارزين فى علوم المعقول والمنقول ، وكان من كبار تلامذة السيد نذير حسين ، قضى حياته فى خدمة العلم ، اشتغل بالتأليف وتصحيح الكتب والتعليق عليها ، ونقل الكتب العربية إلى الأردية فى مطبعة نولكشور بلكناؤ .

وفى آخر حياته اشتغل بالتدريس فى المدرسة العالية بكلكتا ، ثم تولى رئاسة التدريس فى دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، ثم سافر إلى الحجاز ودرّس بجدة سنوات ، قال الأستاذ عبد الحى الحسنى : « وكان أعلم الناس فى زمانه وأعرفهم بالنصوص والقواعد مع توسعة فى الرجال والحديث ، مديم الاشتغال بكتبه ، غير متصلب فى المذهب ، يتبع الدليل ويترك التقليد ، إذا وجد فى مسألة نصا صريحاً مخالفا للمذهب غير منسوخ (١) .

ويظهر من كلامه أنه لم يكن يبالى بالمذهب عند وجود دليل من الكتاب والسنة ، وأهل الحديث لا يطالبونَ أكثر من ذلك ، فإن مذهبهم هو مذهب الأئمة المتبوعين رحمة الله عليهم أى إذا صح الحديث فهو مذهبهم ، وكان الشيخ أمير على سائراً على هذا المذهب القويم .

ومن مؤلفاته :

١ ـ مواهب الرحمن فى تفسير القرآن (٣٠ مجلداً بالأردية) .
٢ ـ عـين الهداية شرح الهداية .
٣ ـ ترجمة الفتاوى الهندية العالمكيرية إلى الأردية .

وفى علوم الحديث :

١ ـ حاشية على تقريب التهذيب مع تكملة التقريب المسماة بالتعقيب (مطبوع) .
٢ ـ المستدرك فى الرجال : قال الأستاذ الحسنى : جمع فيه رواة الصحاح والسنن ، واستقراهم من أنساب السمعانى وغيره من الكتب ، ولكنه لم يتم » (٢) .

● **والشيخ الفاضل السيد عبد الحى بن السيد فخر الدين الحسنى البريلوى (١٢٨٦ ـ ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م) :**

من كبار علماء الهند ، ومؤلف نزهة الخواطر فى تراجم أعيان الهند من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجرى ، أسند عن السيد نذير حسين الدهلوى ، وكان يفتخرُ به ويوقره ، كما أسند عن المحدث حسين بن محسن الأنصارى ، تولى إدارة دار العلوم لندوة

---

(١) نزهة الخواطر (٨ / ٧٦) .
(٢) نزهة الخواطر (٨ / ٧٦) .

العلماء ، واشتغل بالتأليف والتصنيف ، وأكثر مؤلفاته فى التأريخ ، واشتغل فى آخر عمره بالحديث وألف بعض الكتب القيمة وهى :

١ ـ تهذيب الأخلاق فى الأخلاق والأدب (مطبوع بالمكتب الإسلامى بدمشق) .

٢ ـ تلخيص الأخبار : كتاب مختصر نفيس فى الحديث ، جمع فيه الأخبار بحذف الأسانيد الواردة فى كتب السنة الخاصة بتهذيب الأخلاق على غرار الأدب المفرد للإمام البخارى .

٣ ـ شرح على تلخيص الأخبار فى عدة أجزاء سماه : منتهى الأفكار فى تلخيص الأخبار .

٤ ـ شرح على سنن أبى داود (ولم يتمه) (١) .

• والشيخ الفاضل السيد نذير الدين أحمد بن الشيخ جلال الدين أحمد البنارسى (ت ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م) :

من كبار تلامذة المحدث السيد نذير حسين ، تتلمذ على المحدث محمد بن جعفر المِجهلى شهرى ، والمحدث عبد الحق البنارسى ، والعلامة عبد الله الغازيفورى ، كان عارفا باللغة الإنجليزية ، اشتغل بالمناصب الحكومية ، ثم عكف على التدريس والإفادة فى بوفال ، والمدرسة الأحمدية بآره ، وببنارس .

ومن مؤلفاته : ١ ـ ترجمة الشفاء للقاضى عياض إلى الأردية .

٢ ـ المصادر الستة (٢) .

• والمحدث أبوسعيد شرف الدين بن إمام الدين الدهلوى الفنجابى (ت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) :

من كبار علماء الحديث فى الهند ، أخذ الحديث عن السيد نذير حسين المحدث الدهلوى وأسند عن المحدث حسين بن محسن الأنصارى ، قضى حياته فى التدريس والتأليف والتصنيف ، وأسس المدرسة العربية السعيدية سنة ١٣٥٠ هـ ، تخرج عليه خلق منهم : الأديب المحقق العلامة عبد العزيز الميمنى ، والشيخ عبد الجبار الكهنديلوى ، وله مؤلفات عديدة معظمها غير مطبوع منها :

---

(١) نزهة الخواطر (الجزء الأول . المقدمة) ، وتراجم علمائى حال (٤٠) ، وتراجم علمائى حديث هند ، وحياة عبد الحى لابنه أبى الحسن على الحسنى الندوى .

(٢) انظر : لترجمته : تراجم علمائى حديث هند ، وهندوستان مين أهل حديث كى علمى خدمات .

١ ـ تكملة تنقيح الرواة فى تخريج أحاديث المشكاة للمحدث أحمد حسن الدهلوى من كتاب الزكاة إلى آخر الكتاب ، والكتاب فى أربعة أجزاء ، والأول والثانى منه مطبوع ، وقد عثر على الباقى العلامة المحقق الشيخ محمد عطا الله حنيف الفوجيانى حفظه الله ، إلا أن المخطوط فيه خرم ونقص ، والكتاب تحت الطبع بتحقيق الفوجيانى ، وإكمال النقص الموجود فيه من المكتبة السلفية بلاهور ، باكستان ، يسر الله طبعه .

٢ ـ تخريج آيات الجامع الصحيح للبخارى .

٣ ـ شرح سنن ابن ماجه (لبعض أجزائه) ، وقد حسنه شمس الحق العظيم آبادى .

٤ ـ حاشية على نصب الراية للزيلعى .

٥ ـ كشف الحجاب عما فى البرهان العجاب : ترجمة أردية لكتاب البرهان العجاب فى فرضية أم الكتاب للعلامة محمد بشير السهسوانى مؤلف كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان .

٦ ـ شرح مسند الإمام أحمد على تبويب المحدث عبد الحكيم النصير آبادى ، طبع منه ستون صفحة بالقطع الكبير من جمعية أهل الحديث بدهلى ، ثم توقف نشره لعوائق .

٧ ـ استدراك وتعقيب على « الفتاوى الثنائية » للعلامة ثناء الله الأمرتسرى (رتبه الشيخ محمد داود الدهلوى فى مجلدين كبيرين) .

٨ ـ برق إسلام فى الرد على كتاب علم الحديث لأسلم الجيراجفورى الذى أنكر حجية السنة (١) .

● والشيخ المحدث عبد الحق الملتانى :

من كبار علماء عصره ، وأحد تلاميذ السيد نذير حسين البارزين فى علوم السنة ، وله جهود مخلصة فى نشر السنة والعقيدة الصحيحة ، وكان يحرر الفتاوى عند شيخه السيد نذير حسين ، وعدد كبير من فتاواه مطبوعة فى ضمن « الفتاوى النذيرية » .

هذه نبذة عن تلاميذ الإمام المحدث السيد نذير حسين الدهلوى الذين اشتغلوا بخدمة علوم الحديث الشريف ، وكان لجهودهم دور كبير فى تنشيط حركة السنة النبوية فى القرن الرابع عشر الهجرى ، .

---

(١) تراجم علماء حديث هند (١٧٢) ، وهندوستان مين أهل حديث كى علمى خدمات ، والعجالة النافعة مع التعليقات الساطعة ١٠٧ ، وجريدة الاعتصام ، لاهور ٤ أغسطس سنة ١٩٦١ م ، وحياة شمس الحق وآثاره ، ومجلة برهان ٢ ستمبر سنة ١٩٥٣ م .

وقد أحسن من عدّ الإمام مجدد القرن الرابع عشر مجدد علوم الكتاب والسنة ومصلح هذه الأمة ، وقد نفع الله بجهوده وجهود تلاميذه الأمة الإسلامية بما لا يعلمه إلا الله ، وقضى الإمام المحدث حياته فى الدعوة والاصلاح والإفتاء والتدريس التى تحتوى على أكثر من نصف قرن ، وقد تتلمذ عليه واستجاز منه آلاف من علماء العالم الإسلامى ، وقد ذكر أسماء خمسمائة منهم مؤلف الحياة بعد المماة فى سيرة الإمام المجدد ، وقال : « إن هذا الفهرس مختصر جداً ، لأن عدد تلاميذه حسب ما قال لى الشيخ تلطف حسين والحافظ محمد حسين لا يقل عن عشرين ألفاً وعدد الذين استفادوا من دعوته وتآليفه وتأثروا بمنهجه لا يقلون عن ثمانية ملايين ، فإنى سألت الشيخ تلطف حسين حينما سافرت إلى دهلى فى سنة ١٩٠٣ م فقلت له : إنك لازمت المحدث السيد نذير حسين من خمسة وعشرين سنة ، فهل قيدت أسماء تلاميذه فى الفهرسة . فأفاد : انى حينما كنت مديراً لشئون تغذية الطلاب ، قيدت أسماء تلاميذه فى ثلاثة أعوام ، فبلغوا اثنى عشر ألفاً ، ثم تركت تقييدهم لكثرة أشغالى وأعمالى التجارية ، ثم حينما التقيت بالشيخ الحافظ محمد حسين الضرير الفنجابى فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٠٣ م فسألته عن عدد تلاميذه بدون أى إشارة إلى ما أفادنى الشيخ تلطف حسين ، فأفادنى أنه حينما سافر إلى دهلى للدراسة فكان رقمه فى دفتر تلاميذه (١٢٠٠٠) » (١) ، وقد مضى قول الأستاذ عبد الحى : نفع الله بعلومه خلقاً كثيراً ، من أهل العرب والعجم ، وانتهت إليه رئاسة الحديث فى بلاد الهند » .

وقول المحدث حسين بن محسن الأنصارى : إنه فرد زمانه ومسند وقته وأوانه ومن أجلّ علماء العصر بل لا ثانى له فى إقليم الهند فى علمه وحلمه وتقواه وأنه من الهادين والمرشدين إلى العلم بالكتاب والسنة والمعلمين لهما ، بل أجل علماء هذا العصر المحققين فى أرض الهند أكثرهم من تلامذته » .

هذا وفى الحلقات الآتية أذكر بعض تلاميذه من البلاد العربية ثم أردف بذكر علماء الحديث الذين أخذوا العلوم عن تلاميذ الإمام المحدث . وفقنا الله لإتمام هذه الحلقات ، ولما يحب ويرضاه .

---

(١) الحياة بعد المماة (٣٥٤ ـ ٣٥٥) .


سيرة
و
تاريخ

من روائع الفتح الإسلامى

فتوح الشام

للدكتور محمد السيد الوكيل
وكيل كلية الحديث الشريف

تـوطئـــــة :

كانت معركة اليرموك باباً انفتح بانفتاحه الطريق إلى بلاد الروم ، كما كانت القادسية بالنسبة لبلاد الفرس ، فكلتا المعركتين شجعتا المسلمين على الاستمرار فى الفتح والغزو وقد تم النصر فى المعركتين فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقد سبق القضاء بوفاة الخليفة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ قبل أن يحرز المسلمون النصر فى معركة اليرموك وحمل البريد فى ذهابه أسوأ نبأ سمعه المسلمون بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا وهو نبأ وفاة أبى بكر ، كما حمل فى إيابه نبأ عزى المسلمين فى مصابهم ، وسلاهم عن وفاة خليفتهم ، ذلكم هو نبأ انتصار المسلمين فى اليرموك .

إن اليرموك حسنة فى ميزان الخليفة الأول ، فهو الذى عبأ لها ، وهو الذى أمد جندها بالقائد المظفر ، عبقرى الحرب ، خالد بن الوليد ، فكيف لا يفرح المسلمون بالانتصار فيها ؟ وكيف لا يتسلون بأنبائها عن وفاة الخليفة وهى ثمرة جهده ، وثقل فى ميزانه ؟

وعاد البريد يحمل إلى الخليفة الثانى أنباء النصر ، ففرح الخليفة به ، وترضى عن أبى بكر ، وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وأقر الأمراء الذين ولاهم أبو بكر على ماكانوا عليه فى عهد سلفه الراحل ، واستثنى منهم أميرين : أما الأول فخالد بن الوليد فقد عزله الخليفة عن إمرة الجيش ، وضمه إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح بعد أن أسند إليه قيادة جيوش الروم ، وأما الثانى فعمرو بن العاص وقد أمره الخليفة أن يعين الناس حتى إذا انتهوا من فتح دمشق وفحل تولى أمر الحرب فى فلسطين .

آل أمر جيوش الشام إلى قيادة أبى عبيدة ، فأخبر أبو عبيدة خالداً بما أحدث أمير المؤمنين بعد انتهاء خالد من فتح دمشق ، فقال خالد : يرحمك الله ! ما منعك أن تعلمنى حين جاءك ؟ فقال أبو عبيدة : كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن أخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه فى دينه ودنياه (١) ·

عزم أبو عبيدة - رضى الله عنه - على مواصلة الزحف على بلاد الروم ، ولكنه تردد ، ولم يدر بماذا يبدأ ؟ أيتوجه إلى دمشق ؟ وحينئذ يكون قد ترك خلفه بفحل جيشاً لجبا للروم يقدر بثمانين ألف مقاتل لا يأمن أن يبغته من ورائه ·

أم يتوجه إلى فحل ، فهو يخشى أن يتجمع الروم بدمشق ، ويقوى أمرهم ، ولا يستطيع المسلمون فتحها إلا بجهد ومشقة وشدة ، وحينئذ قطع هذا التردد ، وأرسل إلى الخليفة يستشيره بأيهما يبدأ ·

ورد عليه الخليفة قائلا : أما بعد ، فابدأوا بدمشق ، فانهدوا لها ، فإنها حصن الشأم وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم فى نحورهم ، وأهل فلسطين وأهل حمص ، فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذى نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل فى دمشق من يمسك بها ودعوها ، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص ، ودع شرحبيل وعمرا وأخلهما بالأردن وفلسطين (٢) ·

فتح دمشـــــق :

بهذا الرد أنهى الخليفة تردد القائد ، وأمن مخاوفه ، حيث أمره بأن يبدأ بدمشق لأنها عاصمة البلاد ، وسقوط العاصمة يؤدى دائماً إلى ضعف المقاومة فى الأطراف وكثيراً ما تكون المقاومة بعد سقوط العاصمة من أجل الحصول على الأمان ، أما استرداد العاصمة ، أو إعادة مكانتها إليها فقلما يخطر ذلك على بال المقاومين ، وإن حصل ذلك أحياناً فإنما يكون رمية من غير رام لظروف طرأت فغيرت مجرى الأوضاع ·

وأمن الخليفة خوف القائد مما يجد من جهة فحل حين أمره بإرسال خيل تقف بإزائهم فتشغلهم بأنفسهم عن التفكير فى مباغتة المسلمين ، ولم ينس الخليفة أهل حمص

---

(١) ابن كثير (٧ / ٢٣٠) ·

(٢) الطبرى (٣ / ٤٣٧ - ٤٣٨)

حمص وأهل فلسطين وما بينهم وبين أهل دمشق من علاقات تفرض عليهم مساعدة الدمشقيين فذكر القائد بذلك حتى لا يؤتى من قبل مالا يتوقع ٠

وصدع القائد بأمر الخليفة وعبأ جيشه ، وتوجه به نحو دمشق ، وقبل أن ينطلق بجيشه أرسل إلى فحل عشرة قواد ، ومعهم جيش عظيم ، وأمر عليهم عمارة بن مخشى الصحابى ووجه جيشاً بقيادة علقمة بن حكيم ومسروق العكى ليشغل أهل فلسطين عن مساعدة دمشق ، وبعث ذا الكلاع فى جيش ليحول بين أهل حمص وإمدادهم لأهل دمشق ٠

واطمأن أبو عبيدة للخطة ، فلم يعد هناك ما يشغله ، ولا يهدد أمن الجيوش الزاحفة نحو دمشق ، إن تلك الخطة قد قطعت كل أمل فى مساعدة الدمشقيين ، ولا شك أنهم سيقفون وحدهم فى مواجهة المسلمين ، وحينئذ لن يعجز المسلمين أمرهم وستكون الدائرة عليهم ٠

لقد كانت فحل مصدر خطر عظيم حيث يعسكر فيها جيش قوامه ثمانون ألفاً مدججون بالسلاح والعتاد ، وهم على استعداد لنجدة قوات دمشق اذا اقتضى الأمر ، ولكن عمارة بن مخشى وجيشه قد فاجأوا الجيش المدل بعدته وعتاده فسقط فى يد الروم ، وبثقوا المياه فأوحلت الأرض راجين أن يحول ذلك بينهم وبين الجيش الذى قدم لمحاصرتهم ، واغتم المسلمون لتلك المكيدة الخبيثة ولم يدر قط بخلدهم أن الله ـ عز وجل ـ قد قضى أن يكون ذلك من أعظم أسباب نصرهم ، ورابط الجيش فى مكانه محاصراً جيش الروم بفحل من أرض الأردن ٠

وكذلك كانت حمص مركزاً رئيسياً لقوات الروم ، وكان هرقل قد فر إليها بعد اليرموك حين علم بأن قوات المسلمين يستعدون لغزو دمشق ، ولما حاصر المسلمون دمشق استغاث أهلها بهرقل ، واستمدوه ، ولم يخيب هرقل أملهم فيه ، فأمدهم بجيش على خيل ليضمن وصول المدد فى أسرع وقت ، ولكن ذا الكلاع وجيشه قد رصدوا تحركاتهم ، ووقفوا فى وجه المدد ، وحالوا بينه وبين الوصول إلى دمشق ، فلم يتمكن المدد من الوصول ، وظل أهل دمشق تحت رحمة جيش المسلمين ٠

توجه أبو عبيدة بجيشه نحو دمشق ، وكان الأمير يزيد بن أبى سفيان ، فجعل خالداً على القلب ، وأبا عبيدة وعمراً على المجنبتين ، وعياض بن غنم على الخيل ، وشرحبيل بن حسنة على الرجالة ، فلما نزلوا الغوطة وجدوا دورها وبساتينها خاوية على عروشها ، ليس بها ديار ولا نافخ نار ، لقد فر القوم إلى دمشق ليحتموا بأسوارها المنيعة وحصونها الشامخة ، فنزل المسلمون بها وسكنوا دورها واستمتعوا بخيرات بساتينها ، وكان ذلك عوناً لهم على محاصرة المدينة العتيدة ٠

كانت أسوار دمشق ترتفع فى الهواء ستة أمتار أو تزيد ، وكان عرضها ثلاثة أمتار بل تزيد ، وأما حصونها فكانت شاهقة شامخة كثيرة الشرفات ، وكان لأسوارها أبواب ضخمة ترد من يريدها بسوء ، وأحيطت تلك الأسوار بخندق عرضه ثلاثة أمتار ، تملؤه مياه بردى لتحمى المدينة من المهاجمين أو على الأقل تعوق مسيرتهم حتى يستعد حراس الأسوار للقاء الغزاة .

ورغم كل ذلك أصر أبو عبيدة على محاصرة دمشق ، وتقدم الجيش الظافر إلى دمشق ، وكانت نشوة النصر فى اليرموك لا تزال تهزه وتدفعه لطلب المزيد من النصر ، واستغل القائد العظيم طرب الناس بنشوة النصر ، كما استعان بشوقهم إلى رؤية دمشق التى كثيراً ما سمعوا عنها ما يشجعهم على التضحية لفتحها ، وأصدر أبو عبيدة أمره بمحاصرة المدينة ، وعين لكل فريق باباً من أبوابها الكثيرة المنتشرة فى سورها الحصين .

محاصـــرة دمشـــــق :

نزل أبو عبيدة على باب الجابية ، ونزل عمرو بن العاص على باب توماء ، ونزل شرحبيل بن حسنة على باب الفراديس ، ونزل يزيد بن أبى سفيان على باب كيسان ، ونزل خالد بن الوليد على بابها الشرقى (١) .

وعلم المسلمون أن الحصار سيطول ، وبخاصة وأن زمن الشتاء قد اقترب والبرد هناك يمزق الجلود ، ويقطع الأوصال ، وكان جيش الروم المحاصر فى داخل العاصمة يعتمد على بردها القارص ، وطقسها الذى لا يتحمله سكان جزيرة العرب الشديدة الحرارة ، ولهذا ظل جيش دمشق معتصماً بها رغم خيبة أمله فى وصول إمدادات هرقل له ، إن قادة الجيش وإن خاب أملهم فى هرقل فلن يخيب فى برد الشتاء ورده لهؤلاء الأعداء ، فكم حاصر المدينة معتدون وكان الشتاء وحده كفيلا بطردهم وردهم على أعقابهم .

استعد المسلمون لذلك كله فنصبوا المجانيق ، وأعدوا الدبابات ، فأما طول الحصار فلهم فى بساتين الغوطة وأنهارها ما يكفل لهم حياة رغدة هنيئة ، وأما شدة البرد فقد هيئوا أنفسهم بالصبر وقوة التحمل ، وأما مناعة العاصمة فإن تشديد الحصار وتضييق الخناق جديران بتحطيم معنويات المتحصنين بها ، ولهم بعد ذلك وفوق ذلك كله تأييد الله ـ عز وجل ـ ونصره ، فما لهم لا يصبرون ؟

بدأ المسلمون يهاجمون دمشق ، ويضربونها بالمجانيق ، ويقتربون من أسوارها بالدبابات ، ولكن ذلك لم يغن شيئا ، واستطاع جيش الروم أن يصمد لذلك ويرد هجمات

---

(١) هيكل : الفاروق عمر (١/ ١٢٨) .

المسلمين ، ولكنه يخش الخروج إليهم ، فلا تزال النهاية المؤلمة فى معركة اليرموك عالقة بأذهانهم ، وطال الحصار فعلا حتى بلغ ستة أشهر عند بعض المؤرخين ، وانتهى فصل الشتاء ، وخاب الأمل الوحيد الذى كانوا لا يشكون فى عونه لهم ، ووقوفه إلى جوارهم ٠

وبدأ أهل دمشق يطلبون الصلح على لسان أسقف منهم (١) ، وأجابهم المسلمون على أن يكون للمسلمين نصف ما بأيدى الروم من الأموال والأملاك ، ولكن الروم ترددوا وأبوا (٢) ٠

فتح دمشـــــق :

وظل الحال على ما هو عليه ، المسلمون يشددون الحصار ، والروم لا يعرفون سبيلا للخروج من ذلك الحصار ، حتى كانت ليلة استطاع خالد بن الوليد الذى كان يراقب الموقف بدقة وعناية فائقتين أن يعبر الخندق هو وجماعة من جيشه منهم القعقاع بن عمرو ، ومذعور ابن عدى سباحة بالقرب نفخوها وعلقوها فى أعناقهم ، وتسلقوا السور الشاهق بالحبال والأوهاق ، وانحدروا إلى داخل بالحبال نفسها ، وكبروا فاجتمع المسلمون حول السور والباب ، وعالج خالد ومن معه الباب بالسيوف ففتحوه بعد أن قتلوا البوابين ، ودخل المسلمون المدينة عنوة ، وذعر أهل دمشق فهرعوا إلى الأبواب الأخرى يطلبون الصلح فوافق المسلمون ، وعقدوا معهم الصلح ماعدا خالداً فقد دخلها عنوة ، والتقى القواد المسلمون فى وسط المدينة عند كنيسة المقسلاط بالقرب من درب الريحان (٣)

يقول صاحب الفتوح : وهو موضع النحاسين بدمشق ، وهو البريص الذى ذكره حسان ابن ثابت فى شعره حين يقول :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل (٤)

والرواية هذه متفق عليها بين المؤرخين فى فتح دمشق إلا من شذ منهم فقلب الكلام وعكس الوضع وادعى أن خالدا دخلها صلحا وأبا عبيدة أو يزيد دخلها عنوة ٠

ولكن كيف عرف خالد بانشغال الروم فى تلك الليلة حتى أقدم على اقتحام العاصمة ؟ تجرى الروايات بأن خالدا كان يقظا مهتما بالأمر ، وأنه كان لا ينام ولا يترك أحدا ممن معه ينام ، وفى تلك الليلة لاحظ هدوء السور وخلوه من الحراس ، فما أسباب ذلك ؟ يقول الطبرى وابن الأثير وابن كثير وغيرهم : بأنه ولد للبطريق مولود فصنع لأهل دمشق طعاماً

(١) البلاذرى ص ١٢٨
(٢) الطبرى (٣ / ٤٤٠)
(٣) ابن كثير (٧ / ٢٠)
(٤) البلاذرى ص ١٢٨

اجتمعوا عليه ، وأكلوا وشربوا وغفلوا عن واجبهم وشغلوا عن مواقفهم فلاحظ ذلك خالد فانتهز الفرصة وكان الاقتحام ٠

ويقول البلاذرى : إن رجلاً منهم أتى خالداً ، وأخبره بأن هناك هذه الليلة ليلة عيد لأهل المدينة ، وأنهم فى شغل ، وأن الباب الشرقى قد ردم بالحجارة وترك وأشار عليه بأن يلتمس سلماً ، فأتاه قوم من أهل الدير الذى عند عسكره بسلمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلا السور ، ونزلوا إلى الباب وليس عليه الا رجل أو رجلان ، فتعاونوا عليه وفتحوه وذلك عند طلوع الشمس (١) ٠

والروايتان تؤديان إلى نتيجة واحدة هى أن خالداً فتح دمشق من بابها الشرقى عنوة ، وأن أهلها كانوا عنها غافلين ، وأن خالداً استعمل فى الوصول إلى غايته السلاليم سواء كانت من الحبال أم من غيرها ، وأنه غامر ودخل المدينة وهى مغلقة الأبواب وهو الذى فتحها لجيشه ٠

ولكنهما تختلفان مع هذا فى شىء آخر وهو أن خالداً فى الرواية الأولى عرف انشغال الدمشقيين بفطنته ويقظته ، وأن خالداً قد أعد الحبال والأوهاق (٢) ليستعملها عندما تحين الفرصة ، وفى الرواية الثانية عرف انشغال الناس بواسطة واحد منهم ، وأنه استعار السلاليم من أهل الدير القريب منه ٠

والذى تميل إليه النفس هو الرواية الثانية ، فقد حدث ذلك كثيراً فى البلاد التى فتحها المسلمون بعد أن استعصت عليهم ، وبخاصة وأن الروم كانوا قد ظلموا الرعية ، وأرهقوا الناس بالضرائب الباهظة ، وكان الناس قد ملوهم وملوا حكمهم ، وضاقوا بأساليب ظلمهم ، وقد حدث ذلك فعلا عند فتح الاسكندرية ٠

وإلا فإن هدوء السور وخلوه من الحراس لا يدلان على انشغال الناس فقد يكون ذلك مكيدة للتغرير بالمسلمين وإيقاعهم فى حبائلهم ، ومثل ذلك لا يغيب عن فطنة خالد العبقرى ، ولا يعزب عن ذهنه ٠

والرواية الثانية على ما هى عليه لا تقلل من عبقرية خالد العسكرية ، ولا تهون شأن الدور الذى قام به خالد فى فتح المدينة الحصينة ، بل إنها لتعطى إلى جانب القدرة العسكرية الفائقة حنكة سياسية بارعة ، حيث استطاع خالد ـ رضى الله عنه ـ أن يكسب عطف الناس ، ويستميل قلوبهم إليه حتى انتهز ذلك الرجل انشغال الناس بعيدهم ، وقصد خالداً ، وأخبره بما عليه أهل دمشق وأغراه بالفتح ٠

(١) البلاذرى ص ١٢٨

(٢) الأوهاق : الحبال فى أطرافها عقد تطرح على الشىء فتمسك به ٠

فبينما نرى خالداً سياسياً بارعاً أقام علاقات حسنه مع أحد الأساقفة ، وكسب عطف الناس واستمال قلوبهم ، نراه هو وأصحابه وقد نفخوا القرب ، وعلقوها فى أعناقهم ، وعبروا بها الخندق المحيط بالسور ، ولا يكاد يعبر حتى ينصب السلالم ويرقى عليها ثم يستعملها في الهبوط إلى داخل المدينة ، وصيحات التكبير تملأ الفضاء ، ويقتل الحراس ، وينشر الرعب فى أنحاء العاصمة الحالمة الوديعة التى كان أهلها بالأمس يلهون آمنين .

إنها حنكة خالد السياسية شدت أزر عبقريته الحربية فكانت الثمرة فتح دمشق العتيدة الحصينة ، ما أروع الحنكة السياسية حين تتعاون مع الخبرة العسكرية ، وأعظم من ذلك وأروع أن تجتمع الصفتان فى رجل واحد قادر على استخدامهما متى شاء لا حين تجبره الظروف وتضطره الأوضاع .

كان فتح دمشق عند بعض المؤرخين بعد اليرموك وفى السنة نفسها بعد حصار دام سبعين يوماً أو أربعة أشهر أو ستة أشهر ، وكان ذلك كله ولم تخرج سنة ثلاث عشرة للهجرة النبوية ، والرأى الذى رجحه ابن كثير هو أنها فتحت فى رجب سنة ١٤ هـ وقال : هو رأى الجمهور (١) .

واتفاق المؤرخين على ان دمشق وإن كان بعضها فتح عنوة وبعضها فتح صلحاً إلا أنه قد أجرى عليها جميعها حكم الصلح ، وكان الصلح عند أكثر المؤرخين على المقاسمة أى أن المسلمين قاسموا سكان دمشق كل ما كان فى أيديهم حتى الكنائس ، وكان عددها خمس عشرة كنيسة أخذ المسلمون منها سبعة وقاسموهم أكبر الكنائس وأضخمها كنيسة القديس يوحنا المعمدان (٢) ، فأخذ المسلمون نصفها وجعلوه مسجدا وتركوا لهم نصفها الغربى كنيسة يقيمون فيها شعائرهم (٣) ، وقد أخذ الوليد بن عبد الملك منهم النصف الذى بأيديهم وأدخله فى المسجد المعروف بالمسجد الأموى اليوم (٤) .

وتضمن هذا الصلح فرض الجزية على سكان دمشق ، وقد جعلها أبو عبيدة ديناراً على كل رأس وشيئاً من الحنطة والزيت والخل يقتات به المسلمون ، وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فكأن عمر لم يرض بذلك بل نظر إلى طبقات الناس واختلافهم فى اليسار وعدمه (٥) ، كما فرضها على الذكور البالغين القادرين على تأديتها دون غيرهم (٦) .

---

(١) ابن كثير (٧ / ٢٢) .
(٢) الفاروق عمر / هيكل (١ / ١٣٣)
(٣) ابن كثير (٧ / ٢١)
(٤) البلاذرى ص ١٣٢
(٥) نفسه ص ١٣١
(٦) أبو يوسف ص ١٣٢

روى البلاذرى أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموس، وأن يجعلوها على أهل الورق أربعين درهماً، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير، وعليهم من أرزاق المسلمين مدان من الحنطة، وثلاثة أقساط زيتاً، وجعل عليهم ودكاً وعسلاً (١) ·

المسلمون فى دمشق :

استقر الأمر للمسلمين فى دمشق، وطاب لهم فيها المقام، فعاشوا بين قصور وأنهار وورود وأزهار، ونظر أبو عبيدة فإذا كثير من أهل دمشق يتركون بيوتهم ويفرون إلى انطاكية، حيث يقيم هرقل، ورأى المسلمين يسكنون هذه الدور، وينعمون بتلك القصور فخاف أن يخلدوا إلى الدعة والنعيم، وأن ينسوا من خلفوا وراءهم من المقاتلين فذكرهم بهم حين عمد إلى قسم الغنائم، فقسم معهم لذى الكلاع وجنوده، ولأبى الأعور ورجاله، ولبشير ومن معه، كما قسم للجنود الذى يحاصرون فحلا ·

وبهذا يكون أبو عبيدة - رضى الله عنه - قد ذكر المسلمين بإخوانهم الذين دفعوا عنهم، وينتظرونهم ليكملوا معهم المشوار الذى بدأوه ·

وأما هذه الدور وتلك القصور التى تركها أهلها وفروا منها، فلا ينبغى أن تشغلهم عن مسيرة الجهاد فى سبيل الله حتى لا يحل بهم ما حل بأهلها الذين فروا منها إلى غير رجعة، وليكن للمسلمين فيهم عبرة فالسعيد من وعظ بغيره ·

هرقل يودع دمشق :

واما هرقل امبراطور الروم، وصاحب البلاد، فكان كلما سمع بانتصار المسلمين يبتعد عن الموطن الذى فتحوه، وظل يفر من بلد إلى بلد، ويتنقل من مكان إلى مكان يطلب النجاة، وينتظر الفرج، حتى سقطت دمشق · ثم حمص وقنسرين فى أيدى المسلمين حينئذ فر هرقل إلى القسطنطينية، وأشرف على نشز من الأرض والتفت إلى الشام وقال : السلام عليك ياسورية سلام لا اجتماع بعده (٢) ·

ويقول أبو جعفر : لما فصل هرقل من شمشاط واخلا الروم التفت إلى سورية فقال : قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر، فأما اليوم فعليك السلام ياسورية تسليم المفارق، ولا يعود إليك رومى أبداً إلا خائفاً (٣) ·

---

(١) البلاذرى ص ١٣١ ·

(٢) ابن الاثير (٢ / ٤٩٤) ·

(٣) الطبرى (٣ / ٦٠٣) ·

وكتب أبو عبيدة بالفتح إلى الخليفة فسر به ، وكتب إلى أبى عبيدة أن اصرف جند العراق إلى العراق ، فأخرج أبو عبيدة جند العراق ، وهم الذين قدموا مع خالد بن الوليد ، وأمر عليهم هاشم بن عتبة المرقال ، وعوضه عمن قتل منهم ، وأمرهم بالسير واللحوق بسعد بن أبى وقاص ، وخرج هو وبقية الأمراء متجهين إلى فحل (١) .

من دمشق إلى فحل :

لا يزال القواد العشرة الذين أرسلهم أبو عبيدة لمحاصرة فحل مرابطين عندها وكلما هم المسلمون بغزو المدينة حال الوحل بينهم وبين ما يريدون ،ذلك لأن جيش الروم لما علم بقدوم جيش المسلمين إليهم فزعوا أشد الفزع ، وفكروا كيف يدفعون هذا الموت الزاحف عليهم ؟ فبثقوا مياه نهر الأردن ومياه بحيرة طبرية فغرقت الأرض بالمياه ، وكانت الأرض سبخة فتحول ترابها إلى وحل وطين لم يتمكن الجيش بسببه من اقتحام المدينة .

وكان أبو عبيدة قد انتهى من دمشق ، وعقد الصلح مع أهلها ، ونظر فإذا هرقل يحرض الناس عليهم ، والروم يجتمعون حوله فى انطاكية ، وفكر القائد ماذا يصنع ؟ أيذهب إلى هرقل ليقضى عليه ، ويريح المسلمين من تحريضه وشره ؟ أم يذهب إلى فحل ليؤمن ظهر الناس ، وتصير الشام بعدها سلماً للمسلمين ؟

وسرعان ما تذكر أبو عبيدة رسالة الخليفة وأمره بالتوجه إلى فحل بعد فتح دمشق فلم يعد هناك مجال للتردد والتفكير ، فليذهب أبو عبيدة وجيشه إلى فحل ، وليكن من أمر هرقل بعد ذلك ما يكون .

استعد أبو عبيدة للمسير إلى فحل ، وخلف يزيد بن أبى سفيان فى خيله على دمشق حتى لا تنتقض أو ترتد ، وتقلب للمسلمين ظهر المجن .

وكان شرحبيل بن حسنة هو أمير الجيش حسبما وصى الخليفة ، ورتب شرحبيل جيشه ، فجعل خالداً على المقدمة ، وأبا عبيدة وعمراً على المجنبتين ، وضرار بن الأزور على الخيل ، وعياض بن غنم على الرجل (٢) .

سار الجيش على بركة الله ، يحدوه أمل كبير فى فتح هذه البلاد حتى تهدأ بلاد الشام كلها ، ويصبح فيها المسلمون آمنين ، واتجه شرحبيل بجيشه نحو الجنوب حتى انتهى إلى الجيش المحاصر وعليه أبو الأعور السلمى ، فوجده وقد حال الوحل والماء بينه وبين جيش الروم .

---

(١) ابن الأثير (٢ / ٤٢٩)

(٢) الطبرى (٣ / ٤٤٢) .

وأراد شرحبيل أن يحرك الجيش الذى حاصر فحل تلك الفترة الطويلة دون أن يستطيع فتحها ليجدد نشاطه ، ويحفزه للعمل بعد طول توقف فبعثه إلى طبرية فخرج أبو الأعور السلمى بجيشه متوجهاً إلى الشمال حيث تكون طبرية ٠

ونزل شرحبيل بجيشه الذى ضم خيرة قواد المسلمين على فحل ، فوجد الأرض لازالت غارقة بالوحل والماء ، وبحث المسلمون حولهم فوجدوا أنفسهم بأطيب مقام ، الأرض خصبة ، والخيرات كثيرة ، والعيش رغد ، والروم محصورون لا يصلهم مدد ولا يسعفهم عون ، فلماذا يتعجلون ؟

وكتب القائد إلى الخليفة يخبره بموقف الجيش ، ذلك لأن عمر ـ رضى الله عنه ـ كان يوصى القواد دائماً بالكتابة له بكل ما يكون عليه الجيش حتى يكون بقلبه وروحه دائماً مع المجاهدين وما كان يحب أن يخفى عليه شىء من أحوالهم ، ولم يكن هناك ما يدعو للعجلة فأقام الجيش حتى يأتيه أمر الخليفة ٠

مغامـــرة يائســـة :

رأى سَقَلَّار قائد جيش الروم وجوهاً جديدة تحاصر المكان ، ورأى فى تصرفاتهم عدم الاكتراث بطول الحصار ، فتأكد أن القوم جادون فى حصارهم ، وأنهم لن يبرحوا الأرض ـ مهما طال وقوفهم ـ حتى يفتحوها ، فماذا يفعل ؟ وكيف يتصرف ؟؟

لقد كانت هزيمتهم فى اليرموك لازالت تقض مضاجعهم ، وتفت فى أعضادهم ثم بلغتهم أخبار دمشق ذات الحصون والأسوار فزادت فى فزعهم واضطرابهم وهاهى ذى الأنباء تترى بأن هرقل يتأهب لمغادرة بلاد الشام إلى غير رجعة ٠

لم يكن أمام جيش الروم ازاء تلك الأحداث الجسام ، وبعد تلك المواقف المفزعة إلا أن يغامر بخوض معركة مع المسلمين وليكن الموت فهو على كل حال خير من الأسر وإن كان مشوباً بعار الهزيمة ٠

عزم سقلار على مباغتة المسلمين وتبييتهم ، فأرسل فرقة من جنوده ليكتشفوا له من خلال الوحل طريقاً بها يهاجم منه المسلمين ، معتقداً أنه سيأخذهم على غرة وهم نائمون ، ولكن شرحبيل قائد قوات المسلمين كان دائماً على أهبة الاستعداد ، لأنه كان يتوقع أن يهاجمه الروم فى أية لحظة ، ولهذا فإنه كان يمسى ويصبح على تعبئة وكان جيشه فى غاية اليقظة والحذر ٠

وتخير سقلار بن مخراق القائد اليائس ليلة ليبيت فيها المسلمين ، فلما جن الليل عبر

تحت ستار ظلامه ذلك المكان الوحل إلى حيث يعسكر المسلمون ، وهو مطمئن تماماً إلى غفلة المسلمين وعدم انتباههم له ، ولكنه لم يكد يواجه الجيش الإسلامى حتى فوجىء باستعدادهم لملاقاته ، وخاب أمله فى كل ما كان يتوقعه من غفلة المسلمين وعدم انتباههم ، فلم يكن بد من المعركة .

وتلقاه شرحبيل هو وجنوده ، فقاتلوا أشد القتال ، وقاوموا أعنف مقاومة أعادت إلى أذهان الروم استبسال المسلمين فى معركة اليرموك ، واستبسل الروم فى القتال فلم تكن لهم رغبة فى الحياة بعد قتلى اليرموك واستسلام دمشق وفرار هرقل .

واستمرت المعركة بتلك الشراسة طول الليلة التى هاجم فيها سقلار ، وتنفس الصبح والقتال لا يزال مستعر الأوار ، والموت يتخطف الناس من كل جانب ، وأيقن المسلمون أن ما بين النصر والهزيمة هو صبر ساعة فصبروا محتسبين ، وانتصف النهار والمعركة تزداد شراسة وفتكاً ، وتحمس المسلمون فبعد الزوال ينزل نصر الله - عز وجل - كما علمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وازدادت ثقتهم بهزيمة عدوهم فقد بدا على جيش الروم إعياء شديد ، ولولا تشبث النفس الإنسانية بالحياة لألقوا بأيديهم منذ الجولة الأولى .

اللحظة الحاسمة :

ولمس خالد بن الوليد وضرار بن الأزور ما أصاب جيش الروم من الفشل والوهن فشدا عليه شدة حطمت معنوياته ، وأحدثت فيه من الخلل والاضطراب مالم يعد فى الإمكان تلافيه ، وأقبل الليل بظلامه المخيف وسيوف المسلمين تنهبهم نهباً ، فتزلزلت قلوبهم فى صدورهم ، واضطربت مع شدة الضربات صفوفهم ، فحسبوا الليل فرصة للهروب من سيوف المسلمين فانهزموا حيارى خائفين ، فضلوا الطريق ، وأسلمتهم الهزيمة إلى الوحل الذى صنعوه بأيديهم ليمنع عنهم زحف المسلمين وقتل سقلار ورديفه نسطورس ، وظفر المسلمون أحسن ظفر وأهنأه (١) .

ولحق بهم المسلمون وقد حال الوحل بينهم وبين الفرار ، فتناولوهم بأطراف الرماح وقتلوا منهم ثمانين ألفا لم يفلت منهم إلا الشريد ، وهكذا بدأت الهزيمة فى فحل ، ووقع القتل فى الرداغ (٢) .

---

(١) الطبرى (٣ / ٤٤٣) وابن الاثير (٢ / ٤٣٠) .

(٢) ابن الأثير (٢ / ٤٣٠) والرداغ الطين والوحل .

إن تنصروا الله ينصركم :

وهكذا بدت للمسلمين آيات الله عز وجل - فقد كان - سبحانه - يهيء لهم أسباب النصر فى شىء كرهوه وبرموا به ، لقد كان انبثاق الماء ، وتوحل الأرض مكيدة اتخذها الروم ليعوقوا تقدم جيش المسلمين ، وأراد الله أن يكون الماء والوحل سبباً فى انتصارهم وهزيمة عدوهم **(ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين)** (الأنفال الآية ٣٠) · فانقلبت المكيدة على من اتخذها ، وكانت عوناً للمسلمين على عدوهم ، وأناة من الله ليزدادوا بصيرة وجدا (١) ·

وغنم المسلمون من الروم فى تلك المعركة مغانم لم يقدرها المؤرخون ، فاقتسموها بينهم ، واطمأنت نفوسهم إلى موعود الله لهم ، وانصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد إلى حمص تنفيذاً لأمر الخليفة ، وصحبا معهما سمير بن كعب وذا الكلاع الحميرى ومن معه وخلفا شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص ليتمما فتح الأردن وفلسطين ·

الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن
قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ④
بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤
وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑥

(من سورة الروم)

---

(١) الطبرى (٣ / ٤٤٣) ·

من نماذج الدعاة الصالحين

الإمام أحمد بن حنبل

الشيخ أبو بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

لما كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى علما من أعلام الدعوة الإسلامية جعلناه الحلقة الأولى في السلسلة الثالثة من سلاسل ثلاث لنماذج من الدعاة الصالحين ٠

نسبـــــــه :

فمن هو الإمام أحمــد ؟

إنه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال العربى العدنانى ، إمام الفقه والحديث يكنى بأبى عبد الله الشيبانى قدم به أبوه من مرو ، حملا في بطن أمه فهو مروزى ، وولد ببغداد ونشأ بها فهو بغدادى ٠

الكمال الأحمدى

إننا اذ نستعرض حياة الرجل العظيم إنما نهدف دائما إلى مكان الائتساء فيها ، فلذا لا نعمد غالبا إلى ذكر الكمالات الوهبية في الرجل العظيم ، لأنها محض هبة الله لمن يشاء من عباده ، وانما نعرض للكمالات النفسية الكسبية إذ هى محط الإئتساء ومجال الاقتداء وهكذا فعلنا في استعراضنا لحياة من قدمنا من نماذج الدعاة الصالحين ٠ وكذلك نفعل مع من سنذكر في هذه السلسلة الأخيرة ، فلا نستعرض من حياة الداعية المثالى إلا ما كان فيه مجال للقدوة والائتساء وذلك كالعلم والجد في طلبه ، والحلم والتفوق فيه ، وكالورع والزهد ، والصبر والثبات والكرم والسخاء والصدق والوفاء ٠

ومن الكمال الأحمدى الذى سنستعرضه طلبا للأسوة فيه : العلم وقوة الحجة فيه والورع والزهد والصبر على المكاره ، والثبات على المبدأ ، والربانية التى هى أم الكمالات النفسية ٠

علمه وقوة حجته فيـــه :

وعن علم الإمام أحمد نقول : إن أبا عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى قد طلب العلم طلبا عاديا فلم يطلب الحديث ولم يجلس بين يدى رجاله إلا بعد أن بلغ السادسة عشرة من عمره كما ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين له · غير أنه فارق دياره ورحل فى طلب الحديث والفقه فيه فجاب البلاد طولا وعرضا ، ورحل إلى اليمن ماشيا على قدميه ، لقلة ذات يديه · وأقام بها زهاء العامين يطلب الحديث من رجالها كعبد الرزاق صاحب السند ونالته في ذلك مشقة كبيرة ظهرت على جسمه وصحته العامة ولما وصل مكة وقيل له أجهدت نفسك يا أبا عبد الله قال رحمه الله : ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبد الرزاق كتبنا عنه حديث الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه وحديث الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة · كما روى الحديث عن يحيى بن معين واسحق بن راهوية ، والشافعى رحمهم الله تعالى · وقد دعاه إلى زيارة مصر فلم يقدر لعجزه المادى · ولما التقى به في رحلته الثانية الى بغداد قال له : يا أبا عبد الله إذا صح الحديث عندك فأعلمنى به أذهب إليه حجازيا كان أو شاميا ، أو عراقيا أو يمنيا · قال ابن كثير رحمه الله تعالى إن في قول الشافعى هذا لأحمد لإجلالا كثيرا وشهادة في العلم عظيمة ·

وحسب الإمام شهادة مسنده الذى خرجه من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف وجمع فيه من الحديث ماكاد يحوى الكتب الستة إلا قليلا ، وقال ولده عبد الله كان أبي يحفظ ألف ألف حديث أى مليون حديث ·

وها هى ذى شهادات العلماء له بالعلم والسعة فيه ، والفضل والكمال لديه قال الإمام الشافعى خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أورع ولا أتقى من أحمد بن حنبل ·

وقال البخارى لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسى يقول : لو كان أحمد في بنى اسرائيل لكان أحدوثة ·

وقال أبو عمر النحاس وقد ذكر أحمد يوما في الدين ما كان أبصره وعن الدنيا ماكان أصبره ! وفي الزهد ماكان أخيره ! وبالصالحين ماكان ألحقه وبالماضين ماكان أشبهه ! عرضت عليه الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها !

وقال على بن المدينى إذا ابتليت بشىء فأفتانى أحمد لم ابال إذا لقيت ربى كيف كان · وقال يحيى بن معين كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في عالم قط كان محدثا وكان حافظا ، وكان عالما وكان ورعا ، وكان زاهدا وكان عاقلا ·

وقال أبو زرعة الرازى ما أعرف في أصحابنا اسود الرأس أفقه منه ٠ يعنى أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى أجمعين ٠

أما عن قوة حجته في علمه :

فحسبنا للكشف عنها واثباتها أن نورد بعض ما كان يرد به على أسئلة المبتدعة المبطلين من المعتزلة المارقين في مجلس الامتحان أيام المحنة ٠

قال المعتصم ناظره ياعبد الرحمن كلمه فقال عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ فأبى أن يجيب ويسأل عبد الرحمن قائلا ماتقول في علم الله ؟ فلم يجب عبد الرحمن المعتزلى ، فيقول أحمد : إن القرآن من علم الله فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن علم الله مخلوق ، ومن قال بذلك فقد كفر ..... فقال المعتزلى : إن الله كان في الأزل ولم يكن معه القرآن ٠

فيقول أحمد : لقد قلت ان القرآن من علم الله ، فإذا قال قائل كان الله ولا قرآن معه فكأنه قال : كان الله ولا علم له ٠

المعتزلى : هو ضال مبتدع يا أمير المؤمنين ٠

الإمام : ياأمير المؤمنين يأتونى بآية من كتاب الله أو بسنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجيبهم إليها ٠

المعتزلى : فأنت لا تقول إلا ما في كتاب الله وسنة رسوله ؟

الإمام أحمد : وهل يقوم الإسلام إلا بهما ٠

المعتزلى : إن الله يقول (خالق كل شيء) والقرآن شيء فهو إذا مخلوق !

الإمـــــام : إن هذه الآية عامة أريد بها الخصوص لا العموم كقوله تعالى عن الريح التى اهلك بها قوم هود (تدمر كل شيء بأمر ربها) فهل دمرت كل شيء حقا ، أو أنها لم تدمر إلا ما أراد الله ..

المعتزلى : ويقول إن الله تعالى يقول : مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون) فهل يكون محدثا إلا المخلوق ؟

الإمـــام : إن الذكر هو في القرآن جاء في قوله تعالى : (ص والقرآن ذى الذكر) فهو هنا معرف بالألف واللام ، وفي الآية الأولى بدون الألف واللام فهذه غير تلك ٠

المعتزلى : إن عمران بن معين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله إن الله خلق الذكر .. وفي ذلك تقرير من النبى صلى الله عليه وسلم بأن القرآن مخلوق ٠

الإمـــام : أخطأت فالرواية التى رويناها عن عمران وغيره من ثقات أهل الحديث هى أن الله كتب الذكر .

المعتزلى : اليس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقرب الى الله ما استطعت فانك لن تتقرب الى الله بشىء هو أحب اليه من كلامه !

أحمـــد : بلى ، فلا روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المعتزلى : إن فيه دليلا على أن القرآن مخلوق !

أحمـــد : لست أجد فيه هذا الدليل !

المعتزلى : إذا قرأت القرآن لتتقرب به إلى الله تعالى اليست كلمات مؤلفة من حروف وأصوات ، وهل يتألف من حروف وأصوات إلا الكلام المخلوق فهل نجد لك مفرا بعد إذ أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نتقرب إلى الله بتلك الألفاظ الا أن تسلم بأن القرآن مخلوق !

الإمـــام : القرآن كلام الله قديم غير مخلوق ، وأما أفعالنا فيه إذا كتبناه أو تلفظنا به فهى مخلوقة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول زينوا القرآن بأصواتكم ، فالقرآن إذا غير أصواتنا المخلوقة التى نزينه بها . الكلام كلام البارىء ، والصوت صوت القارىء .

المعتزلى : إن تشبثك بأن القرآن كلام الله غير مخلوق معناه أنك تنسب إلى الله تعالى جوارح يتكلم بها كالمخلوقين وتشبيه الخالق بالمخلقات كفر !

الإمـــام : هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ، لاعدل له ولا شبيه وهو كما وصف نفسه . حدثنى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كلم موسى بمائة ألف كلمة وعشرين ألف كلمة وثلثمائة كلمة ، وثلاثة عشر كلمة فكان الكلام من الله والاستماع من موسى ، فقال موسى أى رب أنت الذى تكلمنى أم غيرك ؟ قال الله تعالى ياموسى أنا أكلمك لا رسول بينى وبينك ، فهذا ما يخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ، وأنا ما أقول إلا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المعتزلى : كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحمد : إن يك هذا كذبا منى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) .

وقال : (ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فهو قول منه وليس خلقا من خلال هذا الحوار الذى دار بين الإمام وبين المعتزلة الخصوم ، تتجلى لنا حقيقة

أن أحمد بن حنبل كان قوى الحجة وذلك ما رمناه من عرض هذا الجزء من المناظرة التى دامت أياما بين الإمام وخصومه وانتصر فيها حقه على باطلهم ٠

زهـــده وورعـــــه :

إن الزهد لتقليل الدنيا - وهى قليلة ، واحتقارها وهى حقيرة ولو كانت تساوى عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها جرعة ماء ، والرغبة عنها إلى الآخرة إيمانا بها وبخيراتها ودوامها والآخرة خير وأبقى ٠ كما أن الورع هو الكف عن شهواتها وترك محرماتها والتقلل من مباحاتها ، والبعد عن متشابهاتها طلبا للسلامة منها حتى يترك مالا بأس به مخافة ما به بأس ٠

وبناء على هذا فإن الزهد والورع كل منهما صفة كمال في الإنسان المسلم وهما سلم إلى درجات الفضل والكمال والتفاوت بينها عظيم جدا ، ومن هنا لم يكن أهل الورع والزهد في درجة واحدة بل بينهما من التفاضل ما الله به عليم وهذا الإمام أحمد بين أهل الزهد والورع ، يعتبر مثالا عاليا ، وقدوة صالحة فلم يسبقه في هذا المجال أحد ، ولم يلحقه آخر ، والروايات التالية وهى صحيحة السند إلى الإمام أحمد أخرجها البيهقى ورواها عنه ابن كثير في بدايته تثبت الحقيقة وتؤكدها ٠

ولنكتف في باب الورع بروايتين منها فقط :

الأولى : قال يوما الإمام الشافعى لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين إن اليمن يحتاج الى قاض ، فقال له الرشيد اختر رجلا نوله اياه ٠ فقال الشافعى لأحمد وكان يتردد عليه لطلب العلم : ألا تقبل قضاء اليمن يا أحمد ؟ فقال أحمد : إنما أنا اختلف اليك لطلب العلم المزهد في الدنيا ، فتأمرنى أن أتى القضاء ، ولولا العلم لما كلمتك بعد اليوم !!!
فاستحى منه الشافعى وسكت ٠

إن رغبة أحمد عن الولاية وهى مما يتسابق الناس اليه ويتنافسون في الحصول عليه ، بل مما يتقاتلون على طلبه والظفر به لم تكن إلا ورعا منه ، إذ طلب الولاية طلب مباح ، ولكن تركها أحمد وهى لا بأس بها خشية الوقوع فيما به بأس ٠

والثانيـــة : أنه جاع ثلاثة أيام لقلة ذات يده فاستقرض دقيقا من أحد اخوانه ولما وصل إلى أهله عرفوا حاجته اليه فأسرعوا في خبزه وانضاجه ووجدوا تنور لولده صالح مسجورا فأنضجوا قرص الخبز فيه ، فلما قدم الى أحمد وكأنه لاحظ سرعة تقديم الخبز له فسألهم فأخبروه أنهم طبخوه في تنور صالح ولده وكان صالح يتقاضى راتبا من الدولة فامتنع من أكله

وواصل جوعه من ورعه · فأى ورع أعظم من هذا الورع ؟ أمن أجل أن ولده يأخذ الجوائز المالية من السلطان يمتنع من أكل خبز يطبخ في تنوره المسجور ، وهو ولده والولد وماله لوالده ؟ فضرب أحمد بهذا رقما قياسيا في الورع لا يمكن أن يناله أحد سواه ·

أما عن زهده رحمه الله تعالى فحدث ولا حرج قال أبو داود رحمه الله تعالى كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة لا يذكر فيها شيىء من أمر الدنيا وما رأيت أحمد ذكر الدنيا قط ·

ولم يكن هذا منه رحمه الله تعالى إلا احتقارا للدنيا وعدم التفات اليها وذلك لقلتها وسرعة زوالها وهذا هو الزهد في الدنيا .....

وحكى ولده عبد الله رحمهما الله تعالى معا فقال كنا في زمن الواثق الخليفة العباسى في ضيق شديد فكتب أحد الصالحين إلى أبى ـ لاشك أنه سمع بحاجة أحمد وما هو فيه من ضيق كتب اليه : إن عندى أربعة آلاف درهم ورثتها من أبى ، وليست صدقة ولا زكاة ، فإن رأيت أن تقبلها أبعثها اليك : فامتنع أحمد من قبولها ، فكرر عليه الرجل قبولها فأبى أن يقبلها ورضى بحاجته وما به من خصاصة · وعرض عليه أحد التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جعلها باسمه فأبى أن يقبلها ، ورد عليه قائلا : نحن في كفاية وأنت جزاك الله عن قصدك خيرا · كما عرض عليه شيخه عبد الرزاق باليمن يوما ملء كفه دنانير وهو في أمس الحاجة إليها لنفاد ماله وانقطاعه عن بلده فلم يقبلها ·

واعظم من هذه وسابقتها أنه سرقت ثيابه باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب ، ووفده أصحابه فجاؤا اليه فسألوه فأخبرهم فعرضوا عليه ذهبا فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا دينار واحدا ، ليكتب لهم به ، فكتب لهم مقابله فكان أخذه منهم بأجرة عمل · ولم يكن باحسان ·

صبره على المكاره وثباته على المبدأ :

إن كان الصبر هو حبس النفس على الطاعة بحيث لا تتركها في سراء ولا ضراء وحبسها عن المعصية فلا تغريها في يسر ولا في عسر وحبسها على البلاء فلا تضجر ولا تجزع فإن الإمام أحمد كان بذلك إمام الصابرين ، وقدوتهم بحق فقد صبر في مواطن الصبر كلها فلم يضعف ولم يهن بحال من الأحوال حتى غدا صبره في محنته مضرب الأمثال وأعنى بمحنته تلك التى امتحن فيها ببدعة القول بخلق القرآن حيث أن الخليفة المأمون العباسى كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق ـ كما قال ابن كثير ،

وزينوا له القول بخلق القرآن ونفى الصفات عن الله عز وجل ، واتفق أن خرج إلى غزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد وهو إسحق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى هذه البدعة ، فلما وصل الكتاب اليه قام فاستدعى أئمة الحديث ودعاهم إلى هذا الباطل فامتنعوا فهددهم بالضرب وقطع الرواتب والأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع أحمد ابن حنبل وآخر يقال له محمد بن نوح فحملهما على بعير وسيرا إلى الخليفة ، حيث أمر بهما ، وكان ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الاعراب يقال له جابر بن عامر فسلم على الإمام أحمد وقال له : ياهذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم وإنك رأس الناس اليوم فاياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك اليه فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وان كنت تحب الله فاصبر على ما أنت عليه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل وانك إن لم تقتل تمت ، وان عشت عشت حميدا . قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمى .

ولما اقتربا من جيش الخليفة ونزلا بمرحلة دونه جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول يعز عليه أن أقول لك يا أبا عبد الله أن المأمون قد سل سيفه ، وهو يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بسيفه . فجثى أحمد على ركبته ، ورفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته فما كان آخر الليل خرج الصريخ ينعى موت المأمون . ولم تكد تنفرج حتى ولى الخلافة المعتصم والتف حوله غلاة المعتزلة وشحنوه بالباطل وكان أشد على أهل السنة من المأمون ، فردا الى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى ومات ابن نوح في الطريق وأودع أحمد السجن مدة ثمانية وعشرين شهرا قضاها والقيد في رجليه لم ينزع عنهما فكان يصلى إماما بأهل السجن والقيد في رجليه رحمه الله تعالى . ولما تمت هذه المدة أحضر أحمد أمام الخليفة وليسأل ويضرب ويطلب إليه القول بالبدعة فيرفض ويعذب ، حتى مل سائلوه ومعذبوه .

وضج من هول العذاب من حوله من السامعين والمتفرجين ، والإمام صابر ثابت يقرع الحجة بالحجة ، ويدفع ضجة الباطل بلجة الحق ، فيضمحل الباطل ويعلو الحق . حتى كتب الله له النصر وفاز بلقب بطل المحنة وإمام الثبات والصبر .

وهكذا صبر أحمد وثبت على مبدأ الحق فلم يبدل ولم يغير فكان مثال الكمال في الصبر والثبات على المبدأ فرحمه الله رحمة واسعة وخلد ذكراه ، وجعل الجنة مثواه .

ربــانيته ووفاتــــه :

وأخيرا ربانيته ووفــاته ..

إن ربانية أحمد وهى قوة صلته بربه تعالى ونسبته إليه ولصوقه بجنابه عز وجل حتى ما كان يعرف إلا به تعالى فيبلغ القول فيها إنها كانت ربانية قائمة على التوحيد الخالص ، والعلم اليقين الكامل ، والزهد لا فيما عند الله ، والفقر إلا إلى الله . ولتجلى هذه الربانية القوية نورد طرفا من موجز كلامه وآخر من مظاهر كماله فنقول :

لما حمل أحمد من دار الخلافة إلى دار اسحق بن ابراهيم وهو صائم أتوه بسويق ليفطر من الضعف الذى أصابه فامتنع وأتم صومه ، وحين حضرت الصلاة صلى معهم فقيل له صليت في دمك ، فقال صلى عمر وجرحه ينصب دما ، ولما اقيم ليضرب بالسياط انقطعت تكة سراويله فخشى أن تنكشف عورته فحرك شفتيه بالدعاء ، فعادت سراويله كما كانت ، وما حرك به شفتيه هو قوله : يا غياث المستغيثين يا اله العالمين ان كنت تعلم انى قائم لك بحق فلا تهتك لى عورة . وقيل له يوما ادع الله تعالى لنا فقال اللهم إنك تعلم أنك على أكثر مما نحب فاجعلنا على ما تحب دائما وسكت . فقيل له زدنا فقال اللهم إنا نسألك بالقدرة التى قلت للسموات والأرض إيتيا طوعا أو كرها فقالتا اتينا طائعين اللهم وفقنا لمرضاتك . اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا اليك ، ونعوذ بك من الذل إلا لك . اللهم لا تكثر لنا فنطغى ، ولا تقل علينا فنسىء ، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك مايكون بلاغا لنا في دنيانا ، وغنى من فضلك .

وقال صالح ولده كان أبى لا يدع أحدا يسقى له الماء ليتوضأ رمى بالدلو فخرج ملآن فقال الحمد لله ، فقلت له يا ابت ما الفائدة بذلك ؟ فقال يا بنى أما سمعت قول الله تعالى « قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ؟ » .

وعن مظاهر كماله نقــــول :

لما انكشفت الغمة وزالت المحنة وولى أمر المسلمين المتوكل على الله وكان سلفيا يحب أهل السنة والجماعة بعث بصرة للإمام أحمد فلم يقبلها فأصر الخليفة إلا أن يقبلها وأصر أحمد على عدم قبولها جعلها الخليفة في ولده وأهله . فقال أحمد لولده وأهله يلومهم : إنما بقى لنا ايام قلائل ، وكأننا وقد نزل بنا الموت فإما الى الجنة وإما الى النار ، فنخرج من الدنيا وبطوننا قد اخذت من مال هؤلاء . !!! فاحتجوا عليه بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرق فخذه وابن عمر وابن عباس قبلا

جوائز السلطان ، فقال : وما هذا وذاك سواء ، ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس بظلم ولا جور لم أبال .

ولما علم المتوكل ببراءة أحمد مما نسب إليه حيث وشى به الواشون فحوصر بيته ليلا وفتشته تفتيشا دقيقا عما يثبت ولاءه للعلويين وتواطؤه معهم بعث اليه الخليفة مع أحد حجابه بعشرة آلاف درهم ، وقال هو يقرئك السلام ويقول لك استنفق هذه فامتنع من قبولها . فقال الحاجب يا أبا عبد الله إني اخشى من ردك اياها أن تقع وحشة بينك وبين الخليفة والمصلحة لك قبولها ، فوضعها عنده ثم ذهب ، فلما كان من آخر الليل استدعى أحمد أهله وبني عمه وعياله ، وقال لم أنم هذه الليلة من هذا المال ، فجلسوا وكتبوا أسماء جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ولما أصبحوا فرقوها كلها حتى الكيس الذى كانت به تصدق به ولم يعط منها أهله وأولاده وعياله شيئا وهم في غاية الجهد والفاقة والفقر وهكذا تجلت ربانية أحمد وصدقه فيها فكان بذلك إماما وقدوة فيها وفي غيرها من سائر الكمالات النفسية .

وعن وفاته نقول : مرض أحمد متى صح ذلك الجسم الذى أضناه الصيام واقعده القيام . مرض مرضه الذى توفى فيه في أوائل شهر ربيع الأول من سنة احدى وأربعين ومائتين ، قال ابنه صالح دخلت على والدى يوم الأربعاء ثانى ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف فقلت له يا ابت ما كان غداؤك قال ماء الباقلا . وأقبل الناس الأفاضل على عيادته ، وتوافد الأكارم على بيته ، فكتب رحمه الله تعالى وصيته ، وكان يئن في مرضه ، ولما بلغه عن طاوس كراهة الأنين تركه حتى كانت ليلة وفاته وهى ليلة الجمعة الثانى عشر من ربيع الأول . ومن غريب ما حدث له في تلك الليلة أنه سمع وهو يقول لا ، بعد ، لا بعد ، فقال له ابنه صالح ما هذه اللفظة التى تلهج بها ؟ فقال ان الشيطان واقف بزاوية البيت وهو عاض على أصبعه ويقول فتنى يا أحمد ، فاقول لا ، بعد . لا بعد . ولما دنا الأجل قال لأهله وضئونى وخللوا أصابعى فوضئوه ولما فرغوا من وضوئه فاضت روحه وهو يذكر الله تعالى . فإلى رحمة الله يا اسوة الصالحين وقدوة الزهاد والورعين ، والسلام عليك في الأولين والآخرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

مؤسسة آل البيت

حضرة رئيس تحرير مجلة " الجامعة الاسلامية " المحترم
الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فيسرني أن أنهي اليكم قرار مجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) في عمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية ، انشاء جوائز للعلماء والباحثين باسم " جوائز صالح كامل للبحوث الاقتصادية والاجتماعية " .

وأبعث اليكم بثلاث نسخ من كل من :

١ ـ " التعليمات" الخاصة بهذه الجوائز .

٢ ـ " دعوة للتقدم الى الجوائز " .

آملا أن تتفضلوا مشكورين بالتنويه بهذه الجوائز في مجلتكم خدمة للباحثين من قرائها .

وانني ـ اذ أشكر لكم كريم تعاونكم ـ لأرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(ناصر الدين الاسد)
رئيس المجمع الملكي

دعــوة للتقــدم
« لجوائز صالح كامل للبحــوث الاقتصادية والاجتماعية الاسلامية »

يسر المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) في عمان . المملكة الأردنية الهاشمية . أن يدعو العلماء والباحثين الى التقدم « لجوائز صالح كامل للبحوث الاقتصادية والاجتماعية الاسلامية » في أحد الموضوعين التاليين :

في الفكر الاقتصــادى الاسلامي :

موضوع الأسواق المالية ومدى شرعية ما يجرى فيها من تعامل . ويختار أحد الجانبين التاليين :

١ ـ الأوراق المالية : المتاجرة بالأسهم والسندات إما بالبيع المنجز وإما مع الخيار .

٢ ـ عقود المنافع : التعامل بعقود المنفعة على أساس الايجار والاستئجار وتمويل العمليات المتعلقة بها .

في الفكر الاجتماعى الاسلامي :

موضوع المرأة المسلمة في المجتمع الحديث :

(عمل المرأة . تعليمها . الاختلاط . وما يتصل بذلك من موضوعات) .

الجوائـــز :

تخصص جائزتان لكل موضوع من الموضوعين السابقين .
الجائزة الأولى لكل موضوع تتألف من : ـ

أ ـ مكافأة نقدية مقدارها (٢٠٫٠٠٠) عشرون ألف دولار أمريكي .
ب ـ مسكوكة ذهبية عليها شعار المجمع الملكي واسم الجائزة .
جـ ـ شهادة باسم الفائز وعنوان البحث الذي أهله لنيل الجائزة .

وتتألف الجائزة الثانية لكل موضوع من : ـ

أ ـ مكافأة نقدية مقدارها (١٥٫٠٠٠) خمسة عشر ألف دولار أمريكي .
ب ـ مسكوكة فضية عليها شعار المجمع الملكي واسم الجائزة .
جـ ـ شهادة باسم الفائز وعنوان البحث الذي أهله لنيل الجائزة .

وتراعى الشروط التالية في البحوث المقدمة :

١ ـ أن يتتبع الباحث ما ورد عن موضوعه في كتاب الله تعالى . وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وفي أقوال الفقهاء وفي التطبيق والعرف في مختلف العصور الاسلامية . مما قد يعين على فهم القضايا والمسائل المتصلة بحياة المسلمين في الوقت الحاضر . وتفسيرها . وتكوين التصور الاسلامي الصحيح لها .

٢ ـ أن يكون البحث مقدما باللغة العربية مقترنا بخلاصة باللغة الانجليزية أو الفرنسية . ويجوز أن يكون باحدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية مقترنا بخلاصة باللغة العربية .

٣ ـ أن لا يكون البحث مقدما لنيل جائزة محلية أو عالمية .

٤ ـ أن يكون البحث علميا (منهجيا موضوعيا موثقا) وأن يكون متميزا بالأصالة وأن يضيف جديدا الى المعرفة .

٥ ـ أن لا يكون البحث قد نشر سابقا .

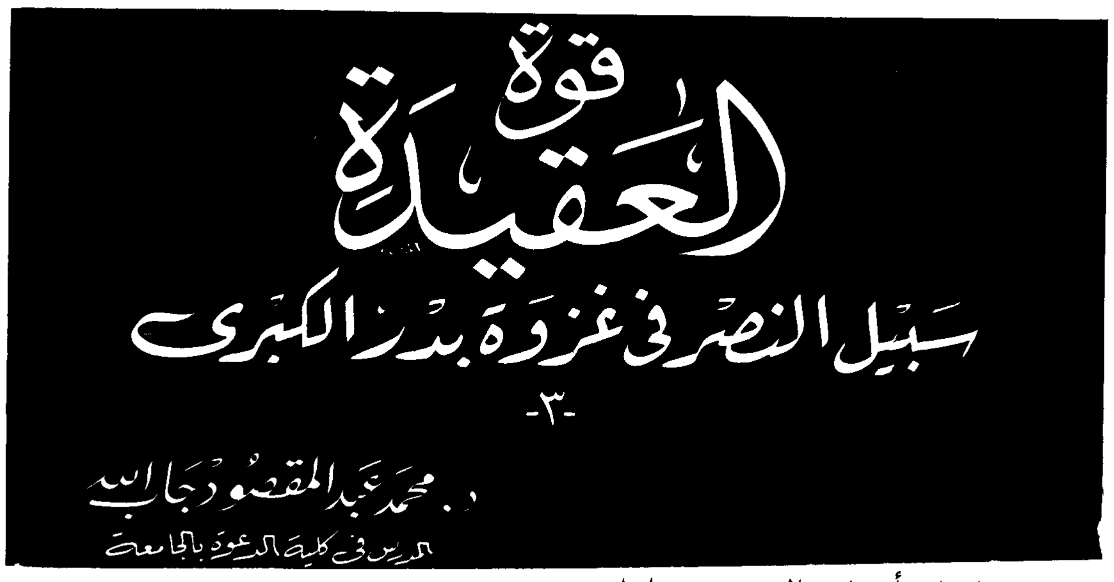
٦ ـ أن لا تقل كلمات البحث عن (٤٠٫٠٠٠) كلمة بغير المقدمة والفهارس .

٧ ـ أن يقدم من البحث خمس نسخ مطبوعة على الآلة الكاتبة ترسل الى : « المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية » (مؤسسة آل البيت) ص . ب (٩٥٠٣٦١) عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية » .

٨ ـ أن يرفق البحث بمعلومات وافية عن حياة الباحث ونتاجه العلمي .

٩ ـ آخر موعد لقبول البحوث المرشحة هو منتصف شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ الموافق نهاية شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٢ م .

١٠ ـ لا تعاد البحوث الى مرسليها سواء أفازت بالجائزة أم لم تفز .



رابعا : أسباب النصر وعوامله :

فتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز تضحك لهم خلال الأرض والسماء ، لأن هذا الظَّفَر المتاح لهم ردَّ عليهم الحياة والأمل والكرامة ، وخلصهم من أغلال ثقال **(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)** (آل عمران آية ١٢٣) .

وكانت عدة من استشهد منهم أربعة عشر رجلًا استأثرت بهم رحمة الله فذهبوا إلى عليين « ثبت عن أنس بن مالك . أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر وكان فى النظَّارة أصابه سهم طائش فقتله فجاءت أمه فقالت : يارسول الله أخبرني عن حارثة فإن كان فى الجنة صبرت ، وإلا فليرين الله ما أصنع - تعنى النياحة - وكانت لم تحرم بعد ... فقال لها الرسول عليه الصلاة والسلام : ويحك أوهبلت إنها جنان ثمانٍ وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » (١) .

فإن كان هذا جزاء النظارة الذين اختطفتهم سهام طائشة ، فكيف بمن خاض إلى المنايا الغمرات (٢) الصعاب .

ولقد كان نصر الله للمؤمنين فى بدر بالقوة المعنوية وحدها ، فالتدبير تدبير الله ، والنصر بيد الله ، والكثرة العددية ليست هى التى تكفل النصر ، والعدة المادية ليست هى التى تقرر مصير المعركة .

---

(١) أبو الفداء ٣ / ٣١٧ ، ٣٢٨ - ٣٢٩ والبخارى .

(٢) غمرات الموت : شدائده .

ولقد وضع الله للمؤمنين المَوَادّ فى دستور هذه القوة التى لا يستغنى عنها جيش يحرص على الفوز ، وأرشدهم إلى طريق النصر وقانونه .

قال الله سبحانه وتعالى : (**يأأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاءَ الناس ، ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط**) (الأنفال آية ٤٥ ـ ٤٧) .

هذه عوامل النصر الحقيقية : الثبات عند لقاء العدو ، والاتصال بالله بالذكر الكثير ، والطاعة لله والرسول ، واطراح النزاع والشقاق ، والصبر على تكاليف المعركة ، وعدم البطر والبغي والعدوان .

أولا : الثبات عند لقاء العدو :

إن الثبات هو المادة الأولى فى قانون النصر ، لأنه بدء الطريق إليه فأثبت الفريقين أغلبهما ، وما يدري المؤمنين أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون ، وأنهم لو ثبتوا للحظةٍ فَسينهارُ عدوهم ، وينخذل ، وما الذى يزلزل أقدام المؤمنين ، وهم واثقون من إحدى الحسنيين : الشهادة أو النصر .

والثبات محله القلب ولا يتأتى إلا بقوة العقيدة ورساخة الإيمان ، وهى لازمة للمؤمنين فى ميدان القتال ، وفى كل ميدان فتقابل فيه قوة إيمانية ، وأية قوة أخرى من قوى الأرض ، وفي كل مجال ينازل فيه خصما ، وهو الثبات على العقيدة مهما فتن ، وعلى الطريقة مهما لاقى ، وعلى الكيد مهما يدبر الكائدون .

وما وقفه الشعب الأفغانى المسلم أمام قوى الكفر والطغيان ، وجحافل الشيوعية الباغية التى احتلت أرضه ودنست ثراه ولا تريد أن تعترف بحقه فى تصريف أموره ، وتقرير ما يراه مما يتناسب مع تاريخه وعراقة إيمانه . إلا ثبات فى المعركة .

لقد واجه العدوان فى صلابة واستبسال ، وصبر وإيمان لا يعرف الخور ولا الهوان ، فنراه فى القرى والمدن وفوق قمم الجبال يقابل الطائرات المغيرة بوحشية وضراوة أعزل من السلاح . ولكنه بإيمانه بحقه ويقينه بالله وقف فى وجههم وكأنه يملك الصواريخ المضادة لها وسينتصر الشعب الأفغانى بثباته وبيقينه بوعد الله الذى ينصر المؤمنين الواثقين بنصره ، والعاملين بكتابه .

وهل ما يفعله الشعب الفلسطينى المجاهد ، والشعب الإريتيرى المكافح والشعب الصومالى الصامد من ثبات فى المعركة ووقوف صلب فى وجه العدوان ومجابهة لقوى البغى والطغيان من الصهيونية والصليبية والشيوعية إلاَّ تمسكاً بهذا المبدأ الذي وضعه الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات وستنتصر الشعوب المسلمة المكافحة بعون الله وسيخذل أعداؤهم ويرجعون مدحورين يجرون أذيال الخزى والعار ، ويبوءون بالبوار والخسران ·

ثانيا : الإكثار مَن ذكر الله :

والإكثار من ذكر الله فى ميدان القتال هو المادة الثانية فى هذا القانون ؛ لأنه الاتصال بالقوة الكبرى ، والاستعانة بالله سبحانه وتعالى ذي الجبروت ، والثقة بالله الذي ينصر الحق ، واستحضار حقيقة المعركة ، وأنها معركة ، لاعلاء كلمة الله ، لا للسيطرة ولا للجاه ، ولا للمغانم ولا للشهرة ، ولا للشهوة أو النزوة · وإنما كانت لله ، وفى سبيل الله ·

ثالثا : طاعة الله ورسوله :

وطاعة الله وطاعة رسوله هو المادة الثالثة فى هذا القانون ، وقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القائد العام ، فليدخل المؤمنون المعركة ، وقد أدوا فرائضهم وقدموا واجبهم ، وأسلموا أمرهم لله ورسوله ثقة منهم بحكمة تدبيره ، وبصدق رسوله ، فيتم النظام الذى لا بد منه لكل جيش ، بتوحد القوى وسرعة التحرك ، ودقة التنفيذ للخطط ·

رابعا : اتقاء النزاع :

واتقاء النزاع هو المادة الرابعة فى قانون النصر ، لأنه فى زمن الحرب تتنازع الهيئات أو الأحزاب أو الأفراد ، فنهوا عن التنازع « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ومن ثم وجب أن يُنهَوْا عنه ولو اقتضى الأمر وقف العمل بمبدأ الشورى ·

خامسا : الصبر عند لقاء العدو :

الصبر عند لقاء العدو هو خامس المواد فى قانون النصر ، إذ للحرب ضروراتها التى لاتسيغها النفوس كإعلان الحكم العسكرى الذى يقيد بعض الحريات ، والمقاطعة الاقتصادية التى تسبب شيئاً من الضيق ، ونقص الأسلحة الذى قد يوقع فى الحرج ، وتفوق العدو الذى قد يدفع إلى القلق ، وهى ضرورات لا بد لمن يريد النصر أن يصبر عليها راضياً بها ·

سادسا : اتقاء البطر والرياء :

قد يحسن المؤمنون الاستعداد للحرب ، فيشعرون بأنهم أهل ، لأن ينصروا بقوتهم فيحملهم هذا على الاستعلاء والفخر ، فيخرجون متبطرين طاغين يتعاجبون بقوتهم ، ويستخدمون نعمة القوة التى أعطاها الله في غير ما أرادها الله حرصا على ثناء الناس وإعجابهم فيفوتهم في هذه الحال النصر ، لأن قانونه يهيب بهم في قوة « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس » ومن هنا اعتبر اتقاء البطر والرياء سادس المواد في قانون النصر .

سابعا : التوكل على الله :

ويقتضيهم الإيمان مع الثبات وذكر الله وطاعة القائد ، وتجنب أسباب النزاع والصبر والإخلاص لله مادة سابعة هى التوكل على الله ، وهو روح المواد الست وقوامها إذ لا بد منه باعثاً على كل منها ونتيجة لكل منها على أنه يعنى الاستعداد التام قبل المعركة والاطمئنان التام للنصر من بعد ، ولن يحرم النصر جيش أحسن الاستعداد للحرب وامتلأ ثقة بالله فكيف إذا جمع إلى هذه المادة سائر المواد فى قانون النصر .

خامســـا : الأسرى وموقف الرسول منهم :

كان عدد الأسرى سبعين كعدد الذين قتلوا ، وكانوا ينتسبون فى الأغلب ـ إلى أكبر أسر المشركين ـ وبعد أن وزعهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أصحابه قال لهم : « استوصوا بالأسارى خيراً » (١) .

ولم يكن هناك نظام ثابت لمعاملة الأسرى حتى بعد غزوة بدر إلاّ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شرع نظاماً معينا للأسرى ينحصر فى أمور ثلاثة : ١ ـ الافتداء
٢ ـ والاسترقاق . ٣ ـ والقتل .

ولم يلجأ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى القتل إلا إذا كان الأسير أحد هؤلاء الذين اشتدوا فى الإيذاء له ، وإيذاء أهله ، وأصحابه وكان خطراً على دعوته وعلى رسالته ، ومن أمثلة ذلك قصة الأسيرين : النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط فقد وقعا معاً فى الأسر وكان الاثنان شرّاً مستطيراً على المسلمين أثناء وجودهم فى مكة ، وكانا يبحثان فى أفظع الوسائل لتعذيب محمد وقومه ، ولهذا ارتعد النضر عندما نظر إليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم أثناء استعراضه للأسرى ، وصدر ذلك فى قوله لرجل إلى جانبه « محمد والله قاتلى لقد نظر إلىّ بعينين فيهما الموت » فقال له الرجل الذى بجانبه « ماهذا والله منك إلا رعب .

---

(١) أبو الفداء ٣ / ٣٠٦ .

ودعا النضر مصعب بن عمير وقال له : « قل لصاحبك أن يجعلنى كرجل من رجاله فهو قاتلى إن لم تفعل » وكان رد مصعب إنك كنت تقول فى كتاب الله كذا ، وفى نبيه كذا ، وكنت تعذب أصحابه . وحاول المقداد أن ينقذ النضر فقال النضر أسيرى فرد النبى - صلى الله عليه وسلم - : « اضرب عنقه » وقيل إن الذى قتله هو على بن أبى طالب (١) .

وأما عقبة بن أبى معيط فقد صاح فى النبى - صلى الله عليه وسلم - عندما أمر بقتله فمن للصبية يامحمد ؟ . فرد النبى - صلى الله عليه وسلم - النار (٢) .

واستشار النبى - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ماذا يفعل بالأسارى فقال لهم : « ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ » فقال أبو بكر : يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمنهم لعل الله أن يتوب عليهم . فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن الخطاب : ماترى يا بن الخطاب . فقال : « لا والذى لا إله إلا هو ما أرى الذى رأى أبو بكر يانبى الله ، ولكن أرى أن تمكننا منهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عُنقه ، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، وتمكننى من فلان فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده ، حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين » .

وقال عبد الله بن رواحة : « يارسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم » .

فمال الرسول - صلى الله عليه وسلم - - إلى قول أبى بكر وأخذ منهم الفداء (٣) .

قال عمر رضى الله عنه : فلما كان من الغد غدوت إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر - رضى الله عنه - وهما يبكيان . فقلت : يارسول الله ما يبكيك أنت وصاحبك . فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما

قال النبى - صلى الله عليه وسلم - للذى عرض علىَّ أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علىَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - (٤) .

وأنزل الله عز وجل قوله : (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (الأنفال آية ٦٨ - ٦٩) (٥) .

---

(١) أبو الفداء ٣ / ٣٠٥ .الروض الانف ٥ / ١٥٣ .

(٢) أبو الفداء ٣ / ٣٠٥ س ٢٢ - ٢٣ . الروض الأنف ٥ / ١٥٣ - ١٨٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد . أبو الفداء ٣ / ٢٩٦ - ٢٩٧ . وصحيح مسلم وأبو داود والترمذى .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) صحيح مسلم ٥ / ١٠٦ - ٢٥٧ . أحمد رقم ٢٠ . ٢٢ . البيهقى ٩ / ٦٧ - ٦٨ من حديث عمر . انظر الروض الأنف ٥ / ٢٢١ - ٢٤٢ .

فلقد كانت غزوة بدر هى المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين وكان المسلمون قلة ، والمشركون كثرة ٠

وكان نقص عدد المحاربين من المشركين بالقتل والأسر كسباً ضخما فى هذه الحالة لا يعدله مال ، وكان هناك معنى آخر يراد تقريره فى النفوس ، وتثبيته فى العقول ، ذلك هو المعنى الكبير الذى أشار إليه عمر - رضى الله عنه - فى صراحة ونصاعة ٠ « وحتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين » لهذين السببين الكبيرين نحسب أن الله سبحانه وتعالى كره للمسلمين أن يفادوا أسارى بدر ٠

وهذا الذى انتهى إليه المسلمون فى معاملة أسراهم هو آية كبيرة تتجلى فيها مظاهر الرأفة والرحمة والحسنى ٠

ومع ذلك يقف غير واحد من المستشرقين ٠ عند أسرى بدر هؤلاء وعند مقتل النضر ابن الحارث وعقبة بن أبى معيط ويتساءلون : « أليس فى ذلك ما يدل على ظمأ هذا الدين الجديد إلى الدم ظمأ لولاه لما قتل الرجلان ، ولكان أكرم للمسلمين بعد أن كسبوا المعركة أن يردوا الأسرى وأن يكتفوا بالفىء الذى غنموا ٠ علما بأن هذا التساؤل ما يلبث أن ينهار ويتداعى إذا نحن وازنَّا بين مقتل النضر وعقبة ، وما يجرى اليوم وماسيجرى مادامت الحضارة الغربية التى تتشح بوشاح المسيحية متحكمةً فى الأرض ٠ فهل نراه يوازى شيئاً إلى جانب مايقع باسم قمع الثورات فى بلاد يحكمها الاستعمار على كره من أهلها ؟ وهل تراه شيئا إلى جانب ما وقع من مجازر الحرب العالمية الكبرى ؟

وهل هذه المعاملة التى وقعت من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقبول الفداء منهم وقوله لأصحابه « استوصوا بالأسارى خيراً » أفضل ؟

أم ما يناله الأسارى فى الحروب الحديثة من معاملة سيئة قاسية عنيفة رغم وجود النظم الدولية الخاصة بالأسرى ، وكيفية معاملتهم مما لم تحترمها الدول الحديثة وجعلتها حبراً على ورق ٠

ومازال أسرى الحرب العالمية الأخيرة يعامل بعضهم معاملة مجرمي الحرب ، ويلاقون العذاب والمهانة والذل ، ويعاملون معاملة سيئة لاتمت إلى الإنسانية بصلة ٠

والجواب واضح وصريح فى أن المعاملة الطيبة التى كان يلقاها الأسرى من الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعتبر من أعلى مظاهر الإنسانية الرفيعة التى كانت تكون العلاقة بين القائد العسكرى وبين أسرى الحرب ٠

سابعا : الخاتمـــــــة :

وبعد فهذه غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها المسلمون ، وزلزل المشركون ، وأنجز الله وعده ، وأعز جنده ، وأسعد منْ حضرها من المسلمين فهو عند الله من الأبرار .

ولقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة » (١) .

وبهذه الغزوة ، وبهذا الانتصار استقر أمر المسلمين فى بلاد العرب جميعا ، وكانت هذه الغزوة مقدمة وبداية للدولة الإسلامية المترامية الأطراف ، ولا عجب أن سماها الله سبحانه وتعالى فرقاناً حيث يقول : (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) (الأنفال آية ٤١) ، لأنها فرقت بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، والنور والظلام .

ورغم أن بدراً تعد أول غزوة من غزوات جيش الإسلام ورغم أنها المرة الأولى التى يقف فيها الرسول الكريم موقف المحارب فإننا نستطيع أن نستخلص منها دروساً لها قيمتها ومبادىء خطيرةً لها شأنها فى سير المعارك .

وهذه الدروس لم تتغير ولم تتبدل رغم اختلاف العصر الذى نعيش فيه والعصر الذى تمت فيه غزوة بدر . ومن أهمها :

١ - أهمية القضاء على قوة العدو الاقتصادية ، ووضعها فى المقام الأول ، لأن فى القضاء عليها قضاءً على القوة العسكرية .

٢ - الشورى وما لها من أهمية كبرى فى الميدان ووقت الحرب ، فالقائد الحكيم هو الذى يستشير خبراءه ليعرف منهم الخطة السليمة الصحيحة .

٣ - أهمية القوى المعنوية للمحاربين والقوة المعنوية هى العامل الأول الذى دفع بالمسلمين إلى النصر رغم قلة عددهم وكثرة عدوهم .

٤ - الاهتمام بالاستكشاف والاستطلاع قبل وإبان المعركة ، ولذلك نجد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - خرج بنفسه لذلك أو كان يختار من يثق بهم .

٥ - تكتيك الحرب الذى يبدو واضحاً فى السِّرِّية التامة فى التحركات وخاصة خلال العمليات .

فاحتلال المسلمين لمواقع المياه تنفيذاً لرأى الحباب بن المنذر تمَّ فى منتصف الليل حتى لا يشعر بهم العدو .

---

(١) انظر البخارى ومسلم وأبو داود . أبو الفداء ٣ / ٣٢٩ .

والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يأمر جنده بأن يظلوا فى أماكنهم لا يتحركون أو يتحدثون أو يأتون بما يثير انتباه أعدائهم ، وكانوا بذلك يتركون العدو يتقدم ويتقدم ويظل فى تقدمه ، حتى إذا أصبح فى مرمى النبال ألقوها عليه ، فتصيب منه العدد الكبير فوق ماتحدثه المفاجأة فى نفسه ، فيرتبك ويضطرب وتكثر إصابته ويزيد عدد قتلاه .

٦ - ضرورة تغلغل العقيدة فى نفوس المحاربين ، فإن العقيدة المتغلغلة فى نفوس المسلمين بلغت منهم منزلة تسمو على صلات الرحم والقرابة . فكان الرجل منهم يقتل أباه أو أخاه أو عمه أو قريبه من المشركين لا تأخذه فيه شفقة أو رحمة .

فها هو ذا عبد الرحمن بن أبى بكر يقول لأبيه بعد إسلامه - وكان يقاتل فى صف المشركين يوم بدر - : « ياأبت لقد أهدفت لى يوم بدر مراراً فصدفت عنك » فقال أبو بكر - رضى الله عنه - : « لو كنت أهدفت لى أنت ما صدفت عنك » (١) .

وهذا أبو حذيفة بن عتبة ينظر إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر وقد سحبت جثة أبيه عتبة لتلقى فى القليب فألفاه كئيباً قد تغير لونه فقال : « لعلك ياأبا حذيفة قد دخلك من شأن أبيك شىء ؟ » فقال أبو حذيفة : « لا والله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأياً وحلماً وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما كان عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له أحزننى أمره » فدعا له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخير وقال له خيراً (٢) .

٧ - معاملة الأسرى معاملة كريمة فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل الفداء ، وفوق هذا اطلق سراح الأسير الفقير الذى لا مال له ولا شىء عنده يفتدى به نفسه .

وفى الختام فهذه غزوة بدر وتلك أسبابها ونهايتها وهى صفحة بيضاء مشرقة من صفحات تاريخنا دونها بإخلاصهم وإيمانهم آباؤنا الأولون . وليس لنا من سبيل إلى ماوصلوا إليه من عز ومجد ، إلاَّ أن نستن سنتهم ، وأن نسير على طريقتهم وأن ننسج على منوالهم ، وعندئذ يكون لنا بوعد الله ماكان لهم من عزة ومجد وكرامة ، أرجو وآمل إن شاء الله ، وما النصر إلا من عند الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) الروض الأنف للإمام السهيلى ٦ / ١٨١ دار الكتب الحديثة . تفسير ابن كثير ٤ / ٣٢٩ .
(٢) أبو الفداء ٣ / ٢٩٤ عن ابن إسحاق . السيرة لابن هشام ١ / ٦٤٠ - ٦٤١ .

أَثَـرُ الهِجْرَةِ

على تطور الدعوة الإسلامية وانتشارها في أنحاء العالم

للدكتور محيي الدين الألواني
الأستاذ المشارك في الجامعة

لقد امتازت الرسالة التى أرسل بها الرّسول العربى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بعموميتها إلى كافة الثقلين ، وشمولها لجميع مرافق الحياة البشرية . وقد خص الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وحده بأن يكون رسولا إلى كافة الناس ، وجعله خاتم النبيين ، ورحمة للعالمين . وقد صرح القرآن الحكيم بهذا فقال تعالى مخاطبا له : (**قل يأأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا**) (الاعراف ١٥٨) . وقال له رب العزة أيضا : (**وَمَا أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) (سبأ ٢٨) .

فلابد أن تكون الدعوة المحمدية غير محلية ولا بيئية ولا موجهة لأمة دون أخرى . وتحت عنوان عموم الدعوة المحمدية يقول فضيلة الدكتور محمد فتح الله بدران (رحمه الله) فى كتابه : الفلسفة الحديثة فى الميزان : (... ولقد كانت كل الدعوات السابقة عليه : بيئية ، محلية ، محدودة ، مصدقة ، ومكملة ، وممهدة . أما منذ دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الأبد ، فهى فى عمومها أوسع من أن تدرك أو تحدد لأنها تشمل الناس كافة وجميعا) (١) .

وقد كان دين الرسل واحدا كما قال سبحانه : (**شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك**) (الشورى آية ١٣) . وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولكل واحد من أتباعه فى سورة آل عمران : (**قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى**

---

(١) ص ٣٤٠ (الطبعة الأولى . القاهرة سنة ١٩٦٨ م) .

وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) (الآية ٨٤) .

وإذا نظرنا إلى طبيعة الدعوة المحمدية وخصائصها نرى أنها مرت بمراحل كثيرة ، وكلها بإذنه تعالى وأمره ، وبمقتضى حكمته فى خلقه ، فكانت الهجرة من مكة إلى المدينة مرحلة هامة من مراحل الدعوة الإسلامية ، ونقطة تحول خطير فى انتشارها فى أرجاء الأرض ، وهى التى مهّدت السبيل لوصولها إلى مختلف القبائل العربية ، ودعت الأمم والشعوب لاستطلاع حقيقة هذه الدعوة وصاحبها وجذبت الوفود من داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وفتحت الأبواب إلى فتح مكة ثم إلى فتوحات أخرى عديدة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدأ دعوته فى مكة ، من أول نبوته ، سرًّا ، وبعد أن مضى فى هذه المرحلة من الدعوة السرية أو المحدودة مدة ثلاث سنين ، أمره الله تعالى أن يدعو الناس إلى الإسلام علنا ، فكان يذهب إلى الناس فى مواسم الحج كل عام ، وإلى المواسم الأخرى فى عكاظ ، ومجنّه ، وذى المجاز وغيرها من الأسواق العربية الشهيرة ، واستمر هذا الدور المكى العلنى من الدعوة الإسلامية لمدة عشر سنين أخرى ، أى أنه استمر يدعو قومه ثلاث عشرة سنة ، ولقى من الأذى هو والمؤمنون به الكثير ، ثم أمره الله بالهجرة إلى المدينة .

ونجم عن هجرة الرّسول من مكة إلى المدينة أن تكونت فى المدينة نواة الدولة الإسلامية الأولى . وتقع المدينة المنورة شمالى مكة ، على مسيرة إحد عشر يوما منها ، وكانت فى تلك الأيام مدينة مكشوفة معرّضة للغزو الخارجى ، حتى قام النبى صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق المشهور لرد عدوان قريش ، ويقال إن أول من بنى يثرب أحد رؤساء العمالقة . وظلت تسمى باسمه حتى قدم إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان العمالقة يسكنون فى يثرب وفى ضواحيها فى العصور الغابرة ، ثم توالت هجرة اليهود إلى بلاد العرب فرارا من وجه مُضطهديهم ، أو الآخذين بالثأر منهم من البابليّين ، واليونان ، والرومان ، فاستوطنوا شمال الحجاز ... وكانت أشهر القبائل اليهودية النازلة ببلاد العرب : بنى نضير فى خيبر ، وبنى قريظة فى فدك ، وبنى قينقاع بالقُرب من المدينة ذاتها . وكان اليهود يقيمون فى قرى محصنة فاستطاعوا أن يسيطروا على جيرانهم من القبائل العربية إلى أن جاءت الأوس

والخزرج - وهما قبيلتان من نسل قحطان - فأقامتا فى يثرب ودانتا لليهود فى أول الأمر ثم صارت لهما الولاية عليهم » (١) .

وكانت حال « يثرب » السياسية حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم إليها : حالة حرب عوان بين الأوس والخزرج ، ومؤامرات من اليهود لإشعال نار الفتنة بين هاتين القبيلتين العربيتين ، ومحاولتهم السيطرة على القبائل العربية المجاورة ، فكان قدُومُه صلى الله عليه وسلم فاتحة عصر جديد فى تاريخ جزيرة العرب لأنه آخى بين الأوس والخزرج حتى نسوا ما تأصل فى نفوسهم من عداوة وضغائن ، وأصبحوا بنعمة الله إخوانا ، وانضموا تحت لواء الإسلام ، ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جماعات المؤمنين من المهاجرين الذين هجروا وطنهم ولحقوا به فى المدينة ، وبين الأنصار الذين رضوا به والمهاجرين معه ، وأكرموا وفادتهم ، وكانت المؤاخاة بين هذين الفريقين من المؤمنين فى السراء والضراء توثيقا لعرى المحبة والأخوة الإسلامية بينهم .

وبهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وضع أول حجر فى بناء الدولة الإسلامية ، واتخذ مسجده مقره العام ليقيم فيه المسلمون شعائر دينهم ، وليعقدوا فيه اجتماعاتهم للنظر فى شئونهم العامة . ووضع الرسول للجماعة الإسلامية نظاما تسير عليه فى زمن السلم والحرب ، وبدأ يعقد إتفاقيات مع الطوائف الأخرى ، تضمن عدم الاعتداء على المسلمين ، والاشتراك معهم فى الدفاع عن المدينة ضدّ الخطر الخارجى . ثم أخذ يعد العدة لنشر الدعوة الإسلامية بين القبائل العربية ، ولحماية هذه الدعوة ، حتى صارت المدينة خلال فترة وجيزة مركز إشعاع للدعوة الإسلامية ، ومحط أنظار قبائل العرب وشعوب العالم .

وكان بالمدينة فى الفترة الأولى لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ثلاث طوائف مختلفة . الطائفة الأولى : المهاجرون والأنصار وهم نواة الإسلام ، وكانوا يحبون رسول الله حبا لا حد له ، إذ أن روح الأخوة الإسلامية التى غرسها النبى صلى الله عليه وسلم بينهم حالت دون ظهور أى أثر من آثار الجاهلية ، وبدأ الأنصار والمهاجرون يتنافسون فى بذل أكبر تضحية فى سبيل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . والطائفة الثانية : كانت تتألف من المنافقين . وعلى رأسهم عبد الله بن أبى ، وكان عبد الله يطمع أن يكون ملكا على المدينة ، فجمع حوله طائفة قوية من الأتباع ولكن قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أحبط أعماله فى استغلال من يريد إذ تولىّ زمام السلطة ، فاضطرّ هو وأنصاره فى غمرة الحماسة التى استقبل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يتظاهروا بالإسلام ، ولكنهم كانوا يتحينون الفرصة

---

(١) روح الإسلام لأمير على جـ ١ ص ١٣٣ (طبع مصر سنة ١٩٦١ م) .

لينقلبوا على المسلمين ، وأخذوا يدبرون المؤامرات ضدهم فى الخفاء ، ولذلك كانوا مصدر خطر كبير على الدولة الإسلامية الناشئة . وهذه الطائفة هى التى ذكرها القرآن الكريم فى سورة المنافقين ، فقال فيهم : (**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون**) (المنافقون : الآية ١ ـ ٢) .

وأما الطائفة الثالثة فى المدينة فكانت تتألف من اليهود الذين أثارت ضغائنهم وأحقادهم هجرة الرسول إليها ، ورسوخ دعوته فيها ، وذيوع أمرها فى أنحاء جزيرة العرب ، فتحزبوا ضد المسلمين وأصبحوا أشد الأحزاب خطرا على الدعوة الإسلامية ، مع أنهم كانوا يستفتحون على المشركين إذا نشبت الحرب على الفريقين بنبيّ يبعث قد قرب زمانه ، ولكن أعماهم حب الرياسة ، فاستعظموا الأمر ، ومما زاد خطرهم على الدعوة الإسلامية فى المدينة أن كانت لهم بقريش علاقات تجارية وثيقة ، كما كانت توجد منهم شعب فى مختلف القبائل المعادية للإسلام ، وكذلك كان يساعدهم على المخالفة للرّسول صلى الله عليه وسلم ومحاربة دعوته جماعة المنافقين من عرب المدينة .

وقد بلغت المؤامرات الثلاثية ـ بين اليهود والمنافقين والمشركين ضد الدولة الإسلامية الناشئة ذروتها . وهذا الوضع استلزم اليقظة التامة من جانب النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان يعاملهم بغاية الصبر والحلم رجاء أن يستميلهم إلى الحق والسلم ، وكان يواصل دعوته فيهم بالحكمة والموعظة الحسنة . وتظاهر اليهود فى أول الأمر بالاشتراك مع أهل المدينة فى الترحيب بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والتزموا خطة المسالمة فترة من الزمان ، وذلك على أمل أن هذا الداعية المتواضع الذى نزل على الأوس والخزرج الذين كانوا أعداءهم بالأمس ومواليهم اليوم ، قد يساعدهم على قهر العرب واستعادة مملكة يهوذا (١) . ولم يكد يمضى زمن قصير حتى عاودهم داء التمرد القديم الذى دفعهم إلى قتل أنبيائهم ، وتجلت أعراض هذا الداء فيما جاهروا به من الفتنة ، وما أسرّوه من الغدر والخيانة ، فجاهروا المسلمين بالعداوة ومدوا يد المساعدة لقريش علنا ، وما أظهره النبى صلى الله عليه وسلم من الرفق وكرم المعاملة ما كان ليرضى اليهود ، ولم تُجْدِ الحيل فى إطفاء نار الحقد التى كانت تتأجج فى صدورهم ، وغاظهم أنهم عجزوا عن اتخاذه آلة فى أيديهم لتهويد العرب ، وأن الدين الذى جاء به أقرب إلى الفطرة من قصصهم التلمودية ، فلم يلبثوا أن نقضوا العهد والميثاق وانضموا إلى أعداء

---

(١) روح الإسلام ص ١٣٨ (الطبعة المذكورة) .

الإسلام ، ولما سألتهم قريش : « أديننا خير أم دين محمد ؟ » قالوا : « بل دينكم خير من دينه » (١) ، مع علمهم بكل ما ينطوى عليه دين قريش من شرك وخرافات ومساوىء ٠

وإذا أردنا أن نعرف مدى أثر هجرة الرسول إلى المدينة على تطور الدعوة الإسلامية وتدعيم دعائمها ، وتوسيع نطاق نفوذها فى أنحاء جزيرة العرب وخارجها ، وجب علينا أن نتتبع مجرى الحوادث الهامة التى تبعت وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومنها حدوث الظروف التى أفضت إلى عقد المسلمين معاهدات واتفاقيات مع اليهود وقبائل العرب فى المدينة ، وفيما جاورها من المدن ، وكذلك دخول المسلمين فى حروب دفاعية مع أعدائهم وخاصة ما نتج عنها من انتصارهم فى بدر ، وكان للنتائج التى ترتبت على هذه المعاهدات والانتصارات أثر عميق فى نفوس المسلمين ، ووقع كبير فى أسماع العرب أجمعهم ٠ من ذلك أن الوفود قد قَدِمَت إلى المدينة لمقابلة نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم ومبايعته بعد انتشار خبر دعوته فى أرجاء الجزيرة ٠ ومنها تكوين حلف منظم يجمع شمل العناصر المتنافرة الضاربة فى المدينة وضواحيها ، فوضع الرسول وثيقته التاريخية يبين فيها ما للمسلمين وما عليهم فيما بينهم ، وما للمسلمين واليهود وما عليهم ٠ وتظهر لنا هذه الوثيقة عظمته الحقيقية ، وما حباه الله من مواهب ، وهدفه المنشود فى إنشاء مجتمع سليم ينتظم الجنس البشرى كله ٠ وكذلك سدد بهذه الوثيقة ضربة قاضية إلى الفوضى التى كانت سائدة بين قبائل العرب ٠ وهذا بعض ما تضمنته تلك الوثيقة التاريخية التى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ملزما بمحتواها كما أصبح اليهود ملزمين به كذلك :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النّبى ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس » ٠ ثم يقول بعد أن عرض لتنظيم دفع الديات بين القبائل المختلفة وتقرير بعض القواعد الحكيمة بصدد ما يجب على المسلمين بعضهم نحو بعض :

« لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعَدْل بينهم ، وإنه من تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ٠ وإن يهود بنى عوف ، وبنى النجار ، وبنى الحارث ، وبنى جُشَم وبنى ثعلبة ، وبنى الأوس وغيرهم ممن يقيم فى يثرب أمة واحدة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتِغُ (٢) إلا نفسه وأهل بيته ٠ وإن بينهم النصر على دَهم يثرب ٠ وإن

---

(١) روح الإسلام ٠

(٢) يهلك ٠

يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة · وإن بطانة يهود ومَواليهم كأنفسهم وكذلك المؤمنون · وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى وسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين · وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان وَلَدَ أحدهم » ·

وبعد أن نصّ الكتاب على بعض أمور خاصة بالإدارة الداخلية للدولة ، ختمت هذه الوثيقة العجيبة بما يلي :

« وإنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادُه فَإن مردّه إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله » (١) ·

وهكذا أخذ صوت الدعوة الإسلامية الذى بدأ فى مكة ، وجَلجَل فى المدينة ، يتردّد فى القارات الكبرى فى العالم · ولولا الهجرة لما كانت الفتوحات التى غيّرت مجرى التاريخ وعدلت وجهة الدنيا · هذه الهجرة هى التى مكنّت العربَ من أن يفكّوا حصارهم وينتشروا فى بقاع العالم يَحملون أمانة الله ويُبلغون رسالته ، فما أجلّ أمر هذه الهجرة ! وأعظم أثرها فى تاريخ الدعوة الإسلامية !

هــــل تعلم

أن البــلاد الغربيــة تعتبر نسبــة الطلاق فيها أعلى نسبــة :

في السويــد ٦٠ في المائــة يتطلقن كـل عـام ·
في الولايــات المتحــدة ٤٠ في المائة ·
في الدنمارك ٣٩ في المائة · ألمانيـا الشرقيـة ٣٠ في المائة · الاتحـاد السوفياتى ٢٨ في المائــة · فلندا ٢٤ في المائــة ·

وكمثال فإن ٢٢ في المائة من حالات الطـلاق بألمانيا هي بسبب الخيانة الزوجية و١٠ في المائة لأسباب جنسية و١٠ في المائة بسبب الادمان على الكحـول ·

جريــدة النــور

(١) ابن هشام (طبع مصر ١٣٤٦ هـ) ·

التوازن بين الثوابت والمتغيرات

ومن معاني التوازن التى نحرص عليها : « التوازن بين الثوابت والمتغيرات فإن من أعظم الخطر أن نذوب ما من شأنه أن يثبت ويبقى » لأنه للحياة المعنوية كالجبال للأرض ، يمنعها أن تضطرب وتميد كما أن من أكبر الضرر أن نجمد ما من شأنه أن يتحرك ويتغير وبذلك تتعفن الحياة وتصبح كالماء الآسن .

وبعض الناس يريدون من التغيير الاجتماعى أن يكون بمثابة « ديناميت » ينسف كل شيء ، ويهدم كل قديم ، ولو كان هو أساس بناء المجتمع ، وغاية وجوده ، وسر بقائه . غير مفرقين بين الأهداف والوسائل ، ولا بين الكليات الثابتة ، والجزئيات المرنة .

وآخرون يريدون أن يبقى كل قديم على قدمه ، أصلاً كان أم فرعاً ، غاية أو وسيلة ، معتقدين أن الأمس دائماً أفضل من اليوم ، وأن اليوم أفضل من الغد ، وأن التطور كله باطل ، وان الأول لم يترك للآخر شيئاً .

ولن نبني تقدمنا بحق إلا إذا ميَّزنا ببصيرة بين الثوابت من العقائد والعبادات والأخلاق والأحكام القطعية ، وبين المتغيرات من الأحكام الاجتهادية التي تتغير فيها الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والعوائد ، كما قال الإمام ابن القيم ، وكذلك شؤون الحياة المتقلبة التي جاء فيها الحديث الصحيح : « **أنتم أعلم بشأن دنياكم** » .

أما إذا عكسنا الآية ، وجمَّدنا شؤون الدنيا ، وابتدعنا وابتكرنا في شؤون الدين ، فإن عملنا رد علينا ، وسيف الوعيد مشهور في وجوهنا : « **ان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النــار** » .

هذا هو التقدم المتوازن المتكامل الذي ننشده لأمتنا الإسلامية وهى تستقبل قرنها الجديد .. عسى أن تعيه وتخطط له ، وتتعاون على تحقيقه ، وبذلك تحتل مكانها الوسط بين عالم لا يعرف الوسطية في شيء . وهنا تستحق خطاب الله لها بقوله :

« **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُم شَهِيداً** » (البقرة : ١٤٣) .

مجلــة الأمــة





أختى العزيزة هـــل :

لقد كتبت إليك من قبل هذه خمس رسائل حدثتك فيها عن عشر صيغ من هذه الصيغ التى أدخل فيها على لم النافية الجازمة للفعل المضارع ، وهاأنا ذي اليوم محدثتك عن الصيغة الحادية عشرة والصيغة الثانية عشرة .

أما الصيغة الحادية عشرة فهي : « ألــم يــأت ... » وقد وردت فى سبع آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) الآية (١٣٠) من سورة الأنعام .

الآية الثانية : قوله تعالى : (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الآية (٧٠) من سورة التوبة .

الآية الثالثة : قوله تعالى : (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب) الآية (٩) من سورة إبراهيم .

الآية الرابعة : قوله تعالى : **(وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى)** الآية (١٣٣) من سورة طه .

الآية الخامسة : قوله تعالى : **(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين)** الآية (٧١) من سورة الزمر .

الآية السادسة : قوله تعالى : **(ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم)** الآية (٥) من سورة التغابن .

الآية السابعة : قوله تعالى : **(تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير● قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير)** الآيتان (٨ ـ ٩) من سورة الملك .

وقد جاءت همزة الإستفهام فى هذه الصيغة : (ألـم يـأت ...) الواردة فى هذه الآيات السبع على معنى التقرير والتقريع والتوبيخ .

وكان قد تقدم فى الرسالة الأولى من هذه الرسائل أن استفهام التقرير يجيء لأحد أمرين :

الأول : حمل المخاطب على الاعتراف بالأمر الذى استقر عنده من ثبوت ما تضمنه الاستفهام أو نفيه .

والثانى : تثبيت النسبة التى اشتمل عليها الاستفهام فى الذهن إن كان المخاطب جاهلًا بها ، وزيادة تثبيتها إن كان بها عالما .

وقد جاءت همزة الاستفهام فى هذه الصيغة بالمعنى الأول فى الآية الأولى والخامسة والسابعة من الآيات السالفة الذكر .

وجاءت بالمعنى الثانى فى الآيات الباقيات .

وقد تضمنت الآية الأولى من هذه الآيات مشهداً من مشاهد يوم القيامة حيث يقرع الله سبحانه وتعالى ويوبخ كافري الجن والإنس ويسألهم (وهو أعلم) ألم يأتكم رسل منكم يخبرونكم ما أوحي إليهم ، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا ، فيجيب هؤلاء المسؤولون فى حسرة وصغار معترفين بما تضمنه السؤال من إرسال الرسل وتبليغهم آيات ربهم ، وتخويفهم لقاء هذا

اليوم الذي كانوا يوعدون ، لكن الحياة الدنيا ولذاتها ومتعها وما فيها من زينة حالت بينهم وبين إيمانهم بالرسل واليوم الآخر .

لقد شهدوا على أنفسهم بالكفر فحق عليهم العذاب ، وذاك جزاء الكافرين .

وتصور الآية الخامسة مشهداً آخر من مشاهد يوم القيامة ، حيث يساق الذين كفروا إلى جهنم زمرا فتفتح لهم الأبواب ، ويقول لهم خزنتها الغلاظ الشداد على سبيل التقرير والتقريع والتوبيخ : ألم يأتكم رسل من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم المنزلة عليهم ، ويقيمون الحجج والبراهين على صحة ما دعوا إليه ، وينذرونكم لقاء يوم القيامة هذا .

فيقول لهم الكفار معترفين بلى قد جاءونا وتلوا علينا الآيات وأنذرونا ، ولكنا كذبناهم وخالفناهم وعدلنا عن الحق إلى الباطل ، فحق علينا العذاب عذاب الكافرين .

وتتضمن الآية السابعة والتى تليها مشهداً آخر من مشاهد يوم القيامة حيث يشتد غيظ جهنم على أولئك الكفار الذين يلقون فيها فوجاً بعد فوج ، حتى لتكاد من شدة الغيظ يتميز بعضها من بعض ، ولم لا تحنق هذا الحنق وتغتاظ هذا الغيظ ، وهى التى ترى خزنتها الملائكة الغلاظ الشداد يسألون مقررين مقرعين موبخين هؤلاء الذين يدخلونها : ألم يأتكم فى داركم الدنيا نذير ينذركم بهذا اليوم . فيقولون معترفين فى حسرة وذلة : بلى ، قد جاءنا نذير ، ولكنا كذبناه فى أن يكون نذيرا ، ثم - لشقوتنا - بالغنا في التكذيب فقلنا ما أنزل الله على أحد من شيء ، وما أنتم أيها النذر فى ادعاء إنزال الآيات عليكم إلا فى ضلال كبير .

والاستفهام في الآيات الباقيات (الثانية والثالثة والرابعة والسادسة) استفهام تقرير على حد ألم نشرح لك صدرك أي قد أتتهم - وقد سبقت الإشارة إلى هذا - ويدل هذا الاستفهام أيضا على التوبيخ كما دل عليه فى الآيات المتقدمة .

ففى الآية الثانية والثالثة والسابعة يوبخ الله سبحانه وتعالى الكافرين أنْ لم يتعظوا بالأنباء التي قد أتتهم عمن كان قبلهم من الأقوام الذين جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوهم فاستحقوا العذاب ، وما الله بظلام للعبيد .

وفى الآية الرابعة يوبخ الله سبحانه وتعالى كفار مكة على مطالبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية من ربه تبين صدقه وقد أتاهم بالقرآن الذى بشرت به الكتب الإلهية السابقة المنزلة على الرسل ، لقد أتاهم بالقرآن الذى هو أعظم الآيات إعجازاً حتى تقوم الساعة ، فأي آية بعد آية القرآن يريدون ! ! .

وإعراب هذه الصيغة (ألم يأت) واضح سهل ، فالفعل المضارع (يأت) مجزوم بـ (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره وهو الياء ، والضمير المتصل بهذا الفعل سواء

أكان كافاً (فى ألم يأتكم) أم كان هاء (فى ألم يأتهم) مبني على الضم فى الأول وعلى الكسر فى الثانى فى محل نصب مفعول به لـ (يأت) والميم حرف يدل على جمع الذكور مبني على السكون لا محل له من الإعراب ·

وأرى أن الكاف والميم معاً في (ألم يأتكم) هما الضمير وليس الكاف وحدها . فالكاف وحدها لا تدل على جماعة المخاطبين . فالميم جزء من اللفظ الدال عليهم . واعتبار الميم حرفاً ملحقا بالضمير وليس جزءاً منه تحكم لا داعي إليه . ورأي تعوزه الحجة · وعلى هذا أرى أن يقال فى إعراب (كم) من (ألم يأتكم) ضمير متصل مبني على السكون فى محل نصب مفعول به ·

وكذلك الرأي فى (هم) من (ألم يأتهم) . فالهاء والميم معا هما الضمير وليس الضمير هو الهاء وحدها . لأنها لا تستقل بالدلالة على جماعة الغائبين . فالميم جزء من اللفظ الدال عليهم . وليست حرفاً ملحقا بالضمير . وأرى أن يقال فى إعرابه : (هم) من (ألم يأتهم) ضمير متصل مبني على السكون فى محل نصب مفعول به ·

وهكذا الرأى فى (كما) من قولنا مثلا رأيتكما فـ (كما) ضمير متصل دال على المثنى المخاطب مبني على السكون فى محل نصب مفعول به . وليس كما يقول المعربون : الكاف وحدها هى الضمير . والميم حرف عماد والألف حرف دال على التثنية ·
لأن الكاف وحدها لا تدل على ضمير المخاطب المثنى وإنما اللفظ الدال عليه هو هذه الأحرف الثلاثة مجتمعة ·

ومثله (كـنّ) من قولنا مثلا (رأيتكن) ضمير متصل يدل على جماعة الإناث مبني على الفتح فى محل نصب مفعول به . وليس كما يقولون : الكاف وحدها هى الضمير والنون المشددة حرف ملحق بالهاء للدلالة على جماعة الإناث · لأن الكاف والنون معا هما اللفظ الدال على جماعة الإناث فهما معاً الضمير . وليس الكاف وحدها ·

وهكذا القول فى ضمير الغيبة (هما) فى قولنا مثلا (رأيتهما) و (هنّ) فى قولنا مثلا (رأيتهن) · ·

هذا والاسم الظاهر المرفوع الذى جاء بعد (يأت) فى هذه الصيغة وهو : (رسل . نبأ . بينة . نذير) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ·

أما الواو الواقعة بين همزة الاستفهام ولم فى الآية الرابعة من هذه الآيات فعاطفة على ما قبل الهمزة ، وقد تقدم ذكر الخلاف فى المعطوف عليه لهذه الواو أكثر من مرة ·

أما الصيغة الثانية عشرة من هذه الصيغ التى أدخل فيها على لم النافية الجازمة للمضارع فهي التى دخلت فيها على لم النافية الجازمة لمضارع كان نحو : « ألم تكن ... » « أو لم تكونوا ... » .

وقد وردت هذه الصيغة فى إحدى عشرة آية من آيات القرآن الكريم ، وقد جئت أنا - همزة الاستفهام - فى هذه الصيغة على معنى التقرير والتوبيخ فى تسع من هذه الآيات الإحدى عشرة المتقدمة ، وعلى معنى التقرير وحده فى آيتين اثنتين ، وسوف ترين - أيتها الأخت العزيزة هـل - هذا واضحاً مفصلًا فيما يلى :

الآية الأولى قوله تعالى : **(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)** الآية (٩٧) من سورة النساء .

صيغة الاستفهام فى هذه الآية : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » قالها الملائكة الذين توفوا ناساً من المسلمين ظلموا أنفسهم بأن تركوا الهجرة وأقاموا بين ظهراني المشركين بمكة على حال لا تمكنهم من إقامة الدين .

والهمزة هنا تفيد التقرير أي كانت أرض الله واسعة وكانت الهجرة فيها مستطاعة ، وتفيد أيضا التوبيخ توبيخ هؤلاء الناس أن آثروا التمتع بالإقامة فى بيوتهم وبين أقوامهم غير قادرين على إقامة شعائر الدين ، آثروا ذلك على الهجرة إلى أرض أخرى يستطيعون فيها إقامة الدين والوفاء بحقه كما فعل الذين هاجروا إلى الحبشة ثم لحقوا بالمؤمنين فى المدينة .

وجاءت هذه الجملة الاستفهامية أيضا ردًّا على اعتذار هؤلاء الناس بأنهم كانوا مستضعفين فى مكة ، فقد كان اعتذاراً كاذباً غير صحيح ، بدليل قوله تعالى عن هؤلاء بعد ذلك فى ختام هذه الآية : « فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

الآية الثانية قوله تعالى : **(الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)** الآية (١٤١) من سورة النساء .

فى هذه الآية الكريمة يقول المنافقون الذين كانوا يتربصون بالمؤمنين الخير أو الشر ، وينتظرون بهم ما يتجدد من الأحوال من ظفر لهم أو ظفر بهم ، يقولون للمؤمنين إن كان للمؤمنين فتح من الله أى نصر وتأييد وظفر وغنيمة : « ألم نكن معكم » أى كنا معكم

مساندين مظاهرين فأسهموا لنا فى الغنيمة . فالاستفهام هنا للتقرير على معنى الإخبار أي كنا معكم .

الآية الثالثة قوله تعالى : **(وأنذر الناس يوم يأتيهم العَذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال)** الآية (٤٤) من سورة ابراهيم .

(وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) الآية (٤٥) من سورة ابراهيم .

هذا الاستفهام : « أو لم تكونوا أقسمتم ...) يفيد التقرير والتوبيخ

يفيد التقرير على معنى الإخبار أي كنتم أقسمتم من قبل في ديار الدنيا ما لكم من زوال عما أنتم فيه ، وأنه لا معاد ولا جزاء ، فذوقوا هذا بذاك .

ويفيد أيضا التوبيخ ، يوبخ الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم حين يرون العذاب يوم القيامة ، يوبخهم على إنكارهم البعث وإقسامهم على ذلك .

ويوبخهم تعالى أيضا على أنهم لم يعتبروا بما أوقعه الله تعالى بالأمم التى كذبت الرسل من قبلهم مع أنهم سكنوا فى مساكنهم ورأوا ما حلّ بهم وسمعوا .

الآية الرابعة قوله تعالى : **(ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) . (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين)** الآيتان (١٠٥ - ١٠٦) المؤمنون .

هذا الاستفهام : (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) يفيد التقرير والتقريع والتوبيخ . التقرير على معنى حمل المخاطب على الاعتراف بماتضمنه السؤال على جهة الإثبات أو النفي ، وقد اعترف أهل النار المخاطبون على جهة الإثبات فى الآية التى تلت هذه الآية : (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) .

وأفادت الهمزة هنا أيضا التقريع والتوبيخ : يقرع الله سبحانه وتعالى أهل النار ويوبخهم على تكذيبهم بآيات الله واتخاذهم المؤمنين سخريا .

الآية الخامسة قوله تعالى : **(ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا)** الآية (٤٠) من سورة الفرقان .

فى هذه الآية الكريمة يخبر الله سبحانه وتعالى عن كفار مكة أنهم كانوا يمرون كثيرا على سدوم عظمى قرى قوم لوط التى أمطرت من السماء بالحجارة فدمرت على من فيها تدميرا ، وأنهم كانوا يرونها ويرون ما حل بها وبأهليها قوم لوط لارتكابهم الفاحشة

ومخالفتهم أوامر الله ، ولكن كفار مكة لم يجدوا فى هلاك أهلها عبرة وذكرى ، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث والنشور ويوم الحساب .

والهمزة فى قوله تعالى : (أولم يكونوا يرونها) تفيد التقرير والتوبيخ : تفيد التقرير على معنى الإخبار أي كانوا يرونها ، وتفيد التوبيخ : يوبخ الله سبحانه وتعالى أولئك الكفار على أنهم لم يعتبروا برؤيتها وبما حلّ بأهلها فمروا بها كما مرّت ركابهم .

الآية السادسة قوله تعالى : **(أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل)** الآية (١٩٧) من سورة الشعراء .

همزة الاستفهام هنا فى هذه الآية الكريمة تفيد التقرير والتقريع والتوبيخ : التقرير على معنى الإخبار أي كان علم علماء بنى إسرائيل بأن هذا القرآن قد ذكر فى كتب الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل علامة دالّة لكفار قريش على صحته عندهم .

وإنما صارت شهادة أهل الكتاب حجة على المشركين لأنهم كانوا يرجعون فى أشياء من أمور الدين إلى أهل الكتاب ، ويقولون هم أصحاب الكتب الإلهية ، فيظنون بهم العلم ، وقد تهوّد كثير من العرب وتنصّر كثير لاعتقادهم صحة دينهم .

وتفيد الهمزة هنا أيضا التقريع والتوبيخ : يقرع الله سبحانه وتعالى كفار قريش ويوبخهم على أن لم يؤمنوا بالقرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مع قيام الدليل على صحته وهو علم علماء بنى إسرائيل بذكره فى الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء من قبل وعلماء بنى إسرائيل فى اعتقادهم صادقون لا يكذبون .

الآية السابعة قوله تعالى : (ولقد أضلّ منكم جِبلًّا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) الآية (٦٢) من سورة يس .

قبل هذه الآية آيتان يتصل بهما معنى هذه الآية وهما : **(ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم))** الآيتان (٦٠ - ٦١) من سورة يس .

هذا الاستفهام : (أفلم تكونوا تعقلون) للتوبيخ والتقريع : يوبخ الله سبحانه وتعالى الكفار ويقرعهم على مخالفتهم العقل ومجانبتهم الحق والصواب فى اتباعهم الشيطان وهو لهم عدو مبين ، وعلى تركهم عبادة الله وهى الصراط المستقيم . .

الآية الثامنة قوله تعالى : **(قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال)** الآية (٥٠) من سورة غافر .

وقبل هذه الآية آية يتصل بها معنى هذه الآية هى : **(وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب)** الآية (٤٩) من سورة غافر ·

تتضمن هذه الآية الثامنة قول الملائكة خزنة جهنم ردًّا على الذين يعذبون فى النار حين قال هؤلاء الكفار المعذبون فى النار لخزنتها : ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب . فقال خزنتها لهم : (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) ·

هذا الاستفهام يفيد التقرير والتوبيخ والتهكم : التقرير على معنى حمل المخاطب على الاعتراف بما تضمنه السؤال على جهة الإثبات أو النفي . وقد اعترف المخاطبون بالإثبات بقولهم : (بلى) . أي أتتنا الرسل بالبينات ·

وخزنة جهنم باستفهامهم هذا (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يوبخون المعذبين فى النار ويسخرون منهم أن ضيعوا الفرصة الطيبة الملائمة للدعاء وهى الإيمان بالرسل فى الدار الدنيا . ثم جاءوا يطلبونه بعد فوات وقته وهم فى النار حيث لا يكون دعاء الكافرين إلا فى ضلال ·

الآية التاسعة قوله تعالى : **(وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين)** الآية (٣١) من سورة الجاثية ·

فى هذه الآية يقول الله سبحانه وتعالى للذين كفروا : (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم) وهمزة الاستفهام هنا تفيد التوبيخ والتقريع : يوبخ الله سبحانه وتعالى فى يوم القيامة الذين كفروا ويقرعهم على استكبارهم عن الإيمان بآيات الله . وعلى إعراضهم عنها ·

الآية العاشرة قوله تعالى : **(ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور)** الآية (١٤) من سورة الحديد ·

ومعنى هذه الآية يتصل بمعنى آيتين قبلها وهما **(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)** الآيتان (١٢ ـ ١٣) من سورة الحديد ·

فى هذه الآية العاشرة ينادى المنافقون والمنافقات وقد شاهدوا العذاب . وضرب بينهم وبين الذين آمنوا بسور له باب . ينادون الذين آمنوا : (ألم نكن معكم) أي ألم نكن فى

الدنيا معكم بحسب الظاهر نصلى كما تصلون ونغزو كما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون ٠

هذا الاستفهام : (ألم نكن معكم) يفيد التقرير والتعجب : التقرير على معنى حمل المخاطب على الاعتراف بما تضمنه السؤال على سبيل الإثبات أو النفي ٠

وقد أجاب الذين آمنوا بالإثبات قائلين : (بلى) أي كنتم معنا بحسب الظاهر ، ثم بينوا لهم حقيقة أمرهم فى الدنيا بقولهم لهم : « ولكنكم فتنتم أنفسكم » أي استعملتموها فى الفتنة وأهلكتموها فى النفاق « وتربصتم » بالمؤمنين الدوائر ، « وارتبتم » فى أمر الدين ، وغركم الشيطان بأن الله عفوّ كريم ٠

ومثار التعجب لدى المنافقين والمنافقات أنهم رأوا اختلاف الجزاء مع أن العمل - حسب زعمهم - واحد ٠

الآية الحادية عشرة قوله تعالى : **(ألم يك نطفة من منى يمنى)** الآية (٣٧) من سورة القيامة ٠

وليكون معنى هذه الآية أوضح وأتم أذكر ما قبلها وما بعدها من الآيات : **(أيحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ،)** الآيات (٣٦ - ٤٠) من سورة القيامة ٠

همزة الاستفهام فى « ألم يك نطفة من منى يمنى » للتقرير على معنى الأخبار ، أي كان نطفة من منى يمنى ٠

وقد جاء هذا الاستفهام وما بعده ردًّا على من ينكر المعاد من أهل الزيغ والفساد ، الذين يحسبون أنهم سوف يتركون فى قبورهم مهملين لا يبعثون ولا يحاسبون ، فالله القادر على أن يخلق الزوجين الذكر والأنثى من قطرة منى تراق فى الرحم قادر على أن يحيى الموتى ويبعث من فى القبور ، سبحانه وتعالى هو الخالق البارىء وهو على كل شيء قدير ٠

أختى العزيزة : هـــل

إعراب هذه الصيغة واضح بيّن غير أنى سوف أعربها وأعرب ما يتعلق بها فى قوله تعالى : « أو لم تكونوا أقسمتم ... » لاشتمال هذا القول على شيئين أحب أن أنبهك عليهما :

(أو لم) مرّ غير مرة إعراب الهمزة والواو ولم ، و (تكونوا) فعل مضارع من كان الناقصة مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون ، والواو ضمير جماعة الذكور اسم تكون مبني على السكون فى محل رفع ، و (أقسمتم) : أقسم فعل ماض مبنى على فتح مقدر على آخره

منع من ظهوره السكون العارض بسبب اتصال الفعل بضمير رفع متحرك . ولك أن تقولي فى إعراب هذا الفعل : أقسم فعل ماضى مبنى على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك ، والفعل على كلا الإعرابين لا محل له من الإعراب ٠ و (تم) ضمير رفع متصل يدل على جماعة المخاطبين مبني على السكون فى محل رفع فاعل ، ولك أن تعربيه مجزّءاً فتقولي : التاء وحدها ضمير مبني على الضم فى محل رفع فاعل ، والميم حرف يدل على جماعة الذكور مبنى على السكون لا محل له من الإعراب (وقد سبق بيان الضعف فى تجزئة هذا الضمير وأمثاله) ٠ (من قبل) من : حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، وقبل : ظرف زمان مبني على الضم فى محل جر بمن ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل (أقسم) ٠

(ما لكم من زوال) (مـــا) نافية مهملة حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، و (لكم) اللام حرف جر مبني على الفتح لا محل له من الإعراب و (كم) ضمير متصل يدل على جماعة المخاطبين مبني على السكون فى محل جر باللام ، ولك أن تعربيه مجزءا على النحو الذى تقدم ذكره ٠

والجار والمجرور يتعلقان بمحذوف تقديره كائن ، وهذا المحذوف هو الخبر على رأي من آراء ثلاثة لأهل النحو فى هذه المسألة ٠ (من زوال) من : حرف جر زائد مبني على السكون لا محل له من الإعراب و (زوال) مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره ٠ و (زوال) المجرور بمن الزائدة مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها الكسرة المأتي بها لمناسبة حرف الجر الزائد . أما على رأي من يري أن المجرور بحرف الجر الزائد يكون إعرابه محليا ف (زوال) فى محل رفع مبتدأ مؤخر ٠

وجملة (ما لكم من زوال) جواب القسم لا محل لها من الإعراب ، وجملة (أقسمتم من قبل مالكم من زوال) فى محل نصب خبر تكونوا الناقصة ،

وجملة (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) فى محل نصب مفعول به لقول مقدر ، والتقدير فيقول الله سبحانه وتعالى لهم : (أو لم تكونوا ...)

أختي العزيزة « هـــل »

قبل أن أختم هذه الرسالة أرى لزاماً عليّ أن أنبهك على شيئين :

لقد مرّ فى إعراب قوله تعالى : « ما لكم من زوال » أن (مِنْ) حرف جر زائد ، والحكم على هذا الحرف بالزيادة لا يعنى أنه حشو فى الكلام لا حاجة إليه ، وإنما هو اصطلاح نحوي يعنى أن المعنى الأساسي للجملة يتم بدونه ، وأن هذا الجار الزائد لا يحتاج

إلى متعلق . وأن مجروره له محل من الإعراب غير هذه الكسرة التى جاءت لمناسبة هذا الجار الزائد .

وإذا كان المعنى الأساسي يتم بدون هذا الجار الزائد فهذا لا يعنى أن دخول هذا الزائد فى الكلام كخروجه منه . فهناك المعانى الفرعية التى تصاحب المعاني الأساسية فترفع الكلام في سلم البلاغة درجات .

شتان ـ أيتها الأخت العزيزة ـ ما بين (مالكم من زوال) مع مِنْ وبين (مالكم زوال) بدونها فالمعنى الأساسي وهو نفي زوال المخاطبين واحد فى الكلامين . ولكن هناك فرقاً بين النفى مع من والنفى بدونها . فالزوال معها منفى على سبيل العموم والشمول نصاً لا يقبل أي احتمال أو تجوز . فليس هناك نوع من أنواع الزوال لم يشمله هذا النفي . على حين أن نفي الزوال بدون من وإن أفاد العموم والشمول ـ ليس نصاً . واحتمال التجوز فيه قائم .

والحال التى كان عليها المخاطبون من أنهم لن يبعثوا البتة ولن يتحولوا من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة بأي حال من الأحوال تقتضى ذكر (مِنْ) . لأن ذكرها يجعل التعبير مصوراً ما كانوا عليه تصويراً دقيقاً . ويجعل الكلام مطابقاً لما تقتضيه حالهم . وفي هذا التصوير الدقيق وفي هذه المطابقة التامة تكون البلاغة .

فـ (من) لا يمكن الاستغناء عنها بلاغة . وإن سماها أهل النحو زائدة .

الشيء الآخر الذي أحرص على أن أنبهك عليه هو بلاغة التعبير فى قوله تعالى : (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل) فقد يقول قائل أو ليس في قولنا : أو لم تقسموا من قبل . بحذف (تكونوا) مايفى بأداء المعنى مع إيجاز في التعبير وقلة فى الألفاظ .

أقول : يقول الذين ظلموا وهم يعذبون فى جهنم يوم القيامة « ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل » يطلبون أن يردوا إلى الدنيا وكأنهم نسوا ما كان منهم فيها من تكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث . أو كأنهم يريدون أن ينكروا ما كان منهم من ضلال . فيقول الله سبحانه وتعالى لهم : « أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال » توبيخاً لهم على ما كان منهم فى الدار الدنيا وردًّا مقرعاً على ما يطلبون .

فالحال التى كان عليها هؤلاء الذين يطلبون العودة إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسل بعد أن كذبوهم تقتضي أن يساق لهم الجواب قوياً مؤكداً . لأنهم كانوا بمنزلة المنكرين

وقد كان الجواب كذلك إذ اشتمل على أسلوبين هما أقوى الأساليب التى تجعل المعانى تستقر في الأذهان فلا تنسى . وتتلقاها الأنفس على شوق فتثبت :

أحدهما كان فى تكرار المسند إليه والمسند . فـ (تكونوا) فيها مسند ومسند إليه و (أقسمتم) فيها مسند ومسند إليه أيضا . وأنت إذا أمعنت النظر رأيت أن المسند إليه فى الموضعين واحد . وكذلك المسند غير أنه جاء في تكونوا عامًا وجاء في أقسمتم خاصا .

أما الأسلوب الثانى فأسلوب الإيضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الإجمال . فـ (تكونوا) تدل على حدث عام مبهم ناقص . ولهذا العموم والابهام والنقصان تتطلع نفس المخاطب راغبة وتستشرق لهفى إلى ما عساه يأتى . فإذا جاء الخبر وهو (أقسمتم من قبل مالكم من زوال) استقر فى نفس المخاطب وثبت .

وهذه البلاغة التى جاءت في مطابقة الكلام فى هذه الآية لحال المخاطبين لن تجدي شيئا منها فى قول قائل : أو لم تقسموا ... بحذف (تكونوا) .

أختى العزيزة : هـــل

أختم هذه الرسالة وفى النفس أشياء كثيرة تتصل بهذه الصيغة كنت أود أن أقولها لك . ولكنى أتركها على حسرة ومضض خشية الإملال .

أسأل الله تعالى أن يعين على رسالة قادمة نلتقى فيها عما قريب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أختــك
همزة الاستفهام

مـــراجع مـا جـاء فى هـــذه الرســـالة

أولا : مراجع الصيغة الحادية عشرة : (ألم يأت ...) فى آياتها الواردة فى هذه الرسالة .

١ ـ **تفسير البحر المحيط** لأبى حيان الأندلسى (الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض) جـ ٤ ص ١٨٦ ، جـ ٥ ص ٤٠٨ ، جـ ٦ ص ٢٩٢ ، جـ ٧ ص ٤٤٣ ، جـ ٨ ص ٣٠٠ .

٢ ـ **تفسير أبى السعود** (الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة) جـ ٣ ص ١٨٦ ، جـ ٤ ص ٨٢ ، جـ ٦ ص ٥١ ، جـ ٧ ص ٤٤٣ ، جـ ٩ ص ٥ .

٣ ـ الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين (الناشر : الحلبى بمصر) جـ ٢ ص ٩١ ، جـ ٢ ص ٢٩٨ ، جـ ٤ ص ٣٥٠ ، جـ ٤ ص ٣٧٧ .

٤ ـ تفسير ابن كثير (الناشر : الحلبى بمصر) جـ ٢ ص ١٧٧ ، جـ ٢ ص ٥٢٤ ، جـ ٤ ص ٦٥ .

٥ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى (الناشر : الحلبى بمصر) جـ ٢ ص ٥٠ .

٦ ـ تفسير القرطبى (الطبعة الثالثة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) جـ ٨ ص ٢٠٢ ، جـ ١١ ص ٢٦٤ .

٧ ـ تفسير البيضاوى (طبعة الحلبى الجامعة بين تفسير البيضاوى وتفسير الجلالين) جـ ٢ ص ٣٣٨ ، جـ ٢ ص ٤٩٠ .

٨ ـ تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية السالفة الذكر) جـ ٢ ص ٥١٥ .

ثانيا : مراجع الصيغة الثانية عشرة : « ألم تكن ... » ، « أو لم تكونوا ... » فى آياتها الواردة فى هذه الرسالة :

١ ـ البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى المتقدم ذكره : جـ ٣ ص ٣٣٤ ، جـ ٣ ص ٣٧٥ ، جـ ٥ ص٤٣٦ ، جـ ٦ ص ٤٢٢ ، جـ ٦ ص ٥٠٠ ، جـ ٧ ص ٣٤٤ ، جـ ٧ ص ٤٧٠ ، جـ ٨ ص ٥١ ، جـ ٨ ص ٣٩٠ .

٢ ـ تفسير أبى السعود المتقدم ذكره : جـ ٢ ص ٢٢٢ ، جـ ٥ ص ٥٦ ، جـ ٦ ص ١٥١ ، جـ ٦ ص ٢١٩ ، جـ ٦ ص ٢٦٤ ، جـ ٧ ص ١٧٥ ، جـ ٧ ص ٢٨٠ ، جـ ٨ ص ٧٥ .

٣ ـ الفتوحات الإلهية المتقدم ذكرها : جـ ١ ص ٤١٧ ، جـ ١ ص ٤٣٦ ، جـ ٢ ص ٥٣٢ ، جـ ٣ ص ٢٥٨ ، جـ ٣ ص ٢٩٣ ، جـ ٤ ص ١٩ ، جـ ٤ ص ٤٥١ .

٤ ـ تفسير ابن كثير المتقدم ذكره : جـ ١ ص ٥٦٧ ، جـ ٣ ص ٢٥٧ ، جـ ٤ ص ١٥٢ .

٥ ـ الكشاف للزمخشرى : جـ ١ ص ٥٦٥ ،جـ ١ ص ٥٧٣ ، جـ ٣ ص ٤٣١ .

٦ ـ تفسير الجلالين المتقدم ذكره : جـ ٢ ص ٥٣٢ ، جـ ٤ ص ٤٥١ .

٧ ـ تفسير القرطبى المتقدم ذكره : جـ ١٦ ص ١٧٦ .

٨ ـ تفسير البيضاوى المتقدم ذكره : جـ ٢ ص ٣٣٨ .

حول الشعر التعليمى

للدكتور صالح آدم بيلو
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة

- ٢ -

في ميدان النحو والفلك :

لمحمد بن ابراهيم الفزارى قصيدة مزدوجة في علم الفلك ، يقول عنها « ياقوت الحموى » : إنها تقوم مقام زيجات المنجمين ، وهى طويلة يدخل في تفسيرها - هى وشروحها - عشرة أجلاد ، أولها :

الحمد لله العلى الأعظم ذى الفضل والمجد الكريم الأكرم
الواحد الفرد الجواد المنعم
الخالق السبع العلى طباقا والشمس يجلو نورها الأغساقا
والبدر يملا نوره الآفاقا
الفلك الدائر في المسير لأعظم الخطب من الأمور
يسير في بحر من البحور
فيه النجوم كلّها عوامل منها مقيم دهره وزايل
فطالع منها ومنها نازل

وهى هكذا ثلاثة أقفال ثلاثة أقفال (١)

وفي ميدان النحو استخدم الشعر التعليمى للإلمام به وتحبيب دراسته ، يقول إسحق بن خلف البهرانى :

النحو يبسط من لسان الألكن   والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها   فأجلها منها مقيم الألسن (٢)

ويقول الكسائى « ت ١٨٣ هـ أو ١٨٩ هـ » في المعنى نفسه :

إنّما النحو قياس يتبع   وبه في كل أمرٍ ينتفع
فإذا ما أبصر النحو فتىً   مرّ في المنطق مرّاً فاتّسع
فاتقاه كلّ من جالسه   من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم يبصر النحو فتى   هاب أن ينطق جبناً فانقطع
فتراه ينصب الرفع وما   كان من خفضٍ ومن نصب رفع
يقرأ القرآن لا يعرف ما   حرّف الإعراب فيه وصنع
والذى يعرفه يقرؤه   فإذا ما شكَّ في حرف رجع
ناظراً فيه وفي إعرابه   فإذا ما عرف اللحن صدع
فهما فيه سواء عندكم   ليست الألسن فينا كالبدع
كم وضيع رفع النّحوُ وكم   من شريف قد رأيناه وضع (٣)

في ميدان اللهو والمجون :

وإن تعجب فعجب لما بذله شعراء هذا العصر من جهد لاستخدام الشعر التعليمى في موضوعات اللهو والمجون الذى أصاب جانباً من جوانب ذلك المجتمع متأثراً بأمراض الفكر الوافد ، والثقافة الدخيلة وأدوائهما ... فراحوا يضعون للهو والمجون أصولاً وقواعد تجب مراعاتها ، وقوانين ومراسم ينبغى أن تراعى وتلتزم (٤) .

من ذلك أرجوزة الرقاشى المزدوجة التى تحدّث عنها ابن المعتز في طبقاته ، قائلاً عن ناظمها : « .... وهو يزعم كما ترى : أنها تدخر لوقت الموت ، مجوناً وخلاعة ، وأولهما :

أوصى الرقاشى إلى خلّانه   وصية المحمود في إخوانه

---

(١) معجم الأدباء بتحقيق مرجليوث جـ ٢٦٨/٢ والوافى بالوفيات للصلاح الصفدى المطبعة الهاشمية بدمشق عام ١٩٥٣ م جـ ٣٣٦/٨ .
(٢) زهر الآداب للحصرى بتحقيق زكى مبارك جـ ١٣٨/٣ والكامل للمبرد مطبعة نهضة مصر جـ ٢٣/٢ .
(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ ٤١٢/١١ وبعض الأبيات في كتاب « الورقة » لابن الجراح ص٤٦ .
(٤) وانظر باستفاضة « التيارات الفكرية الوافدة في العصر العباسى وصداها في الأدب » للدكتور صالح آدم بيلو ص٢٢٣ ـ ٢٥٠ .

وهى مشهورة وموجودة » (١) ... ولكن لم يصل منها غير هذا الذى أشار إليه ابن المعتز .

كما قام « حمدان بن أبان اللاحقى » بوضع أرجوزة طويلة في الحب وحيل المحبين اختار منها أبو بكر الصولى ثمانية أبيات ومائة بيت أثبتهما في كتابه « الأوراق » بدئت بقوله :

ما بال أهـــل الأدب … مـنّا وأهــل الكتب
قد وضعوا الآدابا … واتّبعوا الأصحابا
لكل فنّ دفتر … منقّط محبّر
ففرقت أجناسا … وعلّموها الناسا
بالحيل الرقيقه … والفطن الدقيقه
فارشدوا الضُّلالا … وعلّموا الجهالا
سوى المحبين فلم … يرعوا لهم حق الذمم
في علم ما قد جهلوا … وما به قد ابتُلوا

ويمضى حمدان اللّاحقى إلى أن يقول في آخر منظومته :

قد تمّ منّى الوصف … ولم يخنى الرّصف
وانقضت القصيده … محبوبة حميده
والحمد للرحمن … ذى العزّ والسلطان
والذم للشيطان … ذى الذّمّ والطغيان (٢)

ومن أروع ما جاء في هذا اللون من الشعر التعليمى ما أورده ابن المعتز في أرجوزته الطويلة « ذمّ الصبوح » ... إذ يصور شارب الخمر في أتعس حالاته وأبأس أوضاعه . فيقول في آخر قصيدته :

فمن أدام للشقاء هذا … من فعله والتذه التذاذا
لم يلف إلّا دنس الأثواب … مهوّساً مهوّس الأصحاب
فازداد سهواً وضنىً وسقما … ولا تراه الدهر إلّا فدما
ذا شاربٍ وظُفرٍ طويل … ينغّص الزاد على الخليل
ومقلة مبيضّة الماقى … وأذنٍ كحقّة الدّباق

(١) طبقات ابن المعتز ص ٢٢٦ .
(٢) الأوراق للصولى ـ قسم أخبار الشعراء ص ٥٧ ـ ٦٢ .

وجسد عليه جلد من وسخْ … كأنه أشرب نفطاً أوْ لُطِخْ
تخال من تحت ابْطه إذا عرقْ … لحية قاضٍ قد نجا من الغرق
وريقه كمثل طوق من أدم … وليس من ترك السؤال يحتشم
في صدره من واكفٍ وقاطر … كأثر الذّرق على الكنادر
هذا ، كذا ، وما تركت أكثر … فجرِّبوا ما قلته وفكّروا (١)

في ميدان السير والتاريخ :

لعل أهم عملين كبيرين في هذا المجال مزدوجتان : مزدوجة على بن الجهم (٢) ومزدوجة عبد الله بن المعتز في السير والتاريخ ..

أما ابن الجهم (١٨٨ ــ ٢٤٩ هـ) فله مزدوجة تسمى « المُحَبَّرة » شديدة الطول ، تقع في ثلاثمائة وثمانية أبيات ، ذكر فيها ابتداء الخلق والأنبياء والخلفاء إلى أيامه ـ أيام الخليفة المستعين العباسى ٢٤٨ هـ ــ وبدأ حديثه بحمد الله والصلاة على نبيه ، ثم أخذ يجيب من يسأله عن بدء الخليقة :

الحمد لله المعيد المبدى … حمداً كثيراً ، وهو أهل الحمد
ثم الصلاة أولاً وآخرا … على النبىّ باطناً وظاهرا
ياسائلى عن ابتداء الخلق … مسألة القاصد قصد الحقّ
أخبرنى قوم من الثقات … أولو علوم وأولو هيئات
تقدموا في طلب الآثار … وعرفوا حقائق الأخبار
وفهموا التوراة والانجيلا … واحكموا التنزيل والتأويلا
أن الذى يفعل ما يشاء … ومن له العزة والبقاء
أنشأ خلق آدم إنشاء … وقَدَّ منه زوجه حواء
مبتدئاً ذلك يوم الجمعه … حتى إذا أكمل منه صنعه
أسكنه وزوجه الجنانا … فكان من أمرهما ما كانا

وراح يتحدث عن إغراء إبليس آدم وزوجه ، واستجابتهما له ، وكيف أهبطا من الجنة إلى الأرض في جبل بالهند يسمى « واسم » ··· واستمر يتحدث عن أبناء آدم وأحفاده ، إلى أن جاء إلى نوح عليه السلام ، فقال :

فأرسل الله إليهم نوحا … عبداً لمن أرسله نصوحا

---

(١) رسائل ابن المعتز بتحقيق الدكتور عبد المنعم خفاجى مطبعة مصطفى الحلبى عام ١٩٤٦ م ص ١٠٧ـ١١٤ .

(٢) راجع مقدمة ديوان على بن الجهم بقلم خليل مردم بك ـ لجنة التراث العربى ببيروت ص٣٦ وكذلك ص١٥٧ و ص ٢٢٧ .

فعاش ألفاً غير خمسين سنة   يدعو إلى الله وتمضى الأزمنه
يدعوهـــم سرّاً ويدعو جــهرا   فلم يزدهم ذاك إلّا كفرا
وانهمكوا في الكفر والطغيان   وأظـــهروا عــبادة الأوثان

وهكذا يمضى الشاعر في أرجوزته يتحدث في استفاضة ، ودقة متناهية عن قصة أبى البشر الثانى مع قومه ، وما أعقب ذلك من أحداث · وتحدث عن الأنبياء والرسل نبياً نبياً ، ورسولاً رسولاً ، وعن الأمم والشعوب من عرب وعجم قبل مطلع النور ـ الإسلام ـ فيقول :

فــهذه جــمــلة أخــبار الأمــم   منقولة من عَرَب ومن عجم
وكــلّ قوم لـــهـــم فِــكــيِّرُ   وقــلّــما تُــحَـصّــل الأمور
وعـمـيـت في الـفـترة الأخـبار   إلّا التى سارت بها الأشعار
والـــفرس والروم لـــهـــم أيام   يـمـنـع من تـفـخيـمـها الإسلام
وإنـما يـقـنـع أهـل الـعـقـل   بــكــتــب الله وقول الرســل

وجاء الإســلام بنوره الوهـــاج :

ثــم أزال الـظــلــمةَ الـضــياء   وعاودت جِدَّتـــــها الأشــــياء
ودانــت الــشــعوب والأحــياء   وجاء ما ليس به خفاء
أتاهــم المــنــتــخــب الأوّاهْ   مــحــمد صلى عــلــيــه الله

وانساب الشاعر يصور الأحداث حدثاً حدثاً ، والخلفاء خليفة خليفة إلى أيام المستعين الذى عاصره الشاعر ، واختتم أرجوزته قائلاً :

فــنــحــن في خلافة مــباركــه   خلت على الأضرار والمشاركه
فالـــحـــمد لله على إنــعامـــه   جميع هذا الأمر من أحكامه
ثـــم الـــصلاة أولاً وآخرا   على النبىّ باطناً وظاهرا (١)

وبذا يكون على بن الجهم أول شاعر يقوم بعمل متكامل وصل إلينا كاملاً في هذا الباب (٢) ·

أما عبد الله بن المعتز « ٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ » فقد نظم في أرجوزته حياة الخليفة العباسى المعتضد « ٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ » وسيرته وما قام به من أعمال كبيرة وعظيمة ، فرفع من شأن الخلافة بعد اتضاع ، وأخذ على يد الأتراك بقدر المستطاع ، وشرح الشاعر فيها الحالة

---

(١) راجع القصيدة في ديوانه ص ٢٢٨ ـ ٢٥٠ ·
(٢) انظر مقدمة محقق الديوان ·

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفسادها ، وتحدث عن القضاء على الثائرين والمتمردين ! ..

وهذه الأرجوزة يحسبها كثير من النقاد والباحثين مظهراً من مظاهر الشعر القصصى (١) ، ويقول الأستاذ أحمد أمين : « ... هى صورة مصغرة لنمط الملاحم كالإلياذة والشاهنامة سدت بعض النقص في الشعر العربى من هذا النوع (٢) .

يفتتح الشاعر أرجوزته على الطريقة التى سلكتها المتون في الأزهر القديم : -

باسم الإله الملك الرحمن ... ذى العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على آلائه ... أحمده والحمد من نعمائه
أبدع خلقاً لم يكن فكان ... وأظهر الحجة والبرهانا
وجعل الخاتم للنبوة ... أحمد ذا الشفاعة المرجوه
الصادق المهذب المطهرا ... صلّى عليه ربنا فأكثرا
مضى وأبقى لبنى العباس ... ميراث ملك ثابت الأساس
برغم كلّ حاسد يبغيه ... يهدمه كأنه يبنيه

ثم يذكر أنه ألّف هذه القصيدة في سيرة أبى العباس المعتضد ، ويعرض لحال الخلافة قبله ، والفوضى السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة ، وأعمال أبيه « الموفق » والقضاء على فتنة الثائر العلوى ٢٧٠ هـ ، فيقول :

قام بأمر الملك لمّا ضاعا ... وكان نهباً في الورى مضاعا
تذلّلا ليست له مهابه ... يخاف إن طنّت به ذبابه
وكلّ يوم ملك مقتول ... أو خائف مروّع ذليل
أو خالع للعقد كيما يغنى ... وذاك أدعى للردى وأدنى
وكم أمير كان رأس جيش ... قد نغصوا عليه كلّ عيش
وكلّ يوم شغب وغصب ... وأنفس مقتولة وحرب
وكم فتىً قد راح نهباً راكبا ... إما جليس ملك أو كاتبا
فوضعوا في رأسه السّياطا ... وجعلوا يردونه شطاطا
وكم فتاة خرجت من منزل ... فغصبوها نفسها في المحفل
وفضحوها عند من يعرفها ... وصدقوا العشيق كى يقرفها
وحصل الزوج لضعف حيلته ... على نواحه ونتف لحيته
وكل يوم عسكرا فعسكرا ... بالكرخ والدور مواتاً أحمرا

(١) من حديث الشعر والنثر لطه حسين ص ٢٨٥ وما بعدها .
(٢) ظهر الإسلام لأحمد أمين جـ٢٥/٨ .

كذاك حـــتى أفـــقروا الــخلافـــه وعودوها الرعـــب والمـــخافـــه
فـــتـلــك أطلال لـــهـم قـــفارا ترى الـشـيـاطـيـن بـهـا نـهـارا

ويصور الشاعر الفظائع التى كانت تنصب على أفراد الأمة من مصادرات لأموالهم بعد انتهاك حرماتهم ، فيقول :

أجرأ خلق الله ظلما فاحشا وأجْوَر الناس عقاباً بالوشى
يأخذ من هذا الشقى ضيعته وذا يريد مالـــه وحرمـــتـــه
وويل من مات أبوه موسرا أليس هذا محكما مشهرا ؟!
وطال في دار البلاء سجنه وقال : من يدرى بأنك ابنه ؟!
فقال جيرانى ومن يعرفنِي فـنـتـفوا سبالـه حـتى فـنيِ
وأسرفوا في لـكـمــه ودفـعــه وخدرت أكـفـهـم في صـفـعـه
ولم يزل في أضيق الحبوس حـتى رمى إلـيـهـم بالـكـيـس
وتاجر ذى جوهر ومال كان من الله بحسن حال
قـيـل لـه عـنـدك لـلـسلطان ودائــــع غالـــــية الأثـــمان
فقال : لاوالله ما عندىَ لَهْ صغيرة من ذا ولا جليله
وإنـمـا أُرْبِـحْـتُ في الـتـجاره ولم أكن في المال ذا خساره
فدخّـــنوه بدخان الــتـــبـــن وأوقدوه بـشـفال الـلـبـــن
حتّى إذا ملّ الحياة وضجر وقال ليت المال جمعاً في سقر
أعـطاهـم ما طـلـبوا فأطـلـقا يـسـتـعـمـل المشى ويمشى العَنَقا(*)

ثم يأتى إلى تصوير عناية الخليفة المعتضد بالجيش واختياره جنوده ، وقيامه بحركة تطهير واسعة في هذا الجيشِ ونبذ غير اللائقين منهم بكرامة الجندى :

واختار من جنوده كلّ بطلْ مجرب إن حضر الموت قتلْ
ثم نفى كلّ دخيل قد مرق إذا رأى السيف جرى من الفرق
... ...
حتّى إذا صَفّى خيار الجند قال ياحرب اهزلى وجدي

(*) إنها لصورة حية للشعوب التي منيت بالحكم الاشتراكى والماركسى في العصر الحديث المجلة .

سار إلى الموصل ينوى أمرا فـملأ الـبرّ مـعاً والـبـحرا(١)

وهكذا يسير ابن المعتز في أرجوزته ، أو قل ملحمته التى بلغت نحواً من عشرين واربعمائة بيت في تاريخ الخليفة المعتضد .

ومن هنـــا : نرى أن الشعر التعليمى قد وجد عند العرب منذ جاهليتهم بكل أقسامه التى عرفت عند اليونان ، وقد رأينا لذلك أمثلة عند شعراء جاهليين ، كما وجدناه عند الشعراء الأمويين في أخص أقسامه ، كخالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، في أبياته في صناعة الكيمياء .. ووجدناه في الأرجوزة الأموية التى اتخذت وسيلة لتعليم غريب اللغة ، مما ألهم المقامة فيما بعد ، ودفع بالشعراء في العصر العباسى إلى التوسع في الشعر التعليمى ، حتى إذا ولج أبان اللاحقى هذا الميدان ، فتح الباب واسعاً ، فتهافت عليه من تهافت من الشعراء أو النظامين !..

وبهذا يتضح أن الشعر التعليمى العباسى لم يكن في جملته وتفصيله تقليداً لمثيله عند الأمم الأخرى كالهنود واليونان .. تلك الأمم التى عرفت هذا اللون من الشعر !..

ولكن هل يعنى هذا الكلام أننا ننكر أن للثقافة الدخيلة والفكر الوافد أثراً في الشعر التعليمى خلال هذا العصر ؟!.

كلّا !.. نحن لا ننكر هذا التأثير ، ولكنا نريد أن نقول : إن التأثير الوافد لم يكن في إنشاء هذا اللّون من الشعر في الأدب العربى وإيجاده ـ فلقد كان ذلك موجوداً في العربية منذ زمن طويل كما رأينا ـ ولكن التأثير كان في تشكيله وإعطائه ملامح نهائية ، وسمات بينة ، متعاوناً مع عوامل أخرى ...

إن تأثير الفكر الوافد في الشعر التعليمى لا يعدو أن يكون هو التأثير ذاته الذى أثره في الخمريات وشعر اللهو والمجون ، والزهد ... الخ في هذا العصر ، وكل أولئك كان موجوداً في العصور السابقة لهذا العصر ، ولم يعْزُ أحدٌ ابتكارها وابتداعها للعصر العباسى ، مع ذلك فلا ينكر أحد أنها في هذا الوقت قد زيدت مساحتها ومدت الرقعة التى تشغلها ، وأنه أضيف إلى الصورة أشياء وألوان ، حتى لقد ينخدع كثيرون بأن كلّ ما هناك جديد مبتكر .. والشعر التعليمى لم يكن بدعاً في ذلك ؛ فهو قد تأثر بالعصر وظروفه وملابساته ، وبما كان يموج فيه من فكر وثقافة ومعرفة متعددة المصادر والينابيع .. ولقد بانت في هذا العصر ملامح وحدود كثير من العلوم ، واتّضحت معالم كثير من المعارف ، فأخذ الشعراء منذئذٍ يتناولون هذه

---

(١) رسائل ابن المعتز بتحقيق الدكتور خفاجى ص ٨٠ ـ ١٠٧ .

المعارف والفنون بالنظم شعراً ؛ فظن الظّانون أن المضمون ما دام جديداً ، أو شبه جديد - فلا بدّ أن يكون هذا الشكل الذى قدم فيه جديداً كذلك !..

والمسألة في نظرهم بدت على الصورة الآتية : إن كليلة ودمنه يمثل جانباً من الثقافة الجديدة الوافدة الدخيلة على الأدب العربى ، وقام أبان اللّاحقى الفارسىّ بما أوتى من مواهب وقدرات خاصة بنظم هذا الكتاب شعراً ، وأظهره للناس في تلك الصورة الساحرة الفاتنة ، فافتتن الناس بها إفتتاناً ... إذن ؛ فالشعر التعليمى الذىْ نظم به هذا الكتاب الوافد . وافد أيضاً ، أو من نتاج الثقافة الوافدة !..

وهذه النتيجة ليست صحيحــة !..

* * *

إلى هنا رأينا كيف اتخذ الشعر التعليمى صوراً متعددة وجديدة ... ومما نلحظه : أن الشعراء في هذا قد آثروا بحر الرجز المصرّع - غالباً وفي أكثر الأحوال خصوصاً في العصور التى تلت العصر العباسى - لأنه بزحافاته يسهل تشكيل الكلام ، ولأنه أخف وقعاً ، وأسهل حفظاً ، وأبقى في الذاكرة ... ولذا فإن السابقين قد التفتوا إلى أن الشعر بموسيقاه وإيقاعه ألطف وأوقع في النفس ، وأخف على السمع ، وأسرع رسوخاً في الذاكرة ، مع أن هذا اللون من النظم خالٍ من مقومات الشعر ، وهى العاطفة والخيال وروعة الاسلوب !..

القيمــة الفنِّيَــة للشعر التعليمى :

هذا اللون من الشعر من الناحية الفنية ليس على شىء ، وليس هو بأكثر من كلام موزون مقفى ، لأن الشعر في حقيقته إن هو إلاّ عاطفة جيّاشة ، وخيال مهوّم بديع ، وأسلوب جميل ، ولفظ أخاذ ، يضاف إلى ذلك الموسيقى والتوقيع ! ..

على أنه ينبغى إلاّ نندفع ونبالغ في التعميم ، فنردد أنّ الشعر التعليمى - على إطلاقه - إن هو إلاّ كلام موزون مقفى ... الخ .

إن هذا الكلام لا يصدق إلاّ في بعض ألوان الشعر التعليمى ، أو على القسم الذى أسموه « حقائق الفنون والعلوم والمعارف » .. على حين لا يكون الأمر كذلك - دائما - في الأقسام الأخرى من الشعر التعليمى ، خصوصاً النوع الذى يتناول التاريخ وأحداثه ، فقد يحور

ويتحول عند الشاعر المبدع ، والفنان البارع الموهوب إلى شعر قصصى (١) » آسر للقلوب كالذى رأيناه في رائعتى ابن المعتز اللتين وقفنا عندهما بقصد توكيد هذه الحقيقة !..

اعتراف بالجميـــل :

ومهما قيل في القيمة الفنية للشعر التعليمى ، فإننى أرى ـ من الانصاف ـ عدم تجريده من كلّ فضيلة ، ولا أرى إنكار أنه قد أدّى بعض المهمة التى أريد له أن يؤديها … ذلك أنه قد حفظ كثيراً من تراث هذه الأمة الدينى واللّغوى والعلمى خصوصاً في العصور المتأخرة التى شمل الضعف والتدهور كلّ جوانب الحياة فيها !!..

الأدب الإســـلامى

* ادخـال مادة الأدب الإسلامى بصفة عامة وأدب الدعوة بصفة خاصة في أقســام الدعوة والإعـلام وفي السنوات التمهيدية من الدراسات العليا واعداد الرسائل الجامعية التى تبرز هذا الأدب وتقعد له وتخرج الباحثين المختصين فيه ·

* أن يكون الأدب الإسلامى الذى نقدمه للطلاب في مراحل الدراسة جميعها وثيق الصلة ـ مادة ومعنى ـ بكتاب الله وحديث رسول الله وآثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان لما في ذلك من روعة بيانية · وعمق إيمانى وروح نابضة بالخير والبر وتغذية مستمرة لأدبنا الإسلامى المعاصر ·

(من توصيات مؤتمر حوار الأدب الإسلامى ومناهج دراسته · الذى عقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)

---

(١) انظر طه حسين في حديث الأربعاء جـ ٢٢٠/٢ وأحمد أمين في ظهر الإسلام جـ ٢٥٨/١ ·

بحث في صيغة "أفعل"

(بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية)

لفضيلة الدكتور مصطفى أحمد النماس
المدرس بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

مقدمــة :

الحمد لله رب العالمين خالق الألسن واللغات واضع الألفاظ للمعانى بحسب ما اقتضته حكمه البالغات وأصلى وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعثه رحمة للعالمين واصطفاه بلسان عربى مبين ، وجعل فصاحته في ربوة ذات قرار ومعين وبعد فقد جاءت صيغة أفعل في اللغة العربية متداولة في الاستعمال في أغراض شتى وأنواع متعددة فجاءت فعلا متعدد المعانى مما جعل العلماء يعنون به ويؤلفون فيه كتبا كثيرة تحمل هذا الاسم (فعلت وأفعلت) أو (فعل وأفعل) فألف فيه أبو زيد الأنصارى المتوفى سنة ٢١٦ هـ (وقيل سنة ٢١٤ ، ٢١٥) وأبو عبيدة المتوفى سنة ٢١١ هـ والأصمعى المتوفى سنة ٢١٥ هـ والفراء المتوفى سنة ٢٥٧ هـ وثعلب في فصيحه المتوفى سنة ٢٩١ هـ والزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ وأبو على القالى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ، (والآمدى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وكمال الدين بن الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ وابن مالك المتوفى

* هذه هى الحلقة الأولى من هذا البحث . سبقتها في النشر الحلقة الثانية بعدد المجلة رقم ٤٩ للسنة ١٣ بصفحة ٢٦٦ سهوا . فرأينا نشر الحلقة الأولى في هذا العدد . وتليها إن شاء الله الحلقة الثالثة ـ فإلى هذا نلفت انتباه القراء الكرام . والله الموفق . **(تحرير المجلة)** .

● (هذا البحث يجمع ما تفرق من أحكام السماع والقياس والشذوذ والندور وما إليها من الأحكام اللغوية لهذه الصيغة) .

سنة ٦٧٢ هـ وفي أدب الكاتب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٦٧ هـ فصل خاص به من شرح الجواليقى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وفي المخصص لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ فصل خاص به ، وقد عنى بصيغة أفعل في نهاية كل باب (الميدانى المتوفى سنة ٥١٨ هـ في كتابه مجمع الأمثال ومن ينعم النظر في هذه الكتب يلاحظ العناية بهذه الصيغة نظرا لما يستفاد منها من المعانى المتفرقة ، ويلاحظ أنها جاءت اسما وصفة وعلما واستعملت في تراكيب شتى كالتعجب وأفعل التفضيل . وربما بعض الأفعال أدى وظيفة خاصة به كأصبح وأمسى من أخوات كان وأعلم وأرى من أخوات ظن لكنهما ينصبان مفاعيل ثلاثة وبعض الأسماء والصفات له علاقة ببعض الأبواب في النحو كباب مالا ينصرف وباب الجموع لذا كرست جهدى في جمع حبات العقد المنفرط ليكون أمام القارئ فلا يحتاج الى إعمال فكر وكد ذهن وقد جعلت حديثى عن هذه الصيغة من ناحية فعليتها أولا واسميتها ثانيا ذاكرا ما يتعلق بها من أحكام متفرقة من السماع والقياس والشذوذ والندور وما اليها من الأحكام اللغوية لهذه الصيغة العربية والله أسأل أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم وأن يجنبنى الخطأ والزلل وأن يجعل لى من الفهم عنه وعن رسوله ما أبلغ به منازل الصديقين وأحشر في زمرة العلماء العاملين إنه سميع قريب مجيب الدعوات .

ومبلغ الرجاء أن يكون هذا البحث قد حقق ما قصدت إليه من تقريب تلك الآثار العلمية لاستعمال هذه الصيغة الى جمهرة اللغويين والمنتفعين كى يزدادوا باللغة العربية استمساكاً واعزازاً حتى تكون لساناً مبيناً لحضارة عصرهم كما كانت حضارة أسلافهم الزاهرة بلسان عربى مبين خاصة وأنها وعاء القرآن الكريم كلام رب العالمين .

صيغة (أفعل) بين العربية وأخواتها في السامية

جاءت هذه الصيغة مستعملة في اللغات السامية وقد لوحظ أن اللغات الحبشية والسريانية والنبطية والتدمرية واللهجات العربية القديمة كالصفوية واللحيانية والثمودية تعبر عن كثير من المعانى بوزن (أفعل) كاللغة العربية الحالية .

وتعبر بعض اللهجات الآرامية عن هذه المعانى بوزن (هفعل) وأيضا في اللهجتين العربيتين الجاهليتين وهما الثمودية واللحيانية ونجد أن صيغة (أفعل) كانت مستعملة في اللغة السبئية وبعض اللهجات الآرامية ... وكانت اللغات الأكّدية تعبر عن بعض المعانى التى

تستفاد من (أفعل) في العربية بصيغة أخرى تقترب منها هى شفعل المستخدم في اللغة السريانية بجانب وزن (أفعل) .

وكانت اللغات الحضرمية والقتبانية والاوسانية تعبر بصيغة هى (سفعل) غير أنه توجد آثار استخدام وزن (هفعل) في بعض اللهجات .

ويستدل من وجود هذه الصيغ المختلفة في اللغات السامية على أن تلك الصيغ (أفعل - هفعل - شفعل - سفعل) كانت مستخدمة جميعاً عند الجماعات السامية الأولى للدلالة على المعانى المختلفة . وأخذت بعض تلك الصيغ تضيع من الاستعمال في بعض اللهجات وتهمل لأسباب تتفق وطبيعة تلك الشعوب .

كما أخذت كل جماعة من الجماعات السامية تكتفى بصيغة واحدة من هذه الصيغ للدلالة على المعانى المختلفة التى تستفاد منها .

وقد بقيت بعض آثار الصيغ الأخرى في كثير من اللغات السامية لكى تدل على أن الصيغ المهملة كانت في القديم متداولة وشائعة بين الجماعات السامية الأولى . وتوجد فى اللغة العربية آثار لبعض الأوزان الأخرى . وقد فطن النحويون واللغويون العرب لذلك . فقد جاء فى كتاب المقتضب للمبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ : أرقت وهرقت وإياك وهياك (١) .

وجاء في كتاب الأفعال لابن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧ هـ ما يلى :

وهرقت الماء هرقاً . وأهرقته ويقال ان الهاء فى هرقت مبدلة من همزة فيكون حينئذ رباعياً مستقبله أربعة وقالوا أهريقه (٢) .

وجاء فى كتاب المنصف لابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ (وقد قيل إن الهاء فى هِجْرع وهو الطويل فالهاء زائدة كأنه من الجرع وهو المكان السهل المنقاد . وهو من معنى الطول . وكذلك هِبْلع وهو الأكول مأخوذ من البلع أما هُركولة وهو المرأة الجسيمة فذهب الخليل فيما حكاه عنه أبو الحسن إلى أن الهاء زائدة ووزنه هفعولة أخذه من الركل وهو الرفس بالرجل كأنها لثقلها تركل فى مشيتها أى ترفع رجلها وتضعها بقوة كالرفس (٣) .

وجاء فى شرح المفصل لابن يعيش المتوفى سنة٦٤٣ هـ ما يلى :

إعلم أنهم قالوا : أهراق فمن قال هراق فالهاء عنده بدلاً من همزة أراق على حد هردت أن أفعل فى أردت ونظائره (٤) .

---

(١) انظر المقتضب تحقيق العلامة الشيخ عضيمة ج ١ ص ٥٤ .
(٢) انظر الأفعال لابن القوطية ص ١٢
(٣) أنظر المنصف ص ٢٥
(٤) شرح المفصل ج ١٠ ص ٥

وجاء في شرح المفصل أيضا ما نصه :

ومن ذلك هات الشيء أى أعطينيه . وهو اسم لأعطينى وناولنى ونحوهما وهو مبنى لوقوعه موقع الأمر وكسر لالتقاء الساكنين (الالف والتاء) وكأنه من لفظ (هيت) ومعناه . وقال بعضهم هو من آتى يؤاتى والهاء فيه بدل من الهمزة ويعزى هذا القول إلى الخليل واستدل على ذلك بتصريفه ويلحقونه ضمير التثنية والجمع لقوة شبه الفعل به (١) .

وجاء في القاموس المحيط مادة (جزع)والهجزع كدرهم الجبان هفعل من الجزع كما جاء فيه أيضاً في مادة هزرف ... والهزرف كزنبور وعلابط وقرطاس الظليم السريع الخفيف وهزرف أسرع .

وجاء في كتاب المزهر للسيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

وهذه أمثلة من كتاب الإبدال ليعقوب بن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ) فمن إبدال الهمزة هاء أيا وهيا . وإياك وهياك . وأتمألّ السنام وأتمهلّ اذا انتصب . وأرحت دابتى وهرحتها وأبزت له (٢) وهبزت له وأرقت الماء وهرقته .

وبعد هذا العرض نلاحظ أن اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية كانت تستخدم في الزمن القديم الهمزة والهاء والسين والشين في أوائل الأفعال للدلالة على التعدية وبعض المعانى الأخرى التى سأذكرها فيما بعد ان شاء الله تعالى .

وقد فضلت اللغة العربية الهمزة بعد ذلك وأهملت الحروف الأخرى لأسباب تتفق مع طبيعتها اللغوية ... ولكن بعض آثار استعمال هذه الحروف مازال باقياً في بعض الأفعال والأسماء والصفات أو أن اللغة العربية تأثرت بأخواتها من السامية ... أما الهمزة في صيغة (أفعل) المزيدة فاستخدمت في اللغة العربية وفى لهجاتها القديمة والحديثة للدلالة على التعدية في الأكثر . وعلى التعريض للشيء وعلى الصيرورة كما دلت على وجود الشيء على صفته . ودلت على السلبية وجاءت أخيراً متضمنة معنى فعل الخ . وجاءت بعض الأفعال رافعة للاسم ناصبة للخبر وبعضها ناصبة لمفاعيل ثلاثة الخ .

الفصل الأول : ورود (أفعل) المستعمل فعلا

الفعل في اللغة العربية باعتبار التعدى واللزوم نوعان : لازم وهو القاصر الذى لا ينصب المفعول به بنفسه مباشرة بل يتعدى إليه بوسائل معروفة في باب « التعدى واللزوم » مثل جلس وقعد الخ . النوع الثانى المتعدى وهو الذى يتعدى إلى المفعول به بدون واسطة

---

(١) شرح المفصل جـ ٤ ص ٣٠

(٢) أبزلفة في هبز اذا مات فجأة ولم أجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أبز له وهبز له وفي الأمالى أبزت له وهبزت له فهو تصحيف .

فتارة يتعدى إلى مفعول واحد مثل الفعل « سمع » تقول سمع محمد الخبر . الفعل « قرأ » تقول : قرأ محمد القرآن . وتارة يتعدى الفعل الثلاثى إلى مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر كالفعل « كسا » تقول : كَسوت الفقير ثياباً . والفعل « أعطى » تقول : أعطيت الفقير مالاً . وقد ينصب الفعل الثلاثى مفعولين أصلهما المبتدأوالخبر كأفعال القلوب والرجحان واليقين في باب « ظن وأخواتها » هذا شأن الفعل الثلاثى . وقد تدخل الهمزة على هذا الفعل الثلاثى زائدة فتغير حاله وتنقل معنى الفعل إلى مفعوله ويصير بها الفاعل مفعولاً ولا تقتضى في الغالب تمهلاً ولا تكراراً . فإدخال الهمزة على أول الفعل الثلاثى تكسبه معنى النقل والتعدية وهذا هو المعنى الغالب لاستعمال صيغة (أفعل) .

معنى التعدية وأثرها

ومما يجدر ملاحظته أن التعدية في اللغة العربية نوعان : تعدية عامة وهى التى نشاهدها في الأفعال المتعدية بطبيعتها ولا تحتاج إلى واسطة تتعدى بها كالأفعال كسا . وأعطى . وقرأ . وأكل وما شاكلها فالتعدية في هذه الأفعال تعدية عامة .

النوع الثانى من التعدية التعدية الخاصة وهى التى نشاهدها في الأفعال التى تتعدى بالهمزة كثيراً ويجوز أن تتعدى بالباء فإدخال الهمزة على أول الفعل الثلاثى وهى همزة تنقل معنى الفعل إلى مفعوله ويصير الفاعل مفعولاً فما كان فاعلاً للفعل اللازم يصير مفعولاً لمعنى الجعل وهو في الوقت نفسه فاعل لأصل الحدث على ما كان عليه فهو وإن كان مفعولاً للجعل فاعل من ناحية المعنى قال الشاعر وهو أعشى باهلة :

فإن جزعنا فإن الشرَّ أجزعنا وإن صبرنا فإنا معشر صُبْر

فالفعل جزع لا يتعدى ولكنه بالهمزة التى للنقل صار متعدياً إلى مفعول هو فاعل الجعل من الناحية المعنوية . وتقول : ذهب محمدٌ . وأذهبت محمداً فمحمد مفعول به من أثر الهمزة التى للنقل وهو الفاعل للذهاب من ناحية المعنى ... وتقول : لبس محمدٌ الثياب وألبست محمداً الثياب فقد أثرت الهمزة في الفعل المتعدى إلى مفعول واحد وجعلته متعدياً إلى مفعولين أولهما مفعول الجعل . والثانى مفعول لأصل الفعل . ولكن الأول في رتبة مقدمة على الثانى لأن مرتبة المجعول مقدمة على مرتبة أصل الفعل قال سيبويه في الكتاب (١) « هذا باب فعلت وأفعلت في الفعل للمعنى تقول : دخل وخرج وجلس فإذا أخبرت أن غيره صيره إلى

---

(١) أنظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٣ .

شيء من هذا قلت : أخرجه ، وأدخله ، وأجلسه وتقول : فزع وأفزعته ، وخاف وأخفته ، وجال وأجلته ، وجاء وأجأته . فاكثر ما يكون على فعل (بتثليث العين) إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبنى الفعل منه على أفعلت ومن ذلك أيضا مكث (بضم العين) وأمكثته . وقد يجيء الشيء على فعلت (بتشديد العين) فيشرك أفعلت وذلك قولك فرح وفرحته وإن شئت قلت : أفرحته » انتهى كلام سيبويه .

- وقال الرضى في شرح الشّافية (١) : فاعلم أن المعنى الغالب في أفعل للتعدية تعدية ما كان ثلاثياً وهى أن يجعل ما كان فاعلاً للازم مفعول لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث على ما كان . فمعنى (أذهبت زيداً) جعلت زيداً ذاهباً فزيد مفعولاً لمعنى الجعل الذى استفيد من الهمزة . فاعل للذهاب كما كان في (ذهب زيد) فإن كان الفعل الثلاثى غير متعد صار بالهمزة متعدياً إلى واحد هو مفعول لمعنى الهمزة (أى الجعل والتصيير) كأذهبته ومنه أعظمته أى جعلته عظيماً باعتقادى بمعنى استعظمته . وإن كان متعديا إلى واحد صار بالهمزة متعدياً إلى اثنين أولهما مفعول الجعل . والثانى لأصل الفعل نحو أحفرت زيداً النهر أى جعلته حافراً له فالأول مجعول والثانى محفور ومرتبة المجعول مقدمة على مرتبة مفعول أصل الفعل لأن فيه معنى الفاعلية وإن كان الثلاثى متعدياً إلى اثنين صار بالهمزة متعدياً إلى ثلاثة أولهما للجعل والثانى والثالث لأصل الفعل وهو فعلان فقط : أعلم وأرى . وقد يجيء الثلاثى (٢) متعدياً ولازماً في معنى واحد نحو فَتَن الرجل أى صار مفتتناً وفتنته أى أدخلت فيه الفتنة . وحَزِن وحَزَنته أى أدخلت فيه الحزن ثم تقول : أفتنته وأحزنته فيهما لنقل فتن ، وحَزِن اللازمين لا المتعديين فأصل معنى أحزنته جعلته حزيناً كأذهبته وأخرجته وأصل معنى حزنته جعلت فيه الحزن وأدخلته فيه . ككَحَلته ودهنته أى جعلت فيه كحلاً ودهناً . والمغزى من أحزنته وحَزَنته شيء واحد . لأن من أدخلت فيه الحزن فقد جعلته حزيناً إلا أن الأول يفيد هذا المعنى على سبيل النقل والتصيير لمعنى فعل آخر وهو (حزن) دون الثانى .

وقولهم : أسرع وأبطأ في سَرُع وبَطُؤ ليس الهمزة فيهما للنقل بل الثلاثى والمزيد فيه معاً غير متعديين . لكن الفرق بينهما أن سَرُع وبطُؤ أبلغ لأنهما كأنهما غريزة كصغُر وكبر . انتهى كلام الرضى على الشافية .

وقال ابن هشام في المغنى « مبحث الأمور التى يتعدى بها الفعل القاصر : وهى سبعة أحدها همزة (أفعل) نحو أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا . ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين . والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا . وقد ينقل المتعدى

---

(١) أنظر الشافية جـ ١ ص ٨٦

(٢) أنظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٤ والشافية جـ ١ ص ٨٧ . والأشمونى جـ ٢ ص ١٢٥ تحقيق محيى الدين

إلى واحد بالهمزة إلى التعدى إلى اثنين نحو : ألبست زيداً أثواباً ولم ينقل متعد إلى اثنين بالهمزة إلى التعدى إلى ثلاثة إلا في رأى وعلم وقاسه الأخفش في أخواتهما الثلاثة القلبية نحو ظن وحسب وزعم وقيل النقل بالهمزة كله سماعى وقيل قياسى في القاصر والمتعدى إلى واحد والحق أنه قياسى في القاصر سماعى في غيره وهو ظاهر مذهب سيبويه » فابن هشام يرى فيه ثلاثة أقوال : قول يقول إنه التعدية بالهمزة سماعى مطلقاً أى في المتعدى إلى واحد وإلى اثنين وفي القاصر .

والقول الثانى يقول بقياسية التعدى بالهمزة في القاصر وفي المتعدى لواحد فقط . والقول الثالث يقول إن التعدية بالهمزة قياسي في القاصر فقط سماعى في غيره سواء كان متعدياً إلى واحد أو إلى اثنين فيسوغ لك أن تبنى على أفعلته للتعدية من الفعل القاصر من غير أن ينكر عليك أحد ذلك وإن لم تكن سمعت تعديته بالهمزة عن العرب وقال سيبويه (١) في مباحث (فعّلت) بالتضعيف هذا باب دخول فعّلت بتضعيف العين على فَعَلت لا يشركه في ذلك (أفعلت) تقول كسرتها وقطعتها فإذا أردت كثرة العمل قلت : كسّرته وقطّعته ومزّقته ومما يدلك على ذلك قولهم : علطت البعير وإبل معلطة وبعير معلوط وجرَحته وجرّحته (بتضعيف العين) أكثرت الجراحات في جسده .

ومن شواهد القرآن لأفعل التى للتعدية قوله تعالى : « أذهبتم طيباتكم » وقوله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » وقوله تعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتا » وقوله تعالى : « ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً » (٢) .

وقوله تعالى : « فأزلهما الشيطان عنها » الهمزة للتعدية والمعنى حملهما على أن زلا وهذا قول أبى حيان في البحر المحيط (٣) .

وقوله تعالى : « وأغرقنا آل فرعون » الهمزة للتعدية (٤) ويعدى بالتضعيف أيضا وقوله تعالى : « وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن » قال أبو حيان : الاتمام الاكمال والهمزة فيه للنقل (٥) وقوله تعالى : « وما أنتم بمعجزين » قال أبو حيان : في أعجز للتعدية كما قال ولن نعجزه هربا لكنه كثر فيه حذف المفعول (البحر جـ ٥ ص ١٦٩) .

وقد يجىء الثلاثى والمزيد فيه بالهمزة لازمين نحو أسرع وسرع وأبطأ وبطؤ والفرق بينهما أن سرْع وبطُؤ أبلغ كأنهما غريزة كصغر وكبر وجعل منه أبو حيان قوله تعالى : « فاذا

---

(١) أنظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٧

(٢) أنظر المغنى لابن هشام ص ١٥٠ جـ ٢ مبحث الأمور التى يصير الفعل اللازم بها متعدياً .

(٣) أنظر البحر المحيط جـ ١ ص ١٦٠

(٤) البحر المحيط جـ ١ ص ١٩٨ .

(٥) أنظر البحر المحيط جـ ١ ص ٣٧٢ .

أفضتم من عرفات » فالفعل فاض وأفاض بمعنى واحد (وانظر البحر المحيط جـ ٢ ص ٨٣) .

همزة أفعل قد تكون للتعدية فقط ولا تفيد غيره : وقد صرح المالقى المتوفى سنة ٧٠٢ هـ (١) في كتابه رصف المبانى بما يبين أن صيغة (أفعل تستعمل أحياناً للتعدية فقط على وجه خاص قال الموضع الثامن أن تكون للتعدية خاصة إذا كان الفعل ثلاثياً لا يتعدى لو نطق به فتقدر أن الهمزة فيه زائدة كقولك : (ألقيت ما في يدى) وقال تعالى : « وألق ما في يمينك » (٢) .

وقال الشـاعر : (٣)

فألقت عَصَاهَا واستقرَّ بها النَّوى (كما قَرَّ عينا بالإياب المسافرْ)

كان الأصل في هذا الفعل أن يقال فيه : « لقيت ما في يمينى » . إلا أنه لم ينطق به إ لا بالهمزة . وحكمنا أن الهمزة زائدة لأنه من اللقاء فالأصل اللام والقاف والياء فعلمنا بذلك أنه لا معنى لدخول الهمزة وزيادتها إلا تعدية الفعل الثلاثى الذى لم يستعمل النطق به وحده للمفعول . وهذه الهمزة تعدى مالا يتعدى إلى واحد نحو ما ذكر وما يتعدى إلى واحد إلى اثنين نحو : ألفيت زيداً قائماً ومنه (قـوله) :

فألـفيتـه غير مستـعتـب ولا ذاكر الله إلا قـليلا (٤)

وما يتعدى الى اثنين إلى ثلاثة كقولك أعلمت زيداً عمراً قائماً ومنه :

أنبئت عمراً غير شاكرِ نعْمَتى (والكفر مَخْبثةٌ لنفسِ المُنعِمِ) (٥)

ثم انتقل إلى همزة (أفعـل) التى لم تستعمل إلا لنقل الفعل من مادة الثلاثية الى مادة الرباعية خاصة قال :

الموضع التاسع : أن تكون للنقل خاصة ومعنى ذلك أنها تنقل الفعل من الثلاثى الى الرباعى فإن كان متعدياً في أصله بقى كذلك بعد النقل فالهمزة لا تفيد فيه شيئاً سوى النقل خاصة . وقد ينطق بثلاثية وقد لا ينطق نحو : أشكل الأمر فهذا لا ينطق بثلاثية . في

---

(١) أنظر رصف المبانى في شرح حروف المعانى للمالقى ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ وتحقيق الخراط .

(٢) سورة طه ٦٩ .

(٣) قال في اللسان : مادة (عصا) نسب الى معقر بن حمار أو عبد ربه السلمى أو سليم من ثمامة وجاء في القرطبى ص ١٤٧٤ .

(٤) البيت لأبى الأسود الدؤلى وهو في ديوانه / ١٢٣ . والكتاب جـ ١ ص ١٦٩ وثعلب / ١٢٣ واللسان (عتب) والانصاف ص ٦٥٩ . وابن يعيش جـ ٩ ص ٣٥٤ .

(٥) البيت لعنترة وهو في ديوانه ص ٢١٤ وفي حماسة البحترى / ١١٠ . أنظر المرجع السابق ص ٥٠ .

القاموس وأشكل الأمر التبس وشكَل وإن كان الأصل من حيث أن حروفه أصول ووزن أشكل (أفعل) فالهمزة زائدة لمجرد النقل وتقول لاح البرق ، وألاح فهذا ينطق بثلاثية قبل الهمزة وهو غير متعد ، وتدخل الهمزة عليه فيبقى كذلك فيعلم أن الهمزة لا معنى لها فيه إلا مجرد النقل خاصة .

وسواء كان الفعل غير متعد كما ذكر أو متعدياً كقوله : وقفت الدابة وأوقفتها ومهرت المرأة وأمهرتها ، وسقيته وأسقيته فهذا يستعمل بغير الهمزة متعدياً وبالهمزة كذلك فعلم أن الهمزة ليس لها معنى إلا مجرد النقل خاصة قال الله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده » .

وقال الشاعر (١) :

سريت بهم حتى يكِلّ مطيُّهمْ وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

وقال آخر : (٢)

سقى قومى بنى بكر وأسقى نميرا والقبائل من هلال

ثم ذكر بعد ذلك أن الهمزة في صيغة (أفعل) تفيد التعدية والنقل معاً قال : (٣) .

الموضع العاشر : أن تكون للتعدية والنقل معا وذلك أكثر من أن يحصى وذلك اذا كان الفعل في أصله ثلاثياً لا يتعدى فيصير بالهمزة رباعيا يتعدى ويكون متعدياً إلى واحد فيصير إلى اثنين . ويكون إلى اثنين فيصير إلى ثلاثة وذلك نحو قام زيد . وأقمت زيداً وكرم زيد ، وأكرمته وعطى زيد الكأس . وأعطيتها عمراً . وعلمت زيداً منطلقاً . وأعلمت عمرا زيدا منطلقا قال الله تعالى : « وأترفناهم في الحياة الدنيا » والأصل : ترفوا . وقال تعالى : «فأتبعنا بعضهم بعضاً » والأصل تبع بعضهم بعضا وعليه فمن تبع هداى » وقال الشاعر : (٤)

فأتبعتهم طرفي وقد حال دونهم غوارِبُ رملٍ ذى ألاءٍ وشِبْرِق

---

(١) البيت لامرئ القيس ديوانه ص ٩٣ . الكتاب ص ٤٨٩ ومعانى القرآن جـ ١ ص ١٣٣ واللسان (مطـا) وابن يعيش جـ ٥ ص ٧٩ والمغنى والأشمونى وشواهد المغنى ص ٣٧٤ .

(٢) البيت للبيد ديوان ص ٩٣ . ونوادر أبى زيد ص ٢١٣ . واللسان (مجـد) والخصائص جـ ١ ص ٣٧٠ باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا .

(٣) أنظر المرجع السابق ص ١٥١ .

(٤) البيت لامرئ القيس ديوان ص ١٦٩ . وطرفي عينى . غوارب الرمل : أوائله . الالأ : الشجر وكذلك الشبرق .

وقال آخر : (١)

فأتبعتهم فيلقا كالسرا ب جاءوا تتبع شخبا ثعولا

فجمع بينهما .

واعلم أن هذه الهمزة تقوم مقام الباء في التعدية ولا تجمع معها ويجرى مجراها التضعيف الخ ... قال أحمد فارس في الجاسوس على القاموس نجز حاجته بالفتح ينجزها بالضم نجزاً قضاها يقال أنجز حر ما وعد . ونجز الوعد فيكون نجز لازماً ومتعدياً وقد استطردته هنا لبيان أن العرب تعدى بالهمزة ما يتعدى بنفسه كما تقدم ومثل فاظ فإنه لازم ومتعد ثم تقول أفاظه . ومثله نشر الموتى نشوراً حيوا ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى ثم يعدى بالهمزة أيضاً فيقال أنشرهم الله . ومثله حسر البعير أى أعيا وحسرته أنا وأحسرته . وساغ الشراب وسغته وأسغته وهدر الدم وهدرته وأهدرته .

٢ ـ المعنى الثانى من معانى (أفعل) الصيرورة أى تكون لصيرورة ما هو فاعل (أفعل) صاحب شىء وهو على وجهين : إمّا أن يصير صاحب ما اشتق منه نحو ألحم فلان أى صار ذا لحم وأطفلت المرأة أى صارت ذا طفل . وأعسر وأيسر وأقل أى صار ذا عسر ويسر وقلة . وأغد البعير أى صار ذا غدة (٢) وأراب أى صار ذا ريبة . وكأن (أفعل) هنا تفيد النسب بمعنى ذى كذا قال ابن قتيبة : أجرب الرجل وانحز وأحال صار صاحب جرب ونحار وحيال في ماله . وإما أن يصير صاحب شىء هو صاحب ما اشتق منه نحو : أجرب الرجل أى صار ذا ابل ذات جرب . وأقطف صار صاحب خيل تقطف (أى أساءت السير وأبطأت) وأخبث أى صار ذا أصحاب خبثاء (٣) .

ومن القسم الأول أحصد الزرع أى صار ذا حصاد وبعضهم جعل هذا قسماً آخر فقال يجىء (أفعل) بمعنى حان وقت يستحق فيه فاعل (أفعل) أن يوقع عليه أصل الفعل مثل أحصد الزرع . وأجدّ النخل أى حان له أى يجد (أى يقطع ثمره) . وأقطع النخل (حان قطاعه) . (٤) .

---

(١) البيت لزهير ديوانه ص ٢٠١ . والفيلق : الكتيبة وشبهها بالشراب اللون الجديد : جأواء علاها لون الصدأ والحديد الشخب خروج اللبن من ضرع الناقة .

(٢) الغده عقدة بها شحم .

(٣) أنظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٥ والشافية جـ ١ ص ٨٨ .

(٤) أنظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٦ والشافية جـ ١ ص ٨٩ . وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٧٥ قال : أركب المهر حان ان يركب . وأحصد الزرع حان أن يحصد . وأقطف الكرم حان أن يقطف وكذلك يقال أقطف القوم حان أن يقطفوا كرومهم . وأجزوا وأوجدوا وأغلو كذلك وانتجت النخيل حان نتاجها .

ومن هذا النوع أى صيرورته كذا . دخول الفاعل في الوقت المشتق منه (أفعل) أصبح (وأمسى) وأفجر . وأشهر . أى دخل في الصباح والمساء والفجر والشهر وكذلك أضحى أى دخل في الضحى .

ملحوظة : الأفعال : أمسى . أصبح . أضحى قد تستعمل ناقصة أى تدل على حدث ناقص (معنى مجرد ناقص) لأن إسناده إلى مرفوعه لا يفيد الفائدة الأساسية المطلوبة من الجملة الفعلية إلا بعد مجيء الاسم المنصوب . فالاسم المطلوب المنصوب (الخبر) هو الذى يتمم المعنى الأساسى المراد . ويحقق الفائدة الأصلية للجملة وهذا يخالف الأفعال التامة فان المعنى الأساسى يتم بمرفوعها الفاعل أو نائب الفاعل فالفعل (أصبح) مع اسمه يدل على مجرد دخوله في وقت الصباح وليس هذا هو المقصود من الناقصة فاذا جاء الخبر كان كفيلا بتحقيق المراد ...

وليس السبب في تسميتها ناقصة أنها تتجرد للزمان وحده ولا تدل معه على حدث (معنى) كما يقول بعض النحاة وقد أشار الى ذلك بايجاز طيب ومنطق مقبول سليم الأمير على المغنى في الباب الثالث (١) ...

فاذا استعملنا الأفعال الاخيرة بمعنى النقصان فلها احكام تخصها في باب كان وأخواتها فهى تفيد مع معمولها اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافاً يتحقق مساء في أمسى ويتحقق صباحاً في أصبح ويتحقق في وقت الضحى من أضحى .

هذا وقد وردت أصبح وأمسى زائدتين في كلام عربى قديم نصه :

(الدنيا ما أصبح أبردها . وما أمسى أدفأها) وهذا لا يقاس عليه .

وقد جاء أفعل بمعنى الدخول في القرآن الكريم ومن شواهد ذلك قوله تعالى :« فأتبعوهم مشرقين » أى داخلين في وقت الشروق فهى كأصبح إذا دخل في وقت الصباح . وقال أبو عبيدة المتوفى سنة ٢١١ هـ فاتبعوهم نحو الشرق فهو كأنجد إذا قصد نجداً (٢) .

ومنه قوله تعالى : « إذ تصعدون ولا تلوون » الهمزة في أصعد للدخول أى دخلتم في الصعيد وذهبتم فيه كما تقول أصبح زيد إذا دخل في الصباح فالمعنى إذ تذهبون في الأرض (٣) .

---

(١) أنظر المغنى جـ ٢ الباب الثالث عند الكلام على تعلق الظرف والجار والمجرور بالفعل الناقص .

(٢) انظر البحر المحيط جـ ٧ ص ٩٧ .

(٣) أنظر البحر المحيط جـ ٣ ص ٨٣ .

ومنه قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » أى داخلون في الظلام كما تقول أعتمنا وأسحرنا أى دخلنا في العتمة والسحر(١) .

ومنه قوله تعالى : « فالتقمه الحوت وهو مليم » أى آت بما يلام عليه يقال ألام فلان إذا فعل ما يلام عليه وفي البيضاوى وهو مليم أى داخل في الملامة يعنى بناء أفعل للدخول في الشىء نحو أحرم إذا دخل في الحرم (٢) .

ومنه قوله تعالى : « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » من أعصرت أى دخلت في حين العصر فحان لها أن تعصر (٣) .

المعنى الثالث (لأفعل) التعريض فتفيد الهمزة أنك جعلت ما كان مفعولاً معرضاً لأن يقع عليه الحدث سواء صار مفعولاً له أم لا .

تقول : أقتلته أى عرضته لأن يكون مقتولا ... قتل أولا . وأبعت الفرس أى عرضته للبيع وأسقيته أى جعلت له ماء وسقياً شرب او لم يشرب واقبرته أى جعلت له قبراً . قبر أو لا وقبرته ودفنته . وأشفيته عرضته للشفاء (٤) وفي كتاب فعلت وأفعلت للزجاج وقال النحويون أبعته عرضته للبيع وأنشدوا .

وَرَضِيت آلاءِ الكميتِ فمن يُبِعْ فرساً فليس جوادُنا بُمباع

قالوا معناه يعرض للبيع ومعنى آلاء الكميت نعم الكميت جعل نجاءه به من المهالك نعما (٥) .

المعنى الرابع (لأفعل) السلب أى أنك تسلب عن مفعوله ما اشتق منه نحو أشكيته أى أزلت شكواه وأعجمت الكتاب أى أزلت عجمته وقد يكون لسلب الفعل عن الفاعل إذا كان لازماً كقولهم : أقسط أى أزال عنه القسط وهو الجور ويحتمل هذا المعنى قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » مضارع أخفى بمعنى ستر والهمزة للإزالة أى أزلت الخفاء وهو الظهور (٦) وإذا أزلت الظهور صار للستر كقوله أعجمت الكتاب أزلت عنه العجمة بوضع النقط

---

(١) انظر البحر جـ٧ ص ٣٣٥ .

(٢) انظر حاشية الجمل جـ ٣ ص ٥٤٨ .

(٣) أنظر البحر جـ ٨ ص ٤١١ .

(٤) أنظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٥ ، والشافية جـ ١ ص ٨٨ .

(٥) انظر شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٣١٣ وأدب الكاتب لا بن قتيبة ص ٤٧٢ .

(٦) الخفاء من الأضداد يقال خفيت الشيء ، اذ أظهرته .

والحركات وقال أبو على هذا باب السلب ومعناه أزيل عنها خفاءها وهو سترها (١) قال أحمد تيمور في رسالة السماع والقياس أفعل الذى همزته للسلب مثل شكى فأشكيته أى أزلت شكواه وجاء بعكسه . أحمأت البئر . في القاموس أحمأت البئر ألقيت فيها الحمأة (الطين الأسود) وحمأتها كمنعتها نزعت حمأتها (*) .

المعنى الخامس (لأفعل) أنه يأتى لوجود مفعوله على صفة وهى كونه فاعلاً لأصل الفعل نحو أكرمت فاربط أى وجدت فرساً كريماً وأسمنت أى وجدت سميناً وأبخلته أى وجدته بخيلا . أو كونه مفعولاً لأصل الفعل نحو أحمدته أى وجدته محموداً (٢) .

وجاء هذا المعنى في القرآن الكريم قال تعالى : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » معنى أغفلنا قلبه وجدناه غافلاً (٣) .

وقال عمرو بن معديكرب لمجاشع السلمى (٤) ـ لله دركم يابنى سليم قاتلناكم فما أجبناكم (أى فما وجدناكم جبناء) . وسألناكم فما أبخلناكم (أى ما وجدناكم بخلاء) . وهاجيناكم فما أفحمناكم (أى فما أسكتناكم) » .

وجاء في الشعر قوله : (٥)

لا يُصعب الأمرُ إلا ريث يركبه وكل شىء سوى الفحشاء يأتمر

ومعناه لا يصعب الأمر لا يجده صعبا كقولهم أبخلته وجدته بخيلا فهو لا يجد الأمر صعباً إلا وقت ركوبه .

وقد عقد الجواليقى بابا خاصا بأفعلت الشىء أى وجدته على صفته وقال ابن جنى في الخصائص جـ ٣ ص ٢٥٣ : واذكر يوماً وقد خطر لى خاطر مما نحن بسبيله فقلت : لو أقام إنسان على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلا بهذا الموضع لما كان مغبونا فيه ولا منتقص الحظ ولا السعادة به وذلك قول الله عز اسمه : « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » ولن يخلو (أغفلنا) هنا من أن يكون من باب أفعلت

---

(١) انظر البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٣٢ والعكبرى جـ ٢ ص ٦٣ .
(٢) انظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٦ والشافية جـ ١ ص ٩٠ .
(٣) انظر البحر المحيط جـ ٦ ص ١١٩ . وأمالى الشجرى جـ ١ ص ١٤٩ .
(٤) انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٧٣ .
(٥) انظر أمالى ابن الشجرى جـ ١ ص ٢٢٦ وشرح أدب الكاتب ص ٣١٣ .
(*) انظر رسالة أحمد تيمور باشا في السماع والقياس ص ٦٩ موجود بمكتبة الجامعة الاسلامية العامة .

الشيء أى صادفته ووفقته كذلك كقوله : « وأهْيج الخلْصاء من ذات البْرق » (١) أى صادفها هائجة النبات وقوله : «فمضى وأخلف من قُتيلة موعداً (٢) » أى صادفه مخلفاً

وقـولـه : (٣)

أصـم دعاء عازلـتى تـحـجّى بآخرنا وتـنـسى أولـينـا

وقولـه : (٤)

فأصـمـت عـمراً وأعـمـيتـه عن الجود والمجد يوم الفخار

أى صادفته أعمى : وحكى الكسائى : دخلت بلدة فأعمرتها أى وجدتها عامرة ودخلت بلدة فأخربتها أى وجدتها خرابا ونحو ذلك .

ثم يعقب ابن جنى بعد هذا بقليل بقوله : وإذا صح هذا الموضع ثبت به لنا أصل شريف يعرفه من يعرفه ولولا ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس ودربة الفكر لكان هذا الموضع ونحوه مجوزاً عليه غير مأبوه له .

وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب (٥) باب أفعلت الشيء وجدته كذلك أتيت فلانا فأحمدته وأذممته وأخلفته أى وجدته محموداً ومذموماً ومخلافاً للوعد . وأتيت فلاناً فأبخلته وأجبنته وأحمقته وأنوكته وأهوجته إذا وجدته كذلك وأقهرته إذا وجدته مقهوراً .

وأنشد : تمنّى حصينٌ أنْ يسود جذاعه فأمسى حصـين قد أذَلَّ وأقْهرا الـخ

المعنى السادس المستفاد من صيغة (أفعل) للدعاء نحو أسقيته أى دعوت له بالسقيا والأكثر إذاً في استعمال الدعاء فعلّ نحو جدّعه وعقّره أى قال جدعه وعقره فهو دعاء عليه .

المعنى السابع المستفاد من (أفعل) الإعانة كأحلبت فلاناً وأرعيته أى أعنته على الحلب والرعى (٦) .

المعنى الثامن المستفاد من أفعل المطاوعة (لفعّل) كفطرته فأفطر وبشرته فأبشر (٧) وقد يكون مطاوعاً (لفعل) المتعدي بغير تشديد العين ـ فيكون أفعل لازماً بالهمزة وبغير

---

(١) لرؤبة من أرجوزته التى أولها : وقاتم الأعماق خاوى المخترق والحديث عن حمار الوحش والخلصاء . والبرق جمع البرقه وهى مكان فيه حجارة ورمل .

(٢) للأعشى من قصيدته التى هذا البيت مطلعها وصدره : اثوى وقصر ليله ليزودا .

(٣) لابن احمر وقوله « تحجىّ باخرنا » أى تسبق اليهم باللوم .

(٤) لم أعثر على نسبته وذكره ابن قتيبة في المعانى الكبير ص ٥٢١ .

(٥) انظر أدب الكاتب ص ٤٧٢ .

(٦) انظر اللمع جـ ٢ ص ١٦١ .

(٧) انظر سيبويه جـ ٢ ص ٢٣٥ والشافية جـ ١ ص ٨٩ .

الهمزة يكون متعدياً مثل عرضت الشيء أى أظهرته فأعرض أى ظهر . وكبه الله على وجهه فأكب . وقد ذكر السيوطى في الأشباه والنظائر جملة منها (١) وكذلك الفيومى في خاتمة المصباح .

وجاء أيضا بعضها في المزهر (٢) قال السيوطى : ليس في كلامهم (أفعل الشىء) وفعلته إلا أكب وكببته . وأقشعت الغيوم وقشعتها الريح . وأنسل الريش والوبر ونسلتهما وأنزفت البئر ونزفتها . وأشنق البعير رفع رأسه وشنقته بزمامه .

ومنه قوله تعالى : « أفمن يمشى مُكِبًا على وجهه أهدى » قال أبو حيان (٣) من أكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى : « فكبت وجوههم في النار » والحديث « وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » فقال يكب بالفتح . وقد عقد لها ابن جنى باباً في الخصائص (٤) قال هذا هو الحديث أن تنقل بالهمز فيحدث النقل تعدياً لم يكن قبله . غير أن ضرباً من اللغة جاءت فيه هذه القضية معكوسة مخالفة فتجد (فعل) فيها متعدياً و (أفعل) غير متعد وذلك قولهم : أجفل الظليم وجفلته الريح . وأشنق البعير إذا رفع رأسه وشنقته وأنزف البئر إذا ذهب ماؤها ونزفتها . وأقشع الغيم وقشعته الريح . وانسل ريش الطائر ونسلته وأمرت الناقة إذا در لبنها ومريتها (أى مسحت ضرعها لتدر) ونحو من ذلك ألوت الناقة بذنبها . ولوت ذنبها . وصرّ الفرس أذنه . وأصر بأذنه (٥) وكبه الله على وجهه وأكب هو . وعلوت الوسادة وأعليت عنها . فهذا نقض عادة الاستعمال لأن فعلت فيه متعد وأفعلت غير متعد وعلة ذلك عندى أنه جعل تعدى (فعلت) وجمود (أفعلت) كالعوض (لفعلت)من غلبة (أفعلت) لها التعدى نحو جلس وأجلسته .

وقال العلامة أحمد تيمور باشا في رسالة السماع والقياس ص ٦٩ أفعل الذى همزته للتعدية : دخول هذه الهمزة على بعض أفعال وجعلها لها لازمة انظر مادة (حجم) في اللسان . وانظر فائدة في ذلك في آخر نسخة السعد على التصريف العزّى ص ١٢٧ ــ ١٣١ . وانظر ضرّه وأضرّ به في القاموس . وانظر باب نقض العادة في الخصائص جـ ٢ ص ٣٢ وانظر فقه اللغة للصاحبى

---

(١) انظر الأشباه جـ ١ ص ٣١٢ وانظر الخصائص جـ ٣ ص ٢٥٣ . ص ٢٥٤ باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية .

(٢) انظر المزهر جـ ٢ ص ٨٢ .

(٣) انظر البحر المحيط جـ ٨ ص ٣٠٣ .

(٤) انظر الخصائص جـ ٢ ص ٢١٥ باب في نقض العادة . وانظر الأشباه جـ ١ ص ٣٣٨ .

(٥) أى سوى أذنه ونصبها للاستماع وذلك إذا جد في السير .

ص ٦٩ ، مادة جفل من المصباح (جفلته فأجفل على العكس من المشهور) وله نظائر تأتى في الخاتمة أى في الفصل الذى أورده في الثلاثى اللازم وتعديته وهو ثالث فصل في الخاتمة . وفي مادة (قشـع) منه (قشعته فأقشع) من النوادر وفي كببته فأكب . وهمع الهوامع جـ ٢ ص ٨١ ذكر كببته فأكب وأقشع الغيم وأنسل الطائر . وقد يكون عكس ذلك قال ابن قتيبة ص ٤٨٣ باب أفعلته ففعل تقول ادخلته فدخل . وأخرجته فخرج . وأجلسته فجلس . وأفزعته ففزع وأخفته فخاف . وأجلته فجال . وأمكثته فمكث هذا القياس وقد جاء في هذا انفعل وافتعل قال الكميت : ولا يدى في حميت السكن تندخل

وقال آخر :

وأبى الذى ورد الكلاب مسوماً   بالخيل تحت عجاجها المنجال

والقياس تدخل والجائل .

أفعل بمعنى فعل عند أهل اللغة

ويجىء أفعل بمعنى فعل كثيراً في اللغة والأصل اختلاف معنييهما وقد ألفت كتب كثيرة تحمل هذا الاسم فعلت وأفعلت . أو فعل وأفعل والكتب التى تناولت هاتين الصيغتين من الفعل الواحد حين تتفقان في المعنى أو تختلفان أو لا يرد للعرب إلا إحداهما وأول من ألف في هذه الصيغة الخاصة من الأفعال قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ثم أبو عبيدة سنة ٢١٠ هـ . والأصمعى سنة ٢١٣ هـ وأبو زيد الأنصارى سنة ٢١٥ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٤ هـ وورد في أبواب من الغريب المصنف وقد خص أبو عبيد هاتين الصيغيتين بالابواب الأولى مما خصصه للأفعال وعالجهما حين يتفق معناهما أو يختلف . أو يختلفان في التعدى واللزوم وقد تأثر به ابن قتيبة في ذلك إلا أنه أحسن تصنيفهما وتوسع ابن السكيت أيضا وعنى بموقف العامة .

ثم عالج أبو عبيد صيغة (أفعـل) وحدها وألف فيها أيضاً أبو محمد عبد الله بن محمد التوزى سنة ٢٣٣ هـ ويعقوب السكيت ت سنة ٢٤٦ هـ وقد أفرد بابين من إصلاح المنطق لخلط العامة بين هاتين الصيغتين (١) . وأبو حاتم سهل بن محمد السجستانى ت سنة ٢٥٥ هـ تقريباً . وأبو العباس الأحول تلميذ ابن الاعرابى . وخصص له ابن قتيبه ت سنة ٢٧٦ هـ أبواباً من كتاب الأبنية في أدب الكاتب . وألف فيه من أهل القرن الرابع الزجاج سنة

---

(١) انظر إصلاح المنطق ص ٢٥١ . ص ٢٥٣ ، ٣١١ .

٣١١ هـ وابن دريد سنة ٣٢١ هـ وابن درستويه سنة ٣٤٧ هـ وأبو على القالى سنة ٣٥٦ هـ وأبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية سنة ٣٦٧ هـ ثم ألف فيه أبو البركات بن الأنبارى سنة ٥٧٧ هـ ثم القاسم بن القاسم الواسطى سنة ٦٢٦ هـ كما ألف فيها ايضا ابن سيده في كتابه المخصص فقد عقد أبواباً في السفر الخامس عشر وقد شغل ١٣٣ صفحة تقريباً وابن القطاع سنة ٥١٥ هـ في كتاب الأفعال وقد تعهدها أبو عثمان سعيد بن محمد المعافرى السرقسطى ت سنة ٤٥٥ هـ في كتابه الأفعال الذى عنى بفعل وأفعل في أول كل باب ·

فمن ذلك ما رواه أبو زيد الأنصارى في النوادر قال : وأمهرت وأصدقت واحد قال أبو الحسن أخبرنى أبو العباس محمد بن يزيد قال ومهرت المرأة هى المشهورة الفصيحة وأمهرت لغة وليست في جودة الاولى وأنشدنا قال أنشدنى المازنى عن الرياحى لقحيف العقيلى ·

أخِذْنَ اغتصابا خِطبة عجرفية　　وأمهرن أرماحاً من الخط ذُبّلا

قال وكذلك زففت المرأة هى اللغة الجيدة وأزففت لغة وقال في ص ٢١٢ ـ ٢١٣ :

وقالوا بقرة فارض من بقر فوارض وهى السمينة وبقرة عوان من بقر عون وهى التى نتجت بعد بطنها البكر ويقال أعوان بقرتكم أم بكر ؟ يقول أنتجتموها بعد البطن الأول شيئاً قال أبو الحسن هكذا قال أنتجتموها وهو صواب صحيح والمحكى من غيره وهو الشائع نتجت الناقة فهى منتوجه قال الأصمعى ولا يخبر عنها بفعل البتة إلا أن تضع هى وحدها فتعانى ذلك من نفسها فيقال خلت فأنتجت قال وإلا فالمسموع نتجت الناقة ونتجها أهلها وقوله أنتجت يجوز أن يكون في معنى نتجت (١) ويجوز أن يكون جعلت لها نتاجاً فقط قالوا في أسقاه الله أنه في معنى سقاه الله وأنشدوا قول البيد :

سقى قومى بني نجد وأسقى　　نميراً والقبائل من هلال

وقال الأصمعى هما يفترقان وهذا الذى أذهب اليه قال معنى سقيته أعطيته ماء لشفته ومعنى أسقيته جعلت له ماء يشربه . أو عرضته لذلك . أو دعوت له كل هذا يحتمل هذا للفظ وأنشد قول ذى الرمة(*)

وقفت على ربع لمية ناقتى　　فما زلت أبكى عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه　　تكلمنى أحجاره وملاعبه

---

(١) بفتح النون من نتجت ·
(*) انظر كتاب النوادر لأبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى ص ٢٠٨ ·

قال أسقيه أدعو له بالسقيا وهذا أشبه بكلام العرب وقال ابن الأعرابى أسقيه من دمعى وهذا غير بعيد من ذلك المعنى أى أجعله له سقيا من دمعى على سبيل الاغراق والإفراط ٠

وقال ابن القطاع (١) وسقيتك شرابا سقيا وأسقيتك والله تعالى عباده وأرضه كذلك ويقال سقاه لشفته وأسقاه لماشيته وأرضه . وسقاه جلداً أعطاه إياه يتخذه سقاء عن الأصمعى ٠

وقد ذكر ابن القطاع (٢) باباً لما جاء على أفعل وفعل والمعنى متفق قال في مادة (رمل) رملت الحصير رملاً . وأرملت نسجته ورمل في السير رملاً أسرع . وأرمل القوم فنى زادهم والمرأة صارت أرملة ٠

وفي مادة ركس : ركس الله العدو ركساً وأركسه رده وقلبه على رأسه وقرئ بهما ٠

وفي مادة رشق رشقت بالسهم رشقاً وأرشقت به رميته ورغت إلى الشيء رغاً وأرغت أصغيت ٠

وردحت الخباء وأردحته وسعته بردحة في آخره وهى الشقة . ورعدت السماء وأرعدت . ورفل في مشيته وأرفل تبختر ومشى مختالاً ٠

وقال في الجزء الثالث مادة وحده وحدت الشيء وأوحدته أفردته . ووقف الشيء وقفا ووقوفا ثبت وأوقفت الدار والدابة لغة تميمية ٠

وبرقت السماء برقا وبروقا وأبرقت لمعت والرجل تهدد والثلاثى في السماء أفصح والثانى لغة ٠

فهذه جولة في كتاب الأفعال لابن القطاع المتوفى سنة ٥١٥ هـ تثبت مجيء فعل وأفعل بمعنى واحد ٠

وبالنظر في كتاب الأفعال لابن القطاع نجد ما لا حصر له من هذا المعنى المتفق لأفعل بمعنى فعل ومثله كتاب فعلت وأفعلت للزجاج قال في مقدمة كتابه هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى واحد وما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى مختلف . وما ذكر فيه أفعلت وحده مما يجرى في الكتب والمخاطبات وهو مصنف مبوب على حروف المعجم ثم قال باب الباء من فعلت وأفعلت والمعنى واحد تقول : بشرت الرجل بخير وأبشرته . أَبْشِرْ وأَبْشِرهْ وبشّرته مشّدداً وبشرته أيضاً من البشارة . وانما قيل البشارة لأن الرجل إذا سمع ما يحب حسنت بشرة وجهه ٠

---

(١) انظر كتاب الأفعال جـ ٢ ص ١٦٢ سقى .

(٢) انظر باب الراء على فعل وأفعل باتفاق معنى جـ ٢ .

ويقال بل من مرضه وأبل يَبِلّ ، ويُبِّلُ . ويقال بدأ الله الخلق يبدأهم بدءاً وأبدأهم إبداءً قال تعالى : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق » وقال عز وجل : « أو لم يروا كيف يُبدئ الله الخلق » فهذا من أبدأ وقال جرير :

بدأنا بالزيارة ثم عدنا فلا بدئى حضرن ولا معادي

وقال أيضاً :

هنيئاً للمدينة إذ أهلت بأهل الملك أبدأ ثم عادا

ويقال بكر الرجل في حاجته يبْكُرُ .

قال زهير :

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهن لوادى الرّس كاليد للفم

وأبكر إبكاراً . قال ابن أبي ربيعة :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

ويقال تم الله عليه النعمة وأتم عليه إذا أسبغها . وتبع الرجل الشيء وأتبعه بمعنى واحد . قال الله عز وجل « فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى » وقال عز وجل « فأتبعهم فرعون وجنوده » وأتربت الكتاب وتربته جعلت عليه التراب .

قال أبو عبيدة وأبو الخطاب يقال ثوى بالمكان وأثوى إذا أقام به وأنشد بيت الأعشى :

أثوى وقصّر ليله ليزودا فمضى وأخلف قَيْلةَ الموعودا

ويقال ثاب الى الرجل جسمه وأثاب اليه جسمه إثابة اذا رجع . وثرى المكان وأثرى إذا ندي بعد يبس وكثر فيه الندى . وكذلك ثرى القوم وأثروا إذا كثرت أموالهم . وثلجت السماء وأثلجت من الثلج .

يقال جَدِى الرجل وأجدى إذا انتصب ... ويقال جنّهُ الليل وأجنّهُ وجن عليه الليل إذا أظلم عليه وستره جنوناً وجناناً وإجناناً . وجننت الرجل وأجننته إذا دفنته . ويقال جلى الرجل بثوبه وأجلى إذا رمى به . وجلى القوم عن ديارهم وأجلوا إذا تركوها وخرجوا عنها . وجنب الرجل من الجنابة وأجنب . وجفل القوم وأجفلوا اذا انهزموا بجماعتهم . وكذلك جفل النعام يجِفْل جفلَا وأجفل إجفالاً . ويقال جفأت الباب أجفؤه جفأ . وأجفأته اذا أغلقته . ويقال جدَّ في الأمر وأجدّ فيه إذا ترك الهوينات ولزم فيه القصد والاستواء ومن هذا قيل جاد

يجيد . وجاح الله مال العدو وأجاحه إجاحة وجرم الرجل واجرم اذا كسب جرماً فهو جارم ومجرم .

وجرى الرجل إلى الشيء وأجرى اليه اذا قصد اليه وجاز الرجل الوادى وأجازه إذا قطعه ونفذه ـ وقال الأصمعى جزته نفذته وأجزته قطعته .

وجفا الوادى وأجفأ اذا رمى بغثائه . وجبرت الرجل على الأمر وأجبرته أكرهته عليه . وجهدت الفرس وأجهدته اذا استخرجت جهده ، وكذلك جهدت في الأمر وأجهدته إذا بلغت جهدى فيه ، وجدعت غذاء الصبى وأجدعته إذا أسأت غذاءه ، وجدعت أنفه وأجدعته إذا قطعته وجدب البلد وأجدب إذا لم ينبت شيئاً ، وجحد الرجل وأجحد إذا أقل خيره ، وجمّت الحاجة إذا حضرت . وجم الفرس وأجمّ ، وجهشت نفسه وأجهشت ، وجال الرجل بالشيء وأجال به إذا طاف به ، وجلب الجرح وأجلب إذا أخذ فى البرء وصارت فيه جلدة رفيعة ، وجنح الليل وأجنح إذا مال ، وجلد الموضع وأجلد من الجليد وجمر الفرس وأجمر إذا وثب في القيد .

يقال حَسَنه وأحسنه إذا أغضبه ومثله في معناه حمسه وأحمسه بالسين ، وحببت الشيء وأحببته في معنى واحد وهو محبوب ومحب ، وحققت الحديث وأحققته إذ تبينته وحال الرجل في ظهر دابته وأحال إذا وثب واستوى على ظهرها ، وحل الرجل من الاحرام وأحل إذا خرج منه قال الله عز وجل : « واذا حللتم فاصطادوا » وقال زهـير :

جَعْلنَ القَنَان عن يمينٍ وحَزْنَهُ ... ومن بالقَنَان من مُحِل ومُحرم

فهذا من أحل ، وحصب القوم يحصبون إذا ولوا عنه وأحصبوا عنه إحصابا ، وحَدَق القوم بالشيء وأحدقوا به إذا صاروا حوله ، وحزننى الأمر وأحزننى وأمر محزن وحازن ، وحمت الحاجة وأحمت إذا دنت ، وحدت المرأة على زوجها وأحدت إذا تركت الزينه ، وحشمت الرجل ، أحشم وأحشمته احتشاماً إذا جلس اليك فأذنته وأسمعته مكروها وحشت يده وأحشت إذا يبست ، وحمى الرجل المكان وأحماه إذا منعه ، وحفت الماشية من الربيع إذا سمنت وأحفت مثله ، وضربه فما حاك فيه السيف وما أحاك ، وحنكت السر وأحنكته . وحنكه أيضاً التشديد وحكم الرجل الدابة وأحكمها إذا جعل لها حكمة وحصر غائطه إذا احتبس ، ويقال للرجل من حصرك هاهنا ومن أحصرك ، وحر النهار يَحَرّ حراً وأحر إحراراً مثله ، وحاط الرجل بالشيء وأحاط به ، وحدثت الدابة في السفر وأحدثتها إذا أهزلتها

وكذلك حدث الرجل نفسه وأحدثها إذا أتعبها وأذا بها وروى في الحديث (فما فعلت نواضحكم قالوا حدثناها يوم بدر (أى أهزلناها) ، وحتر الرجل الحبل وأحتره اذ شد فتله وأحكم عقده ٠

وحال الرجل وأحال إذا أتى عليه الحول ، وحالت الناقة والنخلة اذا لم تحمل حملا ، وحكك الأمر على الرجل وأحكك اذا أشكل ، وحسى الولد في بطن أمه وأحسى اذا يبس وحبس الرجل دابته في سبيل وأحبسها وحقن الرجل بوله وأحقنه ، وحرمت الرجل عطاءه وأحرمته ألغيتها ، وحسرت الناقة وأحسرتها ٠

ويقال خلس الرجل وهو خليس وأخلس فهو مخلس اذا اختلط البياض بالسواد ، وخطئت الشيء أخطؤه خطأ وخطاء وأخطأت اخطئ في معنى واحد ، وخضعه الكبر وأخضعه خضعاً وإخضاعاً ، وخفق الطائر بجناحه وأخفق أى صفق بهما ، وخنب الرجل وأخنب إذا هلك ، وخَمَّ اللحم وأخمَّ إخماماً أى تغيرت رائحته وخلق الثوب وأخلق صار خلقاً ، وخلف فم الصائم وأخلف فم الصائم وأخلف وعده فهو خالف والنبيذ مثله اذا خالف تقديرك فيه ، وخرطت الشاة وأخرطت اذا انحدر لبنها في ضرعها ، وخدجتْ الناقةُ وأخدجت إذا ألقت ولدها غير تام ، وخدر الأسد وأخدر فهو خادر ومخدر إذا استتر في حبسه ، وخلى الرجل على الشيء وأخلى عليه إذا لم يخالط به غيره ، وخلد الرجل الى الأرض وأخلد أى مال إليها ولزمها ورجل مخلد إذا أبطأ عنه الشيب والفعل منه أخلد لا غير ، وخصب المكان وأخصب إذا كثر الخصب فيه ، وخمِسَ الرجل القوم وأخمسهم أى صاروا خمسة وخَبَيْتُ الخباء وأخببته إذا عملته ، وخسرت الميزان وأخسرته ويقال خنست وأخنست أى أسأت في القول ٠

يقال دجا الليل وأدجى أى أظلم ، ودجن الغيم وأدجن إذا لبس الأرض ودام مطره فهو يدجن وداجن ، ودير بالرجل وأدير به فهو مدور به ومدار به ، وديم به ، وأديم به مثله ودبر الليل وأدبر أى ولى وداد الطعام وأداد إذا وقع فيه الدود ، ودسمت القارورة وأدسمتها أى شددت رأسها ، واسم ما يشد به الدِّسَامة مثل الصِّمَّانة ، ودخنت النار وأدخنت ٠

تقول ذرا ناب الفحل يذر ذروًّا ، وأذرى يذرى اذراء اذا كلّ ورقّ قال أوَسْ بن حُجْر :

إذا مقرم منا ذرا حَدُّنا به   تخمَّط فينا ناب آخر مقرم

وقال آخر :

فيا راكبا إما عرضت فَبلِّغَنْ   على النأي عنى اليوم عمر بن أخْرَقا
رسالة من لا يرتجي العطف منكم   إذا الحرب أذرى نابها ثم حرقا

وذرت الريح التراب تذروه ذرواً وأذرته إذراء إذا رمته ٠

يقال رصدت القوم بالخبر رصداً فأنا راصد وأرصدتهم إرصاداً فأنا مرصد قال الله عز وجل « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، ورمى الرجل على الستين وأرمى عليها إذا زاد عليها في السن ، ورمل الرجل الحصير رملا وأرمله إرمالا أى نسجه وركس الله العدو وأركسه أى رده وقلبه على رأسه وراح الرجل الشيء وأراحه أى شم رائحته ورذت السماء وأرذت من الارذاذ وهو الصغير من القطر ورعشت يد الرجل وأرعشت أى ارتعدت ، وراع الطعام وأراع ريعاً أى زاد ، وَرَدِفْتُ الرجل وأردفته إذا ركبت خلفه ، وردحت البيت وأردحته من الردّحة وهى قطعة تدخل فيه وردفت الدابة وأردفتها أى جعلت لها رفادة ، ورسنت الدابة وأرسنت أى جعلت لها رسناً ، ورحبت الدار وأرحبت أى اتسعت ، ورفث الرجل وأرفث اذا فحش ورشح الرجل عرقاً وأرشح ، ورشقت في الرمى وأرشقت أى رميت ، ورثَّ الشيء وأرثَّ أى أخلق وصار رثاً ، ونقول كلمنى فلان فما رجعت إليه كلمة وما أرجعت إليه كلمة بمعنى واحد قال أبو عبيدة رابنى الشيء وأرابنى بمعنى واحد ، ورغثت الرجل بالرمح وأرغثته اذا طعنته به مرة بعد أخرى ، ورعدت السماء وأرعدت أى جاءت برعد ، ورعد الرجل وأرعد إذا أوعد وتهدد ، ورعظت السهم وأرعظته أى جعلت له رعظاً وهو مدخل سنخ الفصل في السهم ، ويقال رعصت الريح الشجرة وأرعصتها أى نفضتها .

تقول زكنت للرجل بخير أو شر . وأزكنت ظننت ، وزكى الزرع وأزكى أى ارتفع ، وزهى النخل وأزهى إذا بدت فيه الحمرة والصفرة وزهم العظم وأزهم أى صار فيهُ مخّ ، وزحف الصبى وأزحف أى لم يقدر على النهوض مهزولاً كان أو سميناً ، وزفت العروس زفاً وازففتها إزفافاً ، وزلق الرجل رأسه وأزلقه أى حلقه ، وزال الرجل الشيء يزيله وأزاله يُزيله إذا محاه ، وزهرت الأرض وازهرت إذا كثرت زهرتها وزهرت عينه وأزهرت أى احمرت من الغضب ويقال زعفته وأزعفته إذا لحقته فقتلته مكانه .

يقال سعد الله جُدَّه فهو مسعود وأسعده وسند الرجل في الجبل وأسند أى صعد ، وسكن الرجل وأسكن أى صار مسكيناً ، وسمح الرجل الشيء وأسمح به ، وسحت الرجل الشيء وأسحته إسحاتاً أى استأصله وسنع البقل وأسنع إذ طال وحسن فهو سانع وسَفَنَ الرجل الباب وأسفنه إذا رده ، وسملت بين القوم وأسملت أصلحت ، وسمل الثوب وأسمل أى أخلق ، وسقت الصداق الى المرأة وأسقته وسَرع الرجل الى الشيء وأسرع اليه ، وساس الطعام وأساس أى أكله السوس . وساست الشاة وأساست إذا صار القمل في أصول صوفها ، وسنفت البعير وأسنفته إذا جعلت له سنافاً وهو خيط وسير يشد به من جانبى البطان ، وسريت القوم وأسريت بهم إذا سرت بهم ليلاً ، وسؤت بهم ظنا وأسأت به ، وسفر الرجل القوم سراً وأسفرهم سراً إذا كثر فيهم السر ، وسكت الرجل عن الكلام وأسكت ، وسقط في كلامه وأسقط ، وسلكه الطريق

وأسلكه وسقيت الرجل وأسقيته قال لبيد بن أبى ربيعة :

سقى قومى بنى نجد وأسقى نميراً والقبائل من هلال

وسقف الحوض وأسقفته ، وسعطه وأسعطه قال الأصمعى : تقول العرب لا آتيك ما سمُر ابنا سُمير ، وما أسمرا أى ما اختلف الليل والنهار ، وسفرت البعير وأسفرته من السفار وهو الحديد في أنف البعير ، وسحقت الريح السحاب وأسحقته أى ذهبت به ، وسفت الريح التراب وأسفته أى حملته ورمت به ، وسرت الدابة وأسرته .

شبرت فلاناً مالاً وسيعاً شبراً أو شبيراً إذا أعطيته وأشبرتها مثله قال أوس بن حَجَر يصف درعاً :

واشبرنيها الهالكى كأنها غدير جرت في متنه الريح سلسل (١)

وشترت عين الرجل وأشترتها إذا شققت جفنها الأعلى وشعبت الناقة وأشعبت إذا لم يكن لها حمل ولا لبن – ويقال شغلنى الرجل وأشغلنى وأفصحهما شغلنى .

وشنقت الناقة وأشنقتها إذا كففتها بزمامها ، وشنق الرجل القربة وأشنقها شَدَّ رأسها الى عمود الخباء ، وشسعت النَعْل وأشسعتها جعلت لها شسعاً ، وشمس يومنا إذا طلعت شمسه وشظظت الوعاء وأشظظته إذا جعلت فيه الشظظ ، وشررت الثوب وأشررته إذا لبطته (أى نشره ليجف) وشررت الملح وأشررته إذا جففته ، وشاعه الله السلام وأشاع السلام قال الشاعر :

ألا يا نخلة من ذات عرق برود الظل شاعكم السلام

وشار الرجل العسل شوراً وأشاره إشارة إذا جناه ، شكرت الشجرة وأشكرت إذا بدا ورقها الصغار ، وشكل الأمر على الرجل وأشكل ، وشط الرجل في القوم وأشط إذا جار ، وشكرت الرجل وأشكرته إذا أعطيته طعاماً أو غيره ، وشجانى الأمر وأشجانى .

قال أبو زيد صمت الرجل صمتاً وأصمت إصماتاً إذا سكت وصفحت الرجل عن حاجته وأصفحته إذا رددته ، وصدنى الرجل عن الأمر وأصدنى عنه ، وصففت السرج وأصففته جعلت له صُفَّة ، وصغى القمر وأصغى إذا مال للغروب ، وصر الفرس أذنيه وأصر بأذنيه إذا أصغى بهما الى الصوت ، وصاب السهم وأصاب إذا وقع في الرمّية وصاب السحاب الموضع وأصابه إذا أمطره ، وصليته النار وأصليته إذا أدخلته النار ، وصلت الناقة وأصلت إذا استرخى صلواها والصّلوان مكنفا الذنب ، وصرد الرجل السهم وأصرده إذا أنفذه .

---

(١) أنشده في بعض كتب اللغة وأشبرنيه وقال انه لا بن أحمر يصف سيفا .

يقال ضاء القمر وأضاء ، وضبعت الناقة وأضبعت إذا أرادت الفحل ، وضررت الرجل وأضررت به وضربت عن الشيء وأضربت عنه إذا أعرضت عنه ، وضبر الفرس ضبراً وأضبر إضباراً إذا جمع قوائمه ووثب .

يقال طِعت الرجل وطُعته طوعاً وأطعته بمعنى واحد وطاع النبت وأطاع إذا أمكن من رعيه ، وطل دم الرجل وأطل إذا أهدر ، وطشت السماء وأطشت إذا أمطرت مطراً ضعيفاً ، وطاف الرجل بالقوم وأطاف بهم إذا دار على القوم وطلع على القوم وأطلع عليهم إذا أشرف عليهم وطلع النخل وأطلع إذا ظهر طلعه ويقال طلق الرجل يده بخير وأطلقها بخير ويقال طال عليه الليل وأطال عليه إطالة بمعنى واحد وطفلت الشمس وأطفلت إذا دنت للغروب .

وطف لك الشيء وأطف إذا سنح لك ويقال خذ ما طف لك وخذ ما أطف لك أى ما ارتفع لك وسنح .

قال أبو زيد يقال ظلفت الاثر ظلفاً إذا اتبعت ما غلظ من الأرض لئلا يُنَصَّ أثرك ، وأظفلت الأثر اظلافاً مثله ، ويقال ظلم الليل وأظلم إذا اشتدت ظلمته .

يقال عمر الله بك منزلك ، وأعمر الله بك منزلك بمعنى واحد ، وعرشت الكرم وأعرشته إذا جعلت له عريشاً ، ... عضبت الشيء وأعْضبته إذا كسرته ، وعلمت الشفة وأعلمتها إذا شققت العليا ... عذرت الغلام وأعذرته إذا ختنته ، وعذر الرجل من نفسه وأعذر إذا أتى بالعذر . وعصفت الريح عصوفاً وأعصفت إعصافاً إذا اشتد هبوبها ، وعجفت الدابة عجفاً وأعجفت إعجافاً إذا هزلت ، وعاذت الناقة بولدها تعوذ عياذا ، وأعاذت اعاذة إذا طافت ولزمته ، ويقال عصدت العصيدة وأعصدتها إذا لويتها ، وعصفت القارورة وأعصفها إذا سددت رأسها بالعصاف وهو مثل الصمام ... وعَنَنْتُ الفرس وأعننته إذا جعلت له عناناً ... وعتم الليل وأعتم إذا اظلم ، وعلفت الدابة وأعلفتها ، وعاض فلاناً إذا أعطاه عوضاً من الشيء وأعاضه مثله ... وعقمت المرأة وأعقمت إذا كانت لا تحمل ، وعثرت عليه أعثر وأعثرت وأعثر إذا وقفت منه على ما كان قد خفى عليك ... وعُرتُ عين الرجل أعورها عوراً وأعورتها إعواراً ... وعفَّت الفرس وأعفَّت إذا عظم بطنها وهى حامل ، وعافاه الله وأعفاه بمعنى واحد ... وعكل عليه الأمر وأعكل إذا اشكل ... وعمرت الشيء وأعمرته اعماراً ... وعدمت الشيء وأعدمته بمعنى واحد .

يقال غلَّ الرجل الغنيمة غلولاً وأغل إغلالاً اذا سرق منها ، وغمدت السيف وأغمدته ، ويقال غسق الليل وأغسق ، وغسىَّ وأغسَى ، وغسىَ ، وغطش وأغطش وغبش وأغبش كل هذا إذا أظلم ، وغُمِىَ على الرجل وأغُمى عليه ، وغبَّ اللحم وأغبَّ إذا تغير ، وغرضت الناقة وأغرضتها إذا شددتها بالغرضة وهى للناقة مثل الحزام للفرس .

وأغربت بالشيء وغربت به إذا لهجت به ولزمته ، وغامت السماء وأغامت السماء وأغتمت ... وغار القوم وأغاروا أتوا الغَوْر ، وغرست الشجرة وأغرستها إغراساً وغبن الرجل وأغبن الرجل إذا غشى عليه قال وكذلك إذا أحاط به الدين .

يقال فلجت على الخصم وأفلجت عليه ، وفرشت الرجل فراشاً وأفرشته إفراشاً اذاجعلت له فراشاً ، وفاحت الرائحة وأفاحت وفردت النصيب وأفردته ، وفند الرجل وأفند فناداً إذا كذب ، وفتيت الرجل وأفتيته من الفتية ، وفحش الرجل عليه وأفحش عليه ، وفحلته فحلًا وأفحلته إفحالاً إذا أعطيته فحلًا ... وما فتئت أذكره وأفتأت أذكره ويقال : فاخ الرجل يفوخ ويفيخ فيخاً وأفاخ إفاخة إذا خرجت منه ريح فصوتت ، وفريت التمر وأفريته إذا أفتته وكل مفت مفروت ، وفسح المكان وأفسح إذا اتسع ، وفتكت به وأفتكت به من الفتك ، ويقال : فرقت النفساء فريقة وأفرقتها إذا أطعمتها الفريقة وهى التمر يطبخ بالحلبة ، وفغر الرجل فاه وأفغره إذا فتحه ... وقال الأصمعى وأبو عبيدة فريت الشيء وأفريته إذا قطعته وفشعت الرجل وأفشعته إذا ضربته بالسوط .

يقال قبل الرجل الشيء وأقبله ، وعام قابل ومقبل ، وقلب الرجل في البيع وأقلبه ... وقدعته عنى بالدال (المهملة) إذا أكفيته ... وقصر الرجل عن المجد وأقصر ، وقهيت عن الطعام وأقهيت عنه ، وقهمت عنه وأقهمت عنه أيضاً إذا تركته ولم تشتهيه ، وقبلت النعل وأقبلتها اذا جعلت لها قبالاً ، وقذعت الرجل بلسانى وأقذعته إذا شتمته ، وأسمعته ما يكره ، وقرنت السماء وأقرنت إذا دام مطرها ، وقوى الموضع وأقوى إذا خلا ، وقتر الرجل على نفسه وأقتر إذا ضيق في النفقة ، وقتر السرج وأقتر إذا لزم ، وقعمت الرجل وأقعمته إذا قهرته ، وقطع بالرجل وأقطع به ، وقطرت عليه الماء وأقطرته ، وقمّ الفحل الناقة وأقمها إذا لقمها وفرغ من ضرابها .

وقبست الرجل وأقبسته ، وقصّت الفرس وأقصّت إذا ذهب وداقها وهو شهوتها للفحل ، وقهرت الرجل وأقهرته وقصّى الرجل النسرين وأقصّه إذا ألقى عليه سكراً أو قنداً ، وقصرت الثوب وأقصرته إذا جعلته قصيراً ، وقررت ماء في أسفل الإناء وأقررته إذا صببته ، وقممت الرجل في الماء وأقممته إذا عطعطته في الماء ، وقلته في البيع وأقلته وقطيت الشراب وأقطيته إذا مزجته .

يقال كن الرجل كنّا وأكنه إكناناً إذا غطاه وستره ، وكئب الرجل وأكأب من الكآبة إذا حزن ، وكنبت يد الرجل وأكنبت إذا غلظت من علاج شيء يعمله ... وكشفت الناقة وأكشفت إذا تابعت من النتاجين ، وكمأت الرجل وأكمأته إذا أطعمته الكمأة ، وكمأ الرجل

شهادته وأكمأها إذا كتمها ، وكرن الحمار وأكرن إذا شم البول ثم رفع رأسه ، وكلأت الا بل وأكلأت إذا أكلت الكلأ وكل نبت يرعى فهو كلأة ٠

يقال لاق الرجل الدواة وألاقها ... وقال أهل اللغة أصل هذا أن يحبس الأنفاس فيها ، ولحفت الرجل الثوب وألحفته إياه ... ولمع بثوبه وألمع به إذا أشار به ، ولحد عن القصد وألحد إذا مال ، وكذلك لحدت الميت وألحدته جعلت له لحداً ، ولحقت القوم وألحقتهم ، ورووا : أن عذابك بالكافرين ملحق ولاحق ، ولغط القوم وألغطوا إذا ضجوا ولم يأتوا بما يفهم ، ولبدت السرج وألبدته جعلت له لبداً ولخوت الغلام وألخوته إذا أسعطته ، ولاح السيف وألاح إذا برق قال الشاعر :

وقد ألاح سهيل بعدما هجعوا كأنه ضرم بالكف مقبوس

ولاذ الطريق بالدار وألاذ بها إذا أحاط بها... ولاذ الرجل وألاذ به إذا دار وطاف حوله ، ولظّ الرجل وألظه إذا ستره ، ولاثنى الشيء عن وجهى وألاثنى إذا صرفنى وأمر لائث ومليث ، ولبدت الخف وألبدته وخف ملبود وملبد ٠

يقال : نعم الله به عيشنا ، وأنعم بك عيشنا وقال الشاعر :

نعم الله بالرسول الذى أر سل والمرسل الرسالة عينا

ونصف النهار وانتصف ، وأنصف ، ونحد الفرس وأنحد إذا جرى عرقه من العَدْو ، ونزف الرجل عبرته وأنزفها ، ونكرت الشيء ، وأنكرته ، ونويت الصوم وأنويته من النية ، ونويت التمر وأنويته إذا أكلت ما على النوى منه ورميت بالنوى ، ونويت فلاناً وأنويته إذا قضيت حاجته ، ونحوت الجلد وأنحيته إذا كشطته ، وما نجا الرجل نجواً من قضائه الحاجة وما أنجى ، ونلت الرجل وأنلته من النوال أى أعطيته ، ونميت الشيء أنميه نماء إذا رفعته ، وأنميته إنماء مثله ، ونبت البقل نباتاً وأنبت إنباتاً ، ونصع الرجل بالحق نصوعاً وأنصع به إذا أقرّ به ، ونضر الله وجهه ، وأنضر الله وجهك أى حسنه ونفله الله وأنفله إذا أعطاه ، ونحا بصره إليه ينحوه وأنحى بصرهُ ينحيه إذا رماه ببصره ، وقال الأخفش : نُتِجت الناقة وأُنْتجت بمعنى واحد ... ويقال : نهد الرجل الهدية وأنهدها إذ أعظمها وأضخمها ، ونسَأ الله أجله ، وأنسأ الله في أجله أى أخره ، ونجمت السن وأنجمت إذا طلعت ، ونسل الوبر نسولاً وأنسل إنسالاً إذا سقط ٠

يقال وفيت بالعهد وأوفيت قال الشاعر :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته كما وفا بقلاص النجم حاديها

ويقال وجرت الرجل وأوجرته من الوجور وهو السيوط ، ووتدت الوتد أتده وأوتدته أوتده ... وقد وضح الراكب وأوضح إذا بين لك ... ووقعت بالقوم في القتال وأوقعت بهم أى أثرت فيهم بالعزيمة والقتل . ووقفت الدابة وأوقفته (١) بالألف زدته جداً ، ووكف البيت وأوكف ، ووجنت الرجل وأوجنت هو أن تكلمه بكلام تخيفه ، وومأت وأومأت إليه ، ووهن الله أمر فلان وأوهنه ، ووغل الرجل في الأرض وأوغل فيها إذا أنفذ ، وورس الرمث وأورس إذا اصفر والرمث ضرب من الشجر ، ووضعت الناقة في السير وأوضعت إذا أسرعت فيه ، ووبهت للشيء ووبهت له وأوبهت له إذا انتهيت له وعلمت به ، ووخفتُ الخطمى وأوخفتُه إذا بللته بالماء وضربته بيدك ليختلط ، ووقدت الرجل أقذه قذة ووقذا ، وأوقذته إيقاذاً إذا تركته عليلا ، ووترت الشيء وأوترته إذا أفردته ، ووسع الله على الرجل وأوسع عليه ، ووهمت في الشيء وأوهمت ، ووصب الرجل وأوصب إذا مرض ، ووهطت في الشيء وأوهطته إذا ألقيته كسرته .

يقال ألفت الشيء آلفه . وآلفته أولفه إيلافاً ... ويقال أجره الله يَأجره وآجره يؤجره وهو مأجور ومؤجر وكذلك أجرت المملوك وآجرته أعطيته أجرته .

وأدمت بين القوم وآدمت بينهم وأدمت الثريد وآدمته إذا خلطته باللحم ، وأمرت الشيء وآمرته أى كثرته .

وعلاج هذه الأبواب في اللغة العربية أن صيغة أفعل :

١ ـ قد تأتى بمعنى فعل عند أهل اللغة وقد حصرنا طرفاً من هذه الأفعال .

٢ ـ وقد يكون أفعل مستقلا ويرفض (٢) الثلاثى منه مثل رسل وأرسل أو يكون ثلاثيه قليلاً .

٣ ـ وقد يكون أفعل مستقلاً بمعنى لأن فعل الثلاثى له معنى آخر يختلف عن معنى الرباعى وقد حصر العلماء طرفاً من هذه الأفعال منهم الزجاج في كتابه فعلت وأفعلت والمعنى مختلف .

٤ ـ هذا وبعض المواد يكون ثلاثياً ولا يأتى منه أفعل عند أهل اللغة أو يكون لغة قليلة . فيختار فيه الثلاثى على أفعل .

وقد عرضت طرفاً من الأفعال التى جاءت على أفعل بمعنى فعل أى أن الثلاثى المجرد والمزيد بالهمزة بمعنى واحد عند أهل اللغة .

ثم بينت آراء العلماء في هذا الاستعمال ، كما عرضت طرفاً من الأفعال التى استعمل العلماء ثلاثيها وأختير المزيد بالهمزة على الثلاثى في الاستعمال .

---

(١) انظر المزهر جـ ٢ وقف وأوقف وصرف وأصرف .

(٢) مثل أرسل . وأعرب . وأطنب . وأسهب ـ وأقفر المكان . وأهملت الشيء . وأبقل . وأيفع . وأورس . وأعشب . وأغضى الليل . وأمحل البلد . وأجنه الله . وأزكمه الله . وأقره الله فهو مقرور . وأحمه الله فهو محموم . وألجم . وأسحم .

يارب

للدكتور عز الدين علي السيد
كلية اللغة العربية

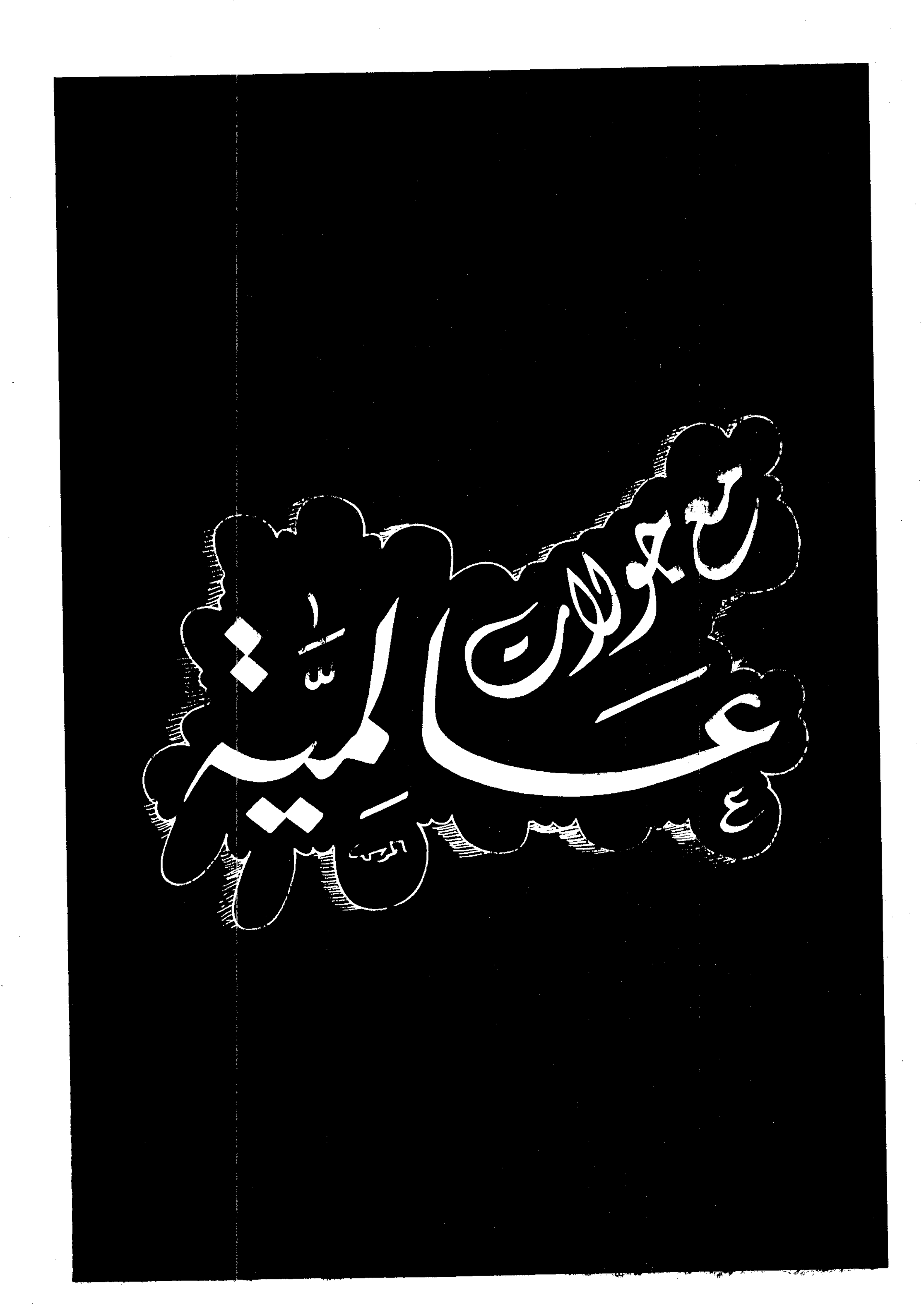
قلبي عليلٌ .. وقُرْبي منكَ يَشْفِينى / وعِلَّتي حُبُّ دنيا عنك تُنْئِيني !
فلا تكِلْنى لنفسي .. إنها رَصَدٌ / لِفَاتِنِي .. بهوى دنياىَ يُغْرينى !
وبالـغرائز نـحو الـشرِّ يُـسْرِعُ بى / ومِنْ حياض الرَّدَى بالحِسِّ يَسْقينى
لا أستطيع نجاةً دونَ لُطْفِكَ بِي / وكيف والنفسُ منى نِصْفُ تكويني ؟
والحسْنُ ياربِّ في الآفاقِ منتشرٌ / وفي الْمُروج .. وفي زَهْرِ البساتين
شَتَّى التصاويرِ .. أجناسٌ مفوَّفَةٌ / بأبْدَعِ الـصُّـنْـعِ مِـنْ رسْمٍ وتَـلْوِيـنِ
وفي العيونِ التى فاضَ الزُّلالُ بها / مِنْ باطِنِ الأرضِ في وَرْدٍ ونَسْرِينِ !
وفي العيون التي يُزْكِى الهيامُ بها / نَارَ الْجَوَى .. من وجوهِ الْخُرَّدِ الْعِينِ
وفي الـبلابِـلِ والأغـصَانُ تَـحْـمِـلُـها / نَشْوَى .. تَمَايَلُ مِنْ شَدْوٍ وتَلْحِينِ !
ونَـسْـمَةُ الـفـجْرِ بالرَّيَّا مُـعَـطَّـرَةٌ / يُـمَازِجُ الْوجْدُ مـنـها كُـلَّ عِرْنِـيـنِ
وفي السماءِ غَوانٍ بِتْنَ في أَلَقٍ / والبدْرُ بالنور يَدْنُو لى فَيُدْنِينى
إنْ عسْعَسَ الصبْحُ خَلَّى الأفْقَ في خَجلٍ / لِـمَوْكِـبِ الـشـمْـسِ مَزْهُوًّا يُـحَـيِّـيـنى
أَنَّى وَرَدْتُ بعيْنى مَوْرِداً سَبَحَتْ / عينى على ضَوْءِ حُسْنٍ منك يُصْبِينى
أخافُ ياربِّ أنْ أشْقَى بظَاهِرِهِ / عن باطِنِ السِّرِّ أغْفُو عنه يُرْدِينى
أخافُ أعْشقُ دنيا الحسْنِ تَمْلكُنِى / فلا أراكَ وَرَاءَ الحسْنِ تَهْدِينى !
فلا تَكِلْنِى لنفسى .. إنها سَكَنَتْ / مِنْ بعْدِ أفْقِ السَّنَى بَيْتاً من الطِّينِ
يَهْوِى بها إنْ يَدَعْها اللُّطْفُ مُرْتَكِساً / بلا جَمَالٍ .. ولا دنيا .. ولا دِينِ !

في الغار

للشيخ ضياء الدين الصابوني
موجه اللغة العربية بالمعهد الثانوي

إني لأذكر كيف كان مُحَمَّدٌ ... يقضي الليالي ناعِم الوجْدان
في الغار يَنعَمُ سَابحا وَمُناجيا ... مُتفكرا في روعة الأكْوَان
يَتأمل الكون البَديعَ نظامُهُ ... والليْل سَاج مفعَم الأشجَان
قد فرَّ من رجْس الطغاةِ وجَوْرهم ... والقوم قدْ عَكفوا على الأوْثان
يقضي الليالى وحده مُتحنّثاً ... في الغار يَسْتَوْحي هُدَى الديّان
وتنزّل الوَحي العظيم بَيانُهُ ... مُتدَفقاً في قلبهِ الظمآن
(اقرأ) كتاب الله . لسْت بقارىء ... اقرأ بربّك خالق الانسان
(اقرأ) وتلكَ مكانة لم يُعطَها ... غيرُ النبّي المصْطَفى العَدْناني
فمَضى يَخف إلى خَديجة زوجه ... مترقباً في حَيرَة الوجْلان
فإذا به يَجد السّعَادة والرّضَا ... وتقرّ من تطمِينِها العيَنان
تالله لا يخزيك يَا عَلم التقى ... ياواصِل الأرْحَام وَالجيرَان
يامشْعِفَ الفقراء في آلامهَا ... يامُكرمَ الأيْتَامِ وَالضيّفان
ياماسِح العبَرَات من آماقها ... ومخفّفَ الآلام وَالأشجَان
فكأنما كَلماتها في لينهَا ... شَهْدٌ ، وفي التأثير سحْرُ بيَان

×●×●×●×●×●×


مع جولات عالمية



الشيخ عبد الله بن أحمد قادرى
عميد كلية اللغة العربية

فى شـــاطىء البحـــر :

٢٤ / ٨ / ١٤٠٠ هـ

جاء الينا الأخ محمد فذهبنا بعض صلاة الفجر إلى شاطىء البحر واستغرق مسيرنا إليه ساعتين الا ربعا تقريبا ، وهذا البحر الذى كنا فى شاطئه هو المسمى بمضيق ملقة ، وهو من المحيط الهادى ، وملقة اسم يطلق على ماليزيا وهذا البحر يفصل بين ماليزيا وبين سومطرة إحدى الجزر الأندونيسية الغربية .

وكان البحر هادئا فى هذا الوقت فقعدنا على الشاطىء والأخ محمد يثير كثيرا من الأسئلة التى كنا نحاول الاجابة عليها والمذاكرة فى شأنها .

وقبيل الساعة التاسعة تحركنا إلى العاصمة ، وكنت فى الذهاب راكبا فى المقعد الأمامى مربوطا كالسائق بحزام الأمان ، لأن القانون هناك يوجب ذلك على القائد ومن بجواره وكنت متضايقا طيلة السير الذى لا يقل عن مائة كيلو وعند الرجوع قلت للشيخ عبد القوى لا بد أن تكون أنت الآن فى الأمام مظهرا له الايثار وكنت أريد أن أتمتع برؤيته مربوطا لا يحرك إلا رأسه ، وكنت أقول له انظر يمينا ـ لبعض المناظر ـ أو يسارا فيقول أنا مربوط .

دعـــوة زعيم البوذيين فى داخـل معبده :

وعندما دخلنا المدينة أشير الى معبد بوذى وعرض علينا الأخ محمد زيارته للاطلاع . فقلت : نحن مسلمون لباسنا ينبىء الناس أننا من الجزيرة العربية وفيها الكعبة بيت الله

الذى يتجه إليه ملايين المسلمين لعبادة الله الواحد وأخشى أن يكون فى حضورنا إليه ما يدعو بعض الجهال إلى اعتقاد شىء لا يليق قالوا فلنقترب لنراه من الخارج ثم نعود وعندما اقتربنا شاهدنا خارج المعبد رجلا قاعدا تحت شجرة بجوار المعبد وهو يلبس مثل لباس الاحرام عندنا إلا أن ثيابه تميل إلى الصفرة وهى رقيقة فسألت من يكون هذا ؟ فقالوا هذا هو السادن المعظم عند البوذيين وهو المسئول عن المعبد قلت : يجب اذن أن نبلغه دعوة التوحيد وعندما نزلنا اتجه هو إلى داخل الدير الذى نصب فيه الوثن فدخلنا بعد أن خلعنا نعالنا ترجيحا لجانب تبليغ عقيدة لا إله إلا الله والا فقد كنت عازما على الدخول بالنعال ·

وعندما دخلنا رأينا المبنى كله قاعة واحدة من الداخل وبجانب الجدار الواقع أمام الداخل ـ أى فى أقصى القاعة ـ بنيت دكة مرتفعة من الحجارة وعليها نصب التمثال الذى يرمز لبوذا والناس يدخلون وقد وضعت أمامهم أعواد الند (بخور) وملئت أحواض بتربة وكان الواحد منهم يشعل النار فى عود البخور ثم يتجه إلى الوثن مشيرا إليه برأسه ويديه وفيها البخور ثم يغرز عود البخور فى التربة وينصرف وبعضهم يرفع العودين فى يديه فوق رأسه مشيرا بهما وبرأسه سواء إلى الوثن ·

قلت للرجل مشيرا إليه بيدى ـ أى السادن ـ تعال فجاء حتى وقف بجوارى وعليه علامة الاضطراب عندما رآنا نقف وقوف المستهترين بالهه وبعبادته رافعين رؤوسنا نحس بالعزة وقلت له ـ وكان يترجم بينى وبينه الأخ عبد الله باهرمز ويساعده محمد أمين ـ ما سبب عبادتكم لهذا الحجر ومن أين جئتم بأصل هذه العبادة ؟ فقال : هذه العبادة أصلها من الهند وهى من توجيهات بوذا · قلت : ولكن هذا حجر منحوت أعطيتموه صفة الألوهية وعبدتموه من دون الله فلماذا ؟ قال : لأنه يرمز لبوذا ·

قلت : وبوذا هذا إله عندكم أم نبى ؟ قال : نبى · قلت : أنتم إذن تعبدون رمز النبى وليس الخالق · فقال : هكذا تعاليم بوذا ·

قلت : الأنبياء كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده مباشرة بدون واسطة ونهوا الناس عن عبادة غيره وهذه الأوثان لا تضر ولا تنفع والذى يستحق العبادة هو الله الخالق ونحن ندعوك إلى الإسلام الذى لا يوجد فى الأرض دين يرضاه الله سواه · فقال : هذا صحيح ونحن نعتقد أن الإله واحد وهذه الأوثان ماهى إلا وسائط تقربنا إليه فبينت له معنى لا إله إلا الله وأنها هى السبيل الوحيد للدين الحق وأنه لا يجوز عبادة غير الله بأى شكل من الأشكال وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حارب مشركى قريش الذين كانوا يقولون مثلكم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال هذه تعاليم بوذا ، وكان يبدو عليه الخوف والوجل والعجز أمام

الحجة حتى أن ريقه جف ووجهه انتقع قلت : هكذا كان أهل الشرك حجتهم على شركهم : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون · قلنا له بعد ذلك لقد أقمنا عليك الحجة ·

ثم ذهبنا إلى مطعم يقال عنه أنه إسلامى : تناولنا فيه طعام الافطار ووجد فيه الشيخ عبد القوى بغيته فاكهة « ليتشى » إلا أنه معلب كما وجدنا فاكهة أخرى لذيذة تسمى باباى ، واسمها فى اليمن « عمبرود » وكنت فى غاية الشوق إلى تناولها فقلت للشيخ : تلك بغيتك وهذه بغيتى ·

رجعنا إلى الفندق واتفقنا أن ننام « شوية » حسب اصطلاح الشيخ عبد القوى ـ وكان ذلك من الساعة الثانية عشرة ظهراً إلى أذان العصر حيث قمنا فصلينا الظهر والعصر ·

لا تقف كالقرد عند القشرة :

أحضر لنا الأخ عبد الله بن سعيد باهرمز فاكهة عجيبة تسمى : « منجز » يحيط بها غلاف « قشر » يميل إلى السواد وفى أحد طرفيه ـ الطرف الأسفل نتوءات مصفوفة تارة تكون خمسة وتارة تكون ستة ، فإذا أزيل القشر وجد بداخله حبات مصفوفة من جوانبه المختلفة بعدد النتوءات الموجودة فى طرفه وهذه الحبات مستطيلة مع شىء من الاستدارة وهى التى تؤكل بعد ازالة القشرة وبداخل كل حبة نواة صغيرة تلفظ أما قشره فإنه مر ·

قال الأخ عبد الله يقال إن قردا أعطى هذه الفاكهة فذاق قشرها فوجده مرا فرمى الفاكهة فصار يضرب به المثل للإنسان الذى لا يسبر غور الأمور ولا يفكر فيها فيقال لا تكن كالقرد يرمى المنجز لمرارة قشره ·

أما طرف هذه الفاكهة الأعلى ـ وهو الذى يكون معلقا بالشجرة فإن فيه ثلاث نتوءات أحدها كبير واثنان صغيران وتوجد إحدى الحبات فى الداخل كبيرة ·

اجتهاد هو أم انحراف :

التقينا فى الفندق برجل سلم علينا وخاطبنا باللغة العربية عندما رآنا نلبس اللباس العربى وعندما بدأنا التعارف ظهر أنه الأستاذ يوسف كمال أحد كتاب جريدة الدعوة المصرية ، وبدأ الأخ يوسف يشكو من انحراف فكر بعض من يزعمون أنهم من الدعاة إلى الإسلام الذين يتنكرون للفقه الإسلامى الذى وصل الينا عن طريق علماء السلف الصالح ·

وقال : إن هؤلاء أحلوا عقولهم محل النصوص الإسلامية كما هو شأن المعتزلة وحذر من خطرهم على الدين الإسلامى بدعوى الاجتهاد وتحريف المفاهيم الإسلامية وحثنا على أن نبلغ علماء المملكة العربية السعودية بأن يتصدوا لهذا التيار الجارف فى كثير من بلدان العالم

الإسلامى ، لأن كلمة علماء المملكة العربية السعودية لها وقع فى نفوس كثير من المسلمين وضرب بعض الأمثلة على هذا الانحراف منها مازعمه بعض الناس من أن المعاملات التجارية والاقتصادية ونحوها لا داعى لتقييدها بالفقه الإسلامى بحجة أن الفقهاء السابقين اجتهدوا فى قضايا عصرهم ونحن يجب أن نجتهد فى قضايا عصرنا دون حاجة إلى التقيد بآرائهم فى ذلك ·

ومنها ما زعمته طائفة أخرى من أن أخبار الآحاد فى السنة لا تثبت بها عقيدة ولا شريعة وإنها كانت مجرد تجارب للرسول صلى الله عليه وسلم فى قضايا معينة ولا يلزم اطرادا أحكامها والتقيد بها محتجين ببعض قضايا اجتهادية حصلت من بعض الصحابة كقضاء عمر فى طلاق الثلاث ونحوها قالوا : فإذا تخطى الصحابة تلك الأحكام فى عهدهم دل على جواز اجتهاد من بعدهم ولو خالف هذا الاجتهاد أخبار الآحاد ·

قلت : وهؤلاء المنحرفون ، وأمثالهم هم بلاء على الأمة الإسلامية لأنهم يظهرون برجال دعوة ويلجون من باب مسلم به ، هو باب الاجتهاد المفتوح ، لأهله لا أمثالهم من الجهلة المنتسبين إلى العلم ويلزم على آرائهم هذه أن تنبذ أغلب النصوص الإسلامية ويأتى من أراد بما يهوى من بدع وانحرافات فليحذر شباب الإسلام المتحمس لدينه من هؤلاء الجهلة ، وليحذر الصالحون الذين يرغبون فى تقدم الفقه الإسلامى لايجاد الحلول للمشكلات المعاصرة ، من دعوى هؤلاء فإنهم قد يكونون رسل هدم لحصوننا من داخلها ·

وجاء الأخ دخلان ـ الأمين المساعد لحركة الشباب الإسلامى الماليزى ـ وذكر لنا أن عندهم مشروع انشاء مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وان المدرسة قائمة فى مبنى أعارهم اياه بعض الصالحين ، وقد بلغ عدد الطلبة الموجودين فيه أكثر من أربعمائة طالب · وهم يرغبون فى شراء أرض يقيمون عليها مبنى لهذه المدرسة ، ولكنهم لا يملكون ما يكفى لذلك ، وانهم يرغبون من المؤسسات الإسلامية أن تساعدهم · فقلنا لهم : لا مانع عندنا من ابلاغ المؤسسات الإسلامية الموجودة فى المملكة العربية السعودية وإذا شئتم أن تكتبوا خطابات بهذا الشأن فسنحملها ونبلغ هذه المؤسسات ·

إلى سـنغافـورة (٢٥ / ٨ / ١٤٠٠ هـ) :

ذهب الأخ عبد الله باهرمز والابن عبد البر فحجزوا لنا على الخطوط الماليزية إلى سنغافورة ، كما حجزوا لنا كذلك إلى أندونيسيا ·· من سنغافورة صباح غد الأربعاء وطلب منا الأخ دخلان أن نستعد لنذهب إلى المركز ، لأن الأخ أنور إبراهيم فى انتظارنا يود مقابلتنا لأنه لانشغاله لم يستطع مقابلتنا ، ومن المركز نذهب إلى المطار فذهبنا إلى المركز والتقينا

بالأخ أنور ، الذى قدم لنا طعام الغداء واعتذر لتقصيره ـ كما قال ـ فى عدم استطاعته لقاءنا فقلنا له : أنت فى جهاد ونرجو لك التوفيق .

والأخ أنور من شباب الدعوة النوادر ، الذين يمنحهم الله صفات نادرة من الصبر والحماس والتأثير على الناس واقناعهم بالدعوة والتضحية بالوقت ، والقدوة الحسنة . هكذا نظنه ولا نزكى على الله أحدا .

غادرنا المركز إلى المطار وفى الثانية والربع بعد الظهر صعدنا إلى طائرة خطوط ماليزيا ـ وبعد اقلاعها (فى الساعة الثانية والنصف) بثلاث وعشرين دقيقة أعلن المضيف أننا دخلنا سنغافورة وكنت أطل على أراضى سنغافورة فلم أرها فيما ظهر لى تختلف عن أرض ماليزيا فى كونها مكسوة بالاشجار والغابات والمزارع . وكنت فى هذه اللحظات أتمتع بجمال خلق الله : غابات تكسو الجبال والوهاد ، وبحر تنعكس زرقته على أشعة الشمس وسحاب شديد البياض مثل قوافل يتبع بعضها بعضا وباجتماع ذلك كله أصبح ضوء الشمس يشبه غسق الفجر أو الليل المقمر .

هبطت بنا الطائرة فى مطار سنغافورة فى الساعة الثالثة والدقيقة السابعة ـ فرأينا باحة المطار وممراته وقاعاته غاية فى النظافة والتنظيم والجمال .

فـــك الارتبـــاط :

كان الأخ عبد الله بن سعيد باهرمز ، قد فهم من الخطوط الماليزية أن نزولنا فى أحد فنادق سنغافورة سيكون على حساب الخطوط المذكورة ، لأن الحجز تم عن طريقها من سنغافورة إلى جاكرتا ، وعندما طلب من الموظفة المختصة أن تعطيه بطاقة للفندق قالت له أنتم لا تستحقون ذلك ، لأنكم حجزتم باختياركم ليوم غد وكان فى امكانكم السفر اليوم لأن الرحلات موجودة ـ وكانت على حق فى ذلك ـ ولكن صاحبنا باهرمز أخذ يراجع ويحاجج وبدأت الموظفة ترتفع درجة حرارتها لتدافع عن رأيها واقتربنا من الخصمين.وسألت عبد الله عما يجرى فأخبرنى فقلت له : الحق معها وبذلك فك الارتباط والحمد لله .

وفك مثل هذا الارتباط محمود ، أما غيره فأهله أدرى به .

ثم ذهبنا إلى مكان آخر أودعنا فيه عفشنا الذى لا حاجة لنا به بأجرة محدودة .

جمـــــال المظهـــــر :

ركبنا سيارة أجرة صغيرة إلى داخل المدينة (سنغافورة) ، فرأينا اعلاناً فى مقدمة السيارة : ممنوع التدخين ، وكنا رأينا ذلك فى جميع الأماكن داخل قاعة المطار ، فقلنا

للسائق هل التدخين ممنوع فى سنغافورة كلها ، فقال : ممنوع فى كل مرفق عام يشترك فيه عامة الناس ، ويضطرون للاختلاط كالسيارات والقطارات والطائرات والسفن والأماكن العامة كالقاعات ونحوها ·

قلت : ياليت قومى يعلمون فيعملون ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، أننا نكاد نختنق فى وسائل نقلنا العامة وفى قاعات مطاراتنا وفى بعض قاعات اجتماعاتنا ومحاضراتنا ، ويعود الإنسان منا إلى أهله وقد انبعثت عليهم من ثيابه رائحة الدخان حتى ليشك فيه أنه أصبح من المدمنين ، وأن المؤمنين لأولى بمنع هذه المضرات التى بين ضررها المختصون فأين الجهات المسئولة وأين المتجاوبون معها ؟

وكان السائق مسلما يسمى موسى بن دحلان وكان لطيفا فى قيادته ومعاملته ·

وصلنا إلى الفندق نيجارا فى داخل المدينة فى الساعة الرابعة والنصف أخذنا راحتنا ثم تجولنا فى بعض الأسواق ، ويقتضي النظام هناك أن تقفل الدكاكين فى الساعة التاسعة مساء ، إلا بعض الأماكن التجارية الخاصة وبحثنا عن مطعم إسلامى فلم نجد إلا بعد مشقة مطعما يقوم بإدارته والطبخ فيه بعض مسلمى الهند ، وعندما رأونا استقبلونا استقبالا حارا وقدموا لنا أيضا طعاما حارا بالفلافل فشكرناهم بالسنتنا ودموعنا التى أسالها الفلفل · ثم رجعنا إلى الفندق فنمنا ، ويسود مدينة سنغافورة اضافة إلى النظافة والجمال الهدوء ·

إلى أندونيســــيا

(٢٦ / ٨ / ١٤٠٠ هـ) :

وفى الساعة العاشرة تحركنا من الفندق إلى مطار سنغافورة فتسلمنا الأثاث وأنهينا الاجراءات وأقلعت بنا طائرة الخطوط السنغافورية فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة ، وبعد الاقلاع مباشرة أطللت من النافذة ـ كعادتى ـ فرأيت البحر وقد انتشرت فيه البواخر والقوارب ، ثم ظهرت بعد قليل الجزر المكسوة بالخضرة وهى منتشرة فى البحر بأشكال هندسية مختلفة ·

وبعد ساعة وثمان دقائق أعلن المضيف دخولنا الأراضى الأندونيسية وهى كذلك مكسوة بالخضرة إلا أنها أقل كثافة ـ فيما بدا لى من ماليزيا وسنغافورة كما ظهرت بعض الأنهار المتعرجة التى تكتنفها الأراضى الزراعية وتنتشر القرى التى تستظل بيوتها بالأشجار ، وفى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثالثة والعشرين هبطت بنا الطائرة فى مطار جاكرتا ·

فطرة الأخوة الإسلامية فى صمود أمام أعدائها :

مررنا بموظف الجمرك وكان التفتيش دقيقا إلا أنه عندما رآنا بلباسنا العربى قابلنا بالترحيب ولم يمس أثاثنا فغادرنا المطار وأخذنا سيارة أجرة صغيرة لم يتسع صندوقها الذى فى المؤخرة للأثاث فرص ما بقى فى المقعد الأمامى بجانبه ورصنا الأربعة فى المقعد الأخير، قلت للأخوة أترون لو كان هذا فى إحدى مدن بلادنا يرضى قائد سيارة أن يفعل هذا مع المبالغة فى أخذ المزيد من المال ، وهذا القائد لا يأخذ إلا ماحكم له به عداد سيارته .

ونزلنا فى فندق كرتيكا « بلازه » وكان مزدحما بالنزلاء وفيه من ينتظر غيرنا ولم يحصل على مكان ولكن صاحب الفندق عندما رآنا سألنا باللغة العربية كم غرفة تريدون ـ وكان عبد الله باهرمز يجادل مع الموظفين وهم يقولون له لا توجد عندنا غرف فاضية ـ قلنا نريد غرفتين فقال : تفضلوا وأمر الموظفين أن يهيئوا لنا حجرتين فهيئوهما بسرعة ونزلنا مطمئنين والحمد لله .

وهذا الذى حصل فى الفندق ، وما حصل من موظف الجمرك فى المطار يدل على أن عواطف المسلمين فى الشعوب الإسلامية مؤتلفة ملتحمة ولم يفرق بينها إلا أعداء الله الذين نفخوا فى أبناء الشعوب الإسلامية روح التعصب والعنصرية حتى أصبح كل شعب معزولا عن الآخر وأصبح الفرد المسلم من شعب مسلم يشعر بالغربة وبأنه أجنبى فى شعب مسلم آخر ولكن فطرة الاخاء الإسلامى لازالت موجودة إذا هبت ريح الإيمان على رماد الأعداء الذى دفنوا تلك الفطرة به ذهب هباء وبرزت فطرة الأخوة الإسلامية على رغم أنف أعداء المسلمين حية ملتهبة .

وفى المساء زارنا بعض طلبة الجامعة الإسلامية من الأندونيسيين وتذاكرنا معهم منهاج زيارتنا وضربنا بعض المواعيد مع بعض علماء أندونيسيا لزيارتهم والتشاور معهم فى منهاج الزيارة .

فى المجلس الأندونيسى الأعلى (٢٧ / ٨ / ١٤٠٠ هـ) :

فى الساعة الحادية عشرة صباحا قمنا بزيارة المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية ، فوجدنا فيه بعض الذين تخرجوا من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ورئيس هذا المجلس هو الدكتور محمد ناصر رئيس الوزراء الأسبق ورئيس حزب ماشومى سابقا (وقد حل هذا الحزب) .

ولم يكن الدكتور موجودا فى هذا الوقت ، وعندما علم عنا أبلغنا عن طريق موظفى مكتبه أن الموعد معه بعد العصر ·

وجدنا فى المكتب الدكتور محمد رشيدى عضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى وعضو المجلس الفقهى فى الرابطة ومساعد مدير مكتب الرابطة فى جاكرتا (ومدير المكتب هو الدكتور محمد ناصر) ·

تذاكرنا نحن والدكتور رشيدى - وهو يتكلم باللغة العربية - أحوال المسلمين فى أندونيسيا والجهود التى يقوم بها دعاة الإسلام هناك والجهود المضادة من أعداء الإسلام ، والمحاولات الجادة لتحريف معانى الإسلام وتقوية المعانى الخرافية وايجاد طائفة باطنية وغير ذلك من الانحرافات الشخصية ، وخطر المدارس النصرانية على أبناء المسلمين الذين يضطرون للدخول فيها لعدم وجود مؤسسات إسلامية تستوعبهم لقلة الامكانات ·

أظهرت أم الخبائث حقده :

وعندما رجعنا إلى الفندق (بلازه) قابلنا عند المصعد رجل أوربى كبير الجثة طويل القامة متجهم الوجه ، وأخذ يتكلم كلاما يظهر منه أنه غاضب وما كنت أفهم منه إلا كلمة عرب ، وهيد ، وبيق (أى رأس كبير) وكان يوجه خطابه إلى ويمس رأس الا بن عبد البر فعرفت بسرعة أنه قد خلط كمية كبيرة من الخمر بمخ رأسه حتى أصبح يهذى بما لا يدرى فقلت للأخوة أنه سكران ، فاشاروا إلّى بالسكوت ، وصعد معنا إلى الطابق الذى نحن فيه وهو يرغى ويزبد ، وخرجنا من المصعد فخرج معنا وهو على حالته ومشى معنا ، حتى قارب باب حجرتنا ، ثم رجع إلى المصعد يردد كلمة (آم - سورى) أى آسف ويذكر هوتيل أى فندق فسألت الأخوة عن كلامه فقالوا كان يقول أن العرب قوم متكبرون رؤوسهم كبار وعند رجوعه كان يقول أنا آسف وأنا سكنت معكم فى فندق واحد وسأطلب من صاحب الفندق أن يخرجكم منه ، وظهر أنه كان يسكن فى غير الطابق الذى نسكن نحن فيه وصعوده معنا كان بدون شعور ·

٢٨ / ٨ / ١٤٠٠ هـ :

فى الساعة السادسة إلا عشر دقائق صباحا طرق باب الحجرة فقام الشيخ عبد القوى ليفتح فقلت له محذرا : لا تفتح حتى تعرف من بالباب لأن الوقت مبكر ، وكنت أخشى أن يكون الأوروبى الذى شبهته بالثور الهولندى هو الذى طرق الباب فى حالة تشبه حالته فى

الليلة الماضية وتحفزت فى نفس الوقت وراء الشيخ عبد القوى استعدادا لأى طارىء ، فقال الشيخ : « هُو ؟ » أى من فإذا هو أحد الخدم يحمل إلينا طعام الافطار فقال له الشيخ نحن لم نطلب طعاما فى هذا الوقت فأراه الورقة وفيها رقم غرفتنا فعرفنا أن الأخ عبد الله باهرمز هو الذى طلب ذلك من الليل ليجمع بين أمرين :

الأول : احضار طعام الافطار ·

الثانى : ايقاظنا مبكرين على موعد مع المسئولين عن المدرسة الشافعية لزيارتها فى الساعة الثامنة صباحا ، وكان اليوم يوم جمعة يجب أن نستعد للصلاة · بعد ذلك نقلنا أثاثنا إلى فندق (برزونت) بعد أن تناولنا طعام الافطار ·

فى الطريق إلى المدرسة الشافعية :

وفى طريقنا إلى المدرسة الشافعية مررنا بالأسواق الشعبية فى جاكرتا على شاطىء البحر ، وبدت شوارعها غير نظيفة ولا منظمة بخلاف ما هو الحال فى الشوارع العامة والأسواق الحديثة ، ومررنا باحدى الحارات فقال عبد الله باهرمز : هنا بيت عمتى وكان مصوبا نظره إلى جهة البيت حتى ابتعدت السيارة عن المكان وكأنه بذلك يستعطفنا لاعطائه فرصة زيارتها وقد أعطيها فعلا بعد ذلك ·

ثم قال عبد الله : أرى أن تروا ميدان الجنرالات السبعة · فقلنا : وما معنى الجنرالات السبعة هؤلاء ؟ قال : عندما قام الشيوعيون بالمحاولة الانقلابية قتلوا بعض العلماء وبعض الضباط وكان منهم سبعة جنرالات أخذوهم وقتلوهم ورموهم فى بئر فى هذا الميدان · فدخلنا إلى الميدان الذى تحيط به الأشجار والبساتين من كل جهة فرأينا البئر وقد بنى حولها دكة ليست مرتفعة ، وإذا أراد أحد أن يصعد إلى الدكة ليرى البئر فعليه أن يخلع نعليه مبالغة فى تقديس هذا المكان فرفضت أن أخلع نعلى ولم أصعد واكتفيت بمعرفة أنها بئر وهكذا فعل الشيخ عبد القوى ، وأخونا عبد الله والابن عبد البر · وبجانب البئر بنى جدار عال وأقيمت عليه صور الجنرالات السبعة مجسمة وهم يمدون أيديهم مشيرين بأصابعهم إلى البئر إشارة إلى أن أعداءهم وضعوهم فى هذه البئر بعد أن قتلوهم ورفع على نفس الجدار الذى أقيم عليه السبعة ، الشعار الذى يحمل المبادىء الخمسة : « نتشاسيلا » · وسيأتى إن شاء الله شرح هذا الشعار وبيان الهدف منه ·

والصور المجسمة فى أندونيسيا أمر طبيعى توجد فى كل مكان وهى من آثار الوثنية التى لم تمح إلى الآن ·

فى المدرســـة الشـــافعية :

هكذا تسمى هذه المؤسسة ، إذ أطلق اسم الشافعية فى أندونيسيا فهى المقصودة وهى منسوبة إلى مؤسسها الشيخ عبد الله الشافعى ، وهى تشمل الاعدادية والثانوية والعالية والجامعة وبها معهد للأيتام لا يقل عددهم عن أربعمائة يتيم ويتيمة ، وعدد طلبة المؤسسة كلها لا يقلون عن خمسة آلاف طالب وطالبة ، وكثير منهم يسكنون فى القسم الداخلى ، ولها فروع فى مدن أخرى ، ومع الدراسة المنهجية توجد تدريبات مهنية : خياطة ، تطريز ، وطباعة ، وصباغة ، وغيرها ، وكان المؤسس قد ورث أرضا واسعة من والده ، فأوقف هذه الأرض لهذه المؤسسة وبنى عليها المرافق اللازمة تدريجيا ولازال الشيخ عبد الله الشافعى يسعى للتوسع فى الأرض والبناء واستيعاب اعداد كثيرة من أبناء المسلمين الذين هم فى أمس الحاجة إلى الرعاية والتعليم ولا يعرف قدر جهوده وجهود أمثاله من المهتمين باقامة المدارس والملاجىء لأبناء المسلمين إلا من رأى الجهود القوية التى يبذلها أعداء الله لابعاد شباب المسلمين عن دينهم من المبشرين بالدين وغيرهم من داخل البلاد ومن خارجها ·

وصلنا مقر هذه المؤسسة واستقبلنا المسؤلون الموجودون بها ـ وكانوا فى أيام أجازة ـ وكان الاجتماع فى قاعة المحاضرات بمعهد اليتامى ، واليتامى موجودون كلهم فى مساكن معهدهم ، لأنهم مضطرون للبقاء لعدم وجود من يعيلهم وكان هؤلاء اليتامى قد اجتمعوا فى القاعة ، بنين وبنات وغالبهم من سن السادسة عشرة فأقل ، البنون فى جهة ، والبنات فى جهة أخرى ، ويلبس البنات لباسا ساتراً لما عدا الوجه والكفين وكانوا عند قدومنا ينشدون بعض الأناشيد الإسلامية وهى تتضمن ترحيباً بالقادمين والظاهر أنها معدة لكل ضيف يستحق أن يحتفى به عندهم وكان الشيخ عبد الله الشافعي غائباً فى مهمة وحضر نائبه واعتذر له ·

وعندما دخلنا القاعة طلبوا من الأخ عبد الله باهرمز أن يعرف الحاضرين بنا وبمهمتنا ففعل · ثم قرأ أحد الطلبة من اليتامى ما تيسر من القرآن ، وهو بالإضافة إلى كونه يتيماً مقعد وكانت قراءته مجودة جيدة · وقام أحد الطلبة بكلمة ترحيب واشادة بما يقوم به المؤسس من مساعدة الأيتام ، وتلته إحدى الطالبات كذلك ثم قرأت إحدى الطالبات سورة الصف من حفظها ·

ثم طلب مني أن ألقى كلمة فألقيت كلمة تضمنت · تهنئة المؤسس بهذا الفضل العظيم المبارك والدعاء له بالتوفيق للمزيد من الخير والإخلاص فى العمل · ودعوة أغنياء المسلمين للاقتداء به في أعمال الخير ·

وتهنئة طلبة هذه المؤسسة بما يسر الله لهم من العناية ولاسيما هؤلاء اليتامى وأن عليهم أن يشكروا الله ويدعوا للمؤسس ليكافؤوه على عمله وأن على الجميع شكر الله الذى لولاه ما تيسر مثل هذا العمل المبارك ·

وذكرت هؤلاء اليتامى بحالة غيرهم ممن يقعون فى أيدى الكفار كالنصارى وغيرهم فإنهم ينفقون عليهم ليخرجوهم من دينهم ويجعلوهم أعداء له مع ضرب بعض الأمثلة لذلك · قام بعد ذلك نائب رئيس المؤسسة فألقى كلمة ترحيب وشكر على الزيارة وأشار إلى حاجة هذه المؤسسة إلى الدعم والمساعدة لاسيما المدرسين للغة العربية والمنح الدراسية ، وأشار إلى أنهم سيبعثون للجامعة المنهج لمعادلته ·

ثم تجولنا بعد ذلك للاطلاع على التدريبات المهنية للبنين والبنات من خياطة وتطريز وطباعة وغيرها ·

وللشيخ عبد الله الشافعى أخ يدعى : الشيخ طاهر رحيلى : أسس مثله المدرسة الطاهرية وهى شبيهة بالشافعية ولم يتيسر لنا زيارة هذه ولكننا دعونا الله للجميع بالإعانة والتوفيق ورجونا للأخوين أن يحقق الله فيهما لأبويهما : علماً ينتفع به وولداً صالحاً يدعو له ، وأن يحقق لهما كذلك من بعدهما هذا المعنى ·

في الأزهــــر :

وفى الساعة العاشرة صباحاً غادرنا المدرسة الشافعية إلى الأزهر وهو جامع كبير سمى بالأزهر حباً فى أن يكون له ما للأزهر فى مصر من أثر فى العالم الإسلامى ·

استقبلنا الشيخ عبد الله سالم وهو أمين عام جامعة المعهد الإسلامى ، وهى مؤسسة جامعية على الطراز الإسلامى - كما يقول الشيخ عبد الله سالم - ويرأس المؤسسة الدكتور همكا ، وتتكون من أقسام منها : قسم التعليم من روضة الأطفال إلى العليا التى يدخل المتخرج فيها الجامعة · وقسم الصحة ويتولى معالجة الموظفين والطلاب مجاناً ، ويعالج غيرهم من خارج المؤسسة بأجر رمزى ، وقسم الشباب ويقوم بنشاطات رياضية وثقافية واجتماعية ، وبعض نشاط الفتوة ، مثل الدفاع عن النفس ونحوه ·

ومن النشاطات الثقافية إلقاء محاضرة أسبوعية لطلبة الجامعات والمدارس فى جاكرتا حيث يحضرها منهم مالا يقل عن ألف طالب يلقى هذه المحاضرات بعض كبار العلماء هناك مثل الدكتور محمد ناصر والدكتور رشيدى ·

ومن نشاطاتهم تعليم الموسيقى الحربية وضرب الدفوف (والأندونيسيون) مغرمون بالموسيقى والأغانى والدفوف والرقص ، وقد ينسبون بعض هذه الأنشطة الى الدين فيقولون الموسيقى الدينية ولذلك قال الشيخ عبد القوى : يخشى أن يصبح كل شيء دينياً فيقال : أغنية دينية وموسيقى دينية ورقص دينى وطبل دينى وهكذا ٠

وقسم المكتبات ، ويوجد فى مكتبة المؤسسة خمسة آلاف كتاب باللغة العربية واللغة الانجليزية واللغة الأندونيسية ، ولكن رواد المكتبة قليلون ٠

ويتبع التعليم شعبة تعليم اللغة العربية وقد تخرج فيها اثنان وأربعون شخصاً ٠ وتدرس القراءة والكتابة صباحاً ومساء للرجال والنساء وقسم الدعوة وتصدر عنه مجلة وهى نصف شهرية يوزع منها أكثر من خمسين ألف نسخة وغير ذلك من الأقسام التى لا تخرج عن النشاط الثقافى والاجتماعى والرياضى والفتوة ٠

وقال الشيخ عبد الله سالم إن أول مازار المملكة العربية السعودية (سنة ٥٩ م) وانه قد زار المملكة سبع مرات ٠

دخلنا بعد ذلك هذه المذاكرة الى المسجد الذى قام بخطبة الجمعة والصلاة بالناس الدكتور همكا وكانت الخطبة ـ كما فهمت من النصوص العربية التى كان يستشهد بها فى صيام رمضان وفوائده وآدابه ـ وبعد صلاة الجمعة ألقيت كلمة كانت تعبيرا عن شعورنا بالغبطة والسرور بهذه الجموع والعواطف الإسلامية وتذكيرا للمسلمين بأن هذا الدين أمانة عندنا سلمنا إياه الآباء والأجداد وإن علينا أن نؤدي هذه الأمانة ونحفظها وأنه لا عزة لنا إلا بهذا الدين وإن كل من يحاول أن يصرفنا عنه فإنه خائن ظالم علينا أن نحذره وأن كل مبدأ غير الدين الإسلامى قد جرب فكان خسارة علينا ووبالاً ٠

أعفونا من هذه التحية :

ثم ذهبنا بعد ذلك الى أحد المطاعم ـ يسمى مطعم الشرق الأوسط ـ وأصل أهله حضارم وعندما رأونا بملابسنا العربية قدموا لنا تحية غير مرغوبة عندنا ، وما كانوا على علم بذلك ، وهى أغنية عربية ـ قال بعضنا إنها سعودية ـ فطلبنا منهم أن يعفونا من هذه التحية بايقافها . فأوقفوها فوراً ، وكان هذا الايقاف دليلًا على أنهم ما أرادوا إلا احترامنا ، ويؤسفنا أن هذا الطلب قد لا يلبى فى كثير من مطاعمنا فى البلاد العربية إصراراً على المعصية وعناداً للطالب ٠

وكانت وجوه أصحاب المطعم وجوهاً عربية واضحة وإن كانت ألسنتهم أندنوسية وكانوا مسرورين جداً بوجودنا ظهر ذلك فى عنايتهم بنا أكثر من غيرنا وبطلاقة وجوههم معنا ٠

فى منزل الدكتور محمد ناصر :

زرنا فى الساعة الرابعة والنصف مساء الدكتور محمد ناصر فى منزله حيث كنا على موعد معه ، وكنا نتذاكر شئون الدعوة الإسلامية ووسائلها ومعوقاتها ، وكيف يمكن التغلب عليها ، ومما ذكره فى هذا المجال ربط العلوم الكونية بالعقيدة الإسلامية فى الجامعات والمعاهد المعنية بهذه العلوم ، لأن هذا الربط يؤثر فى نفوس الطلبة ويجعلهم أكثر إيماناً وحماساً للإسلام ثم أنهم هم الذين يتقلدون مناصب الشعوب الإسلامية ، وهم الذين سيكونون خنجراً فى نحور أعداء الإسلام الذين يحاولون تثبيت العلمانية فى الشعوب الإسلامية عن طريق الأفكار والنظريات وعن طريق التطبيق العملى بالقوة التي مكنوا منها ، ولذلك لا بد من وضع مناهج تقطع الطريق على هؤلاء الأعداء .

وذكر الدكتور محمد ناصر أن محاولة ربط العلوم بالعقيدة قد بدأت فعلا من سنة ١٩٧٢ م على هيئة دورات تدريبية حيث تخصص ثلاثة أيام فى الأسبوع ويشتغل اليوم بأكمله من صلاة الفجر إلى الليل ثم بعد كل ستة أشهر ثلاثة أيام ، ثم انتشرت الفكرة وأصبح كثير من المثقفين يطلبون المزيد فأثمر ذلك .

وممن لهم اهتمام بهذا الأمر من العلماء :

١ ـ الأستاذ يوسف فيصل ـ متخصص فى العلوم الاجتماعية .
٢ ـ الأستاذ شـــاذلى ـ تكنولوجيا .
٣ ـ دارودى شــريف ـ طب .
٤ ـ د . فريد مفتاح ـ تكنولوجيا .
٥ ـ د . عبد الرحمن ـ الاقتصاد .
٦ ـ د . رودى ـ طب .

وقد حرصت على كتابة أسماء هؤلاء العلماء المهتمين بهذا السبيل ليتعرف عليهم أمثالهم من زملائهم فى العالم الإسلامى ويستفيد بعضهم من بعض ، لعلمى بأن أمثالهم موجودون وقد كتبوا وحاضروا ولهم أثر ملموس ، وعن طريق المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية فى أندونيسيا الذي يرأسه الدكتور محمد ناصر ونائبه الدكتور رشيدى يستطيع من أراد الاتصال بهؤلاء العلماء أن يتصل بهم .

وقد حملت سلسلة من الكتيبات التى أعدت لطلاب المدارس حسب منهج كتبهم التى ألفت فى العلوم وربطت فيها تلك العلوم بالعقيدة الإسلامية وهى من إعداد الدكتور محمد ناصر حملتها الى الجامعة الإسلامية لدراستها وطبعها وتوزيعها فى أندونيسيا إن أمكن .

وقال الدكتور محمد ناصر ان محاولات جادة قد بذلت لإنشاء مساجد فى الجامعات لإقامة الصلاة فيها وربط الطلاب والأساتذة بها وإن تلك المحاولة لقيت استجابة شعبية وقد أقرت بنداً فى ميزانية الجامعات يدعم هذا النشاط إلا أن ذلك أغاظ من تربوا فى أحضان الغرب ممن لهم صلاحيات فى هذه الجامعات وهزهم هذا النشاط الإسلامى فالغوا البند الخاص بذلك . وكان طلبة المدارس الحكومية - كالأهلية - يمنحون اجازة فى شهر رمضان ويستغل ذلك علماء أندونيسيا والدعاة الى الله فيقومون بتدريس طلبة المدارس الحكومية والجامعات فى المدارس والجامعات الإسلامية طيلة شهر رمضان ويفد أبناء المسلمين لتلقى العلم والدعوة من كل مكان وتمتلىء بهم تلك المؤسسات ، ولكن الحاقدين على الإسلام ألغوا اجازة شهر رمضان ليحرموا طلبة هذه المدارس من تلقى العلوم الإسلامية التى لا يجدونها فى مدارسهم .. وعلى الرغم من ذلك فإن هؤلاء الطلبة يفدون إلى المساجد والمدارس فى المساء الذى هو وقت راحتهم وبعد صلاة الفجر - بل وقبل صلاة الفجر كما شاهدت ذلك بنفسى فى الجامع الكبير فى باندونج وسيأتى ذكره ان شاء الله - وقد كان رد فعل أولياء أمور الطلبة عنيفاً ضد هذا القرار الذى اعتبروه ظالماً ، لأنه يحول بينهم وبين تعلم أبنائهم أمور دينهم التى لا ينالونها فى المدارس الحكومية ..

اخطار تهدد الإسلام فى هذا الشعب :

وهناك خطران كبيران يهددان الإسلام فى أندونيسيا :

الأول : محاولة إقناع الجيش بموالاة بعض الأحزاب التى تقف ضد الإسلام ، والأصل في الجيش حسب العرف السياسى العام أن يكون محايداً يحافظ على أمن البلاد في الداخل ويرد عنها الأخطار من الخارج ، كما أن الأصل فى الجيش حسب العرف الإسلامى أن يعد نفسه لرفع راية الإسلام (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) .

الخطر الثانى : إن هنالك محاولة جادة لدعم جماعات التخريف وتعميق العقيدة الباطنية فى نفوس هذه الجماعات وجعل هذه الجماعات حزباً باطنياً معترفاً به ليقوى به ذوو الاتجاه العلمانى فى البلاد وقد شعر العلماء بهذين الخطرين ولهم مواقف يشكرون عليها أعانهم الله وهدى بهم عباده .

وهنالك **خطر ثالث** : وهو الابقاء على الصفة الوثنية بين الوثنيين وتشجيع ذلك بشتى الوسائل والحول بين هؤلاء الوثنيين وبين الدخول فى الإسلام بأساليب شتى .

ومن الأمور التى تبشر بخير نجاح محاولة ربط الشباب بالمساجد وقد رأينا هذا عندما كنا نصلى فى أى مسجد العشاء والفجر وكذلك التراويح فان المساجد والأماكن التى تحيط بها

تمتلىء بالشباب من بنين وبنات من طلبة الجامعات والمدارس وان الشوارع المؤدية الى المساجد لتقف فيها حركة السير لكثرة الوافدين الى المساجد أو الخارجين منها بعد انتهاء الصلاة وكأن المدينة - جاكرتا أو غيرها - قد أعدت مظاهرة عامة خرجت من كل بيت ينادى الجميع فيها - بلسان حالهم - بسقوط الكفر ٠

رأينا هذا فى شهر رمضان ٠ أما فى غيره فالظاهر أن قصاد المساجد أقل وهذا مع جهل كثير من الناس بدينهم وسيأتى تعليقى على هذا فيما بعد ان شاء الله ٠

مع الشيخ عبد الله الشافعي (٢٩ / ٨ / ١٤٠٠ هـ) :

في صباح هذا اليوم زارنا فى الفندق الشيخ عبد الله الشافعي مؤسس المدرسة الشافعية ، وشرح لنا ماتقوم به مدارسه المتعددة واعتذر لنا عن عدم حضوره أمس عندما زرنا المدرسة وألح علينا فى نقل رغبته فى أن تساعد الجامعة مدارس الشافعية بتخصيص منح دراسية ومدرسين للغة العربية فوعدناه أننا سنبلغ المسؤولين فى الجامعة وطلبنا منه أن يبعث للجامعة الإسلامية منهج المدرسة ويطلب معادلته لأن المنح إنما تخصص بناء على المعادلة ٠

إفـراط وتفـريط (١ / ٩ / ١٤٠٠ هـ) :

كان هذا اليوم هو يوم الأحد ، وهو يوم إجازة فى أندونيسيا ٠ على عادة النصارى مع أن الشعب شعب مسلم ينبغى أن يأخذ يوم راحته يوم الجمعة الذى يحتاج فيه إلى الاستعداد. لصلاة الجمعة ٠

ونحن وإن كنا لا نرى تعطيل العمل لا فى يوم الجمعة ولا فى غيره لأن الإسلام يحث المسلم على العمل فى كل وقت وعمل المسلم عبادة لله سواء كان من الشعائر التعبدية أو من الأمور المباحة مادام يقصد به وجه ربه تعالى ، والآيات القرآنية تدل على عدم تخصيص يوم الجمعة بالتعطيل - وإن كان يوم عيد يجتمع فيه المسلمون فى كل أنحاء الأرض للصلاة وسماع الخطبة - قال تعالى : **(ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع)** وقال : **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** ٠ وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يعملون يوم الجمعة فى مزارعهم إلى أن يحين وقت الصلاة ، كما فى حديث عائشة قالت : كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالى فيأتون فى العباء فيصيبهم الغبار والعرق فتخرج منهم الريح فأتى النبى صلى الله عليه وسلم إنسان منهم وهو عندى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو أنكم تطهرتم يومكم هذا » ٠

فالآ يات القرآنية دلت على جواز البيع والشراء إلى وقت النداء ودلت على مشروعية الا بتغاء من فضل الله بعد الصلاة وهذا الحديث دل على أن الصحابة منهم من يأتى من منزله ومنهم من يأتى من العوالى . والظاهر أن المقصود من بساتينهم التى يذهبون إليها يوم الجمعة وما ذلك الا للعمل والله أعلم .

ولكن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبكير والاغتسال والتطيب يؤخذ منه إعطاء فرصة لمن أراد ذلك مبكراً ، والمسلمون ـ إذا كان لا بد من يوم تعطيل ـ أحق بيوم الجمعة وإعطاء الفرصة للنصارى فى بلد ، هم أقلية فيه ، دليل على الانحراف عن الدين الإسلامى وموافقة أعداء الله فى أعيادهم وهذه الموافقة فيها معنى المولاة التى قد تصل الى الكون من أهل الكفر : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)

لهذا تجد المسلمين يضيقون ذرعاً فى بلادهم عندما يعطى حكامهم عيداً للنصارى وهم قلة تعطل فيه جميع الدوائر الحكومية والمحلات التجارية كل أسبوع وهم لا يؤدون في هذا اليوم الا لحظات فى الكنيسة قلة قليلة منهم وهم كفار وعباداتهم كفرية وبقية الوقت يقضونه فى لهو ولعب أما المسلمون وهم الأغلبية فيومهم يوم عيد مشروع ويؤدون عبادة مشروعة تحتاج الى وقت للاستعداد قبل الصلاة ثم يحال بينهم وبين هذا العيد المشروع ، يضيق المسلمون ذرعاً بهذا الوضع وبعض البلدان قد لا يعطى المسلم فيها فرصة للصلاة إلا اذا فاتت بعض مصالحهم كأن يكون طالباً فى كلية علمية كالطب والهندسة والدراسة مستمرة وقت الصلاة .. فأين إسلام هؤلاء الذين يضايقون المسلمين في أوقات عباداتهم ويحققون للكافرين مآربهم .

وهنا لا بد من كلمة حق أقولها للمسلمين وأعدائهم على السواء الأصل فى يوم الجمعة أن يكون يوم عمل ـ غير إجبارى ـ لأن عمل الصحابة جرى على ذلك ـ كما دلت على ذلك الآ يات القرآنية والأحاديث النبوية ، وقد سبق بعضها ، ولزيادة الايضاح أسوق هذه الأحاديث الصريحة فى العمل يوم الجمعة :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان الناس ينتابون يوم الجمعة من منازلهم من العوالى فيأتون فى العباء ويصيبهم الغبار والعرق فيخرج منهم الريح فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنسان منهم وهو عندى فقال لو انكم تطهرتم يومكم هذا « وفى رواية ، كان الناس مهنة أنفسهم فكانوا اذا راحوا الى الجمعة راحوا فى هيئتهم فقيل لهم : لو اغتسلتم » .

وفى رواية كان الناس أهل عمل ولم يكن لهم كفاه فكانوا يكون لهم تفل فقيل لهم لو اغتسلتم يوم الجمعة » أخرجه البخارى ومسلم ، وللبخارى قالت كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم فكان يكون لهم أرواح فقيل لهم لو اغتسلتم » وفى رواية

أبى داود قالت كان الناس مهان أنفسهم فيروحون الى الجمعة بهيئتهم فقيل لهم لو اغتسلتم » (١) .

هذه الأحاديث مع قوله تعالى : (**اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع**) ، وقوله : (**فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله**) . تدل دلالة واضحة ، ان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فى عهده كانوا يعملون يوم الجمعة .

وعلى هذا لا ينبغى أن يشدد على تعطيل يوم الجمعة ، لإمكان الجمع بين قضاء المصالح العامة ، وهى من رضا الله ، وبين الاستعداد للصلاة وهذا هو ماجرى عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واضح من النصوص السابقة .

وينبغى أن يعطى المسلم الحريص على التفرغ للعبادة هذا اليوم فرصة للتنظيف والتطيب والتبكير الى المسجد وأن توقف الوظائف العملية التى تحول بين المسلم وبين هذا الحق مثل الدراسة والتدريس والعمل فى المصانع وما أشبه ذلك مما يجبر المسلم على التأخر عن التبكير وما يلزمه واذا كان لا بد من التعطيل فينبغى أن يكون يوم الجمعة لا يوم السبت ولا الأحد اللذين هما من أعياد الكافرين .

هذا استطراد رأيت أن إيضاح هذا المعنى فيه مفيد ، فأرجو من القارىء المعذرة .

فى هذا اليوم - يوم الأحد الذى هو إجازة فى أندونيسيا مجاراة لأعياد النصارى - ذهبنا فى الساعة العاشرة والنصف للصعود فى برج الاستقلال فى جاكرتا والذى يمكن منه رؤية المدينة لارتفاعه وبعد أخذ البطاقات وجدنا صف الانتظار للصعود طويلاً والمصعد واحد وليس واسعاً مثل مصعد عمارة نيويورك فقررنا الانسحاب من هذا الصف لنرجع فى وقت أقل ازدحاماً ومررنا على الحجرات المحيطة بالبرج وفيها الآثار التاريخية الأندونيسية التى تحكى تاريخ أندونيسيا من عصورها الهمجية القديمة الى عصر الاستقلال بالصور المجسمة .

ثم ذهبنا الى شاطىء البحر ، وفى طريقنا رأينا أنهاراً فى وسط المدينة قذرة ، وروائحها كريهة ، فسألنا ما هذه الأنهار القذرة التى تخترق جاكرتا العاصمة فقيل هذه هى المجارى يشق لها هذا المجرى الواسع ليصب فى البحر .

---

(١) جامع الأصول (٧ / ٣٢٧ / ٣٢٨) وراجع مجمع الزوائد (٢ / ١٧٢) .

لكل ساقطة لاقطة :

ومن المناظر الغريبة وجود بعض الأشخاص يستحمون فى مثل هذا المجرى . رأى الشيخ عبد القوى رجلًا وهو يستحم فاستغرب ذلك فقال بعض الأخوة الأندونيسيين ما أظنه يستحم ولكن يمكن أن يكون عاملًا يحفر بعض المجارى الفرعية وكان ذلك فيه شيء من الاحتمال عندى ولكن بعد قليل رأينا آخر وهو فى وسط هذا البحر يدلك جسمه عند ذلك قلت للأخوة لا تستغربوا فلكل ساقطة لاقطة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله .

وعندما وصلنا الى ساحل البحر وجدنا المكان أشد ازدحاماً من برج جاكرتا ، مع سعة الساحل ، وكان أهل جاكرتا قد اجتمعوا فى هذا المكان فلم نطق النزول به لما فيه من المنكر والصخب .

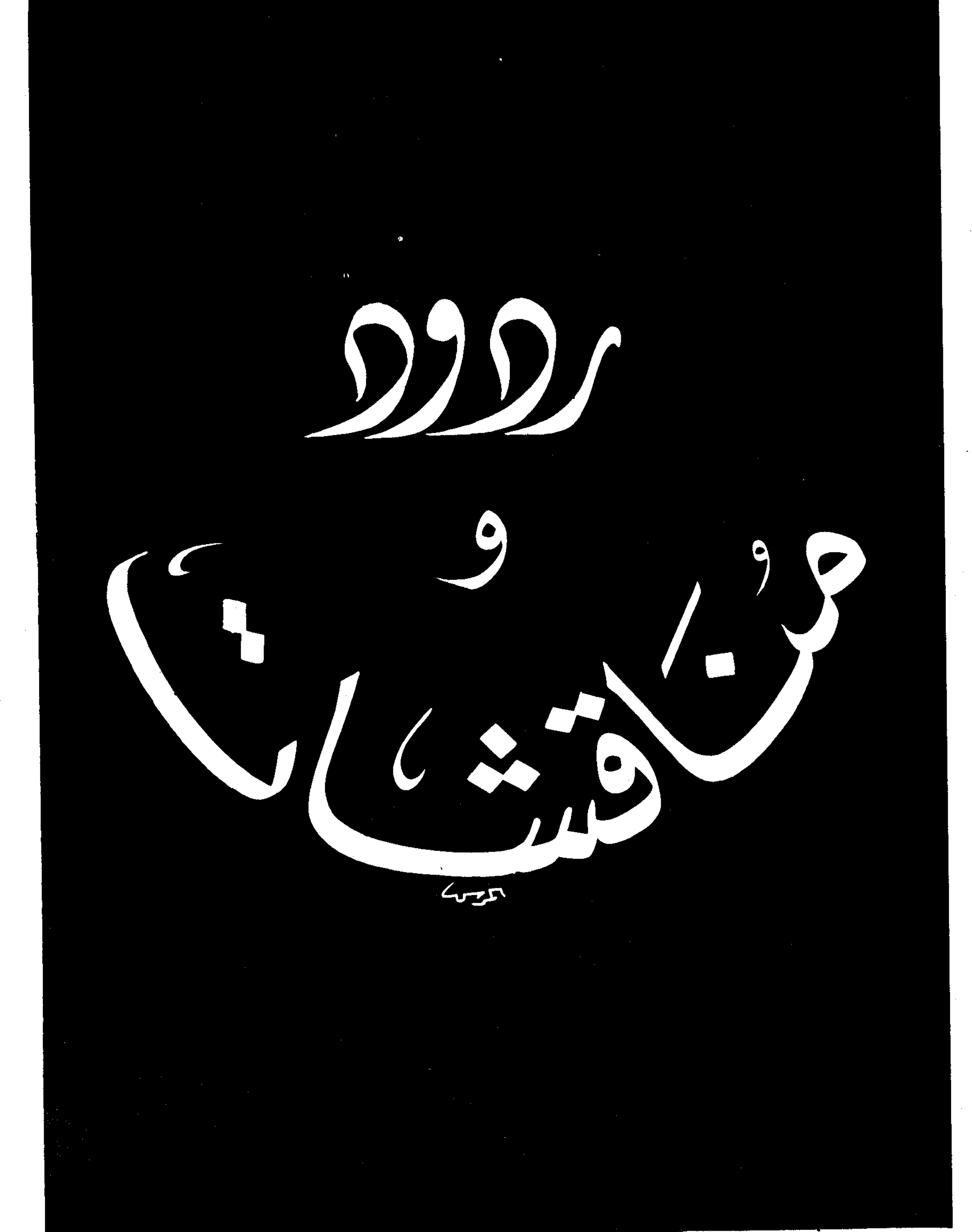
ركشة الأندونيسيين :

ومرت بنا قاطرة من العربات عددها عشر محملة بالمتنزهين ومكنتها شبيهة بمكنة الدراجة النارية الا أنها أقوى منها قليلا قلت هذه ركشة الأندونيسيين لأن الركشة الباكستانية أو البنغالية لا تتسع لعالم الذر ولا تتسع شوارع أندونيسيا لها مع أهلها .

ثم تشاور عبد الله باهرمز مع قائد السيارة بلغتيهما وكر السائق راجعاً إلى البحر من جهة أخرى بعد أن قال له عبد الله ترى مقاسى قلنا خيرًا إن شاء الله إلى أين ؟ فقال عبد الله ذكر السائق أن هذه الجهة التى نسير إليها الآن لا يوجد بها مرتادون لعدم وجود ظلال بها .

المواساة

المواساة للمؤمنين أنواع : مواساة بالمال . ومواساة بالجاه . ومواساة بالبدن والخدمة ، ومواساة بالنصيحة والارشاد ، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم ، ومواساة بالتوجع لهم ، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوى قويت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله . فلاتباعه من المواساة بحسب اتباعهم لـه .


ردود
و
مناقشات

أصحُّ ٱلبشائر
فى مبعثِ سيّدِ الأوائل والأواخر

للشيخ محمد المجذوب
كلية الدعوة وأصول الدين

لا حاجة إلى القول بأني أحد المستمتعين بأحاديث الأخ الشيخ علي الطنطاوى ، التى يرسلها عن طريق المذياع قبيل صلاة العصر من كل يوم ، حتى لا يكاد يفوتنى أحدها إلا تحت ضغط الضرورة ، فالشيخ ، حفظه الله وبارك فى حياته ، قد أصبح منذ بدأ هذه الأحاديث أنيس الجماهير ، إذ اقتحم على الناس مساكنهم ومشاغلهم ، واجتذب اهتمامهم فألفوا صوته ، واستعذبوا أسلوبه ، الذى يمزج الجد باللعب ، والعلم بالأدب ، ويخالط مشاعرهم بما يتناول من مسائلهم ومشكلاتهم وتطلعاتهم .. بتلك اللهجة المحببة التي يطلقها على فطرتها ، فتحمل إلى المستمع - والرائي - نفحات الغوطة ومشاهد قاسيون ، وذكريات دمّر وبردى من دنيا الشام ، دنيا الصبا والشباب والأحلام .

والله تبارك اسمه ، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . هو الذى قدر التلاقى والاقتراب فى نطاق الأفكار ، فقد تتقارب حتى لَتجمعُها الوحدة ، وتتباين حتى لا يتصور بينها لقاء . وطبيعى أن يرتفع منسوب هذا وذاك بالنسبة إلى أحاديث تكاد تؤلف موسوعة يتعذر تحديدها من المعلومات والمفهومات والتقريرات والفكاهات .. وعلى الرغم من كثرة نقاط التلاقى بين أفكار الأخ الطنطاوي وأفكاري ، فهناك مواقف نختلف عليها وقد يبلغ بعضها حدا يقتضى الحوار ، فأكتب به إليه أو يعقب في أحاديثه عليه .. وعلى هذا السَنَن أراني اليوم مدفوعا لمناقشة واحدة من نقاط الاختلاف التى عرض لها فى بعض أحاديثه أكثر من مرة . وقد كان عليّ أن اثير هذه المناقشة معه من زمان ، بيد أن ظروف العمل التى تستحوذ على

معظم وقتي حالت دون ذلك من قبل ، وإنما حفزنى اليها اليوم خبر أورده ا بن اسحق في تضاعيف السيرة ومرّ به ا بن هشام ثم العاملون فى خدمتها من المحققين والناشرين دون أن يلقوا إليه بالا فيما أعلم ..

وبازاء هذا الخبر وقفت اتأمل وأفكر وأقارن ، حتى انتهيت إلى القناعة بأن من الخير كتابة هذا البحث لا فى شأنه وحده ، بل فى أهم جوانب الموضوع المتصل به ، مما سبق أن أثاره فى صدري حديث الأستاذ المكرر ..

● أما الموضوع ففي نطاق البشائر التى تقدمت مَبْعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقدمه وبعثته والرسالة العظمى التى يحملها إلى الثقلين جميعا ، فيجمع بها شمل الإنسانية التى فرقتها العصبيات ، وينشر لأول مرة فى تاريخ الدنيا إعلانه العالمي عن حقوق الإنسان في الحياة والكرامة والحرية ·

ومهما تكن المناسبة التي دعت الأستاذ الطنطاوى إلى التعرض لهذا الموضوع ، فهي لا تعدو سؤالا أورده أحد مستمعيه بغية الوقوف على جوابه بشأن ما ذكره كُتَّابُ السيرة النبوية عن المبشّرات بظهور رسول الله في مختلف الروايات التاريخية · وقد رأيت الأستاذ أجزل الله مثوبته يميل صراحة إلى انكار هذه الأخبار ، ليؤكد خلو ذهن المصطفى صلى الله عليه وسلم من أي علم سابق عن ترشيحه لذلك المنصب الأعلى .. وما أدري أجاء تكراره لهذه الأفكار من قِبَلِ الإذاعة التي من عادتها اعادة بعض الحلقات فى مناسبات مختلفة ، أم كان جواباً آخر مؤكدا على سؤال جديد في الموضوع نفسه ! · وعلى أي حال فقد كان لموقفه هذا أثره في صدري كما أسلفت ، لاعتقادي أنه ينطوى على إطلاق لا بد من تقييده ، حفاظاً على الحقيقة التى نحبها جميعا ، ذلك لأن قبول كل ماورد في السيرة من هذه البشائر ضرب من الاستسلام الضرير ، الذي لا تقره الرؤية الإسلامية ، كما أن رفض كل ما يتعلق بهذا الجانب تحكّم لا مسوغ له في منطق العلم والعقل ·

واذن ففي جوابَيْ الأستاذ حول هذه البشائر صواب لا مندوحة عن إقراره ، وفيهما خطأ لا يرضى هو بالسكوت عنه ، ولا يتفق مع منهجه العلمي .. ولننظر الآن في كل من الجانبين على حدة

● إن المتتبع في وعي لروايات السيرة حول نشأة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يجد نفسه بازاء أخبار من حقها ـ لو صحت ـ أن تهيىء ذهنه صلى الله عليه وسلم لاستقبال النبأ العظيم .. وفي مقدمة هذه الروايات خبر بحيرا ، الذى تُقَدمه الرواية على أنه راهب عربي ، اتخذ فى طريق القوافل على حدود الشام صومعةً يعبد بها ربه ، حتى إذا مرّ به

ركب قريش ، وفيه أبو طالب وابن أخيه ـ الذى لم يتجاوز الثانية عشرة بعد ـ شدّت انتباهه ظاهرة غير مألوفة مالبث أن تحرك لاستكشافها ، فدعا القوم لطعامه ، وأكد عليهم أن لا يتخلف عنه أحد منهم ومن ثم شرع في تحريه ، استقراء عن طريق العلامات المميزة ، واستنطاقا بالاسئلة التي طرحها على الغلام المنشود ، حتى استيقن الحقيقة التي يتطلع إليها أولو العلم من أحبار يهود ورهبان النصارى .. وهنا تنتهى قصة بحيرا لدى ابن هشام وابن كثير (١) ثم يواصل الثانى حديثه عن بحيرى برواية قُراد أبى نوح ، التي تقول إن بحيرا قد أعلن قناعته بكون هذا اليتيم هو المبعوث المنتظر (٢) .

ثم تأتى الرواية الأخرى عن رحلته صلى الله عليه وسلم بتجارة الطاهرة ـ خديجة ـ إلى الشام ، حيث أتيح لفتاها ميسرة أن يرى ويسمع من خلال محمد صلى الله عليه وسلم ما ملأ قلبه اعجابا وتقديرا .

ولاتقف الرواية عند هذا الحد ، بل تضم إليه أيضا بعض المشاهد الخارقة التي أحاطت بالرفيق الكريم اثناء الرحلة ، من تظليل الغمام ورعاية الملَكين له .. واخبار راهب نصراني لميسرة بما يفيد أن رفيقه مرشح لمقام النبوة (٣) .. حتى إذا وصل ركبهما مكة ذهب ميسرة يحدث مَولاته خديجة بمرئياته ومسموعاته ، وبخاصة كلمة الراهب ، فلم تتمالك أن مضت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تذكر له حديث ميسرة ، فما كان من هذا إلا أن أكد لها توقعات الراهب قائلا : لئن كان هذا حقا ياخديجة ان محمدا لنبي هذه الأمة (٤) .

وتمضي الرواية فتعرض لنا اهتمام ورقة عقيب ذلك بخبر محمد صلى الله عليه وسلم حتى ليترجم اشواقه إلى يوم إعلانه دعوته بأبيات نثبت فيما يلي بعضها :

لججتُ ، وكنت في الذكرى لجوجا   لهمّ طالما بعث النشيجا
ووصفٍ من خديجة بعد وصف   فقد طال انتظارى يا خديجا
ببطن المكتين على رجائى   حديثَك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قسٍ   من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا   ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور   يقيم به البرية أن تموجا
فيا ليتى إذا ما كان ذاكم   شهدت وكنت أكثركم ولوجا
ولوجا في الذى كرهت قريش   ولو عجت بمكتها عجيجا

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ١٨٣ جـ ١ ط الحلبي ١٣٧٥ و (البداية والنهاية) ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ جـ ٢ ط المعارف بيروت ١٩٧٧ .
(٢ ، ٣) ابن كثير جـ ٢ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .
(٤) ابن هشام جـ ١ ط الحلبي ص ١٧٧ ـ ١٩١ وابن كثير جـ ٢ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٦ .

ويتبع هذه الرواية أخبار أخرى عن كهنة العرب ، تشير إلى مبعث النبي الموعود ، مرة بالرمز إليه ، وأخرى بالتصريح عن اسمه .. وحسبنا منها جميعا معالجة الخبرين الأولين بالممكن من التدقيق فى قيمتهما العلمية ومدى صلتهما بالواقع .

• ونبدأ بخبر بحيرا . فمع اختلاف مؤرخي السيرة في شخصيته ونسبه وملته يكادون يتفقون على كونه من أحبار أهل الكتاب ، قد أقام في صومعته تلك يعبد الله في معزل عن مفاسد عصره . وحين يعرضون ليوم لقائه محمدا صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب يكادون يتفقون كذلك على تنويهه بشأنه ، بعد تحققه من صفاته التي يجدها في بعض آثار الأنبياء السابقين .. ويزيد بعضهم أنه على مرأى ومسمع من أشياخ الركب (أخذ بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقال : هذا سيد العالمين ، وفي رواية الترمذي والبيهقي قال : هذا رسول رب العالمين بعثه الله رحمة للعالمين ..) ولما سأله هؤلاء عن مستند علمه عنه أجاب (إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خرّ ساجدا ، ولا يسجدون إلا لنبي .. وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف في كتفه ..) ولم يكتف بالخبر فأراهم الشجرة وهي تفيىء بظلها عليه .. ثم مازال بعمه حتى رده إلى مكة حماية له من الروم - وفي رواية من يهود - وتُخْتَم هذه الرواية بأن أبا بكر بعث معه بلالاً وزوده الراهب بالكعك والزيت (١) .

والذى يهمنا من حديث بحيرا هو إخباره بمستقبل محمد صلى الله عليه وسلم من حيث اصطفاء الله اياه لرسالته الخاتمة ، وتوكيده ذلك بسجود الشجر والحجر له .. فهاهنا يتوقف القارىء المفكر ليتساءل عن نصيب القصة من الواقع ، وبخاصة أن بحيرا لم يلق بالخبر همسا في مسمع واحد بعينه بل أعلنه صراحة على ملأ من أفراد الركب ، الذين طالبه اشياخهم بالبرهان على مدّعاه ..

وأنت حين تواجه هذا الخبر لا بد لك من التساؤل « كيف ينسى محمد صلى الله عليه وسلم ذلك النبأ فيما بعد ، وما بال أشياخ قريش ينسونه أيضا ، فلا يتذكرونه يوم يطلع عليهم بدعوة ربه ؟ . بل يقابلونها بالجحود والعناد ، الذى يقطع بأن المعارضين قد فوجئوا

(١) انظر البداية والنهاية : ٢٨٤ و ٢٨٥ جـ ٥ . وسنن الترمذى جـ ٥ ٢٥٠ - ٢٥١ ط السلفية والدلائل للبيهقي جـ ١ ٣٠٧ .

بها ، كما فوجيء بها محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، الذى ناء تحت ثقله أول الأمر ، ثم لم يطمئن قلبه إليها إلا بعد أن ثبته الله بلطفه ، وبما يسر له من عون الزوج العظيمة خديجة .

ونظرة أخيرة إلى خاتمة القصة تكشف لك واحدة أخرى من المشكلات التي لاتجد لها حلا . إذ المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في الثانية عشرة ، يكبر صدّيقه أبا بكر بما يقارب الثلاث من السنوات ، إذ كان ما بين التاسعة والعاشرة ، ولم تذكر له السيرة أى صلة ببلال ، الذى كان في رق أمية بن خلف حتى يوم انتقاله إلى ملك الصديق في أوائل سني البعثة .. فكيف كبر الصديق حتى قام بمسئولية الحماية لمحمد ؟ .. وكيف أفلت بلال من رق أمية ودخل سلطان الصديق ؟ .. وكيف ارتفعت سنه بغتة حتى صار قادراً على القيام بهذه المهمة ؟ .. ومن أين جاء اسم الكعك إلى القصة وهو لفظ لعله لم يتطرق إلى العربية إلاّ بعد الفتح الإسلامي ؟ .

وهذه الحيرة التي تراودك بازاء القصة قد سبقنا إليها عدد من رجال الحديث الذين لم يستطيعوا ردّها تَهيباً لسنده ، ولكنهم لم يكتموا رأيهم بأن من حملها إنما حملها لغرابتها مع التوكيد على انفراد راويها الأخير بها ، حتى أن ابن إسحاق نفسه لم يستطع عرضها إلا في صيغة « الزعم التى تنم عن منتهى الشك » (١) وكذلك فعل ابن كثير حين وجّه إليها نقداً يوشك أن يكون رداً للرواية باسرها ، ومثله صنع الزرقاني في شرحه على المواهب إذ نقل تضعيف الذهبي للخبر (٢) كما فعل البيهقي بقوله نقلا عن أحدهم (ليس في الدنيا مخلوق يحدث به غير قراد) (٣) .

ونتنقل الآن إلى القسم الثاني :

لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارة خديجة وهو في الخامسة والعشرين من سنيه ، وكان رفيقه في هذه الرحلة ميسرة غلامها ، ولا بد أنها استغرقت طويلا من الزمن ، وبذلك اتيح لميسرة وهو العاقل الفهم ـ كما يلوح من خلال الرواية ـ أن يشهد من خلائق محمد وسمو تصرفاته أثناءئذ ما يدفعه إلى الحديث عنهما لكل من يتصل به وبخاصة مولاته خديجة ، التي لا بد أنها أصغت إلى روايته تلك بإعجاب الكريم الفاضل يسمع أنباء إنسان

(١ و ٢) ابن كثير جـ ٢ ٢٨٥ . وابن هشام جـ ١ ١٨٠ ـ ١٨٣ ط الحلبي .

(٣) انظر هامش ص ٨٢ من كتاب (الفصول في اختصار سيرة الرسول) ط دار القلم بيروت .

بلغ القمة في عالم الفضائل ، حتى ليدفعها ذلك الإعجاب إلى التفكير فى الاقتران به ٠ وسواء توسلت إلى هذه الأمنية الغالية بعرض أمرها عليه مباشرة - كرواية ابن إسحاق (١) - أو بوساطة المرأة الحكيمة نفيسة بنت علية (٢) أو عن طريق أخت لخديجة في إحدى الروايات ، فقد أتم الله ذلك القران السعيد الذي عم ببركته لا بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب بل العالم الإسلامى بأجمعه حتى تقوم الساعة ٠

وإلى هنا والخبر طبيعي ومعقول ، ولكن التوقف إنما يتأتى عند بقيته ، حيث نرى خديجة رضى الله عنها مشغولة الذهن بموضوع الغمامة والملائكة وخبر النبوة ، حتى لا تتمالك أن تقصد إلى ذلك الرجل الحكيم العليم ورقة بن نوفل لتتعرف تأويل تلك الظواهر ، فتسمع منه البشرى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك باعثها الفعال على طلب الزواج منه ٠

وبقليل من التأمل في مسيرة هذا الجزء من الرواية يتضح لك اضطرابه هو الآخر ذلك أن خبراً كهذا تسمعه خديجة من ميسرة ثم من ورقة من حقه أن يصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم عقب زواجه أو خلال الخمسَ عشرةَ سنة التى سبقت الوحي ، وهذا ما ترفضه الوقائع ، التى تؤكد أن محمدا وخديجة كليهما كانا سواء في خلو ذهنيهما من أمر الوحي ، إذ فاجأه على غير انتظار ، وفاجأها به في جو من الروع المَهيب ، فلم تجد ما تقوله له سوى التذكير بفضائله التي لا يقاربها الشيطان .. وحسبنا دليلًا حاسماً على خلو ذهنه صلى الله عليه وسلم من موضوع النبوة كلياً قول ربه له تبارك اسمه : **(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمان ...)** (الشورى آية ٥٢) وهو توكيد حازم لما سبق من قوله الآخر سبحانه في سورة الضحى **(وَوَجَدَكَ ضالًا فَهَدى)** ففي كلتا الآيتين تصوير عميق الدلالة على الوضع النفسي الذي كان يلابس محمداً صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ، فهو في حيرة لا يعرف السبيل إلى جلائها ، فلا فكرة لديه عن رسالات الله ، ولا يعرف من الإيمان سوى التوحيد الفطري الذي ينطق به كل شيىء في هذا الكون ، إلى أن فاجأه الزائر العظيم في أحضان حراء ..

- ومن هذا كله نجد أنفسنا تلقاء أمرين : أحدهما الشك في خبر الراهب النصراني عن الغمام والملائكة والشجرة التى مانزل تحتها قط إلا نبي (٣) والثاني أن يكون اتصال

---

(١) راجع الدلائل ص ٣٠٩ ط السلفية ٠

(٢) ابن هشام ط الحلبي ص ١٨٩ جـ ١ ٠

(٣) ابن هشام ط دار الفكر جـ ١ ٢٠٥ - في الهامش - وفي (المنتخب من السنة) تذكر باسم نفيسة ٠

خديجة بورقة لاستطلاع رأيه لم يأت عقيب عودته صلى الله عليه وسلم وميسرة من الشام ، بل الأحرى أن يكون حصوله على إثر نزول الوحى مباشرة ، يوم عاد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف من الرعب ، فذهبت به إلى ابن عمها الذى طمأنه وبشره بالنبوة (١) .

وعلى هذا التقدير يكون ثمة تقديم وتأخير في أجزاء الحادث المتصل ببشرى ورقة .. ولعلنا لو أعدنا ترتيب هذه الأجزاء وفق منطق الحوادث لوجدنا أنفسنا تلقاء الصورة التالية أو قريبا منها :

يعود رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إثر اللحظة الهائلة التي قُدِّر له فيها لقاء جبريل (عليه السلام) إلى خديجة يرتجف من الروع ، فتتلقاه بأحسن ما تملك من كريم الرعاية وجميل البيان ، حتى إذا اطمأنت إلى هدوئه ، أخذت سبيلها في زورة عجلى إلى ابن عمها ورقة ، أعلم أهل مكة بأمور الدين ، فما إن يسمع حديثها عن تلك المفاجاة حتى يهزه الوجد ، ويأخذ في التسبيح : قُدوس قُدوس .. ثم يصرح بالبشرى : (والذى نفسي بيده لئن كنت صدقتنى ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبر - جبريل - وإنه لنبي هذه الأمة ، فقولى له فليثبت (٢) .

وهكذا تعود خديجة (رضى الله عنها) إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) بكلمة ورقة تشد بها عزيمته ، ولتقول له في ثقة عالية وبألفاظ ورقة نفسها : (والذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة (٣) . وطلبا للمزيد من التثبيت ترى أن يسمع محمد تلك البشرى الشافية من فم صاحبها مباشرة ، ولذلك (انطلقت بمحمد حتى أتت ورقة فقالت له : ياابن عمّ اسمع من ابن اخيك .. فأخبره (صلى الله عليه وسلم) خبر ما رأى فقال له ورقة ، هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى (٤) . ومن هنا جعلت الأشواق تتفاعل في صدر ورقة إلى اليوم الذى يؤمر فيه النبي الخاتم بتبليغ رسالة ربه ، فلا يتمالك أن يترجمها بتلك الأبيات التي أثبتناها في ماتقدم . ثم يلقى محمداً (صلى الله عليه وسلم) وهو يطوف بالبيت فيستعيد خبره ، ولعله يستوضحه عما جدّ له ، فيقص عليه مارأى وما سمع ، فيكرر ورقة ما قاله من قبل مؤكدا بشراه بالقسم : (والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة (٥)) .

---

(١) ابن هشام ط الحلبي جـ ١ ص ١٨٨ . وعبارة ابن كثير خالية من الظرف « قط » جـ ٢ ص ٢٩٤ . ويفسر السهيلي عبارة الراهب بقصده إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) وحده وهو بعيد ، وذكر الظرف المستغرق للماضي عند ابن هشام يفيد القطع بأنه لم يجلس تحت هذه الشجرة قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا النبيون .

(٢ و ٣ و ٤ و ٥) ابن هشام ط الحلبي ص ٢٣٨ جـ ١ . وانظر ابن كثير جـ ٣ ص ٣ . والمنتخب من السنة جـ ١ / ٧٣ / ٧٤ .

ومما يؤيد هذا الاتجاه في ترتيب أجزاء الخبر رواية ابن كثير له حيث يعرض نبأ عودته (صلى الله عليه وسلم) إلى خديجة وهو يقول : (زملوني زملوني ، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الروع ، فأخبر خديجة بأمره · وقال : لقد خشيت على نفسي ·· فجعلت خديجة تُسَرّي عنه بقولها : كلا ·· والله لا يخزيك الله أبداً · إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكَلَّ وتُكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق ··) ويعقب ابن كثير ذلك بقوله : : (فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة ··) إلى نهاية الخبر ·

فأنت ترى خلو رواية ابن كثير من هذا القول المنسوب في السيرة إلى خديجة (·· إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة) وتؤكد رواية البخاري ومسلم وأحمد والترمذى والنسائي (١) ·

- ورب متسائل يقول : ومن أين جاء خبر تظليل الملائكة والغمام وسجود الحجر والشجر لمحمد وانصهارها عليه ؟ ! ·· فأقرب جواب على ذلك أن يكون بعض نساخ السيرة ، وربما كان من مسلمة أهل الكتاب ، قد آسفه أن يقرأ في أسفارهم مثل تلك العجائب تواكب بعثة بعض الأنبياء ، ولا يرى مثل ذلك في سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي أكرمه الله بإمامتهم جميعا ، فلم ير بأسا في اضافة مثلها إلى بعض أخباره ·· بل لا أستغرب أن يكون من هذه الاضافات ذلك الخبر القائل إن يهوديا أطل من أطمه في يثرب ليصرخ في قومه : (يامعشر يهود ·· طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به (٢) وذلك مضاهاة لما تقوله بعض مكتوبات النصارى من أن رجالا من فارس قد عرفوا بميلاد المسيح (عليه السلام) من نجم معيَّن فجعلوا يتتبعونه حتى انتهوا إلى مقره في بيت لحم (٣) ·

وأنا إذ أعرض هذه التصورات لا أنسى أن بعض هذه الأخبار مكتوب في بعض المؤلفات المقدَّرة عند جمهور المسلمين ، ولكن علينا أن نتذكر كذلك أن لمؤلفيها رأيا معلوما في التفريق بين التاريخ والشريعة ، فهم إذا رَوَوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تشددوا في التحقيق ، وإذا عرضوا للأخبار التاريخية مالوا إلى التساهل · وليتهم لم يفعلوا ذلك لأن التاريخ في ضوء الإسلام معرض العِبَر التي يجب على المسلم تطبيقها في حياته ، وإنما يصلح التطبيق إذا صحت الوقائع ، وكل تحريف في عرضها إنما هو مضيعة أو مفسدة للعبرة نفسها ··

---

(١) المنتخب من السنة ص ٧٢ ـ ٧٤ جـ ١ ·

(٢) ابن هشام جـ ١ / ١٥٩ ط الحلبي . وقريب من ذلك رواية الحاكم في المستدرك عن يهودي فعل بعض هذا في مكة أيضاً جـ ٢ / ٦٠١ ـ ٦٠٢ ·

(٣) راجع الفصل الثاني من انجيل متى ·

● ونعود الآن الى قصيدة ورقة ذات الصلة الوثيقة بهذا الموضوع ، فهي من الناحية الفنية أشبه صياغةً بأساليب الشعر المكي أثناء البعثة ، الذي قلما يتوافر له الألق الجذاب ، الذى نعرفه في أساليب الفحول من نجد ويثرب .. إنه اقرب ما يكون إلى نظم العلماء منه إلى غناء الشعراء ... ولذلك لا يستبعد أن تكون نسبتها إلى ورقة الحبرِ العالمِ صحيحةً لما تحمله من التركيز على الجانب الفكري ، الذي يصور تطلعه إلى موعد الجهر بدعوة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ليقف بجانبه يشاطره ما سيتحمله من العناء والبلاء في سبيل الله .. ولا نرى حاجة إلى استعادتها مرة ثانية هنا ، ولكن ثمة بعض المؤشرات التي لا مندوحة من التوقف عندها قليلا :

يقول ورقة (رح) :

لججت وكنت في الذكرى لجوجا ... لـهـمٍ طالمـا بـعـث الـنـشـيـجـا
ووصفٍ من خديجة بعد وصفٍ ... فـقد طال انـتـظارى يا خديـجـا
بـبـطـن المـكـتين على رجائى ... حديـثـك أن أرى مـنـه خروجا

فهو في هذه المقدمة يعبر عن تشوقه لأخبار محمد (صلى الله عليه وسلم) التي حركت سواكن الاشجان في صدره من أوضاع الناس الغارقين حوله في حلكات الظلام .. فهو يتطلع بلهفة إلى الموعد المنتظر .. وهي مقدمة واضحة الدلالة ، على الرغم مما فيها من جفاف العبارة وتكلف الشاعرية .. ولكن هذا الانسجام لا يلبث أن يتقلقل عندما نقرأ البيت الرابع :

بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان أكره أن يعوجا

والمراد بالقس هو ذلك الراهب الذى سبقت اشارته إلى نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) لمجرد جلوسه تحت الشجرة ... وهو بيت غريب عن السياق غرابة خبر الراهب هذا ، ويكاد ينطق بانه مدسوس على القصيدة دساً ، سواء من حيث صياغته أو مضمونه أو بعض مفرداته ، ففي (يعوجا) محاولة لقسر اللفظ على أن يكون قافية في منظومة لا قرابة بينه وبينها البتة ، فضلا عن ضياع موضع الربط بين (بما) ومتعلقها أهو (الهمّ) أم (النشيج) أم (الانتظار) أم (الخروج) ! ولكي تتضح لك غربة هذا البيت أكثر فما عليك إلا أن تحذفه من خيالك ثم تقرأ بدله البيت الخامس مباشرة :

بأن محمدا سيسود فينا ... ويخصم من يكون له حجيجا

فأحق مكان. بتعليق المصدر المجرور أول هذا البيت (بأن ...) هو (وصف) في صدر البيت الثاني ، وهكذا تستكمل الدارة الفكرية تلاقيها ، فينسجم مضمون الأبيات في مجرى واحد لاعوج فيه ولا أمت ... فنشعر أن الباعث النفسي لصياغة القصيدة هو ما قصته خديجة على ورقة من أمر الوحي ، وما سمعه عقيب ذلك من الرسول نفسه عن ملابساته ، وكل ما قيل عن علاقتها بغير هذه المناسبة فهو ادعاء ينقصه الدليل المعقول .

• ولقد آن لنا بعد هذه الرحلة الطويلة أن نعود إلى منطلق البحث ، وهو موقف الأخ الكريم الأستاذ على الطنطاوى وآخرين مثله من موضوع البشائر عن مبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السابقة لظهوره .

فأما جانب الصواب في انكار هؤلاء الأفاضل فقد أوضحناه مؤيدا بكل ما نملك من الحجج والبينات ، وقد بقى أن نقف بعض الكلام على الجانب الآخر ، جانب المبشرات الثابتة بأقوى ما يهتدي إليه العقل والقلب من وسائل الإثبات .

وقبل التعرض لهذه الوسائل يحسن بنا أن نذكّر القارىء بما لا يحسن أن يغفله من المعلومات الأولية ، وهي أن بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت ولا تزال أعظم أحداث التاريخ البشرى قاطبة ، لأن الإنسانية بها انتقلت من صحراء الضياع الذى يصوره قول الله تبارك اسمه **(ظهرَ الفسادُ في البرِّ والبحرِ بما كَسَبت أيدي الناس ...)** (الروم الآية ٤١) . ثم قول رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) في وصف الوضع البشرى اثناء بعثته (.. إن الله اطلع إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب) (١) . إلى ساحة النور فاتضحت معالم الطريق ، وتحددت المسئوليات ، وانكشف للابصار ماطمسته الجاهلية من حقيقة الإنسان وتبعاته ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيَ عن بينة ..

وَحَدَثٌ له مثلُ هذا الثِقَل في موازين الوجود لا يُعقل أن يفاجىء الله به الجنس البشرى دون أن يمهد له بما يهيىء لاستقباله الأذهان .. ولذلك لم يبعث الله نبيًا إلا أخذ عليه العهد بالابلاغ عن هذا المبعوث الذى يدّخره سبحانه لانقاذ سفينة الحياة من زوابع الضلال ..

يقول جل شأنه في سورة آل عمران : **(وإذْ أخَذَ الله ميثاقَ النبيينَ لَمَا آتيتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءَكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لَتُؤمنُنَّ به ولَتَنصرُنه . قال أأقررتُم وأخذتُم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) .**

---

(١) من حديث طويل اخرجه مسلم .

وفي تفسير هذا الميثاق ينقل ابن كثير عن علي وابن عباس أن الله لم يبعث نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بَعَث الله محمداً وهو حيٌّ ليؤمَنَنَّ به ولينصرَنّه ، وأن يأخذ الميثاقَ على أمته لئن بُعِثَ محمدٌ وهم احياء ليؤمنُنّ به ولينصرُنه ٠

ويقول سبحانه في التعقيب على استغفار نبيه موسى (عليه السلام) **(... ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء فسأكتبُها للذين يتقون ويُؤتونَ الزكاةَ والذين هم بآياتنا يؤمنون ٠ الذين يَتَّبعون النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراةِ والإنجيل يأمرهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ ويُحِلُّ لهم الطيباتِ ويُحرمُ عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصرَهم والأغلالَ التيِ كانت عليهم ٠ فالذين آمنوا به وعزّروه واتبعوا النورَ الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)** (الاعراف ١٥٦ و ١٥٧) ٠

وفي هاتين الآيتين يقول ابن كثير أيضا : وهذه صفة محمد (صلى الله عليه وسلم) في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم) ٠

ولقد والله رأينا صفاته هذه في التوراة لا تزال قائمةً على الرغم من كل التحريفات التى لحقت بها ، ورأيناها في إنجيل يوحنا منقولة عن لسان عيسى (عليه السلام) يبشر فيها بمبعث محمد (صلى الله عليه وسلم) ويحدد صفته بالاسم ، على الرغم من تلاعبهم بتغييره في الترجمة العربية ، إذ جعلوه (المعزّي) بدل (أحمد) ويأبى الله إلا يفضح المزوّرين فيكشف الحقيقة بلسان المستشرق الايطالي الدكتور « نلينو » الذي صرح للشيخ عبد الوهاب النجار بأن اسم المبشر به باليونانية وهو (الفارقليطس) يعني بالعربية الكثير الحمد ٠٠ بل لقد كشفوا هم أنفسهم عن تزويرهم هذا بما كتبوه في ذيل الصحف التي حملت البشارة من انجيل يوحنا المطبوع بالعربية ، حيث يقولون بالحرف الواحد تعقيباً على كلمة المعزي (إن لفظ المعزى ليس له في المتن الأصلي شيىء من معنى الحمد ٠ ومن فسره بالمعزى فإنما تحرف عليه لفظ المعزي الذى في الترجمات العربية ٠٠) ومجرد ذكرهم هنا لفظ الحمد دليل قاطع على اختلافهم حول ترجمة اللفظ اليوناني الأصلي ، وعلى أن بينهم من ذهب إلى ربطه بمعنى (الحمد) الذى يراد استبعاده بهذه الحاشية ، فكان ذلك شهادة منهم على أنفسهم بالتزوير والتحريف ٠٠ وملاحظة أخرى وهي أن في الفقرة الأخيرة اشارة صريحة إلى وجود ترجمات سابقة بالعربية أثبت فيها اللفظ المشتق من الحمد بدل (المعزي) (١) ٠٠ ولو هم انصفوا عقولهم وآثروا الحق لتركوا لبشارة المسيح أن تصل إلى آذان الناس وقلوبهم ، لأنها إذ ذاك لن تكون إلا

---

(١) انظر الفصل ١٦ من انجيل يوحنا وحاشيته في الطبعة اليسوعية ٠ ويلاحظ في الفقرة الأخيرة من الحاشية أن ثمة زلقة قلم وضعت كلمة (المعزى) مكان (الحمد) بقول المحشّي (ومن فسره بالمعزى) يريد (ومن فسره بالحمد) حسب مفهوم السياق ٠

إعلانا للحقيقة التي بلغها المسيح (عليه السلام) من قبل في قوله لبني اسرائيل (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) (الصف ٦) ٠

• ولقد بلغتْ تلك البشريات في التوراة والانجيل بمبعث خاتم الرسل (صلى الله عليه وسلم) حدا لم يبق معه مجال للتجاهل ، حتى أصبح أولو العلم من أهل الكتاب **(يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** (البقرة ١٤٦) ٠ ولم يقف أمر هذه البشائر على ذوي العلم من خاصة أهل الكتاب وحدهم ، بل لقد انتشرت أنباؤها في سوادهم ، حتى لقد كان يهود يثرب يوعدون وثنييها من العرب بأن نبيًّا أطل زمانه سيتبعونه ويقاتلونهم معه فيقتلونهم قتل عاد وارم **(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ٠ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ٠ فلعنةُ الله على الكافرين)** (البقرة ٨٩) ٠

وحسبنا بهذه الشهادات الدامغة أدلة مقنعة بما أسلفناه من أن ذكر محمد (صلى الله عليه وسلم) كان محفوظا في الكتب المقدسة ، وعلى ألسنة أهل العلم ، الذين كانوا ولا يبرحون يتوارثونه جيلا بعد جيل منذ بعث الله أول نبيٍ وحتى تقوم الساعة ٠

وليست قصة سلمان (رضى الله عنه) وضربه في الأرض بحثا عن الحق وتلقيه خبر محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلاماته من أسقف عمورية ، إلا واحداً من نقول الثقات بعضهم عن بعض لهذه المبشّرات ٠٠

وحتى موروثات الهنود والفرس القديمة من علوم أسلافهم لم تخل من هذه المبشرات ، وقد عني بالحديث عنها كثيرون من مؤرخي المسلمين كابن حزم والشهرستانى وابن تيمية ورحمة الله الدهلوي ، وفي كتاب (مطالع الأنوار) لعباس محمود العقاد نماذج وفيرة لمن شاء المزيد من أخبارها ٠ ويقول الأخ الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي - الهندي - إنه مَعْنِيٌّ بتأليف كتاب يحمل الكثير من بشائر الكتب الهندوسية بمحمد (صلى الله عليه وسلم) (١) ٠

وسأختم هذا العرض بواحدة من هذه البشائر التي لا مجال للمراء في مدلولها ، وقد اخترتها من الكتاب المنسوب إلى أشعياء في مجموعة العهد القديم ٠

في الاصحاح : ٣٥ / من رؤى أشعياء يعرض هذا النبي صورة رائعة الوضوح والجلال للحدث العظيم الذى أطل على الدنيا ببعث محمد (صلى الله عليه وسلم) فيرينا معالم الخير الذي غمر الجزيرة العربية ، والحضارة المثلى التي نشرها الإسلام ، لا في الإنسان وحده بل في كل شيىء ٠

---

(١) الدكتور ضياء الرحمن من خريجي الجامعة الإسلامية وهو من مدرسيها ، وقد كان هندوسياً فهداه الله إلى الإسلام ٠

فلنستمع إليه يفصل مرئياته من وراء أكثر من ألف سنة قبل بعثة ذلك المنقذ العالمي الذى اصطفاه الله رحمة للعالمين :

يقول أشعياء : (تفرح البرية والأرض اليابسة ، ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس ، يزهر إزهاراً ويبتهج ابتهاجاً ويرنِمّ .

يُدفع إليه مجدُ لبنان بهاء كرمل وشارون ، هم يرون مجد الرب بهاء إلّهنا .

شدّدوا الأيادي المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها . قولوا لخائفي القلوب تشددوا لا تخافوا هو ذا الّهكم . الانتقام يأتي جزاءُ الله هو يأتي ويخلصكم .

حينئذ تتفتح عيون العمي ، وآذان الصم تتفتح ، حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ، ويترنم لسان الأخرس ، لأنه قد انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر ويصير السراب أجما ، والمعطشة ينابيع ماء .

في مسكن الذئاب ، في مربضها دار للقصب والبَرْدِيّ .

وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدَّسة ، لا يعبر فيها نجس ، بل هي لهم .

من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل .

لا يكون هناك أسد ، وحش مفترس لا يصعد إليها ، بل يسلك المَفْدِيُون فيها ، ومَفْدِيو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح ، فرح أبديّ على رؤسهم .. ابتهاج وفرح يدر كانهم ، ويهرب الحزن والتنهد (١) .

إن أشعياء يصوغ مرئياته السعيدة هذه في أسلوب شعري يترقرق بالفرح والبهجة ، فلا يتمالك أن يسكب من مشاعره على الأرض اليابسة فإذا هي تموج بمثل فرحه وبهجته .. حتى ليرى كل شيىء فيها يضحك ويزهر ويغني ...

ولم كل ذلك ؟ ...

لان انقلاب خارقاً قد غيَّر مسيرة الحياة فاستبدلت بكآبة الشقاء والضياع هدايةَ السماء التي ملأت الأرض بنور الله .

ولذلك يهيب بالمظلومين : أن افتحوا قلوبكم فقد جاءكم الخلاص على قدر ، فلا عدوان بعد اليوم ولا بغي ولا طغيان ..

---

(١) انظر أشعياء صح ٣٥ .

إنه انقلابٌ شامل يطلق المواهب كلها في جزيرة العرب ، فتنشط العقول ، وتتفجر منابع الحكمة على كل لسان .. وتستحيل الأرض ، التي كانت حتى الأمس مرتعاً للموت ، جناتٍ ترف بالأمن الذي ينعم به كل شيىء من إنسان وحيوان .

يالها معجزةً أحالت مرابض الذئاب دوراً للعلم فلا يكاد يرى فيها الا القارئون والكاتبون والمعلّمون !

ثـــم مـــــاذا ؟

ثم الحرم المقدس الذى طهره الله من نجس الكفر ، فلا يرتاده الا القائمون والعاكفون والركع السجود ..

إليه يزحف الملبّون لنداء السماء من كل حدب وصوب ، ومن جوار المسجد الأقصى يَفِدون لتمجيد الله ، الذى وهب لهم كل هذه النّعم ، حتى اذا قضوا حجهم ، وأدَّوا مناسكهم ، عادوا الى ربوعهم فرحين بما نالوا من تجلي مولاهم الحق ، وقد غمرتهم السعادة بما استشعروه من مغفرته ورضوانه ..

لقد قربوا الذبائح في طاعته ، وأكثروا من صدقات الفِداء عن كل مساءة يتوهمون انهم أتوها ، ومن أجل ذلك استحقوا أن يسميهم أشعياء (مَفدِيّي الرب) ..

ويالها بشارة من حقها أن تُذَكِّرِ أهل الكتاب بالعهد الذي أخذه الله عليهم أن يكونوا أول المؤمنين بالصادق الأمين . إمام النبيين ، وسيد الأولين والآخرين . ..

عليـــه صـــلوات الله وســـلامه الى يـــوم الـــدين ..

تـــــذييـــــل :

بعد الفراغ من كتابة هذا البحث شاء الله أن أقع على خبر بحيرا في (فقه السيرة) للأستاذ محمد الغزالى وأن أقف من هناك على مناقشة المحدث الفاضل الشيخ ناصر الدين الألباني لقول المؤلف (سواء صحت قصة بحيرا أو بطلت) ثم لقوله الآخر في شأنها (والمحققون على أن هذه الرواية موضوعة مضاهاة لمزاعم الانجيليين في شأن المسيح) حيث يقفِي الشيخ ناصر على الفقرة الأولى بقوله (بل هي صحيحة ..) ويحتج لرأيه بأن الترمذى قد أخرج الخبر من طريق أبي موسى الأشعري وعرَّفه بأنه (حديث حسن) ثم نقل قول الجزري بأن (ذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ) وأردف ذلك برواية البزار عن هذه الفقرة أن الذى عاد بمحمد (ص) الى مكة رجل آخر أرسله معه عمه . ومن ثم عمد الى نفي

الوضع عن الخبر في الفقرة الثانية محتجاً لصحته بما أورده الانجيليون من أخبار عن موسى (عليه السلام) مطابقة لمضمون القرآن .

وقد دافع الأستاذ الغزالى عن وجهته في الصفحة نفسها محتجاً بتقرير أئمة من أهل الحديث ، كالذهبى الذى يقول - في ميزان الاعتدال - مما يدل على بطلان هذا الحديث قوله (وبعث معه أبو بكر بلالاً) وكالحافظ بن حجر الذي ينقل قوله في (المواهب اللدنية) أن (رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه النقطة ، فيحتمل أن تكون مدرجة فيه ، منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته .. وأخيراً يورد قول ابن كثير أن من غرائب هذا الحديث كونه من مرسلات الصحابة ، فهو على كل تقدير مرسل) (١) .

وقد رأيت أن ألفت نظر القارىء الى بعض الملاحظات حول هذا الحوار :

أ - إن عمدة القائلين بصحة هذا الخبر هي ثقتهم بسنده فهو عند صيارفة الحديث من الضرب الموثوق دون ريب . ولا غبار على متنه لأنه داخل في الممكنات التي تتعلق بتكرمة الله عبده المختار (صلى الله عليه وسلم) .

ب - لذلك وقف نقدهم عند فقرته الأخيرة من ذكر أبي بكر وبلال (رضى الله عنهما) فأوردوا عليها بعض الاحتمالات ، ومن ذلك رواية البزار بارسال رجل آخر مكان بلال لم يذكر اسمه ، ونضيف الى ذلك الرواية الثالثة القائلة بأن الذي عاد به الى مكة هو عمه أبو طالب (٢) .

ولننظر الآن في كل من الملاحظتين على حدة :

أ - لا خلاف على صحة السند بشهادة أولي العلم ، ولعل الخلاف أن يكون مقصوراً على تعيين نوع الحديث أمن المراسيل هو أم من المرفوعات ؟ .. والذي يطمئن إليه العقل والقلب هو ما ذهب إليه ابن كثير من القطع بإرساله ، وفي هذه الحال لا يعدو كونه نوعاً من الأخبار التي سمع أبو موسى (رضى الله عنه) بعض الناس يتناقلونها فحملها عنهم .. ويؤيد ذلك وقف الخبر على راويه الأخير الذي يقول فيه أحد عارفيه - كما أسلفنا - (ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد) (٣) .

---

(١) فقه السيرة ط دار الكتب الحديثة ٦٨ - ٦٩ / ١٩٧٦ .
(٢) ابن هشام ط الحلبي جـ / ١٨٣ .
(٣) ابن كثير جـ ٢ / ٢٨٥ .

ب ـ إن تسليم نَقَلَةِ الخبر باحتمال الوهم أو الإدراج في آخره يفتح المجال للتساؤل عما إذا كان مثل ذلك قد حدث أيضا في بعض أجزائه الأخرى ، ونخص بالذكر منها سجود الحجارة ، وكيف كان وعلى أي صورة ؟ .. وليس تصور هذا بأقل غرابةً من مشاهدة ميسرة للملائكة في الخبر الآخر .

جـ ـ إعلان بحيرا نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) كان على مسمع منه (صلى الله عليه وسلم) ومسمع ومشهد من أشياخ الركب ، فلم طُمِس على هذا الجانب نهائياً فيما بعد ، فلم يُذكر على لسان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قط ، ولم يُرو عن أحد من هؤلاء الأشياخ ، بل الذي حدث أن مكة كلها فوجئت بالنبأ العظيم عقيب يوم حراء العظيم ؟ !

د ـ لقد حدَّث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالكثير من إرهاصات نبوته ، وجاء بعض أحاديثه في هذا الصدد أجوبة على أسئلة صحابته وفيها ما يفوق بشرى بحيرا ، كشق صدره وتسليم الحجر والشجر عليه ، وبعد البعثة شهد الجم الغفير من أصحابه خوارق المعجزات التي حققها الله على يديه ، وقد أودع ذلك كله بطونَ المراجع التي بلغت أعلى درجات الصحة ، فكيف أمسك (صلى الله عليه وسلم) عن ذكر خبر بحيرا فلم ينقل عنه ، ولمَ سكت صحابته الأدنَون فلم يسألوه عنه ، مع أنه جدير باستفساراتهم ؟ !! .. أليس في ذلك دليل على أن ذلك الخبر لم يكن معروفاً أيامه (صلى الله عليه وسلم) وإنما تأخر ظهوره الى ما بعد وفاته ؟ !

هـ ـ وأخيرا ليسمح لنا فضيلة الشيخ ناصر ـ نفع الله بعلمه ـ أن نذكره بأن مثله عن موافقة بعض الانجيليين لبعض أنباء القرآن بشأن موسى (عليه السلام) غير كافٍ لتسويغ ذلك التشابه الغريب مازعموه من البشريات بظهور المسيح (عليه السلام) وما ذكره كتاب السيرة من بشائر البعثة النبوية التي نحن بصددها ، فالمسلم لم يصدق أخبار أهل الكتاب عن موسى (عليه السلام) لو لم يقرأها في الذكر المحفوظ ، وإلا فكم من خبر لديهم لا يساوي المداد الذى كتب به ، وإذن فلا وجه للمقارنة بين كتبهم التي لا يُعرف أصلها ومصادرنا التي أقامت للفكر البشريّ معالم التحقيق الفاصل بين الحق والباطل .. هذا إلى أن الخبر الذي نسبه الشيخ ناصر إلى الإنجيليين إنما هو من أسفار اليهود فلا مكان له في صحف هؤلاء ولا مناسبة ـ فيما أذكر ـ .

ولعل من الخير أن نختم هذه الملاحظات بتلك الكلمة الحكيمة التي عقب بها العلامة المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ـ غفر الله له ـ على ما عرضه من أشباه تلك المرويات التي

ناقشنا بعضها حيث يقول : « إننا لا يجب علينا ديناً وإيماناً أن نُذعن لهذه الأخبار وإن كانت من حيث السند صادقة (١) .. لأن هذه الأمور ليست جزءا مما دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الإيمان به (٢) .

ونحن في مناقشتنا لهذه الأخبار إنما نفعل ذلك حفاظاً على منهج السلف في تصفية التاريخ الإسلامي من كل خبر لا يحمل طابع الصحة الحاسمة .. وانطلاقاً من هذا الاتجاه نرفع إلى أستاذنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز ، وإلى معالي أخيه الشيخ محمد علي الحركان ، وصاحبيْ الفضيلة الدكتور عبد الله الزايد ، نائب رئيس الجامعة الإسلامية ، والدكتور عبد الله التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، حفظهم الله وبارك جهودهم ، اقتراحاً نرجو أن ينال قبولهم ، وهو أن يؤلفوا مَجْمَعاً خاصاً باسم (المجلس الأعلى لتصفية السيرة المطهرة) تكون مهمته أن يقدم للعالم الإسلامي كتاباً في السيرة النبوية يقتصر على أصح الأخبار من تاريخ أكرم مختار ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار . وليس ذلك على هممهم العالية وإخلاصهم الكبير بعزيز ، إن شاء الله ..

وللأخ الفاضل الأستاذ علي الطنطاوي أخيراً وافر الدعاء على ما أثاره من البواعث لإخراج هذا البحث الذي نرجو أن يكون مقبولاً عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولله الحمد من قبل ومن بعد .

قرأت القرآن وفهمته

قرأت « القرآن » فبهرنى وأصابنى بنوع من الذهول الناتج عن الاعجاب الكبير بما آتى به من تعاليم وأفكار .. لقد قرأت أن كل ما فى الكون يسبح لله ويسجد له كالحجارة والنبات والبحار والسماوات .. والإنسان هو الوحيد في هذا الكون قادر على أن يفكر وقادر على أن يسجد أو لا يسجد وهذا دليل على أن الله أعطى للإنسان قيمة كبيرة ومكانة عالية في الحياة .

فإذا كان الغرب يسن قانون السيطرة ويشجع على قانون الغاب فإن الإسلام يدعو إلى المحبة والتآخى والسلام والعدل والشورى

(الفيلسوف الفرنسى روجى جارودى)

(١ و ٢) انظر ص ٤٧ جـ ١ من كتابه (خاتم النبيين) .

ملاحظات :

حول كتاب عقيدة السلف والخلف

للشيخ عبد القادر السندى

-١-

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

أما بعد : فقد ناولنى فضيلة عميد كلية الحديث الشريف والدراسات الاسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية الشريفة على صاحبها الصلاة والسلام كتابا ، بعد أن كتب رأيه على الغلاف الثانى ما نصه :

« هذا الكتاب فيه خلط وتلبيس لا ينبغى لصغار الطلبة قراءته لأن مؤلفه غير محقق ، وغير مميز بين عقيدة السلف والخلف وتؤدى قراءته الى بلبلة أفكار قارئيه لذا ننصح طلبة العلم بعدم قراءته والانصراف الى قراءة كتب المحققين من علماء السلف الصالح وأتباعهم » .

قلت : هذا هو نص الكلمة التى وقع تحتها فضيلة العميد ، فكأنه طلب الىّ حفظه الله تعالى تفصيل ما أجمله فى كلمته والاطناب (فى) ما اختصره اظهاراً للحق وتبيينا للواقع الأليم الذى وقع فيه صاحب الكتاب من الخلط والتلبيس ، إما بعدم علمه فهو أهون فى نظرى وإما عناداً فهو أفظع وأشنع كما قال الشاعر :

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وأنا احسن الظن به فأقول إنه غير مميز كما حكم عليه فضيلة العميد فى كلمته . وأما اذا كان عالماً ثم قام بهذه العملية الشنيعة فى هذا الكتاب الذى أسماه « هذه عقيدة السلف

والخلف فى ذات الله تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، والجواب الصحيح لما وقع فيه الخلاف من الفروع بين الداعين للسلفية وأتباع المذاهب الأربعة الإسلامية » فهذه التسمية الطويلة للكتاب المذكور بهذه الصفة وبهذا الأسلوب فيه دلالة واضحة على عدم علم صاحبه فضلًا عما أورده فيه من النقل غير المسند كما ستعرف ذلك ان شاء الله تعالى ثم هو لا يفرق بين العصا والحية وبين الأرض والسماء وبين الظلام الدامس والنور الوهاج .

وقد فكرت كثيرا - بعد الدعاء من البارى جل وعلا لهذا الأخ الكريم - فى كيفية المناقشة معه وقد عرفت حاله تماماً أثناء إلقاء نظرتى على كتابه هذا مع ما قاله فضيلة العميد فى كلمته . ولست أبالي بما يقول فى حق السلف رحمهم الله تعالى بأنهم حشوية مادام جعل عقيدة السلف والخلف عقيدة واحدة لا فرق بينهما فى نظره أبدا ، مع أن الذين أوجدوا هذه العقيدة الخلفية أول مرة وتكلموا فيها قالوا : « إن عقيدة السلف أسلم وعقيدتنا أعلم وأحكم » ، ولا ينكر هذه الحقيقة الا من كان بعيدا عن العلم فى هذا الموضوع بالذات ولقد عجبت من الأخ وذلك فى عنوان كتابه اذ جعل عقيدة السلف الصالح ذاتاً وصفة وعبادة لله تعالى كعقيدة الخلف التى اضطرب فيها أصحابها الأولون (اضطرابا شديدا وانقسموا) الى طوائف عديدة ونحل مختلفة وملل متنوعة بعضهم أقرب الى عقيدة السلف (الصالح) رحمهم الله تعالى .

ولم نسمع ولم نر أحدا أنه أنكر هذه الحقيقة الناصعة ممن سبقه سبقاً علمياً وزمانياً . فهذا الشيخ محمد زاهد الكوثرى الذى حمل لواء التعطيل والتحريف فى الزمن الأخير والذى لم يترك كتاباً من كتب السلف إلا وقد علق عليه إثباتا لهذه العقيدة الخلفية ودفاعاً عنها واستماتة فى سبيلها ونكاية بعلماء السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم رضى الله تعالى عنهم . إلى أن قام العلامة المحدث الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني فى كتابه النافع البارع : « التنكيل بما فى تأنيب الكوثرى من الأباطيل » وقد نشره وأنفق عليه ناصر السنة المحمدية الشيخ محمد نصيف رحمه الله تعالى ووزعه فى سبيل الله تعالى على طلبة العلم . وإنى أرى فى هذا المقام أن أتعرض لهذه الفتنة ومن هم أصحابها الأولون ثم انتشارها فى صفوف الذين لم تتمكن العقيدة الصحيحة الصافية من قلوبهم .

تلك العقيدة التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد وقت قصير من طلوع الصبح الصادق الذي أعطى للكائنات كلها - فضلا عن الإنسانية - ثقافة جديدة وحياة حرة كريمة ، ومحبّة إيمانية مثالية ونظاماً رفيعاً ومنهاجاً مستقيماً وأخوة صادقة عظيمة وعقيدة صافية نقية وسياسة حكيمة قال تعالى : **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه**

ويهديهم الى صراط مستقيم) (المائدة : ١٥ ـ ١٦) . هذا المعنى الذى أشار إليه القرآن الكريم فى هاتين الآيتين الكريمتين تركز فى قلوب هؤلاء الذين مجدهم الله تعالى فى كتابه الكريم وعظم شأنهم وذلك في قوله الحكيم فى سورة الفتح (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيما)** (الفتح : ٢٩) .

ما أعظم هذه التزكية في صورة رائعة مثالية من رب العزة والجلال في حق هؤلاء النخبة المختارة الذين فهموا هذه الشريعة الإسلامية الغراء عقيدة وعبادة ومعاملة ، وسلوكاً ، وأدباً ، ونظاماً وغيرها من المعاني السامية .

ثم تأتى زمرة فاسقة من اليهود والنصارى لكي تشوه هذه الحقيقة الناصعة البيضاء التى يقول عنها عليه الصلاة والسلام فى حديثه المبارك الذي أخرجه الإمام أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه وذلك باسناد حسن . قال الإمام أحمد (١) حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ثنا معاوية ـ يعنى ابن صالح ـ عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يارسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشيا عضوا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الآنف حيثما انقيد انقاد » .

وللحديث شواهد كثيرة منها ما أخرجه ابن ماجه (٢) فى المقدمة من حديث أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه وفيه : « وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » قال أبو الدرداء : صدق ، والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا ، والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء .

قلت : وكيف لا ؟ وقد قال جل وعلا فى كتابه الحكيم (**اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا)** (المائدة : ٣) .

---

(١) المسند : (٤ / ١٢٦) وابن ماجه (رقم ٤٣) من طريق عبد الرحمن بن مهدى به .
(٢) ابن ماجه فى السنن حديث رقم (٥) .

وسوف يأتى تفسير هذه الآية الكريمة فى نهاية الموضوع ان شاء الله تعالى تثبيتا لعقيدة السلف الصالح وتأييداً لها .

وأما الآن فإني أثبت هنا إثباتاً علمياً إن شاء الله تعالى إن هذا العنوان الذى عَنون به هذا الأخ الكريم كتابه بقوله : « هذه عقيدة السلف والخلف فى ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله والجواب الصحيح لما وقع فيه الخلاف من الفروع بين الداعين للسلفية وأتباع المذاهب الأربعة الإسلامية » (هـو) عنوان غير صحيح . لأن عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين فانها مبنية على أسس ثلاثة :

(١) تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

(٢) الإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها وعدم التهجم على الله بنفى ما أثبته لنفسه .

(٣) قطع الطمع عن ادراك الكيفية .

كما ذكر ذلك (١) عمدة المتأخرين العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله نقلًا عن المصادر الأصلية كما سوف يأتى بعض تفصيله إن شاء الله .

وأما عقيدة الخلف فانها مبنية على التأويل والتحريف والتعطيل والتشبيه كما حكى ذلك العلامة سعد الدين التفتازانى فى شرح العقائد النسفية وهو كتاب يدرس فى أغلب مدارس الهند والباكستان وغيرهما فى مادة التوحيد وأصل الكتاب للعلامة الشيخ عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي قال العلامة التفتازانى ما نصه : « وقد كانت الأوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبى صلى الله عليه وسلم وقرب العهد بزمانه ، ولقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة الى الثقات مستغنين عن تدوين العلمين ـ الكتاب والسنة ـ وترتيبهما أبواباً وفصولاً وتقرير مقاصدهما فروعاً وأصولاً إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين وغلب البغي على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء وكثرت الفتاوى والوقعات والرجوع إلى العلماء فى المهمات فاشتغلوا بالنظر والاجتهاد والاستدلال والاستنباط وتمهيد القواعد » اهـ ثم قال فى موضع آخر معتذرا للخلف عما أقدموا عليه من ايجاد هذه العقيدة الخلفية قال : « القوم الذين كانوا يناظرهم الخلف ما كانوا يقبلون الأدلة النقلية ولا ينقادون لها فذلك اضطر علماء الخلف الى الأدلة العقلية (٢) » اهـ .

---

(١) انظر رسالته « منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص ٢٥) وهى من مطبوعات الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٥ هـ .
(٢) شرح العقائد النسفية : ص ١١ .

نقل هذا كله الشيخ صالح بن أحمد رحمه الله تعالى فى كتابه تحكيم الناظر (١) وكان شرح العقائد عندى فى يوم من الأيام وكنت قد درسته على يد بعض المشايخ بباكستان ثم أحرقته فيما بعد ولو كنت تركته لنقلت منه نصوصا كثيرة .

قلت : هذا نص كلام العلامة التفتازانى شارح العقيدة النسفية وهو يعترف اعترافاً لا يشوبه أدنى شك بأن هذه العقيدة الخلفية أوجدها علماء الخلف لكى يناظروا بها من كان يرفض الأدلة النقلية من الخلف ولذلك نقل عن المتأخرين الذين أوجدوا هذه العقيدة الخلفية العلمية حسب زعمهم : « ان عقيدة السلف أسلم وعقيدتنا أعلم وأحكم » كما نقله عنهم شارح العقيدة الطحاوية حيث قال رحمه الله تعالى :

« نبينا صلى الله عليه وسلم أوتى فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والأخروية على أتم الوجوه ، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا فى جوابها لذلك صار كلام المتأخرين كثيراً ، قليل البركة بخلاف كلام المتقدمين فإنه قليل كثير البركة ، لا كما يقول ضلال المتكلمين وجهلتهم : إن طريقة القوم أسلم وان طريقتنا أحكم وأعلم (٢) » اهـ .

وهكذا نقل عنهم العلامة الشيخ محمد بن أحمد السفاريني النابلسي المتوفى سنة ١١٨٨ هـ فى شرحه « لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية » على منظومته التى سماها : « الدرة المضية فى عقيدة أهل الفرقة الناجية » إذ قال رحمه الله تعالى :

(مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التى هى بكل خير فائزة ولكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدور والإيمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه ممن لا يقدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها ، من (أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) وهؤلاء إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين ، وأن طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص المعروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور .

---

(١) تحكيم الناظر : ص ٢٧ ـ ٢٩ طبعة سنة ١٣٧٠ هـ .
(٢) شرح الطحاوية : ص ٧٣ .

وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا فى تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين : الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم ، والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم) (١) اهـ ٠

قلت : والشاهد فى هذا الكلام واضح بين أنه نقل عن ضلال المتكلمين مقالتهم فى التفريق بين طريقة السلف والخلف مع أن هذا الرجل الذى أخطأ فى وضع عنوان كتابه لم يفرق بين عقيدة السلف والخلف فضلاً عما فى كتابه من الحقائق غير ثابتة على أئمة الحديث وعلى غيرهم من جهابذة المتكلمين والفلاسفة الذين لا يرضون عن عمله هذا لأنه قال على الفريقين وآذاهما فى وقت واحد ، أرجو له الهداية والعودة الحميدة الى طريق الصواب ، والحق والانصاف ٠

إنى : حسب الوعد الذى قطعته على نفسى أرغب أن أتعرض لهذه الفتنة السوداء والنكسة الشنعاء وذلك فى ضوء البحث العلمى ، ايضاحاً للحق وبياناً للواقع ودعوة الى ما كان عليه الأولون من منهج رفيع ودستور عظيم مع التعرض لتاريخ بعض رجال هذه الحادثة الأليمة والواقعة الخطيرة أعني الاعتزال ، ثم الذين وقفوا فى سدها ودفعها دفاعاً قوياً وسداً منيعاً من أئمة الحديث والسنة رحمهم الله تعالى ثم التعرض لبعض نقول هذا الكتاب المردود عليه بأنها مقولة على أصحابها بغير علم وكشفاً لحقيقة هذا المؤلف الجديد وتنبيهاً وتحذيراً للأخوة الطلبة الذين هم فى حاجة الى ثقافة قوية ، وحضارة إسلامية عظيمة ، الا يقرأوا مثل هذه الكتب وما أكثرها اليوم فى الأسواق ٠ قبل تمكنهم من الحصول على الرصيد الحافل من العلم الصحيح والعقيدة الصافية النقية ، وذلك بدراستهم علوم الكتاب والسنة وأصول دراستهما من أفواه أهل العلم المتمكنين منه دراية ورواية ٠

١ ـ الجعـــــد بـــن درهـــــم :

نعم : أول فتنة شنعاء فى هذا الباب تأويل صفات البارى جل وعلا وتعطيلها أو تحريفها أو إنكارها بالكلية قام بها رجل يسمى : الجعد بن درهم ٠ قال الإمام الذهبى فى ميزانه :

« عداده فى التابعين » ثم قال : مبتدع ضال ، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى ، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر » (٢) ٠

---

(١) لوامع الأنوار البهية : ج (١/ ٢٥) ٠

(٢) ميزان الاعتدال : ٣٩٩ / ١ ٠

وقال الحافظ فى لسان الميزان : : « وللجعد أخبار كثيرة فى الزندقة منها : أنه جعل فى قارورة ترابأ وماءً فاستحال دوداً أو هواماً فقال : أنا خلقت هذا لأنى كنت سبب كونه ، فبلغ ذلك جعفر بن محمد فقال : ليقل كم هو ؟ وكم الذكران منه والإناث إن كان خلقه وليأمر الذى يسعى الى هذا أن يرجع الى غيره ۰ فبلغه ذلك فرجع » (١) اهـ ۰

وذكره العلامة الإمام أبو سعد عبد الكريم السمعانى فى الأنساب فى نسبة الجعدى إذ قال : وجماعة نسبوا إلى رأى الجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة وقع الى الجزيرة وأخذ برأيه جماعة وكان الوالى بها إذ ذاك مروان بن محمد ، فلما جاءت الخراسانية نسبوه إليه شنعة عليه ۰ ثم قال : وقتل الجعد بن درهم خالد بن عبد الله القسرى عامل هشام بن عبد الملك » (٢) ۰

وهكذا قال الإمام عز الدين بن الأثير فى تهذيب الأنساب نقلا عن السمعانى فى هذه النسبة (٣) ۰

وقال العلامة الديار بكرى صاحب « الخميس » وكان مروان هذا يعرف بالجعدى نسبة الى مؤدبه وأستاذه جعد بن درهم وكان زنديقاً » اهـ (٤) ۰

قلت : وقد ساق الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام عثمان بن سعيد الدارمى المتوفى سنة ٢٨٠ هـ اسناده فى كتابه البارع النافع المفيد : « الرد على الجهمية » هكذا فى قتل هذا الزنديق : حدثنا القاسم بن محمد البغدادى ثنا عبد الرحمن بن محمد بن خبيب بن أبى حبيب عن أبيه عن جده حبيب بن أبى حبيب قال : خطبنا خالد بن عبد الله القسرى يوم العيد الأضحى فقال : أيها الناس إرجعوا فضحوا تقبل الله منا ومنكم فانى مضح بالجعد بن درهم أنه زعم ان الله تبارك وتعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليماً سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ثم نزل فذبحه ۰

ثم ساق اسناداً آخر بقوله : حدثنا هشام بن منصور البغدادى المكفوف ثنا أحمد بن سليمان الباهلى ثنا خلف بن خليفة الأشجعى قال : أتي خالد بن عبد الله القسرى برجل قد عارض القرآن فقال : قال الله فى كتابه : (**إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر**) ۰ وقلت أنا : ما هو أحسن منه إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل سافهٍ وكافر ، فضرب خالد عنقه وصلبه فمر به خلف بن خليفة وهو مصلوب

---

(١) لسان الميزان : ١٠٥ / ٢ ۰

(٢) الانساب للسمعانى : ٢٨٧ / ٣ ۰

(٣) اللباب فى تهذيب الانساب : ٢٨٢ / ١ ۰

(٤) تاريخ الخميس : ١٨٣ / ٢ ۰

فضرب بيده على خشبة فقال : إنا أعطيناك العمود فصل لربك على عود فأنا ضامن لك أن لا تعود » اهـ (١) .

قلت : هذا ثابت عن خالد بن عبد الله القسرى الذى كان عاملاً لهشام بن عبد الملك وكان ذلك فى سنة ١١٨ هـ فى واسط ، وقال ابن قتيبة هكذا (٢) .

٢ ـ أبو محرز جهم بن صفوان :

وتبعه فى غيه وضلاله جهم بن صفوان أبو محرز ، قال الإمام الذهبى فى ميزانه : « السمرقندى الضال المبتدع ، رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا لكنه زرع شراً عظيما » اهـ (٣) .

وقال الحافظ فى لسانه : وكان قتل جهم بن صفوان سنة ثمان وعشرين ومائة وسببه أنه كان يقضى فى عسكر الحارث بن شريح الخارج على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار فقال له : استبقنى . فقال : لو ملأت هذا الملأ كواكب وأنزلت إلي عيسى بن مريم ما نجوت ، ولو كنت فى بطني لشققت بطني حتى اقتلك ولا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت ، وأمر بقتله ، وكان جهم من موالى بنى راسب وكتب للحارث » اهـ (٤) .

قلت : وقد عقد الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه عنواناً وهو : « باب الاحتجاج فى إكفار الجهمية » ثم قال رحمه الله تعالى : ناظرنى رجل ببغداد منافحاً عن هؤلاء الجهمية فقال لى : بأى حجة تكفرون هؤلاء الجهمية وقد نهى عن إكفار أهل القبلة ؟ بكتاب ناطق تكفرونهم أم بأثر أم بإجماع ؟ فقلت : ما الجهمية عندنا من أهل القبلة وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور وأثر مأثور وكفر مشهور : أما الكتاب : فما أخبر الله عز وجل عن مشركى قريش من تكذيبهم بالقرآن فكان من أشد ما أخبر عنهم من التكذيب أنهم قالوا هو مخلوق كما قالت الجهمية سواء ، قال الوحيد : وهو الوليد بن المغيرة المخزومى : « إن هذا إلا قول البشر » وهذا قول جهم إن هذا إلا مخلوق وكذلك قول من يقول بقوله ، وقول من قال : « « إن هذا إلا إفك افتراه » و « إن هذا إلا أساطير الأولين » و « إن هذا إلا اختلاق » معناهم فى جميع ذلك ومعنى جهم بن صفوان فى قوله يرجعان الى أنه مخلوق ليس بينهما فيه من البون كغرز إبرة ولا كقيس شعرة . فبهذا نكفرهم كما أكفر الله به أئمتهم من

(١) الرد على الجهمية للإمام الدارمى : ص ٩٧ .
(٢) المعارف لابن قتيبة : ص ١٧٤ .
(٣) ميزان الاعتدال : ١ / ٤٢٦ .
(٤) لسان الميزان : ٢ / ١٤٢ .

قريش ، وقال : سأصليه سقر » إذ قال : « إن هذا إلا قول البشر » لأن كل إفك وتقول وسحر واختلاق وقول البشر ، كله لاشك في أنه مخلوق · فاتفق من الكفر بين الوليد بن المغيرة وجهم ابن صفوان : الكلمة والمراد فى القرآن أنه مخلوق فهذا الكتاب الناطق فى اكفارهم ·

وأما الأثر فيه : فما حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد وجرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أتى بقوم من الزنادقة فحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال : أما أنا فلو كنت لقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » ولما حرقتهم لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعذبوا بعذاب الله » زاد سليمان فى حديث جرير : فبلغ علياً ما قال ابن عباس رضى الله عنهم فقال : ويح ابن أم الفضل إنه لغواص على الهنات ·

قال أبو سعيد : فرأينا هؤلاء الجهمية أفحش زندقة ، وأظهر كفراً ، وأقبح تأويلاً لكتاب الله ورد صفاته فيما بلغنا عن هؤلاء الزنادقة الذين قتلهم على عليه السلام وحرقهم فمضت السنة من على وابن عباس رضى الله عنهما فى قتل الزنادقة لما أنها كفر عندهما وأنهم عندهما ممن بدل دين الله وتأوّلا فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجب على رجل قتل فى قول يقوله حتى يكون قوله ذلك كفراً · ولا يجب فيما دون الكفر قتل الا عقوبة فقط فذاك الكتاب فى اكفارهم وهذا الأثر » اهـ ·

قال السندى عفا الله عنه : أما حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الذى رواه أبو سعيد باسناده عن شيخه سليمان بن حرب فهو حديث اخرجه الإمام البخارى فى الجامع الصحيح فى كتاب الجهاد باب رقم (١٤٩) وهو بعنوان (باب لا يعذب بعذاب الله) عن شيخه علي بن عبد الله المدينى · واخرجه أيضا فى كتابه استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب رقم (٢) وهو بعنوان (حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم) اخرجه عن شيخه أبو النعمان محمد بن الفضل السدوسى وأخرجه أيضا الإمام أبو داود والترمذى والنسائى فى سننهم وكذا ابن ماجه والإمام أحمد فى مسنده فى عدة مواضع ·

فالقائل بخلق القرآن فى نظر السلف رحمهم الله تعالى مبدل دينه كما اثبت ذلك أبو سعيد رحمه الله تعالى من استدلاله بآيات من الكتاب الحكيم ثم قال أبو سعيد رحمه الله تعالى :

« ونكفرهم أيضا بكفر مشهور وهو تكذيبهم بنص الكتاب ، أخبر الله تبارك وتعالى أن القرآن كلامه ، وادعت الجهمية أنه خلقه ، وأخبر الله تبارك وتعالى انه كلم موسى تكليما ، وقال هؤلاء : لم يكلمه الله بنفسه ولم يسمع موسى نفس كلام الله إنما سمع كلاماً خرج إليه

من مخلوق ، ففى دعواهم دعا مخلوق موسى الى ربوبيته فقال : (انى انا ربك فاخلع نعليك) فقال له موسى فى دعواهم - صدقت ثم أتى فرعون يدعوه ان يجيب الى ربوبية مخلوق كما أجاب موسى فى دعواهم ، فما فرق بين موسى وفرعون فى مذهبهم فى الكفر اذا فأى كفر بأوضح من هذا ؟

وقال الله تبارك وتعالى : (إنما قولنا لشىء إذا اردناه أن نقول له كن فيكون) .

وقال هؤلاء : ما قال لشىء قط قولاً وكلاماً كن فكان ولا يقوله أبداً ولم يخرج منه كلاماً قط ولا يخرج ، ولا يقدر على الكلام فى دعواهم ، فالصم فى دعواهم والرحمن بمنزلة واحدة فى الكلام ، فأى كفر بأوضح من هذا ؟ .

وقال الله تبارك وتعالى : (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) و (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) و (بيدك الخير إنك على كل شىء قدير) وقال (يد الله فوق أيديهم) قال هؤلاء : ليس لله يد وما خلق آدم بيديه إنما يداه نعمتاه أو رزقاه ، فادعوا فى يدى الله أوحش مما ادعته اليهود (قالت اليهود يد الله مغلولة) وقالت الجهمية يد الله مخلوقة ، لأن النعم والأرزاق مخلوقة لاشك فيها ، وذاك محال فى كلام العرب فضلاً أن يكون كفراً . لأنه يستحيل أن يقال : خلق آدم بنعمته ، ويستحيل أن يقال فى قول الله تبارك وتعالى : (بيدك الخير) بنعمتك الخير ، لأن الخير نفسه هو النعم نفسها . ومستحيل أن يقال فى قول الله عز وجل (يد الله فوق أيديهم) نعمة الله فوق أيديهم ، وإنما ذكرناها هنا اليد مع ذكر الأيدى فى المبايعة بالأيدى فقال : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه) .

ويستحيل ان يقال : (يداه مبسوطتان) نعمتاه فكأن ليس له الا نعمتان مبسوطتان . لا تحصى نعمه ولا تستدرك ، فلذلك قلنا : إن هذا التأويل محال من الكلام فضلاً عن أن يكون كفراً » (١) اهـ .

قلت : ما أوضح هذا الكلام حجة وبرهانا وما أبينه فى هذا الموقف الخطير الذى ضل فيه أقدام المتأخرين تقليداً لهؤلاء الأشرار الذين أثاروا هذه الشكوك والأوهام نحو هذه الحقيقة الناصعة والحجة القوية الباهرة من إثبات البارى سبحانه وتعالى على وجه يليق بجلاله وكماله فهذا الشيخ محمد زاهد الكوثرى الذى سبقت الاشارة إليه يقول فى مقالاته الكبرى ما نصه :

« بدعة الصوتية حول القرآن » ثم قال : « والواقع ان القرآن فى اللوح وفى لسان جبريل عليه السلام وفى لسان النبى صلى الله عليه وسلم وألسنة سائر التالين وقلوبهم وألواحهم

---

(١) كتاب الرد على الجهمية : ص ٩٣ - ٩٥ المطبوع فى ليدن سنة ١٩٦٠ م .

مخلوق حادث محدث ضرورة ومن ينكر ذلك يكون مسفسطا ساقطا من مرتبة الخطاب » ثم يقول « وبهذا تتبين شهادة ابن تيمية فى حق العلماء وليس عنده سوى ألفاظ مرصوصة لا أفادة تحتها فى بحوثه الشاذة كلها ، وغير المفيد لا يعد كلاما ، ولم يصح فى نسبة الصوت الى الله حديث (١) » اهـ ·

وسوف يأتى الرد على هذا الكلام القبيح فيما بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى ·

٣ ـ واصل بن عطاء البصرى :

والرجل الثالث من هؤلاء الذين هم رأس الكفر : واصل بن عطاء البصرى الغزال المتكلم ·

قال الإمام الذهبى فى ميزانه : « البليغ ، المتشدق الذى كان يثلغ بالراء فلبلاغته هجر الراء وتجنبها فى خطابه ، سمع من الحسن البصرى وغيره قال أبو الفتح الازدى : رجل سوء كافر » ·

قال الإمام الذهبى ـ وبقوله قلت ـ : كان من أجلاء المعتزلة ، ولد سنة ثمانين بالمدينة ، ومما قيل فيه ·

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً في القول يجعله فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

وله من التصانيف : كتاب المرجئة ، وكتاب التوبة ، وكتاب معانى القرآن وكان يتوقف فى عدالة أهل الجمل ويقول : احدى الطائفتين فسقت لا بعينها ، فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم ، مات سنة احدى وثلاثين ومائة » (٢) اهـ ·

قلت : هذا الزنديق ترجم له ياقوت الحموي فى معجم الأدباء ترجمة طويلة وجاء فيها :

« وكان واصل فى أول أمره يجلس الى الحسن البصرى فلما ظهر الاختلاف ، وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر ، وقال جماعة بإيمانهم ، خرج واصل عن الفريقين وقال

---

(١) مقالات الكوثرى : ص ٢٧ ـ ٢٨ ·

(٢) ميزان الاعتدال : ٤ / ٣٢٩ ·

بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وتبعه عمرو بن عبيد ، ومن ثمّ سموا وجماعتهم المعتزلة » (١) .

ثم قال ياقوت : « وله من التصانيف : معانى القرآن ، وكتاب التوبة ، وكتاب الخطب في التوحيد ، وكتاب المنزلة بين المنزلتين » ثم ذكر بقية الكتب التى صنفها هذا الزنديق فى الاعتزال ونفى الصفات وطعنه فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كما شاهدت ذلك من كلام الإمام الذهبى رحمه الله تعالى بأنه لا يقبل شهادة علي وعائشة وطلحة على باقة بقل .

وهذا من أقبح الكفر وأشنعه .

وترجم له القاضى أبو العباس شمس الدين أبو بكر بن خلكان فى وفيات الأعيان ترجمة مفصلة وفيها أخبار زندقته وكفره وانحرافه (٢) .

وترجم له العلامة السمعانى فى الأنساب فى نسبة المعتزلى فاجاد فيها وأفاد أن الإمام قتادة بن دعامة السدوسى التابعى المعروف هو الذى سماهم المعتزلة .

وقال الحافظ فى لسانه بعد ايراد كلام الإمام الذهبى من الميزان : « وقال المسعودى هو قديم المعتزلة وشيخها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين ، وكنيته أبو حذيفة » .

قال الحافظ : « كان بشار الشاعر صديق أبى حذيفة واصل وكان مدح خطبته التى نزع منها الراء ثم رجع عنه لما دان بالرجعة وكفر جميع الأمة لأنهم لم يتابعوا عليا فسئل عن على فقال : وما شر الثلاثة أم عمرو . قلت : وما اظن الا وهما فى حق واصل » (٣) اهـ .

قلت : كأن الحافظ فى هذا الكلام يقول : ان المسعودى وبشار بن برد الشاعر لم يقبل منهما هذا الشيء الوارد فى حق علي رضى الله تعالى عنه لانهما موصوفان بالتشيع والله تعالى أعلم بالصواب .

فان هذا ومن قبله من أئمة الكفر والضلال هم الذين لهم هذه الجهود الخبيثة والمساعى الخسيسة فى ابطال هذه العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية النقية التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) .

---

(١) معجم الأدباء : ٢٤٣ ـ ٢٤٧ / ٩ .

(٢) وفيات الاعيان : ٦ / ٧ ـ ١١ .

(٣) لسان الميزان : ٦ / ٢١٥ .

(٤) انظر مقاتل الطالبين لأبى الفرج الاصجهانى : ص ٢٩٣ .

قال العلامة أبو هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ فى كتابه « الأوائل » : « أول من صنف فى الكلام أبو حذيفة واصل بن عطاء » ثم قال بعد هذا العنوان مباشرة : لم يعرف فى الإسلام كتاب كتب على أصناف الملحدين وعلى طبقات الخوارج وعلى غالية الشيعة والمشايعين فى قول الحشوية قبل كتب واصل بن عطاء ، وكل أصل نجده فى أيدى العلماء فى الكلام ، والأحكام فإنما هو منه « ثم قال : وهو أول من سمى معتزليا » (١) اهـ ·

قلت : هو أول من ألف وصنف فى الالحاد والكفر فى هذا الباب بالتفصيل مع أن له سلفاً كما تقدم فى هذا الانحراف الخطير ·

ولهذا ترجم له الشيخ محمد بن اسحاق بن النديم المتوفى سنة ٣٤٦ هـ فى الفهرست قال : « المقالة الخامسة وهى خمسة فنون فى الكلام والمتكلمين : ·

الفن الأول : فى ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم » ·

ثم ترجم لهذا الزنديق ترجمة مختصرة ومناظرته مع تلميذه الضال عمرو بن عبيد وانتصاره وغلبته على عمرو بن عبيد الذى يأتى فى ترجمته فيما بعد ·

ثم قال : « واخباره كثيرة وكانت ولادته فى سنة ٨٠ للهجرة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفى فى سنة ١٣١ هـ » (٢) ·

هذه هى سلسلة الالحاد والزندقة لعبت دورا هاما فى افساد العقيدة الإسلامية الصحيحة التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ·

٤ ـ عمرو بن عبيد بن باب :

ثم جاء بعد هذا الزنديق الضال الخاسر عمرو بن عبيد بن باب ، أبو عثمان البصرى المعتزلى القدرى مع زهده وتألهه ·

قال الإمام الذهبى فى ميزانه : « روى عن الحسن وأبى قلابة وعنه الحمادان ، وعبد الوارث ، ويحيى القطان ، وعبد الوهاب الثقفى ، وعلى بن عاصم · وولاؤه لبنى تميم ، وكان أبوه من شرط الحجاج ·

---

(١) الأوائل : ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠ ·

(٢) الفهرست : ص ٢٥١ ·

قال الشافعي عن سفيان أن عمرو بن عبيد سئل عن مسألة فأجاب فيها وقال : هذا من رأى الحسن ، فقال له رجل : إنهم يروون عن الحسن خلاف هذا ؟ قال : إنما قلت هذا من رأى الحسن - يريد نفسه - .

قال الإمام الذهبي : ابن عون عن ثابت البناني قال : رأيت عمرو بن عبيد في المنام وهو يحك آية من المصحف ، فقلت : أما تتقي الله . قال : إني أبدل مكانها خيراً منها .

ورواه محمد بن المثنى عن عبد الرحمن بن جبلة عن ثابت بن حزم القطعي حدثنا عاصم الأحول قال : جلست الى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه ، فقلت لا أرى العلماء يقع بعضهم فى بعض ، فقال : يا أحول أو لا تدرى أن الرجل إذا ابتدع فينبغي أن يذكر حتى يحذر . فجئت مغتماً فقمت فرأيت عمرو بن عبيد يحك آية من المصحف فقلت له سبحان الله قال : إني سأعيدها ، فقلت : أعدها ، قال : لا أستطيع . رواه هدبة بن خالد عنه .

قال ابن معين : لا يكتب حديثه . وقال النسائى : متروك الحديث ، وقال أيوب ويونس : يكذب وقال حميد : كان يكذب على الحسن . وقال ابن حبان : كان من أهل الورع والعبادة الى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة قال : وكان يشتم الصحابة ويكذب فى الحديث وهماً لا تعمداً وقال الدارقطنى وغيره ضعيف .

ثم قال الإمام الذهبي : يحيى عن حميد الطويل عن عمرو بن النضر قال : سئل عمرو بن عبيد يوما عن شيء وانا عنده فأجاب فيه ، فقلت : ليس هكذا يقول أصحابنا ، فقال : ومن أصحابك ؟ لا أبالك . قلت : أيوب ويونس وابن عون ، والتيمى ، قال : أولئك ارجاس أنجاس أموات غير أحياء » .

قال السندى : أيوب هو أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى أبو بكر البصرى قال الحافظ نقلا عن جملة كبيرة من أئمة الحديث : ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد من الطبقة الخامسة مات سنة ١٣١ هـ وهو من رجال الكتب الستة (١) .

ويونس هو : يونس بن ميسرة بن حلبس بمهملتين في طرفيه وموحدة وزن جعفر ، وقد ينسب إلى جده ، قال الحافظ نقلا عن نقاد الحديث وحماته ، ثقة عابد معمر من الطبقة الثالثة توفى سنة ١٣٢ هـ وهو من رجال السنن الثلاث : أبى داود والترمذى وابن ماجه (٢) .

---

(١) تقريب التهذيب : ١ / ٨٩ .

(٢) المرجع السابق : ٢ / ٣٨٦ .

وا بن عون هو : عبد الله بن عون بن ارطبان أبو عون البصرى ، قال الحافظ نقلا عن جها بذة أهل الحديث من عاصروا ابن عون : ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب فى العلم والعمل والسن ، من الطبقة السادسة مات سنة ١٥٠ هـ وهو من رجال الجماعة (١) .

والتيمى هو : سليمان بن طرخان التيمى ، أبو المعتمر البصرى نزل فى التيم فنسب اليهم . قال الحافظ نقلا عن حماة السنة ونقادها ممن عاصروه : ثقة ، ثبت من الطبقة الرابعة مات سنة ١٤٣ هـ وهو ابن سبع وتسعين سنة وهو من رجال الجماعة (٢) .

فقول هذا الزنديق الملحد فى حق هؤلاء الحفاظ النقاد الأثبات الذين وقفوا فى وجه زندقته وانحرافه ، وكفره مدافعين عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قول زائغ وباطل لا يلتفت اليه بحال من الأحوال الا ممن كان على شاكلته فى الانحراف والزيغ والضلال والالحاد والكفر والعياذ بالله تعالى .

ثم قال الإمام الذهبى فى ميزانه : الفلاس سمعت يحيى يقول : قلت لعمرو بن عبيد كيف حديث الحسن عن سمرة فى السكتتين ؟ فقال : ما نصنع بسمرة ؟ قبح الله سمرة .

قال السندى : قبح الله عمرو بن عبيد فإنه يسب سمرة بن جندب بن هلال الفزارى رضى الله عنه وهو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ فى الاصابة : « وكان شديداً على الخوارج فكانوا يطعنون عليه ، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه » (٣) .

وقال الحافظ فى التهذيب : « وكان شديداً على الحرورية فهم ومن قاربهم يطعنون عليه ، وكان عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الإسلام وأهله .

وقال ابن سعد فى طبقاته الكبرى : « هو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغزا معه وله حلف فى الأنصار وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة ثم نزل البصرة بعد ذلك فاختلط بها ثم أتى الكوفة فاشترى بها دورا فى بنى أسد بالكناسة وله بقية ، وعقب . ثم ذكر بإسناده قصة وفاته رضى الله تعالى عنه (٤) .

وقال الذهبى فى تجريد أسماء الصحابة : هو حليف الأنصار وله رواية كثيرة ـ أى عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ » (٥) اهـ .

---

(١) المرجع السابق : ١/ ٤٣٩ .
(٢) المرجع السابق : ١/ ٣٢٦ .
(٣) الاصابة : ٢/ ٧٨ ـ ٧٩ .
(٤) طبقات ابن سعد : ٧/ ٤٩ ـ ٥٠ .
(٥) تجريد اسماء الصحابة : ١/ ٢٣٩ .

قلت : له شرف الصحبة فلا يجوز سبه وشتمه وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

أخرج الإمام البخارى فى الجامع الصحيح وكذا مسلم فى الصحيح وأبو داود والترمذى فى سننيهما والإمام أحمد فى مسنده ، كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابى ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » اهـ .

وقد تكلم الحافظ فى الفتح (١) على هذه الرواية كلاماً جيداً مفيداً يتعلق براوى الحديث إذ عزاها الى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بدل أبى سعيد هكذا قال خلف وأبو مسعود الدمشقى والحافظ أبو علي الجياني الاندلسي وغيرهم ثم هكذا نقل عن الإمام المزى رحمه الله تعالى .

الشاهد فى هذا الحديث إن هذا الرجل بجهله وحماقته قد سب سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه مع أن السب من أكبر الكبائر خصوصاً فى حق من اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونشر رسالته فى الآفاق ، فقبح الله عمرو بن عبيد الباب وعامله بما يستحقه ، ثم قال الإمام الذهبى فى ميزانه : محمود بن غيلان ، قلت لأبى داود إنك لا تروى عن عبد الوارث قال : وكيف أروى عن رجل يزعم أن عمرو بن عبيد خير من أيوب ويونس وابن عون ؟

سهم بن عبد الحميد قال : مات ابن يونس بن عبيد فعزاه الناس ، فأتاه عمرو فقال : إن أباك كان أصلك وأن ابنك كان فرعك وأن امرأ قد ذهب أصله وفرعه لحرى ان يقل بقاؤه .

قال الفلاس : عمرو متروك صاحب بدعة ، قد روى عنه شعبة حديثين وحدث عنه الثورى بأحاديث . قال : سمعت عبد الله بن مسلمة الحضرمي يقول : سمعت عمرو بن عبيد يقول : لو شهد عندى على وطلحة ، والزبير وعثمان على شراك نعل ما أجزت شهادتهم (٢) .

قال السندى : هذا كفر بكتاب الله تعالى وإلحاد وزندقة ، وقد عدلهم ربهم جل وعلا فى كتابه فأى تعديل أعظم وأوثق من تعديل رب الجلال سبحانه وتعالى لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابه الحكيم فى عدة مواضع فى آياته وسوره فلله درهم رضى الله تعالى عنهم .

---

(١) الفتح : ٧ / ٣٥ .

(٢) ميزان الإعتدال : ٣ / ٢٧٥ .

ثم قال الإمام الذهبى : قال مؤمل بن هشام : سمعت ابن علية يقول : أول من تكلم فى الاعتزال واصل بن عطاء الغزالي ، ودخل معه فى ذلك عمرو بن عبيد فأعجب به وزوجه اخته وقال لها : زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة » اهـ . قلت : خليفة للشيطان وأتباعه .

ثم أطال الإمام الذهبى فى ترجمة هذا الفاسق الفاجر نقلاً عن أئمة الحديث الكبار ، فيها من البلايا والكفر الذى يقشعرمنه الجلد ويضطرب منه القلب ، ويفسد به الضمير .

قال الإمام الذهبى : عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه أنه سمع عمرو بن عبيد يقول : وذكر الحديث عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فقال : لو سمعت الأعمش يقول لكذبته ، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته ، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته ، ولو سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ليس على هذا أخذت ميثاقنا » اهـ (١) .

قلت : ان صح هذا فهو كفر صريح والاسناد المساق رجاله كلهم ثقات والعلم عند الله تعالى .

قَالَ اللهُ تَعَالَى :

بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

سُورة الروم:

(١) ميزان الإعتدال : ٣ / ٢٧٨

إنكار الجن

من شطحات التفسير الموضوعي للقرآن

للشيخ مصطفى الوراق إبراهيم
مدرس بالمعهد الثانوي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونصلى ونسلم على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أما بعـد :

فإن الإيمان « بالملائكة » إيمان غيبى ذلك لأنهم عالم غير مرئي ، والإيمان بالجن إيمان غيبى ، لأنهم عالم غير مرئي أيضا ، والتصديق بالغيب كله إنما يقوم على قاعدة متينة ثابتة ، تلك القاعدة هى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فكل من استقرت نفسه على الإيمان صدّق - ولا ريب - بكل الغيبيات ، ذلك لأن التصديق بالغيب شعبة من شعب الإيمان .

قال الله تعالى : (**ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**) وقال سبحانه : (**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**) . وفي القديم أنكر أهل الاعتزال وجود الجن مع أن عالم الجن ثابت لا شك فيه بإخبار الله سبحانه عنه ، يقول الإمام القرطبى فى تفسيره : « أنكر معظم المعتزلة الشياطين والجن ، ودل إنكارهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم وليس فى إثباتهم مستحيل عقلى ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم » ثم أورد القرطبى بعض الآيات الدالة على وجود الجن والشياطين كآية البقرة (ولكن الشياطين كفروا) وقال فى آخر كلامه : (وسورة الجن تقضي بذلك) أما فى عصرنا هذا فإن معظم المنكرين للجن من المفتونين بالحضارة المادية ، ولم يضف هؤلاء دليلًا جديداً يجعل الناس يفتنون (بقضية) إنكار الجن ، ولذلك فإن مما يثير أشد الأسف أن

يكون الدكتور محمد البهي حاملا للواء المنكرين (للجن) فى هذا العصر متوهما أنه سيعطى قضية الباطل شيئاً من القوة ـ بما له من مكانة علمية ـ أو متخيلا أنه سيبث في كيانها الميت روحاً من الحياة ، وهيهات . لأن الحق يعرف قبل الرجال وبمعزل عن بريق الألوان والأصباغ . ولقد أعد الدكتور محمد البهي تفسيراً للقرآن أسماه بالتفسير الموضوعي وحمل على كاهله فيما حمل أن يصحح ـ حسب زعمه ـ اعتقاد المسلمين في الجن وكأن المسلمين ـ منذ الصدر الأول ـ كانوا فى ضلال الاعتقاد لإيمانهم بالجن ، ومضى عليهم أربعمائة سنة بعد الألف وأجيالهم ترسف في ظلمات الجهالة ! فماذا جدَّ في عالم الموضوعية مما ينفذ أمره ولا يرد دليله وقوله حتى تحمس الدكتور بل وتجرأ ليظهر بوجه الإنكار القبيح ؟ !

وقبل أن نحكم على كلام الدكتور بما يستحقه من حق أو باطل يحسن ـ بحكم الموضوعية ـ أن نعرض رأيه بأمانة كما كتبه فى تفسيره ، يقول الدكتور فى تفسير سورة الفرقان صفحة ٤ وهو يحدد معنى عالمية الرسالة الإسلامية : (وقد يميل بعض المفسرين إلى أن العالمية فى رسالة القرآن ليست العالمية بين الشعوب والأقوام ، ولا بين الأجيال والمجتمعات مع اختلاف اللغات واختلاف الزمان والمكان . بل هى العالمية بين « الجن » والإنس ...

وقد آن الأوان أن يفهم المتصدى لتفسير القرآن أن لفظ الجن كما ورد فى القرآن قصد به غير المعهود للإنسان ، وأطلقه القرآن مرة على فريق من الناس لم يكونوا معهودين للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يجالس المؤمنين فى مكة ، وورد هذا الإطلاق في سورة الأحقاف ٢٩ ، ٣٠ فى قوله تعالى : (**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم**) وهذا النفر فى رأى الدكتور هو فريق من الأوس والخزرج ، واستدل على زعمه بما جاء فى الآية من ذكر للتوراة والأوس والخزرج كانوا على صلة باليهود . ثم يقول الدكتور فى صفحة ٥ من تفسيره لسورة الفرقان « كما أطلق القرآن لفظ الجن مرة أخرى على الملائكة فى سورة الصافات ١٥٨ فى قوله تعالى : (**وجعلوا بينه وبين الجِنَّة نسباً**) فالسياق قبل وبعد يحدد أن الجنة هنا هم الملائكة الذين ادعى مشركوا قريش أنهم بنات الله فى قوله تعالى فى السورة نفسها ١٤٩ ـ ١٥٠ (**فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون**) وفيما عدا هذين الموضعين فلفظ الجن مفهوم لغوى لا يقصد منه سوى غير المعهود للإنسان شريراً أو خيّراً ماهراً أو غير ماهر » انتهى كلامه .

وقبل أن نتعرض لتأويل الدكتور (الحاسم) للفظ الجن نذكر ما تعارفت عليه لغة العرب من مدلولات كلمة (الجن) ومادتها ، فقد عرف العرب جَنَّ الليل إذا أظلم ، وأجنَّ

الشيء فى صدره ، أكنه ٠ والجَنة ، البستان والجان ، جنس من الحيات ، والجن ، عالم من المخلوقات العاقلة لا تدركه حواس الإنسان ، والجِنة جماعة الجن ، والجنة الملائكة لاختفائهم عن الأبصار ، والجُنة بضم الجيم ، السترة والوقاية ، كما عرفت اللغة الجنين والجنون والمجنون ٠ إذن فمن مفاهيم (اللغة) للجن أنهم عالم لا يدرك بحاسة البصر ولا بغيرها من الحواس (١) وهذا ما تقوله كتب اللغة باتفاق تام ، وقد أوضح القرآن بعض اعتقادات العرب فى الجن وانتقد ما فيها من باطل ، وأرشد إلى الحق ، فمن ذلك ما جاء فى سبب نزول الآية **(وإنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا)** أن أهل الجاهلية كانوا إذا نزلوا بواد ليلا استعاذوا بسيد الوادي من شر سفهائه (٢) ، وكان العربى يطلق صوته بهذه الاستعاذة وهو يخاطب عالماً غير منظور مستعيذاً بزعيمه من شر سفهائه كما يستجير الغريب النازل بقبيلة من العرب بسيّد القبيلة طالباً حمايته ٠ ويحسن بعد هذا أن نأخذ فى الرد على (نظرية) الدكتور فى الجن يقول ،

فى الموضع الأول ، « إن الجن ورد فى آية الأحقاف ـ (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) ـ بمعنى فريق من الناس غير معهود للرسول صلى الله عليه وسلم فهل يصح أن يسمى الإنسان من يقابلهم لأول مرة جناً ؟ وإذا كان هذا الاطلاق سائغاً فلماذا لم نجده فى كلام العرب وأشعارهم ؟ وكيف يكون الفريق المذكور من الأوس والخزرج ـ وهما القبيلتان المعروفتان المشهورتان فى جزيرة العرب وخارجها ومع ذلك يصح أن يطلق على وفدهما لفظ الجن ؟ ولماذا لم يطلق على غيرهما من وفود العرب الذين التقى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم ودعاهم للإسلام مع أن هذه الوفود لم تكن فى مستوى الأوس والخزرج مكانة ولا شهرة ؟ ! على أن تفسير الدكتور « للجن » فى هذه الآية لا يقره المفسرون الأقدمون ولا المحدثون فكيف يكون تأويله وحده هو الصحيح ، ويكون تأويل كل المفسرين باطلا ؟ فالمراد بالجن هنا عالم المخلوقات التى لا نراها والتى حدثنا عنها الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة ٠ وهذا المعنى للجن مما تعارفت عليه لغة العرب بل وعقائدهم ، فعلام يستند الدكتور فى نفيه لوجود الجن؟ أعلى أنه لا يراهم ؟ ! وهل تعتبر الرؤيا دليلا حاسماً على وجود الشيء أو عدمه ؟ وهل يقر الدكتور « بموضوعية » هذا المنهج القائم على إنكار وجود كل ما لا يرى والدكتور فى تفسيره يعترف بوجود الملائكة فهل رأى الدكتور يوماً واحدا منهم ؟ أما الموضع الثانى والذى يقول فيه الدكتور ، إن المراد بالجنة ـ بكسر الجيم ـ فى قوله تعالى

---

(١) راجع اللسان مادة (جنن) والقاموس المحيط الجزء الرابع الطبعة الثانية المطبعة الحسينية المصرية صفحة ٢١٠ ـ ٢١١ ٠ والصحاح للجوهرى الجزء الخامس دار الملايين صفحة ٢٠٩٣ ٠ ومختار الصحاح للرازى الطبعة الأولى دار الكتاب العربى مادة جنن صفحة ١١٣ ـ ١١٤ ٠

(٢) ابن كثير فى تفسير سورة الجن والطبرى أيضاً ٠

(وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) الملائكة فإن كثيرا من المفسرين يوافقونه على ماذهب إليه ولكن تأويل كلمة الجنة هنا بالملائكة لا يمنع أن تأتى فى آية أخرى بمعنى آخر .

ويأتى بعد هذا الادعاء الأكبر فى قول الدكتور (فيما عدا هذين الموضعين فلفظ الجن مفهوم لغوي لا يقصد منه غير المعهود للإنسان شريراً كان أو خيِّراً ماهراً أو غير ماهر) يأتى هذا الادعاء ليكون المعول الهدام الذى يقضى على الموضوعية من أساسها إذ كيف يطلق الدكتور مثل هذا الحكم العام دون استقراء تفصيلى لكل آية ورد فيها ذكر الجن ؟ ودون أن يتأكد - مع الاستقراء - أن المعنى الذى ادعاه هو المعنى الوحيد المتعيِّن . وسأورد فى هذا الرد بعض الآيات والأحاديث النبوية وسأثبت أن ما قصد بلفظ الجن فيها هو العالم غير المرئى فما رأى الدكتور هل سيكون « تفسيره » فى هذه الحالة سليماً وموضوعياً إن المرء ليحار فيما يعنيه الدكتور بالموضوعية فى تفسيره ! هل يعنى بها تفسيراً لا يخضع للسنة - وهى البيان للقرآن - ولا يهتم بتأويل السلف من الصحابة والتابعين وهم حفظة السنة ؟ ! وأى موضوعية هذه ؟ أم يريد بها أن يكون التفسير قادراً على مواجهة « المادية » ترجمة للشعار الذى كتبه فى صدر تفسيره (القرآن فى مواجهة المادية) وهل تكون مواجهة المادية بالاعتراف بها وإنكار كل الغيبيات غير المدركة بالحواس ؟ وهل تكون هذه مواجهة أم خضوعاً وانسياقاً وراء المادية ؟

القرآن يخاطب الجن كما يخاطب الإنس :

ولقد ورد لفظ الجن كثيراً فى القرآن ، وإن وروده بهذه الكثرة مما يسترعى انتباه المتأمل لآيات الكتاب . وفى كثير من الآيات يأتى لفظ الجن فى مقابلة لفظ الإنس أو يأتى الخطاب لكل منهما يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الرحمن (سنفرغ لكم أيها الثقلان) فمن هما الثقلان إن لم يكونا نوعين مختلفين هما الإنس والجن ؟ ويقول الله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) وسنتحدث عن هذه الآية فيما يأتى ولكن نلفت النظر هنا إلى ما فى الآية من الحديث عن النوعين ومادة كل منهما التى خلق منها ، وفي سورة الرحمن نفسها يقول الله سبحانه (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) فهل يعنى القرآن من الجن هنا إنساً غير معهود ؟ هذا مع أن الذى يوجه الخطاب هنا هو الله نفسه فكيف يمكن أن يكون الجن عالماً غير معهود لخالقه ؟ ! (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ألا يوافقنى الدكتور على استحالة تأويله هنا ؟ ! وأى فائدة لذكر جماعة غير معهودة من الإنس مع أن لفظ الإنس يشمل كل الإنس مهما اختلفت صفاتهم ؟

الأدلة العقلية لا تنفي وجود الجن بل تثبت وجودهم :

ويصل الدكتور فى جرأته على إنكار الجن ونفي وجودهم إلى حد الصراحة الواضحة فى مناقشته لهذا الموضوع فيقول فى تفسير سورة الجن صفحة ٢٢ : (وافتراض أن هناك عالماً ثالثا يتميز عن عالم الملائكة وعالم الإنس ويتقابل تماماً مع أى منهما هو عالم الجن يحتم مثل هذه الأسئلة مم خلق هذا العالم ؟ فإذا كان الجواب أنه من نار لقوله تعالى (والجان خلقناه من مارج من نار) فيسأل بعد ذلك مم خلقت الملائكة وعالمها تماما يقابل عالم الجن على هذا الافتراض فإذا كان الجواب إن الملائكة خلقت من (نور) كما يقال يسأل الآن ما هو الفرق بين النار والنور ؟ أليست الشمس ناراً ملتهبة ، ومع ذلك تشع النور ؟ وأليس النور عرضاً ومظهراً للنار ؟ وأليست النار منبعاً للنور ؟) انتهى كلامه . ونقول رداً على مناقشة الدكتور :

أولا : من الذى افترض « ان هناك عالماً ثالثاً » هو عالم الجن ؟ إن هذا العالم ذكره الله فى كتابه وتحدث عن خلقه وإن من الغريب ان يتكلم الدكتور عن الافتراض وهو نفسه يورد فى مناقشته آية من كتاب الله تحدد المادة التى خلق الله منها الجن (والجان خلقناه من مارج من نار) .

ثانيا : أن مسألة خلق الجن ليست مسألة افتراضية حتى يحيطها الدكتور بهذا الركام من الأسئلة التى تنبعث من ظلمات الشك بل والإنكار ، وإنما هى مسألة حددها القرآن بوضوح تام يقول الله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) ثم يأتى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم فيزيد المسألة تأكيداً ويكشف عن أصل كل واحد من العوالم الثلاثة الإنس ـ الملائكة ـ الجن فى حديثه الذى يقول فيه (خلقت الملائكة من نور . وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) (١) رواه مسلم فى صحيحه ، والإمام أحمد فى مسنده ، فما رأي الدكتور فى هذا الحديث وهو فى غاية الوضوح ، ولا أحسبه يقبل شيئاً من التأويل الغريب الذى جنح إليه الدكتور فى تفسيره لمعنى « الجن » وإننى لأستبعد أن يكون الدكتور جاهلًا بهذا الحديث ، وحتى لو سلمنا باتحاد أصل الملائكة والجن حسب رأيه فإننا نقول ، ليس فى اتحاد أصل عالمى الملائكة والجن مع اختلاف طبائعهما ومواصفاتهما أي غرابة حتى يثير الدكتور الدخان حول نار الجن ونور الملائكة بتساؤله ما الفرق بين النار والنور ؟ رامياً بذلك إلى إثبات أن الأصل الواحد لا يمكن أن ينشأ عنه نوعان مختلفان متجاهلا أو متغافلا عن حقيقة هامة هى أن الأصل سواء أكان النور أو النار لا فعالية له من ذاته فى الخلق والإيجاد وإنما يكون الخلق منه بقدرة الله

---

(١) مختصر ابن كثير الجزء الثالث الطبعة الأولى صفحة ٤١٧ .

وكلمته « كن فيكون » إذن فما دام الأمر بيد الله سبحانه وتعالى فإن مناقشة « كيفية » الخلق لنوع أو نوعين لا تنتج إلا العبث ، ولا تفضي إلا إلى فساد الفكر وضعف الإيمان بقدرة الله على خلق ما يشاء ومما يشاء كيفما يشاء ·

ولماذا لم يستغرب الدكتور اتحاد الأصل الذى كان منه الإنسان وهو نوع له مميزاته ومواصفاته ثم كان منه الحيوان فكلاهما من ماء وطين يقول الله سبحانه (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) ثم لننظر إلى اختلاف عالم الحيوان عن عالم الزواحف عن الأسماك عن الطير فى الخصائص والمميزات واختلاف أحد هذه العوالم عن عالم الإنسان الذى يتحد مع كل هذه العوالم فى أصل مادة خلقه فهل يسوغ لنا أن ننكر « وجود » بعض هذه العوالم نظرياً لأن الأصل لا ينبغى أن يكون إلا لواحد منها لا يتعداه · بل إن فى عالم الإنسان ما يجعلنا نقف مبهورين أمام إبداع القدرة الخلاقة عندما نتأمل اختلاف خلق آدم عن خلق أبنائه ثم عن خلق واحد متميز من أبنائه وهو سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام · ولكن هذا لا يثير الاستغراب الذى يؤدى للشك أو للإنكار بل بالعكس فإنه يلمس فى النفس أعمق مشاعر الإيمان التى يحركها إدراكنا لإبداع القدرة الإلهية · فما لعنصر ولا لمادة معينة فعالية ذاتية فى خلق كائن أو إفراز نوع ولكن الإيجاد لكل الأنواع - بقطع النظر عن أصل المادة التى خلقت منها - إنما يكون بقدرة الله الذى يقول للشيء كن فيكون · ولا أحسب الدكتور محمد البهي يجهل هذا ولكنى أخشى أن يكون إنكاره للجن انسياقاً وراء بريق الجديد وان كان زائفاً أو إحياء لانحراف الفكر القديم ولو كان بالياً ·

وفى القديم أنكر الجن بعض الفلاسفة قال الإمام القرطبى ، (وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجنَّ وقالوا إنهم بسائط ولا يصح طعامهم اجتراء على الله وافتراء ·· والقرآن والسنة ترد عليهم) كما أنكر الجن فى عصرنا هذا - بعض الفرق الضالة كالقاديانية (١) الذين ادعى زعيمهم الرسالة - ولهم أصحاب بالسودان يسيرون على نهجهم فهل يود الدكتور أن يدعم رأى هذه الجماعة الضالة وما أحسبه - وهو الذى عرفناه داعية للحق - يرضى بأن يكون سنداً لأهل الضلال · مرة أخرى نؤكد أن الكتاب والسنة يدلان دلالة واضحة على وجود عالم الجن بل ويحددان له كثيراً من السمات يقول الأستاذ العالم سيد قطب فى تفسير الظلال صفحة ٣١٢ تفسير سورة الجن ، (فالجن لهم حقيقة موجودة فعلا كما يصفون أنفسهم هنا « وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا » ومنهم الضالون المضلون ومنهم السذج الأبرياء الذين ينخدعون (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا

---

(١) شرح الألبانى (للعقيدة الطحاوية) صفحة ٢٤ ·

ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) وإنهم لا ينفعون الإنس حين يلوذون بهم بل يرهقونهم (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وإنهم لا يعلمون الغيب ولم يعد لهم صلة بالسماء (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا) ويقول فى صفحة ٣١٣ من تفسير سورة الجن : (هذا ـ بالاضافة إلى ما قرره فى سورة الرحمن عن المادة التى خلق منها كيان الجن والمادة التى خلق منها كيان الإنسان فى قوله « خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار » يعطى صورة عن ذلك الخلق المغيَّب تثبت وجوده وتحدد الكثير من خصائصه . وفى الوقت ذاته تكشف الأوهام والأساطير العالقة عن ذلك الخلق . وتدع تصور المسلم عنه واضحاً دقيقاً متحرراً من الوهم والخرافة ، ومن التعسف والإنكار الجامح كذلك !) .

السنة الصحيحة تثبت وجود الجن :

جاء فى كتب السنة الصحيحة أحاديث تثبت الجن وتؤكد إيمانهم بالإسلام ولا أدرى لماذا لم يتعرض لها الدكتور مع أنه من أبجديات « الموضوعية » أن يعرض الباحث كل ما يخالف وجهة نظره بدقة وأمانة ثم يتعرض لما فيه بالرد والتعليق . وإننى لأتساءل هل من الموضوعية إهمال السنة وهى البيان للقرآن بل والمصدر الثانى للإسلام عقيدة وشريعة ؟ !

وأول ما أعرض من الأحاديث التى تثبت وجود عالم الجن الحديث الذى رواه الشيخان فى قوله تعالى (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) ان هذا النفر كان من جن نصيبين أو نينوى ، فما رأى الدكتور في كلمة « جن » هنا هل يراها تقبل تأويله المبتدع ؟

ثانيا : ما رأى الدكتور فى الحديث الذى أوردناه فى الصفحات السابقة والذى حدد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أصل المادة التى خلق الله منها الجن كما حدد أصل الملائكة والإنس ؟ هل لدى الدكتور مطعن فى سنده ؟ أم عنده له من غريب التأويل ما يخرجه عن صريح معناه ؟ ولماذا لم يتعرض له الدكتور فى تفسيره الموضوعي ؟

ثالثا : ما رأى الدكتور فى رواية ابن عباس التى رواها البخارى ومسلم فى سبب نزول قوله تعالى (قل أوحى اليَّ أنه استمع نفر من الجن) والرواية تقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوحي اليه قول الجن والحديث طويل . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائي والحافظ البيهقى فى كتابه (دلائل النبوة) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر

السماء وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء الا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذى حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا والله الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم (قالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن) (وانما اوحي اليه قول الجن) (١) .

ولا بأس من إيراد تعليق الأستاذ سيد قطب عليه يقول : (وهى أى رواية ابن عباس - قاطعة فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم - إنما علم بالحادث عن طريق الوحي وأنه لم ير الجن ولم يشعر بهم) إلى أن يقول « ويقويها ما عرفناه من القرآن من صفة الجن » (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) فهل يمكن فى رأى الدكتور أن يختفى شخص الإنسان بحيث يكون قريباً منك ومواجهاً لك ثم لا تراه عينك ؟ !

رابعاً : ماذا يفعل الدكتور فى رواية مسلم التى جاء فيها (وسألوه - صلى الله عليه وسلم - الزاد . أى سأله الجن زاداً لهم . فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم » (٢) فهل يرى الدكتور فى هذا طعاماً للإنس ؟ وما رأى الدكتور فى قوله صلى الله عليه وسلم « أوفر ما يكون لحماً » ؟ أو ليس هذا الكلام واضحاً فى أنه يحدد طعام عالم آخر هو عالم الجن الذي ينكره الدكتور والذى يثبته الحديث بل ويثبت له دواباً لها طعامها الخاص .

شطط يقود الى شطط :

لقد ساق الدكتور شططه فى أمر الجن إلى شطط فى تفسيره لأمور أخرى وردت فى سورة (النمل) وذلك حتى تتسق المعانى مع المعنى الذى ذهب إليه الدكتور فى تفسير الجن بأنهم إنس غير معهودين فماذا قال فى تفسير قوله تعالى : (قال ياأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك

---

(١) اخرجه البخارى فى التفسير وفى الصلاة ومسلم فى الصلاة والترمذى والنسائى فى التفسير .
(٢) مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق الشيخ محمد على الصابونى الجزء الثالث . الطبعة الأولى صفحة ٣٢٤ - ٣٢٥ .

فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ، قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) (النمل ٣٨ ـ ٤٢) .

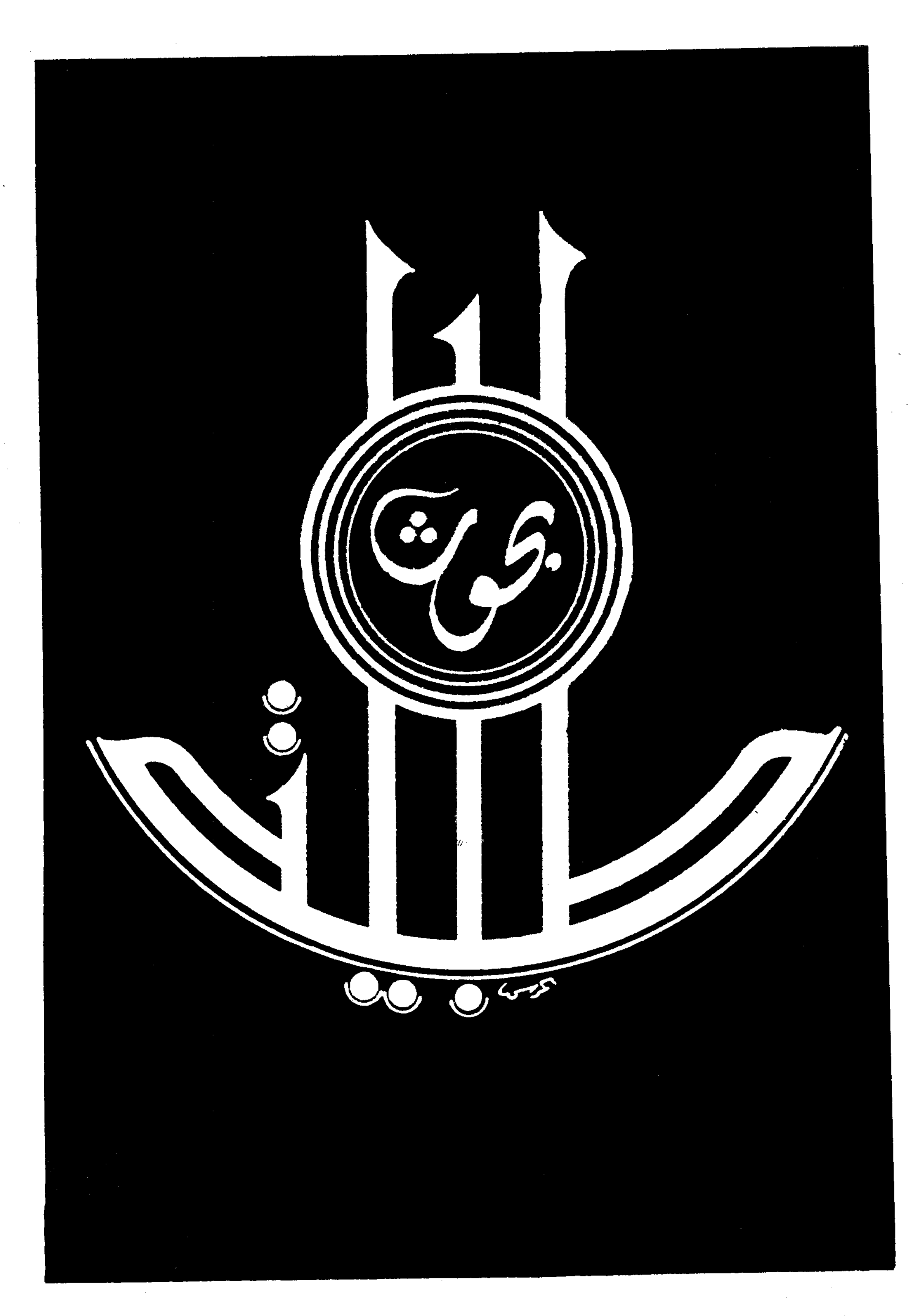
وهذه الآيات الكريمة بينات واضحات ومن الكلام المستساغ فيها أن يقول المرء إن الشرح والتفسير لا يزيدها إلا قليلا . ولكن الدكتور أخذ على نفسه أن يدخلنا فى معميات تأويله حتماً عليه حتى يتمكن من تنسيق معانى الآيات مع ما ذهب إليه ـ مسبقاً ـ من تحريف فى معنى « الجن » فمادام العفريت من الجن يعنى ـ لديه ـ (واحداً من الأقوياء واسع الحيلة شديد الدهاء من غير الظاهرين فى ملأ سليمان عليه الصلاة والسلام) مادام الجن يفسر عنده بإنسان غير معهود فكيف يكون معنى عرش الملك كما هو لا بد إذن أن يتغير معنى العرش الى معنى يفتن الدكتور فى ابتكاره واختراعه فماذا يكون العرش الذى طلب سليمان عليه السلام من أصحاب الرأي عنده الاتيان به وعلى وجه السرعة ؟ إنه لا يعدو لدى الدكتور أن يكون خريطة ترسم لمملكة سبأ ولندع عبارة الدكتور تكشف عن المراد بالعرش يقول (وطلب ـ الى أصحاب الرأى عنده ـ وضع خريطة تصور مملكة بلقيس كى يستعد لغزوها طلب وضع هذه الخريطة وأن تكون جاهزة عنده قبل أن يأتيه الرد منها على رسالته الثانية بالخضوع والقبول) انتهى كلامه . وإذا كان المراد بعرش بلقيس خريطة يقوم برسمها مهندس فما معنى اهتمام سيدنا سليمان بسرعة الإتيان بهذا الرسم قبل أن تأتيه بلقيس وقومها مسلمين ؟ ! وأى إعجاز ستلمسه بلقيس فى صورة لعرش تستمتع هى بالفعل بالجلوس عليه ؟ ! وهل تبهر الصورة من يستمتع بحقيقة الشيء المصوَّر ؟ إن الذى سيبهرها حقاً هو أن تجد أمامها عرشها الذى خلفته وراءها بذاته أن تجده قد سبقها إلى سليمان دون علم منها أو إرادة ، هذا هو الشيء الخارق المعجز ولذلك كانت دهشتها واضحة فيما حكاه الله عنها (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) .

ويحق لنا أن نتساءل أيضاً عن سر التسابق ـ فى اختصار الزمن ـ بين العفريت من الجن والذى عنده علم من الكتاب أى معنى لهذا التسابق لو كان الأمر المطلوب لا يعدو أن يكون « خريطة » ترسم . ثم ما معنى (القوة) والأمانة اللتين وصف بهما العفريت نفسه فى قوله تعالى حكاية عنه (وإنى عليه لقوي أمين) فهل يحتاج « رسم » الخرائط الى قوة عظيمة وصيانة ومحافظة « حتى لا تقع خطوط الرسم وتنكسر الزوايا والمنحنيات » ؟ لو كان « العرش » خريطة كما يزعم الدكتور لكان المناسب أن يقول هذا العفريت وإنى لرسام ماهر أو مهندس بارع أو ذكى لماح أو دكتور ... فى علم الخرائط . ثم إن التسابق فى اختصار

الزمن كان أمراً حاسماً فى الدلالة على أن المراد « العرش » ذاته لا صورة له ولا لمملكة سبأ فقد كان بين زمن انفضاض الاجتماع وزمن ارتداد الطرف فرق كبير فى اختصار المدة ومن الواضح أن زمن ارتداد الطرف زمن يسير جداً وهو أقل بكثير من الزمن الذى حدده العفريت بانفضاض الاجتماع ٠

ولهذا كان الإعجاز فى انتقال العرش من سبأ بهذه السرعة المذهلة واستقراره أمام سليمان عليه السلام ومازال أصحاب الرأى عنده مما دعا سليمان عليه الصلاة والسلام إلى الاعتراف بفضل ربه واعتبار هذا الفضل العظيم اختباراً من الله له أيشكر أم يكفر وقد شكر ولله الحمد ، قال تعالى (فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر) وهذه المعانى كلها واضحة لمن تدبر آيات النمل فماذا تقول « موضوعية » الدكتور فيها إنه يقول عن الذى عنده علم من الكتاب ، (وعد أن يحضره فى أقصر مدة ممكنة وهى ما يعبر عنه بارتداد الطرف) فيخيل إليك أنه يريد أن هذه المدة أسرع من مدة « انفضاض الاجتماع » ولكن الدكتور يفاجئك بعكس ما تظن عندما يقول ، (فالأمر يحتاج إلى تحضير ودقة فيه وليس من السهولة بحيث يؤتى به قبل انفضاض الاجتماع) يعنى هذا بوضوح أن مدة انفضاض الاجتماع أقصر من المدة التى يرتد فيها الطرف حتى قبل أن يرتد !

وهكذا يقلب الدكتور المعانى قلباً وبصورة مدهشة وكأنها السحر فيحول مدة ارتداد الطرف الى زمن أطول وأكثر تراخياً من مدة انعقاد الاجتماع وإلى حين انفضاضه ! وقد قلب - فيما سبق معنى العرش إلى خريطة مرسومة لمملكة سبأ ومن الحق أن نسأل الدكتور من أى كتاب من كتب اللغة أتى بهذا المعنى المبتكر للعرش ؟ أم أن الاستعمال مجازى ؟ وإذا كان مجازياً فما العلاقة ؟ وهل ظهر للدكتور كيف أن سياق الكلام يأبى ويرفض تأويله الجديد للعرش ؟ ونلاحظ هنا أنه يخاطب جماعة مع أن الذى تصدى لرسم الخريطة كان واحداً معيناً وهو الذى عنده علم من الكتاب ، ألا ينبه هذا الدكتور إلى ما فى تأويله من خطأ ظاهر ؟ ! ولم طلب سليمان عليه السلام تغيير معالم خريطة هامة كهذه ، وكيف سيستعين بها بعد هذا التغيير ؟ أليس المناسب فى مثل هذه الحالة أن يحفظ هذه الخريطة فى مكان آمن شأن الأوراق السرية الهامة التى لا يفرط فيها القائد المحنك ؟ ولماذا عرض هذه الخريطة - وهى سر من أسراره الحربية - على بلقيس ملكة أعدائه فور حضورها ؟ وكيف يعرضها عليها مهما كان السبب قبل أن يستيقن من استسلامها لاسيما وقد ظهر له ما تتمتع به من حيلة ودهاء ، إن هذا التأول فوق انه لا يستند على اثارة من علم تأويل لا يقبله العقل ولا يكون عناء وتكلفاً جشمنا اياه الدكتور ليؤيد تفسيره الموضوعي الذى ينادى بإنكار وجود الجن ٠


بحوث

الوراثة في الطب

للدكتور فكري السيد عوض
طبيب العيون بالجامعة

يتكون الجسم البشرى من عدة أجهزة مختلفة متخصصة (مثل الجهاز التنفسى ، والجهاز الهضمى ، والجهاز التناسلى ، إلى آخر ذلك من الأجهزة) وكل جهاز من تلك الأجهزة يتركب من مجموعة من الأعضاء ، وكل عضو يتكون من مجموعة أنسجة تؤدي مهمة واحدة ، وكل نسيج يتشكل من مجموعة خلايا تقوم بعمل معين .

والخليـــــة : هى حجر الأساس فى بناء الانسان ، وهى تتكون - فى إيجاز شديد - ، من مادة سائلة (تسمى السيتوبلازم) يغلفها غشاء رقيق ينظم دخول وخروج المواد المختلفة ، ويوجد بداخل هذه المادة السائلة أهم شىء فى الخلية وهو ما يسمى **بالنواة** حيث يكمن فيها سر الحياة للخلية ، فلا يمكن أن تعيش الخلية بدون النواة .

وقد بدأ العلماء فى دراسة **نواة الخلية فوجدوا فيها أجساما غريبة ذات أشكال ثابتة ، تتلون بالأصباغ بشدة فسموها « الصبغيات »** ... ومع متابعة الأبحاث وجدوا أن جميع **الصفات الوراثية** تكمن فى هذه « الصبغيات » وتنتقل من الآباء إلى الأبناء والأحفاد من خلالها . بمعنى أن كل ما يتعلق بالوراثة يكمن فى الصبغيات التي في نواة الخلية وهي تشكل خريطة عامة لجسم الانسان كله من طول القامة ، وقسمات الوجه ، ولون الشعر ، والعينين وفتحة العينين ، وأهداب الأجفان ، وشكل الأصابع والأظافر ، وشكل المشية ، وتشكيل العظام والعضلات ، إلى آخر ذلك فيما يتعلق بكل صغيرة وكبيرة بهذا الكائن الحي .

وهنا يجب أن نتوقف قليلا أمام ما يقوله بعض السطحيين من أن العلم الحديث قد توصل إلى معرفة نوع الجنين وهو فى بطن أمه ، ويفهمون أن هذا من الغيب الذى أشار إليه القرآن فى قوله تعالى : (**ويعلم ما في الأرحام**) ، وعلم الأرحام لا يقتصر على معرفة ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى ، إنما يحتوى على آلاف الغيبيات التى تتعلق بهذا الكائن ، وبكل خلية من خلاياه وبكل صفة من صفاته . فالصبغيات التي في أي خلية من خلايا الإنسان تحتوى على المورثات ، وتحمل أكثر من عشرة آلاف مورثة ، كل واحدة تختص بشىء معين فى الجسم ، هذه تختص بالمشية ، وثانية تختص باللون ، وثالثة تختص بالشعر ، ورابعة تختص بطبيعة الإنسان ، وخامسة تختص بعقل وذكاء الإنسان ، وسادسة ... وألف ... وألفان ... إن علم الأرحام عالم مستقل بذاته أكبر من أن تحتويه العقول وتكتشفه الأفهام .

ومع ظهور علم الوراثة فُتحت بذلك أمام العلم الحديث أبوابٌ واسعة لدراسة أمراض المستقبل ، وسُلط الضوء على احتمالات الجيل الجديد ، وما يجب التخطيط نحو هذا الجيل القادم حتى يأتى قويا متجدد النشاط والحيوية ، وخاصة أن العلم يقول بأن أمراض الوراثة فى الأطفال تكاد تقارب نصف عدد مرض الأطفال فى المستشفيات الجامعية .

فالوراثة تشكل هذا المستقبل وترسم معالمه سواء كان صحة أم مرضا .

ومن هنا فإنه عندما نريد أن نتخذ قرار الزواج فلابد أن نقف طويلا لندرس عوامل الوراثة لأن زواج الأقارب يساعد على كثير من الأمراض ويضاعف من بعضها ، كذلك فإنها قد تكون من زوجين من غير الأقارب . لأنه كما عرفنا أن الصفات الوراثية جميعها تكمن فى كل خلية من خلايا الإنسان . كذلك فإن البويضة (فى المرأة) هى خلية تحتوى على كل صفات الأم وبالمثل فإن الحيوان المنوى (فى الرجل) هو خلية تحتوى على كل صفات الأب ، ومنهما يتكون إنسان المستقبل حاملا صفات الأب والأم بنسب متفاوته .

والأمراض المتعلقة بذلك تنقسم إلى :

أولا : أمراض خَلْقية :

- وهى تنشأ من بعض الاختلافات التى تحدث عند تكوين الجنين ، وليس لها علاقة بالمميزات الوراثية فى الأب والأم .
- وتحدث فى طفل واحد ، ولا خوف من تكرار المرض فى حمل آخر .
- ولكى نستوعب ذلك فيجب أولا معرفة أن عدد « الصبغيات » فى كل نواة هو ٤٦

أى (٢٣ زوج) وشكل كل واحد منها فى الغالب مثل (   ) ومرتبة فى مجموعات بنظام معين .

فماذا يحدث لو حدثت زيادة أو نقص فى واحد من هذه الصبغيات ؟ إن الأثر يكون على مستوى الجسم كله .

وسنضرب على ذلك مثالا بالصبغى رقم ٢١ (أى الزوج رقم ٢١) :

(أ) حالة زيادة صبغى واحد ينتج عن ذلك تشوهات لا حصر لها ، فيصبح منظر الطفل شديد الشبه بالسمة **المنغولية** : معتوها ، والعينان منحرفتان ، والرؤية تكون ضعيفة ، واللسان يتدلى ويكبر ، والاذنان تكونان مشوهتين ، والقامة قصيرة ، والقدرة على التمييز مختلة ، والقلب به إصابات كبيرة مثل وجود فتحات فى جدار القلب ، والأمعاء فيها نقص (Doudenum atresia) فيصعب النمو ، والأطراف تكون مرتخية ، ... ، ... وكل هذا بسبب زيادة صبغى واحد ...

• ما أحرانا أن نتأمل رحمة الله الواسعة التى تغمرنا من كل جانب ونتذكر أنه سبحانه وتعالى قادر على كل شىء ، وأنه يفعل ما يريد . **(وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)** (الأنعام / ١٨) .

(ب) حالة نقص صبغى واحد (أى يصبح أحاديا) : لا يمكن أن تستمر الحياة ويحدث الإجهاض . فالزيادة والنقص يحدث كل منهما آثارا عجيبة ، وسبحان الخالق ، إن كل شىء عنده بمقدار . وصدق الله العظيم : **(هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم)** (آل عمران / ٦) .

(جـ) حالة عدم الزيادة وعدم النقص ، ولكن يفقد **أحد الأذرع** من الزوج ٢١ ، فإن هذا يؤدى إلى نوع خاص من سرطان الدم .

وعندما يستشعر الإنسان ذلك فإنه مهما شكر الله تعالى ، فإنه لن يوفي الله حقه الذى أخرجه إلى الوجود بهذه الصورة السوية **(يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك)** (الانفطار / ٨) **(وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات)** (غافر / ٦٤) . .

ومن أمثلة الأمراض الخلقية وأشهرها استسقاء المخ ، ذلك أننا نجد الطفل الرضيع له رأس كبير نتيجة وجود سائل زائد يتكون فى المخ ، ويستمر تكوينه وتخزينه بحيث يستمر رأس الرضيع فى الكبر ، وهذا له **علاج** جراحى بسيط ، إذا شخصت حالة الطفل مبكرا قبل

أن يتأثر المخ بتأثيرات كبيرة ، أما فى حالة صغر حجم رأس الجنين ، وبالتالى صغر المخ بداخل الرأس ، فإن ذلك يكون بسبب نقص أو عدم تكوين بعض أجزاء المخ ، وللأسف لم يوجد فى الطب إلى الآن طريقة لإعادة الجزء المفقود ·

ثانيا : أمراض وجدت نتيجة عوامل بيئية حديثة :

بسبب هذه العوامل يحدث تلف غير مرئى فى الصفات الصبغية لخلايا المبيض أو الخصية وقد يحدث فى تكوين الحيوان المنوى أو البويضة ·

ومن أمثلة تلك العوامل : الإشعاعات الذرية ، وتلوث البيئة ، وميكروبات يمكن أن تحتل الجهاز الصبغى للخلية مثل الفيروسات ، أو بعض الأدوية المتداولة ·

وهذا يمكن تلافيه بالا بتعاد عن الملوثات البيئية ، والعلاج النووى ، والأدوية التى لها تأثير مباشر على الأجسام الصبغية للخلية مثل بعض أدوية المهدئات ، كذلك يجب استخدام التحصينات ضد بعض الفيروسات · كطعم **الحصبة الألمانية** وبالذات للبنات (قبل زواجهن) ، لأن **الأم الحامل** إذا أصيبت بالحصبة الألمانية خلال الأشهر الثلاثة من الحمل فإن ذلك يؤدى إلى حدوث العديد من التشوهات عند الجنين ، والتخلف فى الذكاء عند الطفل بعد الولادة ، وعتامة عدسة عينيه ، وصمم بأذنيه ، وتشوهات بقلبه ·

ثالثا : أمراض وراثية :

● وهى أمراض موجودة فى جسم الأب أو الأم ، وتنتقل خلال البويضة (من الأم) أو الحيوان المنوى (من الرجل) كإحدى الصفات الوراثية إلى الأولاد ·

● وقد عرف الأطباء وعلماء الوراثة أن بعض الصفات لعديد من الأمراض الوراثية تكون **كامنة** (غير ظاهرة) فيكون **الإنسان الحامل لتلك الصفة الوراثية طبيعى** المظهر وخال من الأمراض العضوية ، فإذا تزوج رجل من هذا النوع من إحدى **قريباته** وكانت حاملة لنفس الصفة الوراثية **الكامنة** ، فإن هناك احتمالا كبيرا أن **تظهر** أعراض الأمراض الوراثية عند بعض أطفالهما ·

وقد تظهر أعراض المرض الوراثى فى خلال أسابيع أو شهور بعد الولادة ، أو بعد عدة سنوات على حسب نوع المرض الوراثى الذى سينتج عن زواج القريبَيْن ·

مفهــوم خــاطىء :

● وهناك مفهوم خاطىء وهو أن الأمراض الوراثية يتعذر أو يستحيل علاجها ، ولكن

الحقيقة أن غالبية الأمراض الوراثية يسهل علاجها إذا شخصت مبكرا ، وأعطى العلاج المناسب لها .

• وقد أصبح من الممكن تشخيص أكثر من مائة مرض وراثى أثناء الحمل ووصف علاجها ، ولكن العلاج يستلزم فترات طويلة قد تصل إلى سنوات ... وعلى سبيل المثال ، مريض **النزف** الوراثى يتعاطى جرعات منظمة من مركبات الدم الناقصة ... ، ... أو يتعاطى هرمون النمو لتلافى حدوث **قصر القامة** ... ، ... أو بتعاطى الهرمونات اللازمة للنمو فى أثناء فترات النمو .

ومن أمراض القلب الوراثية :

تصلب الشرايين وما يصحبها من مضاعفات خطيرة مثل الذبحة الصدرية وانسداد الشريان التاجى وارتفاع الضغط - والتشوهات الخلقية مثل وجود ضيق فى بعض صمامات القلب ، لكنه نظرا للتقدم السريع فى جراحة القلب فقد أمكن علاج كثير من هذه التشوهات بالجراحة ، ويمكن شفاء المريض منها .

ومن أمراض الدم الوراثية :

بعض أنواع الأنيميا (فقر الدم) الوراثى ، وكذلك أمراض سيولة الدم المختلفة (الهيموفيليا) .

مرض السـكر والـوراثة :

وهناك أشخاص لديهم استعداد وراثى للإصابة بمرض السكر ، إلا أن هناك عوامل تسبب **ظهور** هذا المرض عندهم **منها** زيادة الوزن والإكثار من المواد السكرية .

ولذلك ننصح هؤلاء بعدم زيادة وزنهم ، والإقلال من المواد النشوية أو السكرية ، أو بمعنى آخر (كما يقول الأطباء) يعملون **صداقة** مع مرض السكر أى يستعملون الحيطة ، أما إذا أهملوا فإن المرض يكون طريقه إليهم سهلا ويصاب كل جزء فى الجسم .

أمراض الوراثة فى العظام :

منها الخلع الخلقى (خلع مفصل الفخذ) والتواء القدم أو القدمين (يسمى بالقدم المخلبية) ويصعب المشى عليها ، وقصر الطول ، وقصر الأطراف ، والأورام الغضروفية ، وتضخم العظام ، والتهاب العظم المفصلى ، وأورام المفاصل (مثل مرض الروماتويد ويمكن علاجه إذا كشف مبكرا) .

وهناك أمراض عصبية وراثية مثل الصرع ، والتشنجات ، والشلل العصبى الوراثى ، والتخلف العقلى .

وهناك أمراض عضلية وراثية مثل شلل العضلات الوراثى .

كذلك العديد من الأمراض الجلدية ، وأمراض الغدد ، إلى آخر تلك الأمراض التى تصاب بها أجهزة الجسم المختلفة .

مـاذا يحدث إذا لم تُعرف فصيلة دم كل من الأب والأم ؟

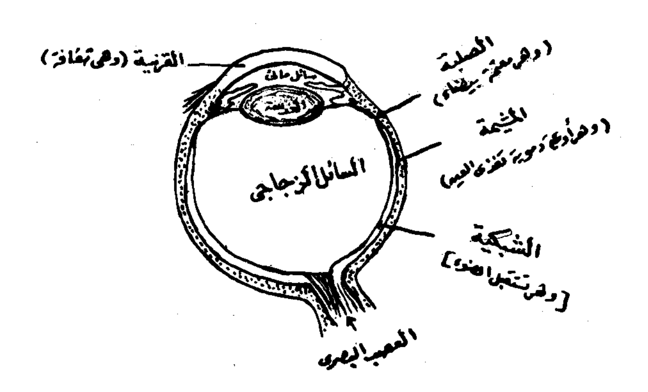
- يجب تحليل دم الأم لمعرفة ما يسمى بـ PH هل هو إيجابى أم سلبى . وهو مهم جدا فى حالات الحمل والولادة .
- فإذا **كانت الأم من النوع الإيجابى :** فلا خوف على الإطلاق ـ إذ أنه فى معظم النساء إيجابى (٨٥ ٪) .
- **أمـا إذا كانت الأم من النوع السلبى :** فيجب هنا أن يكون الحذر .. ويجب تحليل دم الزوج ، فإذا كان الزوج سلبيا مثل الأم فلا خوف ، أما إذا كان إيجابيا PH والأم سلبيا PH كان دم الجنين إيجابيا ، وبهذا يكون دم الجنين غريبا عن الأم فتبدأ فى تكوين أجسام مضادة لتهاجم هذا الدم الغريب ... وفى العادة يكون الطفل الأول سالما لأنه يخرج إلى الحياة قبل أن تكون الأجسام المضادة اللازمة للقضاء عليه بالدرجة الكافية . أما بعد خروج الجنين تكون الأجسام المضادة موجودة فى دم الأم ، وفى انتظار الهجوم فى أى وقت تحمل فيه الأم ... وكلما حملت أكثر يحدث الإجهاض ، وتزداد الأجسام المضادة أكثر ... والعلاج يكون أولا بالوقاية ، وذلك بإجراء التحاليل قبل الزواج أو قبل الوضع ، وكذلك إعطاء المرأة التى ولدت مصلًا وقائيا للأجسام المضادة التى تتكون بعد ٢٤ ساعة من حدوث الولادة أو من حدوث الإجهاض ... أما اللائى ضاعت منهن هذه الفرصة وامتلأت أجسامهن بالأجسام المضادة ، فقد توصل الطب إلى نوع معقد من العلاج يحتاج إلى عناية بالغة ووسائل مختلفة منها نقل دم الجنين وهو داخل الرحم ... والمجال فى هذا واسع ومتشعب ، لكن اكتفينا بهذا الإيجاز الشديد لتوضيح أهمية الفحص ، ومتابعة الطبيب ، حتى لا يخرج النسل هزيلا ضعيفا ...

الوراثة وبعض أمـراض العيـــون :

أولا : أمراض القرنية :

(ا) القرنية المخروطية :

وهى مرض خَلْقى يظهر غالبا عند البلوغ ، ويزداد بصورة تدريجية حتى تصبح القرنية كما لو كانت قمعا . وتعالج الصور البسيطة بالنظارات العادية .



وتستجيب الحالات الشديدة منه للعدسات اللاصقة ، وإلا فإنه يمكن علاجها بعملية ترقيع القرنية .

(ب) القرنية الكرويـــة :

وهى مرض وراثى عائلى ، ويظهر فى الأطفال ، وغالبا ما يصاحبه ازدياد فى طول واعوجاج أصابع اليدين (وتسمى الأصابع العنكبوتية) .

وهذا يحدث دائما فى الذكور حيث يزداد تحدب القرنية ازديادا منتظما على جميع محاورها مع كبر فى قطرها .

(جـ) التهاب القرنية المتخلل :

ويظهر عادة على الأطفال بين سن الخامسة حتى الخامسة عشرة ، والذين يولدون لأبوين أحدهما مصاب بمرض الزهرى .

ويتميز هذا المرض بعتامات شديدة تغطى كل القرنية مع غزوها بالأوعية الدموية مما يؤدى إلى ضعف شديد فى الإبصار .

ثانيا : أمراض العدسة البلورية :

١ ـ وهى فقدان شفافية العدسة ، فتصبح معتمة ، وهو ما يسمى بالكتاركتا الخَلْقية وتعالج بالتدخل الجراحى .

٢ ـ أو عدم ثبوت العدسة فى مكانها الطبيعى ، وهو ما يعرف بانخلاع العدسة ، وذلك نتيجة ضعف وتمزق فى جزء من رباط العدسة مما يتبعه جذب من الناحية السليمة

للرباط ٠ فإذا كانت قوة الإبصار تكفى صاحبها ، فلا داعى للتدخل الجراحى ، وإلا فتستخرج تلك العدسة بعملية جراحية ٠

ثالثا : أمراض الشبكية :

١ ـ وهو مرض العشى الليلى الذى يبدأ فى الطفولة ، ثم ينتهى بضعف شديد فى وسط العمر ، إلى أن يحدث ضمور فى العصب البصرى ٠

٢ ـ والبلاهة المصحوبة بالعمى ، وغالبا ما يموت صاحبه بعد عامين أو أكثر ٠ ولم يعرف له علاج حتى الآن ٠

٣ ـ وتغيرات حيوية فى المخ ، يبدأ ذلك عند سن السادسة أو الثامنة حيث يظهر الارتعاش وتيبس العضلات بجانب ضعف الإبصار ٠ ولم يعرف له علاج حتى الآن ٠

٤ ـ وأورام عدسية الشكل تصيب الشبكية والعصب البصرى ٠

٥ ـ وعمى الألوان ، وهو نوعان إما مكتسب وإما خَلْقى ٠

وعمى الألوان الخَلْقى نوعان :

ا ـ عمى الألوان الكامل ، وهذا نادر جدا ، ويرى صاحبه جميع الألوان باللون الرمادى ٠

ب ـ عمى الألوان الجزئى ، وهو الأكثر انتشاراً ٠

وهو مرض وراثى تحمله الأنثى لولدها الذكر بدون أن تتأثر هى به غالبا ٠ والمصاب بهذا المرض إما لا يجيد تمييز اللون الأحمر ، وإما لا يجيد تمييز اللون الأخضر ، وأما الذين لا يميزون اللون الأزرق فهم أقل القليل ، ونسبته فى الذكور حوالى ٤ ٪ بينما فى الإناث ٤و ٪ ٠ ولم يعرف له علاج له حتى الآن ٠

رابعا : انكســـار العـــين :

ا ـ طول النظر :

مرض خلقى تركيبى ، للوراثة أثر كبير فيه ، وإذا ترك بدون علاج فإن صاحبه يعانى من صداع شديد حول عينيه ، وخصوصا عند القراءة لمدة طويلة ، وفى نفس الوقت يكون عرضة لحول حقيقى فى إحدى العينين ٠ وهذا المرض يعالج باستعمال النظارات ٠

ب ـ قصر النظر :

وللوراثة شأن كبير فيه ، ويظهر فى سن مبكرة ، وقد كان هذا المرض يفسر خطأ بأن سببه كثرة إجهاد العين والقراءة أثناء الاسترخاء على الظهر ، ولكن ثبت بالدليل القاطع أن ذلك ليس من الحقيقة .

وتعالج الحالات البسيطة باستعمال نظارة ، أما الحالات المتوسطة والشديدة فباستعمال العدسات اللاصقة ، أما الحالات الشديدة جدا فهناك بعض الأبحاث الدالة على نجاح بعض العمليات لتحسينها .

● ومن ذلك نجد أن معظم الأمراض الخلقية والوراثية فى العين (باستثناء أمراض الشبكية) أصبحت قابلة للعلاج والتحسن ... ولذلك يجب على الأم أو الأب الانتباه إلى عينى وليدهما منذ اللحظة الأولى لولادته ، هل لون عينيه غريب ؟ هل حجمهما أكبر من المعتاد ؟ هل تتحركان حركة بندولية باستمرار ؟ هل تساعدان الطفل فى مشيته ؟ وإذا لاحظنا شيئا غريبا فلابد من عرضه على الطبيب قبل أن يفوت الأوان ـ كذلك يجب إجراء فحص دورى لعين الطفل وخصوصا فى سنوات المدرسة ولو مرة على الأقل كل سنة حتى ولو بدا أن عينيه طبيعيتان .

فـــائـدة : يجب على الذين يشرعون فى الزواج من الجنسين ، الذهاب للفحص الشامل قبل إتمام الزواج ، لأن زواج أبوين مصابين بمرض واحد (مثل قصر النظر) ينتج عنه نسبة من الأطفال المصابين بنفس المرض **أعلى كثيرا جدا** من نفس النسبة لو أن كلا منهما تزوج بآخر سليم النظر .

وفى ختام حديثنا يمكن أن نقول لكل من يريد أن يتزوج عليه أن لا ينسى المستقبل الصحى للأبناء ، ولذلك يحسن أولا أن يزور الطبيب قبل أن يقف أمام المأذون . حتى نستطيع أن نعد العضو النافع ونهيئه للقيام بأعباء المسؤولية وتكاليف الحياة ، وأن نرى زهرات حياتنا وفلذات أكبادنا بخير حالة . وعلى قدر الجهد المبذول والعزيمة الصادقة يتحقق الخير والفلاح ، وتكتمل جوانب التربية السليمة التى تشمل التربية الإيمانية ، والتربية الخلقية ، والتربية الجسمية ، والتربية العقلية ، والتربية النفسية ، والتربية الاجتماعية .

نسأل الله تعالى أن يمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ويجعله الوارث منا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

صـــدر حكم في جنحة سكر في الطريق العـــام عن محكمة عابدين الجزئية في القضية رقم ٦٩٧ ـ ٨٢ والذي تولى اصداره هو الاستـــاذ محمود عبد الحميد غراب رئيس المحكمة . ويقضي بجلد المتهم ثمانين جلدة مع النفاذ ، كما ضمن حيثيات الحكم ومنطوقه أسس التشريع الالهي في مثل هذه الجرائم واستحالة أن تكون القوانين الوضعية كافيـــة للعقـــاب في مثل هذه الحالات وذلك بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ٨مارس ١٩٨٢ م .

وجاء في حيثيات الحكم الذي امتلأ بكثير من الشواهد من الكتاب والسنة .

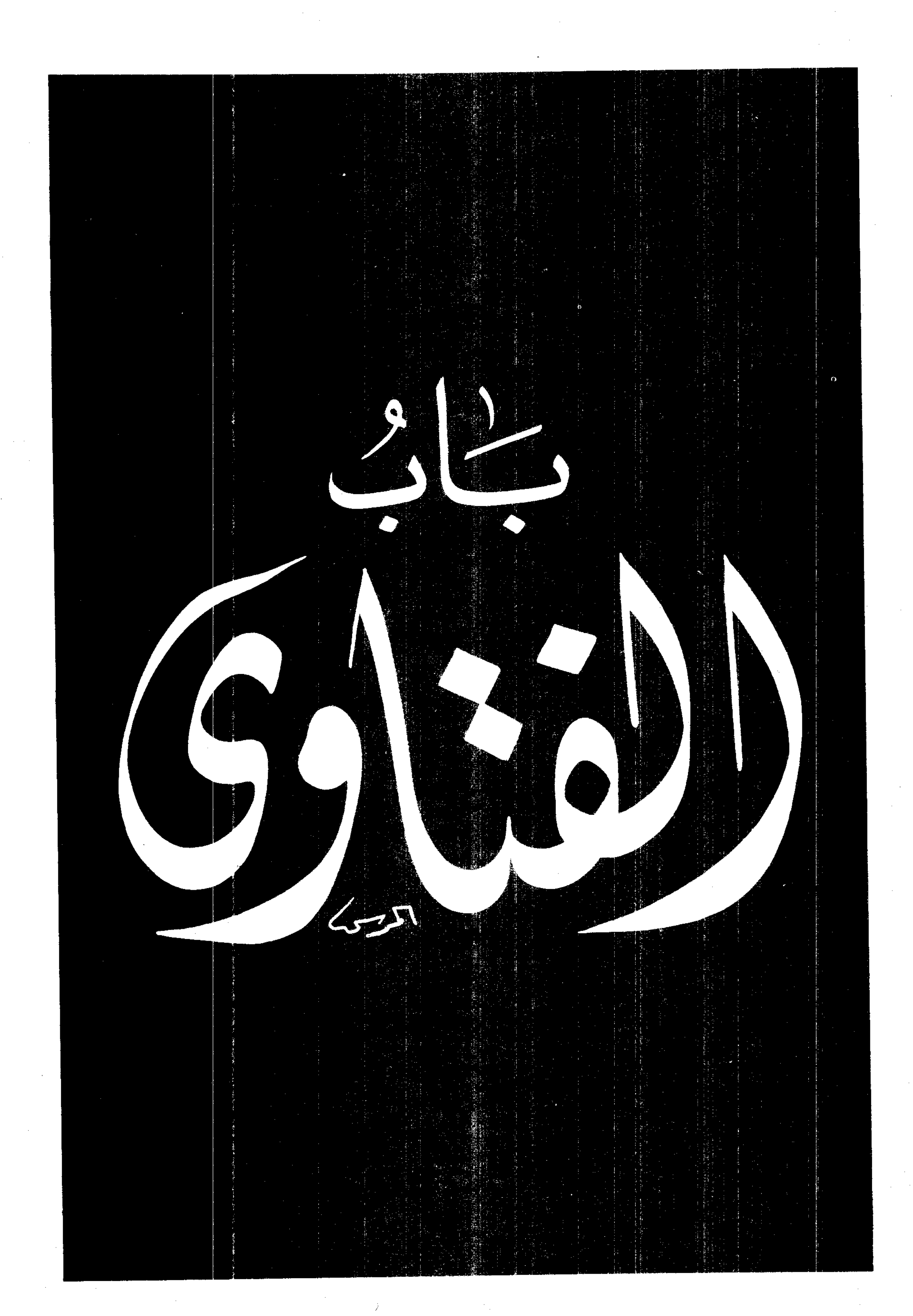
فلهذه الأسباب : أولا : حكمت المحكمة حضورياً : بجلد المتهم ثمانين جلدة مع النفـــاذ .

ثانيـــا : تحتكم المحكمة إلى اجراء استفتاء دستورى تجريه السلطات المعنية حول مشروعات قوانين الحدود والقصاص والديات .

ثالثاً : إن المحكمة ـ درءاً ليوم قد يأتى يمتنع فيه جميع القضاة عن تطبيق ما سوى ما أنزل الله . تناشد السيد رئيس الجمهورية اصدار قوانين الحدود . كما تناشد السلطة التشريعية وكل مسؤول عن التشريع في الدولة اقرارها قوانين يطبقها القضاة وتنفذها السلطة .

رابعـــاً : على الأزهر ووزارة الأوقاف ودار الافتاء . وأجهزة الإعلام كل في مجاله . مطالبة الجهات المعنية باصدار وإقرار مشروعات القوانين الإسلامية جميعها . واخراجها من حيز الطمس إلى نطاق اللمس . ومن حيز الادراج إلى نطاق الافراج ومن حيز التمويه إلى نطاق التنفيذ . ومن حيز التنميق إلى نطاق التطبيق .

« جريدة النور المغربية »


باب
الفتاوى

حُكم الاحتفال بالموالد

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد :

فقد اطلعت على كلمة نشرتها جريدة المدينة بعددها الصادر فى يوم الاثنين الموافق ٢٨ / ١٢ / ١٤٠١ هـ مضمونها أن الأخ **جمال محمد القاضى** رأى فى برنامج أبناء الإسلام الذى يبث من التلفاز السعودي حلقة تشتمل على الاحتفال **بعيد الميلاد . ويسأل جمال هل عيد الميلاد يجيزه الإسلام .. الخ** .

والجواب : لا ريب أن الله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين عيدين يجتمعون فيهما للذكر والصلاة ، وهما عيد الفطر والأضحى بدلا من أعياد الجاهلية وشرع أعياداً تشتمل على أنواع من الذكر والعبادة كيوم الجمعة ويوم عرفة وأيام التشريق ، ولم يشرع لنا سبحانه وتعالى عيداً للميلاد لا ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم ولا غيره ، بل قد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على أن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة فى الدين ومن التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم ، فالواجب على أهل الإسلام ترك ذلك والحذر منه ، وإنكاره على من فعله وعدم نشر أو بث ما يشجع على ذلك أو يوهم إباحته فى الإذاعة أو الصحافة أو التلفاز لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » متفق عليه ، وقوله صلى الله عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أخرجه مسلم فى صحيحه وعلقه البخارى جازما به ، وفى صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى خطبة الجمعة ، « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور

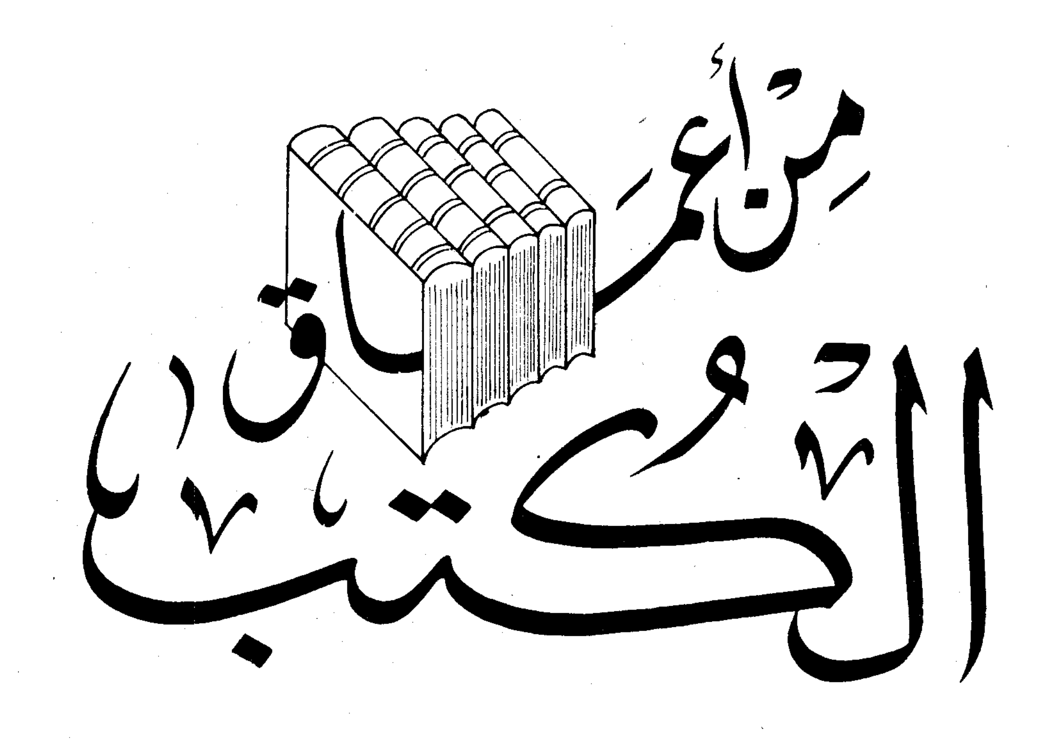
محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة . وفى مسند أحمد بإسناد جيد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تشبه بقوم فهو منهم » ، وفى الصحيحين عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، وفى لفظ شبراً بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه ، قالوا : يارسول الله اليهود والنصارى ، قال : فمن ؟ » .

وفى هذا المعنى أحاديث أخرى كلها تدل على وجوب الحذر من مشابهة أعداء الله فى أعيادهم وغيرها ، وأشرف الخلق وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يحتفل بمولده فى حياته ، ولم يحتفل به أصحابه بعده رضى الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان فى القرون الثلاثة المفضلة ، ولو كان الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم أو مولد غيره خيراً لسبقنا إليه أولئك الأخيار ، ولعلمه النبى صلى الله عليه وسلم أمته وحثهم عليه أو فعله بنفسه ، فلما لم يقع شيء من ذلك علمنا أن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة فى الدين التى يجب تركها والحذر منها امتثالا لأمر الله سبحانه وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

وذكر بعض أهل العلم أن أول من أحدث الاحتفال بالموالد هم الشيعة الفاطميون فى المائة الرابعة ثم تبعهم بعض المنتسبين إلى السنة فى هذه البدعة جهلا وتقليداً لهم ولليهود والنصارى ، ثم انتشرت هذه البدعة فى الناس ، والواجب على علماء المسلمين بيان حكم الله فى هذه البدع وإنكارها والتحذير منها ، لما يترتب على وجودها من الفساد الكبير وانتشار البدع واختفاء السنن ، ولما فى ذلك من التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم من أصناف الكفرة الذين يعتادون مثل هذه الاحتفالات ، وقد كتب أهل العلم فى ذلك قديما وحديثا ، وبينوا حكم الله فى هذه البدع فجزاهم الله خيرا ، وجعلنا من أتباعهم بإحسان .

وهذه الكلمة الموجزة أردنا بها التنبيه للقراء على هذه البدعة ليكونوا على بينة وقد كتبت فى ذلك كتابة مطولة نشرت فى الصحف المحلية وغيرها غير مرة ، ولاريب أن الواجب على المسئولين فى حكومتنا وفى وزارة الإعلام بوجه أخص وعلى جميع المسئولين فى الدول الإسلامية منع نشر هذه البدع والدعوة إليها أو نشر ما يوهم الناس إباحتها أداء لواجب النصح لله ولعباده ، وقياما بما أوجب الله من إنكار المنكر ، ومساهمة فى إصلاح أوضاع المسلمين وتطهيرها مما يخالف الشرع المطهر . والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يوفقهم للتمسك بكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، والحذر من كل ما يخالفهما ، وأن يصلح قادتهم ويوفقهم لتحكيم شريعة الله فى عباده ومحاربة ما خالفها إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .


من أعماق الكتب

كتـــاب عن المدينــة المنـــورة

في ثلاثة أجزاء وبمجلد واحد كان قد ظهر كتاب (المدينة المنورة وأول بلدية في الاسـلام) وهو كما أشير على غلافه (**عرض تاريخى موجز للمدينة المنورة وشرح مفصل لتاريخ بلديتها**) وقد اشترك في تأليفه كل من امين (المدينة المنورة) الاستاذ صدقة حسن خاشقجى والأستاذ محمد عبد الجليل النمر ، وهو من مؤلفات ومطبوعات الأمانة هنا ، وهذا يعنى أن للأمانة نشاطا ثقافيا واصدار بعض المؤلفات المتخصصة ، مما يذكرنا هنا بالمكتب الثقافى لهذه البلدية ، والذى آمل أن يتعرف عليه الناس أهالى وزائرون ويطلعوا على نشاطاته في هذا الحقل الإعلامى أو التوعية على الدور الذى يقوم به من أجل تاريخ وتراث المدينة المنورة المحبوبة بالذات ..

ونعود إلى الكتاب الذى تم إخراجه بالمستوى اللائق لهذه البلدة المقدسة ، ونعرف في الجزء الأول سجلا تاريخيا للفترات الثلاث عن (المدينة المنورة بين ماضيها وحاضرها) .

١ ـ من عهد النبى نوح الى عهد ا براهيم عليهما السـلام .
٢ ـ من عهد الخليل والى عهد رسالة الإسلام .
٣ ـ من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى عصرنا الحاضر ، والأخيرة هذه أطول فترات التاريخ حيث استوعب الحديث عنها بتفصيل ،ثم يجىء فصل (المدينة المنورة بعد الراشدين) مرورا بالعهدين الأموى والعباسى وإلى العهد العثمانى ثم إلى أخبار الأحداث الثلاثة التى مرت على المدينة من بناء أسوارها إلى نار الحجاز وحريق المسجد النبوى والحريق الذى وقع حديثا وإلى محاولة سرقة الجسد الشريف على عهد السلطان نور الدين زنكى الصالح . بعد ذلك يتناول الحديث عن (المدينة المنورة في العهد السعودى الزاهر) اليوم حيث تمت فيه إزالة المبانى المتلاصقة القديمة وافتتحت الشوارع والميادين الحديثة وأجريت التنظيمات كحتمية للتطور الذى تشهده بلادنا من أقصاها إلى أقصاها .

وبعد عرض شائق وبالصورة الملونة عن المساجد الأثرية العديدة يأتى الحديث عن الآ بار المأثورة كذلك وعن المناظر الطبيعية الجميلة هنا وعن المناطق العريقة وما يمكن أن

يكون بعضها أماكن سياحية ، وفي الجزء الثانى من الكتاب (صفحات من التاريخ الإسلامى منذ أنشئت في المدينة أول بلدية باسم دار الحسبة) على عهد الخليفة ا بن الخطاب رضوان الله عليه ، وهكذا يتواصل الحديث عبر المسيرة الزمنية عن البلديات المتعاقبة وتطورها وأعمالها وفروعها ومشاريعها حتى أسماء من تولوا رئاستها ، ثم يأتى الجزء الأخير ليستكمل الحديث عن الدوائر الحكومية والهيئات الأهلية التى تؤدى خدمات للمدينة ، ثم دليل الزائر .. كل ذلك مؤيد بالعديد من الصور المتقنة كتاريخ وثائقى لا يقل عن دور الكلمة المكتوبة ، وتحية خالصة للكتاب ولمؤلفيه .

(عن جريدة المدينـة المنـورة)

بالإســلام نحيــا وللإســلام نموت

« يا بنى إياك أن تشتغل بشىء لم يأمر به الله رب العالمين ، واذا واجهتك يا بنى في الحكم معضلة فاتخـذ من مشورة علمـاء الدين ملجـأ ، يا بنى أحط من أطاعك بالاعزاز ، وأنعِم على الجنود ، ولا يغرنّك الشيطان بجندك ولا بمالك .. إيـاك إيـاك أن تبتعد عن أهـل الشريعـة . يا بنى إنك تعلم إن غايتنا هى ارضاء الله رب العالمين وبالجهاد يعم نـور ديننـا الآفـاق ، فتحدث مرضاة الله جل جلالـه . يا بنى لسنـا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم أو سيطرة أشخاص . فنحن بالإسلام نحيا وللإسـلام نموت » .

من وصية السلطان عثمان
مؤسس الدولة العثمانية
إلى ولـده أورخـان

رســالة المدينة المنورة :

المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة

بدأت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة استعدادها لتنظيم المؤتمر الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذي سينعقد فى ـ كانون الثاني (ينا ير) من العام المقبل .

وفى إطار هذه الاستعدادات أصدر الدكتور عبد الله بن عبد الله الزا يد ، نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قراراً بتشكيل أمانة عامة للمؤتمر برئاسة الشيخ عمر محمد فلاته ، الأمين العام ورئيس مجلس شؤون الدعوة فى الجامعة ، وعضوية تسعة أشخاص من مسؤولي وأساتذة الجامعة .

وقد باشرت الأمانة العامة للمؤتمر أعمالها فور تشكيلها وانبثقت عنها لجنتان فرعيتان إحداهما لدراسة ما قامت به الجامعة الإسلامية لتنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الأول للدعوة الذى انعقد في مقرها بالمدينة المنورة فى (شباط) فبراير من عام ١٩٧٧ ، والثانية لمتابعة ما قامت به الجهات الخارجية المعنية لتنفيذ ما يخصها من قرارات المؤتمر الأول .

وتسلمت أمانة المؤتمر تقريراً بشأن توصيات المؤتمر الأول والردود التي تسلمتها الجامعة الإسلامية من مختلف الجهات بشأن هذه التوصيات .. وبعد دراسة التقرير قررت الأمانة إرسال خطابات الى بعض هذه الجهات خاصة تلك التي توجه إليها المؤتمر السابق ببعض التوصيات المحددة .. ومن هذه الجهات رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى بجدة ، والى الجامعات الإسلامية المختلفة ووزارات الأوقاف والاعلام والتربية والتعليم فى البلاد العربية والإسلامية .

وسوف تخصص أمانة المؤتمر الثاني جلساتها القادمة لتحديد الموضوعات الأساسية التي تتناولها بحوث المؤتمر ووضع إطار عام لهذه البحوث ، بالاضافة الى وضع خطة للمؤتمر وتشكيل لجانه المختلفة وترشيح بعض الشخصيات البارزة من المفكرين والدعاة الإسلاميين لتوجيه الدعوات لهم للاشتراك فى المؤتمر .

وأوصت الأمانة العامة بأن تراعي الأشياء التالية في اختيار الموضوعات الرئيسية للمؤتمر :

١ ـ أن يتناول الموضوع قضية كبرى من القضايا التي تهم العالم الإسلامي ، لاسيما فى حياته المعاصرة ·

٢ ـ أن يكون مرتبطاً بالدعوة الإسلامية ·

٣ ـ وأن يكون ذا جوانب تتسع لبحوث مثل هذا المؤتمر العالمي ودراساته ومناقشاته وتوصياته ·

وبعد مداولات مكثفة تقرر أن يكون الموضوع الرئيسي للمؤتمر العام المقبل هو « سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامى ووحدة المسلمين » ·

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا المؤتمر الثاني يعتبر امتداداً لمؤتمر الدعوة الأول الذي انعقد بمبنى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى عام ١٩٧٧ وناقش موضوع الدعوة الإسلامية من خمس زوايا هى : إعداد الدعاة ، ومشكلات الدعوة والدعاة ، وسائل الإعلام وعلاقتها بالدعوة الاسلامية ، الدعوة والاتجاهات المضادة للدعوة الاسلامية ، ومنهج الدعوة وأساليبها ووسائلها ·

وسوف يعقد المؤتمر الثانى برئاسة الأمير فهد بن عبد العزيز ، ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء السعودي ، والرئيس الأعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ·

(المسلمون)

حـل مشكلة القوى العاملة لا يتم بتشغيل المرأة

● المطلوب تقليص التضخم الوظيفى ورفع الانتاجية واستعمال التقنية الحديثة

غالباً ما تثار قضية نقص القوى العاملة فى المملكة العربية السعودية ويثير معها بعض الصحفيين وغير المتخصصين موضوع تشغيل المرأة « النصف الآخر للمجتمع » كحل لهذه المشكلة .. وفات على هؤلاء بأن المشكلة هى أعمق مما يتصورون .. وان النصف الأول من المجتمع « الرجال » أصلًا غير مستغلون كما تبين الدراسات الإدارية والبيانات الإحصائية حيث من الواضح بأن هناك تضخماً وظيفياً داخل جميع الأجهزة الحكومية بحيث تشكل بطالة مقنعة لا تنتج « خدمات أو سلع » وإنما تحمل الاقتصاد الوطنى أعباء مالية لمرتباتهم وهذا مظهر من مظاهر البيروقراطية الحكومية ·

ولقد بين الدكتور ابراهيم العواجي وكيل وزارة الداخلية فى ندوة التضخم الوظيفى المنعقدة فى معهد الإدارة العامة « ٢٦ ـ ٢٩ ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ » بأن « أقصى عدد يعمله الموظف السعودى » خلال يوم واحد هو أربع ساعات واثنتى عشرة دقيقة وأدنى حد يبذله الموظف خلال اليوم خمسة وثلاثين دقيقة .. وان أقصى حد يعمله الموظف خلال أسبوع عمل هو إحدى وعشرين ساعة وأدنى حد هو ساعتين لكامل الأسبوع » ص ١٥ بمعنى أن متوسط الوقت الذى يعمله الموظف السعودى هو ساعة وثمانية وأربعون دقيقة أى بنسبة مئوية قدرها ٢٦ ٪ من وقت العمل اليومى بمعنى أن هناك ٧٤ ٪ من الوقت ضائع غير مستغل من وقت العمل والذى يكلف الدولة ملايين الريالات شهرياً دون أن يقابل ذلك أى إنتاج .

لذلك فهناك متسع كبير جداً لرفع إنتاجية موظفى الدولة وتوجيه الفائض من العمالة الحكومة الى قطاعات أكثر إنتاجية .. وبالرغم من أهمية ذلك الموضوع .. وعلاقته بالتنمية واستغلال الموارد البشرية المتاحة إلا أنه لم يحظ باهتمام الصحافة والمفكرين والمحللين بعكس موضوع عمل المرأة الذى شغل ويشغل صفحات كثيرة من الصحف اليومية علماً بأن تجارب الدول العربية فى مجال تشغيل المرأة لم تحل مشكلة انخفاض انتاجية اقتصاد هذه الدول .. فعلى سبيل المثال ذكر الدكتور عبد المجيد العبد رئيس مؤسسة التنمية الانتاجية بجمهورية مصر العربية في الندوة المذكورة بأن المصريين يمضون ٤٤ ٪ من وقتهم وهم نائمون و٣٦ ٪ منه وهم يشاهدون التلفزيون و١٦ ٪ منه فى الانتقال وأربعة من المائة فى العمل » .

كذلك تبين من استجواب عينة من السعوديين بأن متوسط ما يقضيه السعوديون من وقتهم اليومى هو ٤٥ ٪ وهم نائمون و١٨ ٪ من وقتهم وهم يشاهدون التلفزيون والفيديو و١٠ ٪ من وقتهم وهم يعملون و٧ ٪ فى الانتقال و٢٠ ٪ فى أمور أخرى « راحة ـ قراءة ـ تسويق .. » وهذا يبين أن الفرد السعودى يقضى فقط عشرة فى المئة « ١٠ ٪ » من وقته اليومى فى العمل بمعنى أن هناك مجالاً ومتسعاً لزيادة انتاجية المواطن السعودى حتى نقلل من استقدام الأيدى الاجنبية ونعطى لذلك أهمية أكبر من إثارة موضوع تشغيل المرأة السعودية داخل منزلها يعتبر عملاً منتجاً واقتصادياً ويعود على المجتمع السعودى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بناتج كبير .

فالذين يقولون إن عدد السكان السعوديين محدود وأن تشغيل النساء السعوديات فى أعمال إدارية فى القطاع العام والخاص سوف يحل هذه المشكلة يعوزهم إثبات ذلك . فان الدول العربية التى سبقتنا لم تثبت هذا الغرض حيث إن عمل المرأة فى الكويت مثلاً يتطلب

منها استخدام خادمة ومربية عوضاً عنها فى منزلها وبالتالى لكى تعمل امرأة فيجب على هذه الأسرة أن تستقدم امرأتين لسد دور المرأة فى منزلها وبالتالى فإننا لم نحل المشكلة وإنما زدنا الطلب على الأيدى العاملة الأجنبية إضافة إلى ما يسببه استقدام المربيات والخادمات من مشاكل نفسية لتربية الأطفال ومشاكل اجتماعية فى المجتمع ·

د · ابراهيم الفضيلى
(جريدة المدينة)

الضغط اليهودى في أمريكا

كتب السناتور جيمس أبو رزق مقالا نشر فى مجلة ـ بنتهاور ـ جاء فيه **أن سياسة الولايات المتحدة بشأن الشرق الأوسط توجهها عمليا تل أبيب** وأشار السناتور الى أن العميل الرئيسى لتل أبيب في الولايات المتحدة هو قوى الضغط الموالية لاسرائيل التي تتلقى الأوامر من اسرائيل ومن ثم تقوم بنشرها بمختلف الطرق بما فى ذلك على شكل رسائل اعلامية ومقالات صحفية وغيرها فى جميع أنحاء الولايات المتحدة وأن **قوى الضغط الموالية لاسرائيل ذات التنظيم العالى والمعاملة على الدوام غالبا ما تستخدم التخويف السياسي اذا لم تنفع الأساليب الأخرى ، وقال السناتور إن أسوأ أنواع الارهاب الذهني تتعرض لها تلك الشخصيات السياسية الأمريكية ومن ضمنها أعضاء الكونغرس الأمريكى الذين يتجرأون على وضع سياسة ـ اسرائيل ـ موضع الشك فيبدأ هؤلاء الأشخاص بالحصول على العديد من الرسائل والبرقيات الموعز بها والتى تعبر عن الاحتجاج والحقد كما ويتصلون بهم تلفونياً باستمرار ويصل الأمر حتى الى التهديد ·**

وكالة تاس

مـــاذا يحـــدث للمســـلمين فى « فطـــانى » ؟

رغم التقلبات السياسية المستمرة فى تايلاند وتبدل الحكومات وتغيير الوزارات من وقت لآخر إلا أن سياسة الاستعمار البوذى نحو الشعب الفطانى المسلم لم تتغير ، كلها متفقة على « اغتيال الشخصية الفطانية المسلمة » وإذابتها فى المجتمع البوذى ، وذلك عن طريق سياسة التصفية الجسدية للزعماء الفطانيين والدعاة المخلصين والعلماء البارزين عن طريق الاغتيال والقتل والحرق فى البراميل والتمثيل بجثثهم ورمى جثثهم فى بئر متروك ، وكم من مدرسة إسلامية أقفلت أو تكاد أن تقفل بسبب اغتيال مديرها أو مدرسيها على يد فرقة الاغتيالات أو بسبب طرد مديرها أو بعض المدرسين فيها من قبل السلطة التايلاندية البوذية . ومع بداية هذه السنة أرسلت الحكومة التايلاندية ما لا يقل عن ثلاثة وخمسين ألفا من أفراد القوات البرية والبحرية والكوماندوز وفرقة الاغتيالات إلى القرى والمدن الفطانية وأخذوا يجوبون القرى والمدن لا لحفظ الأمن وإنما لينشروا فى الأرض الفطانية الفساد ويهلكون الحرث والنسل من اغتيالات وقتل ونهب وانتهاك لحرمات البيوت المسلمة وهتك أعراض النساء المسلمات والفتيات المؤمنات . وسنورد فيما يلى بعضا من تلك التطورات السياسية والاضطهادات والأحداث الدموية التى تحدث هناك كل يوم وكل ساعة :

١ ـ جرائم فرقة الاغتيالات الاستثنائية رقم ٢٣ :

قامت الحكومة التايلاندية الاستعمارية فى أوائل هذا العام بإرسال ما يقال « بقوات العمل الاستثنائية رقم ٢٣ » فرقة الاغتيالات الاستثنائية » إلى مختلف القرى والمدن الفطانية ووضعت هذه القوات تحت الجنرال ناخوم فرومجاى قائد قوات الشرطة فى المناطق الجنوبية .

ففى ولاية فطانى وضعت فرقة من هذه القوات تحت الضابط سوجات ـ وهو ضابط معروف بجرائمه وبعدائه للإسلام ـ فقامت هذه الفرقة تحت قيادة هذا الضابط بارتكاب جرائم لا تحصى ونذكر على سبيل المثال ما يلى :

١ ـ قاموا باطلاق الرصاصات على الأخ « عبد الرحمن جارقكريان » بينما هو خارج من المسجد الجامع بفطانى بعد اختتام احتفال دينى فأصابته فى فخذيه وفى بطنه » وقعت هذه الجريمة فى ١٦ يناير ١٩٨١ م » .

٢ ـ قاموا بقتل الداعية الإسلامى الشيخ « محمد لطيف حسن » المبعوث من قبل دار الافتاء بالسعودية وطرحوا جثته فى بئر متروك · « وقع هذا الحادث فى ٣١ يناير ١٩٨١ م » ·

٣ ـ قاموا باغتيال الأستاذ انجىء حسين السكرتير لمجلس الشئون الإسلامية بولاية فطانى بينما هو يتوضأ لأداء صلاة الظهر إرتكبت هذه الجريمة فى ١٥ مارس ١٩٨١ م ·

وهناك اغتيالات أخرى لا حصر لها تقع بين حين وآخر فى ولاية فطانى وفى الولايات الأخرى ·

٢ ـ تهديد وإهانة وتشريد العلماء البارزين :

قامت السلطات التايلاندية باستجواب عدد من العلماء فى مراكز الشرطة ووجهت اليهم اهانات تمس شرف الدين الإسلامى بجانب مضايقات وتهديدات أخرى . فاضطر كثير منهم إلى اللجوء الى خارج البلاد ومنهم :

١ ـ الأستاذ الحاج أحمد عبد المجيد مدير المدرسة المجيدية بنافرادوا ولاية فطانى ·

وبقى كثير منهم فى فطانى مضطهدين ومهانين من قبل السلطة التايلاندية إذ أحيانا توجه إليهم اتهامات إيواء المجاهدين فى مدارسهم وأخرى بنشر التعاليم التى تسبب قيام ثورة شعبية عارمة ضد التايلانديين ·

٣ ـ اهانة الدين الإسلامى :

حاولت الحكومة التايلاندية إدخال الضلالات والشبهات إلى تعاليم الاسلام السمحة وذلك بنشر التأويلات والتفسيرات الخاطئة بواسطة الأشرطة المسجلة المختلطة بأقوال العلماء البارزين وبواسطة الكتب المقررة فى المدارس الحكومية وفى الترجمة التايلاندية للقرآن الكريم ومن هذه الضلالات :

١ ـ استخدام الآية القرآنية «أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وتفسر « أولى الأمر منكم » فى هذه الآية بالحكومة البوذية . فيجب على الفطانيين طاعة المسئولين فى الحكومة البوذية فإن لم يطيعوا الحكومة البوذية التايلاندية فإنهم يعتبرون عصاة ومتمردين ويجب حربهم وهم مغضوب عليهم من الله سبحانه وتعالى ·

ـ وتقول هذه النشرات والأشرطة إن الدين البوذى والدين الإسلامى سواء بسواء لوجود بعض مبادىء وتعاليم مشتركة ·

ـ إن كلمة « الكفار » الموجودة فى القرآن الكريم لا تنطبق على الكفار البوذيين التايلانديين الآن وإنما هم الكفار فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقط !!

ـ إن الجهاد ضد الكفار ليس واجبا الآن ، وإنما كان الجهاد واجبا على المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقط .

وهناك ضلالات أخرى تقوم الحكومة التايلاندية بنشرها بين المواطنين الفطانيين .

٤ ـ منع المسلمين من العمل فى المناطق الجبلية :

قامت السلطة التايلاندية الاستعمارية بمنع القرويين المسلمين من الذهاب إلى أماكن أعمالهم فى مناطق مزارع مطاطهم الواقعة على سفوح الجبال وفى الأماكن القريبة من الجبال لأنهم يتهمون القرويين المسلمين بقيام الاتصالات بالمجاهدين الفطانيين وإرسال التموين إليهم وإعطاء المعلومات عن تحركات القوات المسلحة التايلاندية فاضطرت ألوف من شعبنا إلى اللجوء إلى خارج البلاد للعمل .

والغرض الحقيقى من هذه السياسة القمعية هو تجويع الشعب الفطانى وخاصة الطبقة الفقيرة منهم وتضعيفهم اقتصاديا وإذا أضعف الشعب الفطانى اقتصاديا ـ حسب رأيهم سهل للتايلانديين تضعيف معنوية الشعب الفطانى فلا يساندون الكفاح المسلح الذى يقوم به الفطانيون الآن ولكن وإلى الآن لم تتحقق أغراض الحكومة التايلاندية فى تضعيف معنوية الشعب الفطانى بطريق التجويع والضغط الاقتصادى .

٥ ـ ارسال الفرقة الاغتيالية الى ماليزيا :

قامت الحكومة التايلاندية فى أوائل هذه العام بإرسال عدد كبير من رجال الاستخبارات والشرطة إلى ما وراء الحدود التايلاندية الماليزية ليقوموا حسب زعمهم بجمع المعلومات عن تحركات ونشاطات وأماكن التجاء المجاهدين الفطانيين فى ماليزيا وقاموا أيضا وراء أعمالهم الرسمية باختطاف عدد كبير من الفطانيين الموجودين فى ماليزيا وقتلهم على الأراضى التايلاندية المجاورة لماليزيا حتى لا تقوم ماليزيا بإرسال الاحتجاجات إلى الحكومة التايلاندية مما يسبب سوء التفاهم بين هاتين الدولتين الصديقتين .

وقامت أيضا بإرسال رجال فرقة الاغتيالات والنهب إلى ماليزيا وخاصة القرى المجاورة للحدود التايلاندية فقاموا باغتيال الماليزيين ونهب بيوتهم وهتك البنات الماليزيات وسرقة سياراتهن ودراجاتهن النارية والغرض الحقيقى من إرسال مثل هؤلاء الرجال إلى ماليزيا هو خلق الشعور بالكراهية بين الماليزيين تجاه الفطانيين الموجودين فى فطانى وخاصة المجاهدين

منهم ولم ولن تتحقق هذه الأغراض الحاقدة من قبل التايلانديين لأن الماليزيين هم إخوان فى الدين والدم واللغة للفطانيين وسيكونون إخوانا لهم فى الكفاح والنضال ضد المستعمرين التايلانديين ٠

إننا باسم جبهة التحرير الوطنية الفطانية ندعو المسلمين فى كل مكان على اختلاف مستواهم حكومة وشعبا ، أفرادا وتنظيمات ، والشعوب المحبة للعدالة والحرية فى العالم كله ليحاولوا ويعملوا للضغط على الحكومة التايلاندية لتتوقف عن تطبيق تلك السياسات القمعية وارتكاب تلك الجرائم البشعة اللا إنسانية والاضطهادات التعسفية ضد الشعب الفطانى المسلم المجاهد ٠

(رئيس جبهة التحرير الوطنية الفطانية)

(عن جريدة المدينة المنورة)

هــــذه أخلاقنـــــــا

« ويظهر أن أخلاق صلاح الدين ، وحياته التى انطوت على البطولة ، قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيراً سحرياً خاصاً ، حتى أن نفراً من الفرسان المسيحيين ، قد بلغ من قوة انجذابهم اليه ، أن هجروا ديانتهم المسيحية ، وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين ، وكذلك كانت الحال عندما طرح النصرانية فارس انكليزى من فرسان المعبد يدعى « روبرت أوف سانت ألبانس » عام ١١٨٥ م واعتنق الإسلام ثم تزوج بإحدى حفيدات صلاح الدين ، وبعد عامين غزا صلاح الدين « فلسطين » وهزم الجيش المسيحى هزيمة منكرة في واقعة « حطين » وكان جوى ملك بيت المقدس بين الأسرى ٠

وحدث في مساء المعركة أن ترك الملك ستة من فرسانه ، وفروا إلى معسكر صلاح الدين بمحض إرادتهم » ٠

(من كتاب « الدعوة إلى الإسلام » للسير توماس أرنولد)

برقية شكر جوابية :
من جلالة الملك إلى نائب رئيس الجامعة الإسلامية

بعث جلالة الملك المفدى خالد بن عبد العزيز برقية جوابية إلى فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة هذا نصها :

سعادة نائب رئيس الجامعة الاسلامية .. المدينة

نشكركم وكافة منسوبى الجامعة الاسلامية على شعوركم الطيب . وتمنياتكم المخلصة . ونسأل الله أن يديم على الجميع نعمة الصحة والعافية . تحياتى »

وكان فضيلة الدكتور الزايد قد أبرق إلى جلالته سائلا الله العلى القدير ، الشفاء العاجل لجلالته ، وأن يديم عليه نعمة الصحة والعافية لمواصلة مسيرة الخير والبناء لشعب المملكة ولكافة المسلمين في جميع أنحاء الأرض .

وزير التربية والتعليم الصومالى فى زيارة الجامعة الإسلامية

وصل المدينة المنورة معالى السيد آدم محمد على وزير التربية والتعليم الصومالى وبرفقته السيد حسين محمد سعيد مدير إدارة التخطيط بوزارة التربية والتعليم والسيد يوسف آدم حسن رئيس قسم العلاقات العربية والدولية بوزارة التربية والتعليم الصومالى ، وفور وصول معاليه إلى المدينة المنورة وزيارة الحرم النبوى توجه إلى زيارة الجامعة الاسلامية فى نطاق

زيارته الحالية للمملكة . وقد استقبله فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة وتحدث فضيلة الدكتور الزايد فى هذه المقابلة مع الوزير الصومالى ومرافقيه عن فرحة المسلمين في المملكة العربية السعودية بما نشر عن عودة الحرف العربى واللغة العربية إلى نظام التعليم الصومالى لما يمثله موقع الصومال من أهمية استراتيجية في حماية ثغور الإسلام في القرن الأفريقى . وتحدث الوزير الصومالى عن صمود الشعب الإسلامى في الصومال وقدرته على مقاومة الإلحاد وحركات التبشير الاستعمارية النشطة في القارة الأفريقية . وقد عجزت كل المحاولات الإلحادية عن التأثير في الشعب الصومالى المسلم الذى يعيش أنواعا من الصراعات . وتحدث الوزير عن سعى حكومة الصومال وجهودها في توحيد ثقافة أهل الصومال . وعلى قمة هذه الجهود العمل على تعريب التعليم في كل المراحل . وتحدث عن الخطوات الإيجابية التى اتخذت في هذا المجال في تطوير المناهج وإعداد المدرسين وتدريب الموظفين وتعليم الكبار .

وقد أشاد فضيلة الدكتور عبد الله الزايد بهذه الحركة الإيجابية في تعريب التعليم والثقافة في الصومال الشقيق . ودعا إلى فهم الظروف المحيطة بالشعب الصومالى حتى يؤدى ذلك إلى مشاركة هذا الشعب المسلم في قضاياه بفعالية . وقال فضيلته . إننا نأمل في استمرارية صمود الصومال أمام التحديات الجائرة حتى تكون النتائج التى يحققها هذا الشعب المسلم أفضل . والمسلمون يكنون للشعب الصومالى المحبة والتقدير لأنه جزء من هذه الأمة . وكرر فضيلة الدكتور الزايد رجاءه في أن تمضى دولة الصومال في عملية التعريب قدما .

وقد وعد فضيلة الدكتور الزايد بأن الجامعة إيمانا منها بأهمية الجهود المبذولة للتعريب سوف تمنح الصومال بعضا من المدرسين . وكذلك سوف تزيد من المنح الدراسية للطلبة الصوماليين في كليات الجامعة ـ كما وعد بالنظر في منح دراسية للصوماليين في الدراسات العليا في الجامعة وزيادة نسبة الصوماليين في الدراسات العليا . وقد قام معالى الوزير بزيارة لمستوصف الجامعة الذى يشتمل على كافة التخصصات الطبية كما زار المطبعة ورافقه فضيلة الدكتور الزايد . وقد استمع الوزير لشرح واف عن الخدمات الطبية التى يؤديها المستوصف للطلبة والأساتذة والزوار . وأثنى على ما زود به هذا المستوصف من أحدث الأجهزة الطبية والأقسام الطبية المتكاملة . كما أثنى على ما شاهده من أحدث آلات الطباعة في مطبعة الجامعة .

وقد صرح في نهاية زيارته بأنه سر سروراً عظيماً بما رآه في الجامعة الاسلامية من مرافق وخدمات وأشاد باهتمام المملكة التى تمد الجامعة بما يمكنها من تقديم تلك الخدمات المثالية لطلابها وأساتذتها من خدمات صحية واجتماعية . كما أثنى بما سمعه عن التخطيط

لمستقبل الجامعة ، وشكر معاليه فضيلة الدكتور الزايد نائب رئيس الجامعة وأساتذتها وكل المسئولين فيها ٠

[illegible]

في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة التقى معالى وزير التخطيط هشام ناظر مساء يوم الأحد ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ في ندوة مفتوحة مع عدد كبير من أعيان وعلماء ومفكرى المدينة المنورة وعدد كبير من طلاب الجامعة الاسلامية ومنسوبيها ٠ في أمسية دعا إليها النادى الأدبى بالمدينة للتعرف على مدى الجهد الذى تقوم به وزارة التخطيط في تطبيق الخطة الخمسية الثالثة والعوامل التى أدت إلى نجاح الخطتين الأولى والثانية ٠

[illegible]

افتتح صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة ظهر يوم الأحد الموافق غرة ربيع الأول ١٤٠٢ هـ قسم الإعلام بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الاسلامية ٠

وقد بدأ الحفل بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ٠ ثم ألقى صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن كلمة جاء فيها « إنه لشرف عظيم أن أحضر معكم افتتاح هذا القسم الهام ٠ فالإعلام في بعض الدول خصوصا تلك التى تستخدمه في الشر يُعَدُّ سلاحا ذا حدين ٠ وإن وجود قسم للإعلام الإسلامى في هذه الظروف التى تعيشها الأمة الإسلامية هو صمام الأمان الذى نأمل أن يقوم بدوره الكامل ٠ وقال سموه ، إن الإسلام هو دين الحب والأخوة والعدل والسماحة ويجب علينا مؤازرة هذا القسم ، وأن ندفع به إلى الأمام ٠

بعد ذلك ألقى فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة كلمة رحب فيها بسمو الأمير عبد المحسن على تشريفه افتتاح هذا القسم الذى كان الباعث على إيجاده بالجامعة هو ما تسديه المملكة من عطاء لنشر قضايا الإسلام وعلى كل المستويات وبكافة أنواع الدعم ، وهذه الجامعة ما هى إلا استجابة لآمال الأمة الإسلامية ٠ وأوضح فضيلته دور هذه البلاد في نشر الفكر الإسلامى منذ غربت شمس الإسلام عن أوربا والشرق ٠ وانحسر ظله إلا في بقايا

من جزيرة العرب ، حتى قيض الله له المجدد وشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وآزرته النخبة والصفوة من أبناء آل سعود على يد المؤسس الأول الإمام محمد بن سعود · وسارت المسيرة على هدى ، واستمر الخلف يأخذ من السلف هذا العهد ، وقال ؛ لقد رأت الجامعة أن تسعى إلى ما يحقق آمال المسلمين لأننا نواجه صراعا يتخذ أشكالا متعددة · والإعلام أحد أدواته ، والإعلام الموجود الآن يخادع على حساب المثل والقيم · والصحيح هو الإعلام الإسلامى الذى هو في حقيقته إنسانى ·

وركز فضيلته على القول ، بأن المفكرين الإسلاميين هم الواجهة التى تقابل الرأى بالرأى · ومن هنا أتى قسم للإعلام في هذه الجامعة الاسلامية بالدور المرسوم له ·

وأشار فضيلته إلى أن الإعلام في الوقت الحاضر أصبح له من الأهمية ما جعله في مقدمة العلوم الأخرى وخاصة إذا كان إعلاما إسلاميا يركز على دراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وما جاء فيهما من توجيه وتوعية إسلامية صحيحة ·

وأضاف فضيلته ، إن المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية وافق على إنشاء هذا القسم وصدرت موافقة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة بالموافقة على إنشاء هذا القسم ·

وقال الدكتور الزايد في كلمته ، إن هناك فكرة في أن يكون هذا القسم نواة لكلية الإعلام في المستقبل · وفي نهاية كلمته شكر فضيلته ، جلالة الملك المعظم على الدعم المباشر وغير المباشر الذى تجده الجامعة من جلالته وحرص صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة على أن تؤدى الجامعة رسالتها السامية ·

ثم ألقى الدكتور أحمد عطية الغامدى عميد كلية الدعوة وأصول الدين كلمة ذكر فيها قصة إنشاء قسم الإعلام بكلية الدعوة عندما اتخذ المجلس الأعلى للجامعة في جلسته العاشرة عام ١٤٠٠ هـ قرارا بإنشائه · ومن ذلك الوقت بدأت الترتيبات وشكلت عدة لجان بتوجيه من نائب رئيس الجامعة لوضع خطط الدراسة ومناهج المواد وشروط القبول وغير ذلك ·

وأوضح أن الهدف من إنشاء هذا القسم عدة أمور منها ، الإسهام في أداء الواجب عن الأمة الإسلامية في مجال الإعلام · وإعداد رجل الإعلام الإسلامى وتأهيله علميا وثقافيا وسلوكيا · وتزويده بأحدث الأساليب والنظريات والأسس العلمية · وتلبية احتياجات العالم الإسلامى من المتخصصين في هذا المجال ، وخدمة الدعوة الإسلامية بوسائل الإعلام ، وتدريب

الدارسين تدريبا علميا وعمليا على فهم وممارسة كل وسيلة من وسائل الإعلام والكشف عن كنوز تراثنا في مجال الإعلام والتوجيه والعمل على إحيائها وإخراجها في إطار توجيهات الإسلام وهديه · وغرس الاعتزاز بها واستفادة أجيالنا المسلمة منها ، وكشف مخاطر الغزو الفكرى والنفسى والدعاية المضادة · والعمل على رفع كفاءة الدارسين لمواجهتها ودحضها والرد عليها ، وقد كانت هذه هى الأهداف من وراء إنشاء هذا القسم الذى التحق به حتى الآن ثلاثة وأربعون طالبا ينتمون إلى خمس وعشرين جنسية من أبناء العالم الإسلامى ·

بعد ذلك ألقى الدكتور إبراهيم إمام رئيس قسم الإعلام كلمة أعضاء هيئة التدريس وأوضح فيها ما يلقاه العالم الإسلامى من إعلام موجه وضرورة مواجهته بإعلام إسلامى واضح ·· ثم ألقى أحد طلاب قسم الإعلام كلمة الطلاب ، كما ألقى الشيخ محمد المجذوب قصيدة استعرض خلالها معايشته للجامعة الإسلامية منذ عشرين عاما ومتابعته لنموها المتزايد في كل عام ·

بعد ذلك قام سمو الأمير عبد المحسن بتوزيع البطاقات على طلبة القسم وقص شريط المكتبة وشريط قسم الإعلام حيث حضر سموه جانبا من درس تحدث فيه المحاضر عن دور القمر الصناعى العربى المزمع إطلاقه ·

وقد حضر الحفل الشيخ سعد ناصر السديرى وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة وأمين المدينة المنورة الشيخ صدقة خاشقجى ورجال التعليم في منطقة المدينة المنورة وكبار المسئولين من مدنيين وعسكريين ·

زيادة المقبولين في الجامعة الإسلامية لهذا العام

بدأت الدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة هذا العام بعد انتهاء الحج مباشرة · وانتظمت فيها الدراسة منذ اليوم الأول حيث اكتمل عدد المدرسين ، وتواجد الطلبة ، واتخذت كافة الإجراءات اللازمة لبداية عام دراسى ناجح بإذن الله ·

وقد شهدت الجامعة زيادة ملموسة في الأعداد المقبولة من الطلاب فقد صرح فضيلة الدكتور عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة لمندوب جريدة الرياض بأنه قد تم منح ١٢٠٠ طالب من أبناء العالم الإسلامى منحا دراسية هذا العام بالجامعة موزعة على جميع الأقطار الإسلامية بالإضافة إلى تسجيل ٣٠٠ ثلثمائة طالب بدل الطلبة الذين أنهوا دراستهم العام الماضى ، وبذلك أصبح عدد الطلاب من أبناء الأمة الإسلامية الذين تم قبولهم هذا العام ١٥٠٠ طالب ·

وبذلك يزيد عدد طلاب الجامعة عن سبعة آلاف طالب ينتظمون في خمس كليات وقسم الدراسات العليا والمعهد الثانوى والمعهد المتوسط ودارى الحديث المدنية والمكية ٠

الجامعة الإسلامية تتعاون مع المركز الإسلامى في ميونخ

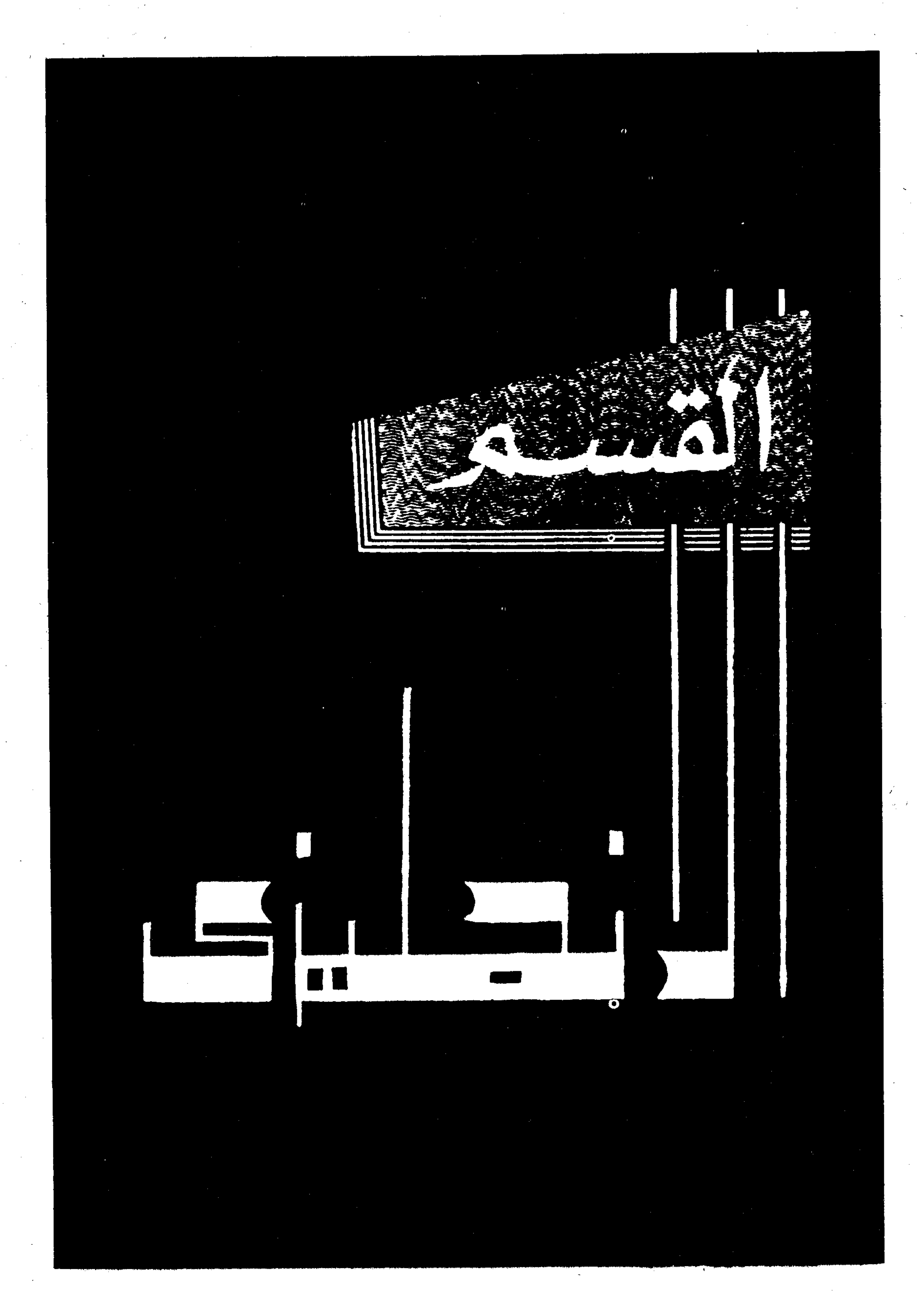
زار المملكة العربية السعودية في شهر صفر ١٤٠٢ هـ وفد يمثل المركز الإسلامى بمدينة ميونخ بألمانيا الغربية يضم كلا من السيد ابراهيم درومش الداعية في المركز الإسلامى بميونخ بجنوب ألمانيا والسيد عيسى كوتشى الأستاذ بالمعهد العالى الإسلامى في « أبارباخ » القريبة من مدينة هايد لبرج » وفي حديث أجرته معهما جريدة عكاظ السعودية ونشرته في عددها الصادر يوم الأحد ١٧ صفر ١٤٠٢ هـ قال السيد درومش في معرض حديثه عن شئون الدعوة الإسلامية في ألمانيا ومساندة المملكة العربية السعودية للعاملين فيها قال ،

لقد كان أول اتصال لنا بالنسبة للمملكة مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ٠ فقد زارنا نائب رئيس الجامعة الدكتور عبد الله الزايد في أغسطس الماضى ٠ وتعرّف على نشاط المركز الإسلامى في ميونخ ، كما تعرف على النشاطات الإسلامية الأخرى في جنوب ألمانيا ٠ وكانت هذه أول زيارة ٠ وعندما عرضنا على الدكتور الزايد مشاريعنا الخاصة بتطوير الدعوة الإسلامية في ألمانيا شجعنا وتحمس لمشاريعنا ٠ وقال ، إن المسلمين بحاجة الآن لمثل هذه المشاريع ٠ وإن على المسلمين أن يقفوا دائما صفا واحدا ٠ ثم اقترح علينا أن نزور المملكة لعرض أفكارنا وشرح المشاكل التى تعترضنا لتنفيذ هذه الأفكار » وقال ، إننا طلبنا من الجامعة الإسلامية أن تدعم المركز بالمدرسين والدعاة الأكفاء كى يحقق المعهد أهدافه الإسلامية النبيلة ٠

طلاب قسم الإعلام بالجامعة الإسلامية يزورون المؤسسات الإعلامية بالمملكة

في إطار الجولات التى يقوم بها قسم الإعلام بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للتعرف على المؤسسات الصحفية ودور النشر ٠ قام طلاب هذا القسم يوم الاثنين ٩ من ربيع الأول بزيارة ميدانية لمؤسسة تهامة للإعلان والعلاقات العامة وأبحاث التسويق وترأس هذا الوفد الإعلامى الدكتور أحمد عطية الغامدى عميد كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية وبرفقته الدكتور إبراهيم إمام رئيس قسم الإعلام بالكلية ٠ وقد التقى بهم سعادة الأستاذ فخرى حسين عزى المستشار لتهامة ، والمشرف على إدارة النشر وقدم إيضاحا كاملا عن دور تهامة في النشر وأجاب على أسئلة الطلاب وخاصة حول الكتاب السعودى ٠ كما قام الوفد بجولة على القسم الفنى (عربى ـ انجليزى) والذى يتم فيه طبخ الإعلان وإظهاره بالصورة المطلوبة واطلعوا على مراحل الإعلان وكيف يصل إلى الصحف بالصورة التى يراها الجميع ٠

محتويــــــــات العــــــدد

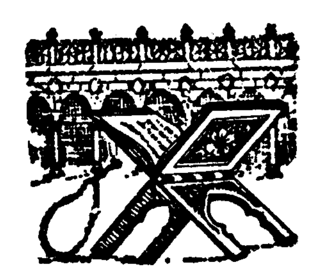

القسم
الانجليزى

Meaning : " O Allah ! Bestow Your Mercy on Muhammad and Muhammad's kindred, as You did bestow Your Mercy on Ibrahim and Ibrahim's kindred.

You are the Praiseworthy and Exalted. O Allah ! Send Your Blessings on Muhammad and Muhammad's kindred as You have sent Your Mercy on Ibrahim and Ibrahim's kindred. You are Praiseworthy and exalted ".

12) The final compulsory part of the salah is ' Tasleem ', saying ;

السلام عليكم ورحمة الله



Meaning : Allah has listened to him who has praised Him; O Our Lord ! All Praise is for You).

7) Two Sujuds : To prostrate placing one's forhead, palms, knees and the lower sides of the toes of the feet on the ground; saying Allahu Akbar, And say three times :

سبحـان ربىّ الأعلى .

(Meaning : Glory unto my Lord, Most High).

8) To sit for a short while on the heels, saying ' Allahu Akbar ' before the second Sujud, resting the knees on the ground, and then to repeat the second sujud. By this action the first ' Rak'a ' is complete

9) To keep quietness in Ruku, eithidal, in the sujuds and in sitting between them.

10) To read ' Tashahud ' in the final Raka, after the completion of the second postration (sujud). The text and the meaning of the Tashahud :

التّحيـات لله والصّلوات والطّيبـات السّـلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السـلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهـد أن لا إله إلا الله وأشهـد أن محمداً عبـده ورسـوله .

Meaning : " All greetings, prayers and good deeds are for Allah, Allah's Peace and Mercy and His Blessings be upon you O Prophet ! Allah's Peace be on us and on all the righteous servants of Allah. I bear witness that there is none worthy of worship except Allah, and that Muhammad is His servant and His Messenger ".

11) Reciting the ' Salat ' on the Prophet, after the Tashahud.

The complete form of the Salat and its meaning are as below :

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيـد

This Sura was revealed at Makkah. It is the most prominent in the whole Quran, as it is named " Ummul Quran " (the Essence of the Quran). It is an essential part of the Muslim Prayer. He who understands the meanings of these seven verses of this chapter will have grasped the fundamentals of the Islamic Faith.

After Takbeer Tahreemah, and before the recitation of al–Fathiha, a ' Du'a–al–Isthifthah ' (Opening prayer) is an act of Sunna to say. One of the prescribed Duas is :

« سبحانك اللهم بحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » .

Meaning : " Glory be to You O Allah ! And the Praise is Yours; Blessed is Your Name and Exalted is Your Majesty; There is none worthy of worship except You ". Then to say :

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

Meaning : " I seek refuge in Allah from the accursed Satan ".

Reciting a Sura or some ' Ayah ' of the Quran, soon after al–Fathiha, in the first two Rakath, is also a Sunna.

The Imam (who leads the Prayer, in the congregational prayers) and Munfarid (who prays alone) should recite Surathul Fatjiha and a Sura aloud in the first two Rakath of Magrib and Isha and in the Fajr Prayers. The recitation should be in a low voice in Dhuhr and Asr Prayers.

The lowest degree of reciting aloud is that the voice reaches to the ear of the person next, and the lowest degree of reciting low is that in which the voice of a person reaches to his own ears. It is worth mentioning that merely thinking of the words in mind is not enough, the wordings should be said by the tongue.

5) Ruku : Bowing from the hips, the hand placed on the knees, and make the head, neck and back horizontal. The Ruku should be performed just after completing the ' Qiraat ' (recitation of al–Fathiha), saying Allahu Akbar. It is desirable to say three times in Ruku;

سبحان ربىّ العظيم .

(meaning : " Glory unto my Lord, Most Great ".

6) Eithidal : To stand up straight for a while after Ruku, saying :

سمع الله لمن حمده ربّنا لك الحمد .

part of it become prohibited (haram). Hence it is called Takbeeratul Tahreemah.

3) Qiyam. It means standing up.

It is necessary to perform prayers standing if one can do so. If one has no strength to stand up or has a strong excuse, he can perform the prayer (Salah) sitting.

4) Reciting Suratul Fathiha (the Opennings Chapter of the Holy Quran) in all ' Rak'ath). The text and the meanings of Surathul Fathiha are as follow :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم ·
٢ ـ الحمد لله رب العالمين ·
٣ ـ الرحمن الرحيم ·
٤ ـ مالك يـوم الدين ·
٥ ـ إيـاك نعبد وإياك نستعين ·
٦ ـ اهدنـا الصراط المستقيم ·
٧ ـ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ·

Meaning : 1 – " In the name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

2 – All Praise to Allah, the Lord of the Worlds.
3 – Most Gracious, Most Merciful.

4 – Owner of the Day of the judgement.

5 – You alone do we worship; You alone do we ask for help.

6 – Show us the straight path.

7 – The Path of those on whom You have bestowed Your Grace, not (the path) of those who earn Your anger, nor those who go astray ".

from which spring courage, sincerity, purposefulness, purity of heart, advancement of soul, and enrichment of morals. It trains him in the observance of his duties towards his Creator, and he would certainly keep clean in all his dealings.

The five prayers every day give him a strict training for conforming his practice to his ideals so that the Lord would ever be present in his heart, and remind him of covenant with Him all along the prayers. It is this training which makes a man a perfect Muslim. If even after such a vital training a man misbehaves himself in other fields of life and disobeys the law of his Lord, it can only be because of some intrinsic depravity of his self. True worship does not consist in the mere form of prayer without the heart and mind being earnestly applied to seek the realisation of the Presence of Allah and to understand and do His Will. When he stands up for prayer without earnestness, or for merely being seen by people, his worship will be null and will fail to get the appropriate gains. The Holy Quran refers to this fact as follows :

It means : " So woe to the worshippers, who are neglectful of their prayers those who want but to be seen ". 107 : 4 – 6.

فويل للمصلّين · الذين هم عن صلاتهم ساهون · الّذين هم يراءون · (الماعون ٤ ـ ٦) ·

Obligatory Parts Of Salah

The things compulsory to do during the prayer are called " Arkanussalath " (pillars of the player). Things compulsory to observe before beginning the prayer are called " Shuruthussalath " (the conditions of the prayer).

1) Intention (Niyyath) of the prayer (Salah).

Pronouncing the ' Niyyath ' in words is not necessary, but it is enough to intend it in mind : A Worshipper doesn't say : " I am offering the prayer of Dhuhr and so on. ".

2) Takbeerathul Ihram or Takbeer Tahreemah.

It means to say : ـ الله أكبر · Allahu Akbar (Allah is the Greatest).

By saying this ' Takbeer ', Salah (Prayer) begins and things which are not

III – Salath – al – Asr (the After–noon Prayer) :

The time for Asr prayer begins with the end of Dhuhr time.

That is when the shadows of objects become equal to their originals. This prayer time lasts till sunset. Asr prayer also consists of four Rak'at.

IV – Salath – al – Maghrib (the Sunset Prayer) :

The time for Maghrib prayer begins from just after the sunset and lasts till the fading of twilight. Maghrib prayer consists of three Rak'at.

V – Salath – al – Isha (the Night Prayer) :

The time for the Isha prayer begins at the end of Maghrib's time [after the fading of twilight) and lasts until dawn.

Isha prayer is four Rak'at.

A particular prayer (Salah) should be performed at the time fixed for it. If it is performed before its time, salah will not be acceptable. If performed after its set time passes salah will not be ' Ada ' (appropriate) but will be ' Qa'da ' (missed).

The time specified for these prayers mentioned above is the permissible limit for each prayer, but one should make haste to perform the prayers in the early time itself. It is compulsory on every Muslim adult to perform the prayers exactly in time. Qada prayers have to be done as soon as possible and according to their order.

There are numerous benefits we derive from the frequency and timings of the daily prayers. The prescribed daily prayers consist in repeating and refreshing five times a day the belief in which a Muslim reposes his faith. He gets up early in the morning, cleanses himself, and presents himself before his Lord for prayers. The various poses that he assumes during his prayers are the very embodiment of the spirit of submission to His Creator. The various recitals remind him of his commitments to his Lord. He seeks the Guidance of Allah and asks Him again and again to enable him to avoid His Wrath and follow His Chosen Path. He also refreshes his belief in the Day of Judgement and recalls in his memory the fact that he will have to appear before his Lord and give an account of his entire life. In this way a Muslim starts his day.

Thus the prayers never let the object and mission of life be lost sight of in the maze of worldly activities. It is easy to understand that the frequent daily prayers strengthen the foundation of faith of a Muslim, prepare him for the observance of a life of virtue and obedience to Allah, and refresh that belief

postures which must be adopted in prayer. It cannot be denied that a particular posture of the body will generate in man feelings of pride haughtiness while another is suggestive of true humility, and it is only the latter frame of mind that can bring man closer to ALLAH. If therefore humility is the essence of prayer, naturally a man will unfold his heart before his Cherisher.

Now as we have seen, one of the great objects of prayer is to level down the social and race differences, and if any other postures than those prescibed by the Quran and the Prophet are adopted, there would be a divergence from the Islamic mode of worship, and the uniformity of prayer is destroyed, and its main usefulness is gone. A little consideration will show that a law generally requires a sanction behind it, and behind all Divine laws which relate to the development of man and to his moral betterment, the only sanction is a belief in the great Author of those laws. A man reverts to prayer, to that state in which, disengaging himself from all worldly attractions, he feels the Divine Presence as an actual fact, the greater is his certainty about the existence of ALLAH and the greater the restraint upon the tendency to break His Laws.

The Times Of Five Daily Complusory Prayers

I Salath – al – Fajr (the Dawn Prayer) :

The set time for this prayer is from dawn until sunrise.

About one and a half hours before the sunrise there appears a kind of whiteness from the estern horizon, and spreads towards right and left through the edge of the eastern sky and does not columnwise. With this the time for Fajr prayer begins and remains till just before sunrise. The appropriate time for this prayer goes away as soon as the edge of the sun appears.

The Fajr prayer consists of two Rak'at.

II – Salath–al– Dhuhr (the Noon Prayer) :

The time for Dhuhr prayer begins with Zawal (inclination of the sun to the west) or just after the noon–time. The ' Dhuhr ' prayer–time extends till the shadows of things become equal to their original size. Dhuhr prayer consists of four Rak'at.

love They all stand shoulder to shoulder, the king along with his poorest subject, the rich with the needy, the white man with the black, and the master with his servant, before their Creator and Lord. Not only this, but the king or the master standing in a back row will have to lay his head prostrating himself before ALLAH at the feet of a poor subject or a low class servant standing in the front row. There could be no more levelling influence in the world. Thus Prayer creates an atmosphere of brotherhood, equality and human love, and differences of rank, wealth and colour vanish within the mosque, totally differing from the outside world.

These lessons of fraternity, equality and love, when put into practice in daily life, serve as foundations for lasting human civilization and unification. In fact, the five daily congregational prayers are meant, among other things, to carry into practice the theoretical lessons of equality and fraternity for which Islam stands. However much Islam may have preached in words the equality of man and the fraternity of the community, all this would have remained as a dead–letter unless it had been translated into the everyday life of man through the institution of five daily congregational prayers, because no idea can live without a practical institution to keep it alive.

Now let us come to the times of prayer and its pre–requesite conditions.

In Islam there is not a single day set apart for worship, but prayer is made a part of the everyday affairs of man. So there is a prayer in the morning before sunrise when a man rises from bed; another just after mid–day; a third in the afternoon; a fourth just after sunset; and a fifth at night after twilight and before dawn. Thus Prayer is the first daily work of a Muslim and it is also his last work of the day, and between these two there are other prayers during hours of business recreation. Islam thus requires that in all the varying conditions through which man has to pass, his spirit should be in touch with the Divine Spirit. He should feel the Divine Presence under all conditions, so that while he is doing his work, a moral force in the transaction of everyday affairs.

The ablution preceding prayer, facing the direction of Ka'ba, cleanliness of body dress and place, the reverential attitude in standing, the bowing down, the prostration with the forehead placed on the ground, and the recitation of the ' Fathihah ' and ' Tashahud ' all help the mind to concentrate on one object, to realize the Divine Presence as a fact. This mode of worship helps the woshiper to find his heart's joy in doing honour to his real Lord and Master, not only with his tongue but with his whole body. There is not the least doubt that the spirit of humility in man finds particular expression in the reverential

The three requisites of a true Muslim are there given, as quoted above, in their natural order. The first is a belief in the Unseen. which means the belief in ALLAH, who cannot be perceived by the physical eye of man. His mighty being is beyond limited human comprehension. He is the all knowing, He knows all things both secret and open. The second, which follows immediately the belief in the Unseen, is the keeping up of prayer. This shows that the belief in ALLAH is turned into a realization of the Divine existence by means of prayer. Third requisite, spending out of what ALLAH has given, is the natural sequal of the second, and shows that the certainty of the Divine existence leads to the service of humanty.

Through prayer man can realize the great truth of Divine existence within his heart. It works an entire change in his own life and also enables him to rise to moral greatness. Prayer is also the means of levelling all differences of ranks, colours and nationalities, thus the means of bringing about a cohesion and unity among mankind. The establishment of prayer is a living force in the unification of the human race through Divine services.

Prayer in Islam aims at not only making man drink deep at the fountain of Divine morals, purifying his heart and setting him on the right road to the development of human faculties, but also brings about love, levels all artificial differences between man and man, and establishes a true union of humanity. The truth is that this object cannot be achieved without a regularly instituted form of prayer, so that the service of prayer is divided into two types. The first one to be performed in private and the other to be performed in congregation, preferably in mosques.

The privat type of prayer is meant simpiy for the development of the inner self of man, and the public type of prayer has other ends as well in view that make the Islamic prayer a mighty force in the unification of the human race. While the people living in the same vicinity gather together times daily in the mosques, this gathering is a help to the establishment of healthy social relations. But the circle becomes wider in the weekly Friday Services which gather together all Muslim members of a particular locality, and still wider in the tow great ' Id ' gatherings.

Far more important than these social relations and unification of Muslims, however, is the placeof prayer in the levelling of social differences brought about by means of congregational prayer. For example, once within the doors of the mosque every Muslim feels himself in an atmosphere of equality and

(Keep up prayer for My rememberance). 20 : 14

This rememberance not only urges him to do disinterested service for humanity but also makes him attain the highest digree of moral perfecation.

The right development of human faculties, and attaining the moral greatness, depends upon the purification of Man's inner self and the suppression of evil tendencies. The Holy Quran says :

قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلّى . (الأعلى ١٤ - ١٥)

It means : " He is successful who purifies himself, and remembers the name of his Lord, and So prays ". 87 : 15.

Prayer is spoken of as a means of purification for the heart. Allah says :

أتلُ ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون . (العنكبوت ٤٥) .

It means : " Recite that which has been revealed to you of the Book, and keep up prayer; surely prayer keeps one away from lew dness and evil, but verily the rememberance of Allah is more important. And Allah knows what you do " 29 : 45.

The belief in ALLAH is the fundamental principle of every religion.

The object of religion is not simply to preach the doctrine of the existence of ALLAH as a theory; it goes far beyond that. It seeks to instill the conviction that this belief is a living force in the life of man. Prayer is the mesns by which it is sought to achieve this great end. The reference to the beginning of the Holy Quran will show what prayer really aims at. There we are told that a man who would tread the road to self– development, must accept certain principles and carry out certain duties, as stated in the beginning of the Holy Quran :

ألَمّ . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . (البقرة ١ - ٣)

It means : " Alif. Lam. Mim. This is the Scripture whereof there is no doubt, a guidance to those who ward off evil; who believe in the unseen and keep–up prayer, and spend out of what We have given them ". 2 : 1–3.

THE IMPORTANCE OF SALATH (THE PRAYER) IN ISLAM

BY

DR. MOHIADDIN ALWAYE

ISLAMIC UNIVERSITY, MADINAH

Prayer (Salath) is the first worship enjoined in Islam. It is a perfect and organised institution through which man is connected with the Lord of the Universe. A prayer in the religion of Islam, is not mere words of appeal or praise of Allah but it is both action and speech fulfilled by meditation with heart, tongue and whole body. The importance of prayer may be judged from the following facts :

It was the first duty enjoined on the Prophet; it is the most frequently repeated injunction of the Holy Quran ; and the Prophet says :

« الصلاة عماد الدّين » (Prayer is the pillar of Religion); and :

« إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصـلاة » .

[Prayer is the first thing one will be questioned about on the Day of Judgement).

There are several reasons why prayer has been given this importance. It is really the first step in the onward progress of man and yet it is also a spiritual force which will help him in all walks of life, and will be a source of happiness and peace. Prayer keeps man away from evil, and thus enables him to attain perfection. It helps him realise the rememberance of Allah Who is over–watching everything in the Universe. As He said in His Book :

أقم الصلاة لذكرى (طـه ١٤)

قـال تعـالى :

« كنتم خيرَ أمَّةٍ أخرجت للنــاس
تأمرون بالمعروف وتنهوْنَ عن المنكر
وتؤمنون بالله ، ولــو آمَنَ أهلُ الكتاب لكان
خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم
الفاسِقُون ● لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلاّ أذىً وَإنْ يُقَاتِلوكم
يُوَلُّوكُمْ الأدبارَ ، ثم لا يُنْصَرُوْن ● ضُرِبَتْ
عليهم الذِّلةُ أيْنَ ما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ منَ الله
وحَبْلٍ من النَّاسِ وبَاءُوا بِغَضَبٍ من الله ،
وضُرِبَتْ عليهم المَسْكَنَة ، ذلك بِأَنَّهُمْ كانوا
يَكْفُرُون بآياتِ الله ويَقْتُلُون الأنبياءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ، ذلك بِمَا عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُون ● »

(سورة آل عمران آيــة ١١٠ ـ ١١٢)

Allah says : —

,, You are the best of peoples ever raised up for mankind, you enjoin what is right, and forbid what is wrong, and you believe in Allah, And if the people of the Scripture had believed, it would have been better for them, among them are some who have faith, but most of them are rebellious (against Allah's Command) .

They will do you no harm, barring a trifling annoyance; and if they fight against you, they will show you their backs, and they will not be helped .

Indignity is put over them wherever they may be, except when under a Covenant from Allah, and from men; they have drawn on themselves Wrath from Allah, and destitution is put over them. This is because they disbelieve the Signs of Allah and killed the prophets with injustice. This is because they disobeyed (Allah) and used to transgress beyond bounds.

Surat AL-Imran
V. 110 – 112

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

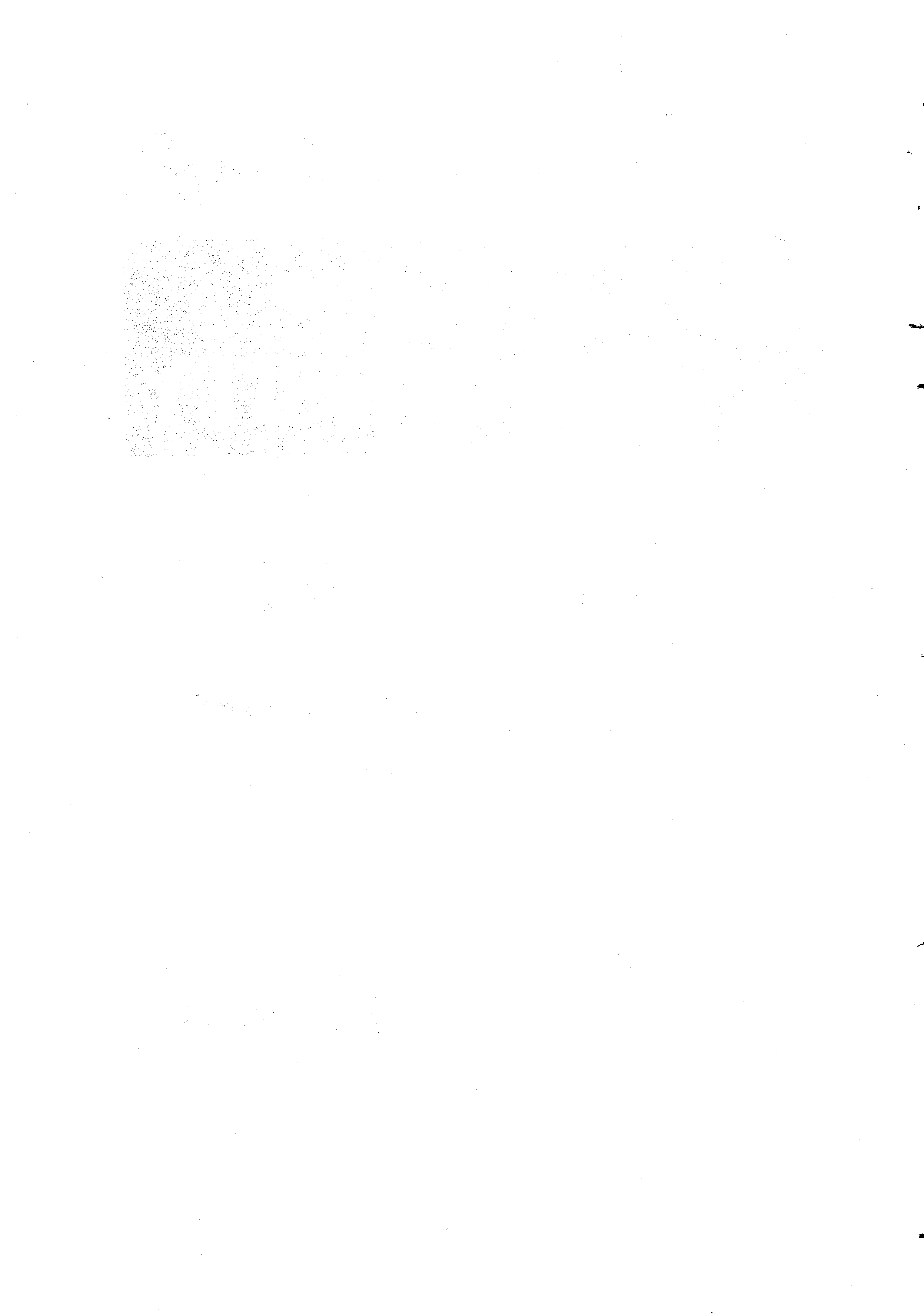
قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)



Journal of THE ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH MONAWWARAH

AL-MUHARRAM-SAFAR-RABI'-UL-AWWAL
1402 A. H.
[QUARTERLY]

53

14 th YEAR